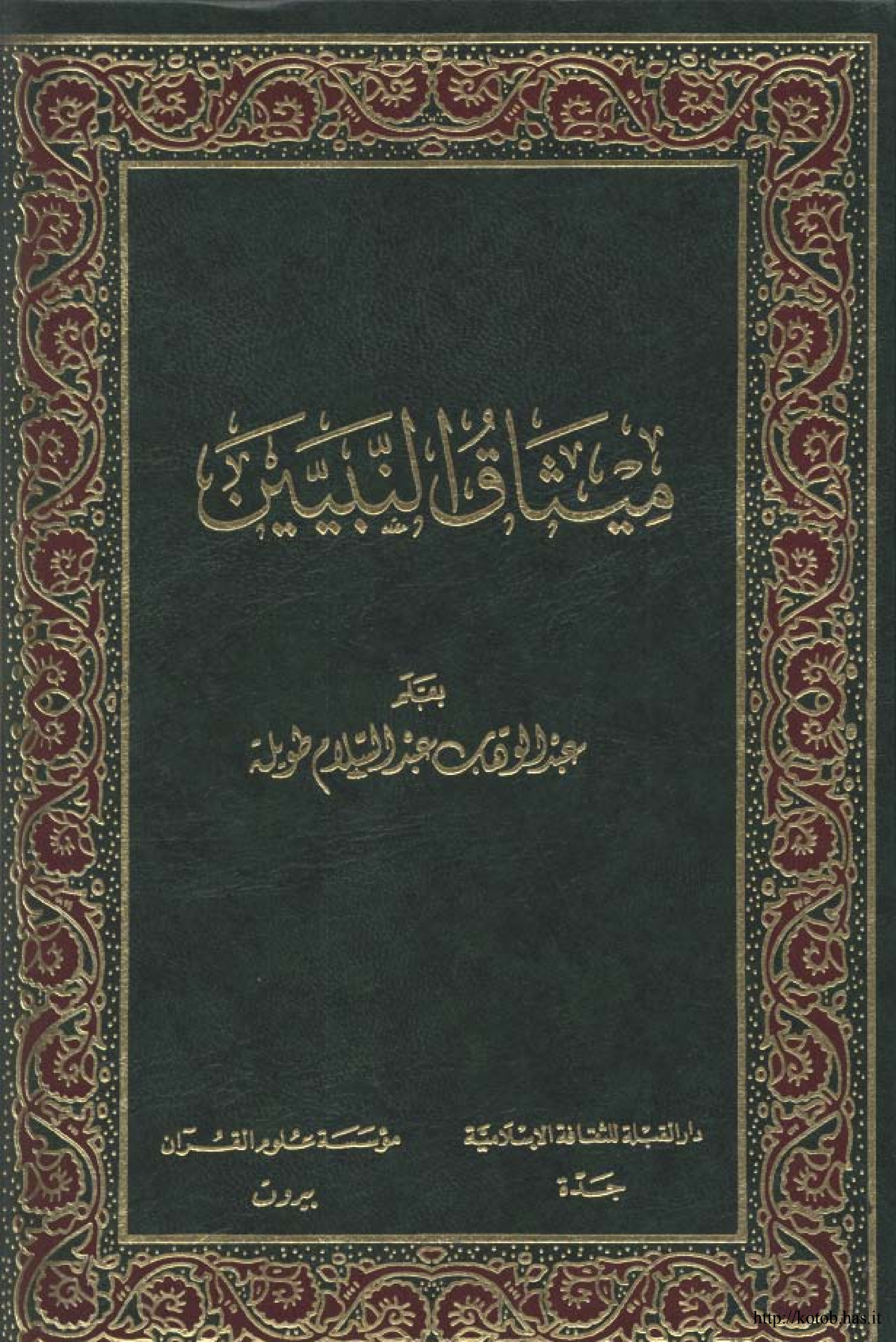


ميثاق النبيين
بقلم
عبد الوهاب عبد السلام طويلة
دار القبلة للثقافة الإسلامية
جدة
مؤسسة علوم القرآن
بيروت
http://kotob.has.it


ميثاق النبيين

١٤١٠هـ ١٩٩٠م

دار القبلة للثقافة الإسلامية

المملكة العربية السعودية - جدة - ص.ب : ١٠٩٣٢ - الرمز : ٢١٤٤٣ - ت : ٦٦٥٢٤٠٦ / ٦٦٥٩٩٥١ / فاكس : ٦٦٥٩٤٧٦

مؤسسة علوم القرآن

دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء خولي وصلاحي - ص.ب : ٤٦٢٠ - ت : ٢٢٤٩٩٠ - بيروت - ص.ب : ١١٣/٥٢٨١

إتمامُ البناءِ بخاتمِ الأنبياء
١

مِيثَاقُ النَّبِيِّين

بقلم
عبد الوهّاب عبد السّلام طويلة

دار القبلة للثقافة الإسلاميّة
جدّة

مؤسسة علوم القرآن
بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين . وكان الله بكل شيء عليما . ـ الأحزاب/ ٤٠ ـ.

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنىٰ بنياناً ، فأحسنه وأجمله ، إلا موضعَ لَبِنَة من زاوية من زواياه . فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولن : هّلا وُضِعَتْ هذه اللبنة ؟!، قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين» ـ أخرجه البخاري ومسلم ـ .

٣ ـ وعن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « مثلي في النبيين كمثل رجل بنىٰ داراً ، فأحسنها وأكملها وأجملها ، وترك موضع لبنة ، فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه ، ويقولون : لو تمَّ موضع تلك اللبنة . وأنا في النبيين موضع تلك اللبنة ـ أخرجه الترمذي وقال : حسن صحيح ـ.

٤ ـ وروى الشيخان عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ نحوه ، وزاد مسلم في روايته : فأنا موضع اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء .

٥ ـ وجاء في المزمور الثامن عشر بعد المائة من مزامير داود :

٢٢ الحجر الذي رفضه البناؤون ، قد صار رأس الزاوية .

٢٣ ـ من قِبَل الرب كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا .

وفي الترجمات القديمة : الحجر الذي أخّره البناؤون ، صار حجر الزاوية . .

٦ ـ وجاء في إنجيل متى ٢١/٤٢ ومرقس ١٢/١٠ ـ ١١ ولوقا ٢٠/١٧ : قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البناؤون ، هو قد صار رأس الزاوية . من قِبَل الرب كان هذا . وهو عجيب في أعيننا .

متى ٢١/٤٣ : لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطىٰ لأمة تعمل أثماره .

وفي ترجمته دار الكتاب المقدس سنة ١٩٨٠ : لذلك أقول لكم : سيأخذ الله ملكوتَه منكم ، ويسلمه إلى شعب يجعله يثمر .

متى ٢١/٤٤ ولوقا ٢٠/١٨ : من سقط على هذا الحجر ترضض ـ وفي ترجمة دار الكتاب : تَهشَّم ـ ومن سقط هو عليه سحقه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكـرمنا بـالإيمان ، وأعـزنا بـالإسلام ، وأنعم علينـا بنبيه محمد ﷺ فهدانا من الضلال ، وجمعنا من الشتات ، وأغنانا بشريعته التي تـدعو إلى الحكمة والموعظة الحسنة ، وتتضمن الأمـر بالعـدل والإحسان ، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي . فله المنة والفضل على ما أنعم به علينا ، وإليه الرغبة في أن يوزعنا شكر هذه النعمة ، وأن يفتح لنا أبواب التوبة والمغفرة والرحمة .

أما بعد ، فقد كان من سنة الله وحكمته تعميم الخلق بالرسل ، فبعث في كل أمة رسولاً ليقيم حجته وهداه . قال سبحانه : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » ـ النحل/٣٦ ـ وكان دينـه الذي ارتضـاه هو الإسلام الذي بعث به الأولين والآخـرين من الرسـل . قال تعـالى : ﴿ **يا أيهـا الرسل كلو من الطيبات واعملوا صالحاً ، إني بما تعملون عليم . وأن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقـون** ﴾ ـ المؤمنون/ ٥٠ ـ ٥٣ ـ ثم جعـل محمداً ﷺ خاتم النبيين ، وبعثه على حين فترة من الرسل إلى العالمين ، وأكمـل له ولأمتـه الدين . قال جل شأنه : ﴿ **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيـراً . وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ ـ فاطر/ ٢٤ ـ.

والإنسان كثيراً ما يتساءل إذا كـان دين محمد ﷺ عـالمياً ، وهـو دين حق وصدق ، فلماذا لا يقبل الناس اعتناقه ؟ ولماذا يُكنُّ له أكثر أهل الغـرب الحقد والكراهية ، مع أنهم قطعوا في التقدم المادي شوطاً كبيراً ؟! والجواب يتلخص في أمرين :

١ ـ الجهل بحقيقة الإسلام :

فمن جهل شيئاً لم يقدره حق قدره ، ولم يعرف قيمته . وسبب الجهل يعود إلى أمرين :

أ ـ عدم بلوغهم الخبر على حقيقته من قبل المسلمين :

فالدعوة إلى الله فرض كفاية ، وقد تكون فرض عين ، لكن المسلمين مقصرون في هذه الناحية أشد التقصير . حتى إن الأوروبيين وغيرهم ممن اعتنق الإسلام في عصرنا هذا ليشكون من انعدام الوسائل التي تعرفهم بالإسلام .

يقول العالم الفرنسي موريس بوكاي[1] : إن المعطيات الخاصة بالإسلام مجهولة عموماً في بلادنا الغربية . ولا يدهشنا ذلك إذا تذكرنا الطريقة التي اتبعت في تثقيف الأجيال الكثيرة فيما يتعلق بالقضايا الدينية لدى الإنسان ، وكيف فرض عليهم الجهل في كل ما يمس الإسلام .

ب ـ بلوغهم الخبر بشكل مشوّه :

إن أكثر أساتذة الدراسات الشرقية في الجامعات الأوروبية والأمريكية غير مسلمين . بل إن معظم الذين يشتغلون بتدريس الإسلام وعقائده وتشريعاته في تلك الجامعات هم من اليهود والمغرضين .فماذا تنتظر منهم غير الكذب المتقن وتشويه الحقائق والطعن المستمر ، بمختلف الأساليب التي تتستر بستار البحث العلمي المنهجي وحرية الفكر . ثم يتناقل الناس ولا سيما الكتاب هذه التشويهات على أنها حقائق علمية . فكيف يمكن بعد هذا أن تتضح الصورة النقية للإسلام في أذهانهم ، فضلاً عن الإشادة بمحاسنه؟! .

إن الغربيين عندما يتحدثون عن العلم والدين يغفلون الإسلام بسبب انطباعاتهم المبنية على مفاهيم مغلوطة صدرت ضد الإسلام . وعامة الغربيين لا يريدون أن يتعبوا أنفسهم ويتحروا الحقيقة والصواب . فيبقون على جهلهم بالإسلام وبعدهم عنه .

---

(١) في كتابه القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) ص ٦ .

يقول المفكر الفرنسي موريس بوكاي[1] : إن كثيراً من النصارى الذين تربوا في ظل روح عدائية صريحة للمسلمين ، هم مبدئياً أعداء لكل تأمل في الإسلام . ولذلك فإنهم يظلون في جهالة لحقيقة الإسلام ، وبالتالي فإن مفاهيمهم عن الإسلام هي مفاهيم مغلوطة اهـ.

إن الانطباع السائد لدى اليهود والنصارى ومن تربى على أيديهم أن محمداً ﷺ كتب أو استكتب القرآن محاكياً التوراة والإنجيل . وهم يزعمون أن ثمة أقوالاً قرآنية في التاريخ الديني وغيره تعيد أقوال التورات والإنجيل . ومحمد ﷺ لم يفعل أكثر من النقل عنهما . كل ذلك بقصد استبعاد الوحي الإلهي عن تلك المعتقدات ، ووصف هذا الدين بالوثنية . فليس في ذاكرة الغرب عن محمد ﷺ إلا ما تلقوه في الكتب المدرسية التي لا تزيد في تعريف هذا الرجل عن كونه بدوياً من عرب مكة ، أُتيح له الاتصال ببعض نصارى عهده فقبس عنهم بعض المبادىء ، ثم لم يلبث أن أقام عليها بناء دين جديد ، جمع لنصرته آلاف الأعوان من الجاهلين الذين أكرهوا شعوباً على اعتناقه بقوة السيف . .

وهم لا يضعون في حسابهم ، ولا يريدون ان يضعوا ، أن التوراة والإنجيل والقرآن كثيراً ما يعطي كل منها عن الحدث نفسه روايات مختلفة ، وأن القرآن فيه تصويبات كثيرة وزيادات عن ذينك الكتابين . فمثلهم كمثل الذين قالوا : إن المسيح ـ عليه السلام ـ خدع معاصريه باستلهامه للعهد القديم في تبشيره ، فإنجيل متىٰ كله إنما يعتمد على استمرارية العهد القديم .

ولو قارن منصف بين حياة محمد ﷺ وبين أنبياء العهدين بموضوعية خالصة، فلن يجد فضيلة تمثلت في أحدهم إلا وهي في شخصية محمد ﷺ أتم وأكمل ، ولن يرى غضاضة نسبت إلى أحدهم ـ على حد زعمهم ـ إلا وهو نقي عنها ، ثم يزيد عليهم جميعاً بناؤه من تلك الشراذم البدوية التائهة المتناحرة الأمة التي أنبتت الحضارات والأمم دون أن تكره أحداً على تغيير دينه أو معتقده ، ودون

---

(١) في كتابه السابق ص ٨ .

أن يكون لها أي مطمع سوى نشر كلمة الله ، وتوفير العدالة والأمان لكل نفس خلقها الله ، حتى الحيوان والنبات .

٢ ـ اتباع الهوىٰ والمظاهر البراقة :

وهذا هو الشغل الشاغل للناس في عصرنا هـذا . فهم عبيد المـال والجاه والشهوة وسائر وجوه الدنيا البراقة . والهوىٰ إذا تمكن من صاحبه أعماه وأصمه ، وأصبح منه بمثابة الضباب الذي يحجب الرؤية عن أعين المتخبطين في الظلمات .

لقد ظن كثير من الناس أن التطور في العلوم والمعارف هو الغاية التي يجب الوصول إليهـا دون أن يبحثوا عن الغـاية الحقيقيـة من وراء هذا التـطور . لقد مارس الناس في الغرب معظم ما تحتويـه حضارتهم المـادية من متـاع . لكنهم لم يعثروا على أي أثر روحي يطفىء ظمـأ القلب ، ويجعل النفس مـطمئنة والحيـاة مستقرة . اضطراب وحيرة وقلق وغَثَيان . . تلك هي الحصيلة الـوحيدة لـذلك التحرك الآلي الذي يحسبه التائهون حياة ، وما هـو من الحياة في شيء . إنها في الحقيقة حياة الضياع والمآسي . لقد أضاع إنسان الغرب نفسه بتلهفه وراء الظواهر الخادعة ونسيانه للحقائق الكامنة ، فلا اهتمام له إلا بمكاسب الدنيا ، ولا سعي له إلا وراء ملاعبها ومتاعبها ، كما قال سبحانه : ﴿ **يعلمون ظـاهراً من الحيـاة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ ـ الروم/٧ ـ لقد فقد الغرب ومن لف لفة كل أثر للاستقرار النفسي ، فلا يكاد يجد فرصة للتأمل في ذاته وسر خلقه . حتى المسكرات والمخدرات والموسيقىٰ والنساء وغير النساء وسائر فنون المجون التي يعب منهـا ، ليست سوى محـاولات لتناسي هـذا الضياع الـرهيب الـذي يبسط ظلماته على كل شيء . مما جعل كثيراً من الشباب التائه يؤثر الموت ليضـع حداً لمآسيه التي لا يجد لها نهاية . حقاً إن أوروبا وأمريكا وأشباههما تنتحر ، فالأجسام تحت الأثواب البراقة أحوج ما تكون إلى الهدوء والسعادة ، والمدن المتلألئة ببريق التقدم المادي هي في حقيقتها أنقاض إنسانية بائسة .

إن طغيان المادة يتهدد الأديان الثلاثة في هذه الأيام ، فما أكثر من يقول : إن العلم والـدين لا يتفقان وإذا أردت الإقبـال على الـدين فتجرد من عقلك .

وغالب العلماء الذين تشربوا النظريات المادية يُكنون الاحتقار للمسائل الدينية ، ويرونها أساطير ملفقة لا تؤثر إلا في ضعاف العقول . ما أكثر الملحدين الذين ينكرون النبوة والوحي في أوروبا وأمريكا وغيرهما ، ويستهزئون بالأديان والأنبيا ولا سيما المسيح - عليه السلام - وهم يزيدون يوماً بعد يوم مع ازدياد كتبهم وصحفهم وانتشارهما،ولكن بالرغم من ذلك ، فإننا نسمع بين الحين والحين صرخات المفكرين الواعين تقرع أبواب قلب الغرب ، فتحرك فيه نوازع التطلع إلى حياة تستحق الاهتمام والتفكير . فهل وعىٰ رجال الدين في الغرب ذلك ؟ وماذا عملوا لإنقاذ رعاياهم الضالة ؟ أو تراهم منهمكين في الدعوة إلى النصرانية بين المسلمين ، والتهجم على الإسلام ونبيه وقرآنه في كتاباتهم وأحاديثهم بحيث لا يتسع وقتهم لغير ذلك ؟! .

إن خراف إسرائيل الضالة التي أرسل إليها المسيح - عليه السلام - صارت أكثر ضلالاً ووحشية ؛ فالكنائس الفخمة الضخمة لم يعد يعرفها سوى العجائز من النساء وزوار المتاحف، اللهم إلا عند قداس الوفاة فهل من المعروف أن يترك الإنسان أسرته جائعة ثم يتصدق على البعداء؟! .

لقد أجرى معهد (جالوب) الأمريكي إحصاءً لمعرفة نسبة المؤمنين بالله في دول أوروبا ، فكانت المفاجأة كما يلي : في إيطاليا لا تتجاوز نسبة المؤمنين ٣٧٪ ، وفي بريطانيا ١٣٪ ، وفي ألمانيا الغربية ١٢ ٪[١] .

وذكر الأستاذ (جويد) رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس بجامعة لندن في كتابه (كايد تو مودرن وايكيدميس) أنه سأل عشرين طالباً من الذكور والإناث ، وكلهم في العقد الثاني من أعمارهم: من منهم نصراني حقيقة؟ فلم يجب بالإيجاب إلا ثلاثة منهم، وقال سبعة إنهم لم يفكروا في هذه المسألة قط، أما العشرة الباقون، فقد صرحوا بأنهم معادون للنصرانية[٢] .

---

(١) انظر رسالة إلى البابا بولس السادس للدكتور عبد الودود شلبي ص - ٦٤ - ٦٥ .

(٢) انظر غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا لأبي هلال الأوندونيسي مقدمة الطبعة الأولى ص ١١ .

إن هذه الإحصاءات تعطي صورة واقعية عن حال الأوروبيين ، ولا سيما المثقفون، وليس خافياً ما يقع في روما على مرمى حجر من كنيسة القديس بطرس، وفي غيرها من مدن إيطاليا. إن أكبر حزب شيوعي خارج الكتلة السوفياتية يحيط بالمقر البابوي الذي أصبح مهدداً. وأكبر دليل على ذلك الاستفتاء الذي أجري في إيطاليا بشأن إباحة الطلاق الذي تحرمه الكنيسة.

إن الحركات التبشرية في أوروبا تقاعست وانكمشت ـ اللهم إلا احتكاك بعض الرهبان بأبناء المسلمين الذين يعملون هناك ، ولا سيما الطلاب ، وزيارتهم في بيوتهم مراراً والتودد إليهم وعرض المساعدة عليهم من دون أبناء البلاد الأصليين ـ أما في إفريقية وآسيا فقد انتعشت ، ورصدت لها الإمكانات الضخمة .

لقد أدخل الغرب في روع المسلمين أن التمسك بالدين هو التخلف ، وأن التصدي للمبشرين دعاة النصرانية هو التعصب بعينه ، وأن رفض ما يدمر الأخلاق والكرامة إنما هو محاربة للتقدم والمدنية . إن كثيراً من الغربيين يتصورون أو يصورون الإسلام ديناً رجعياً لا يساعد على تقدم الشعوب التي تعتنقه ، ويربطون بين الإسلام وتخلف المسلمين، وينعتونهم بالبدائية والتخلف. وكتابات الحاقدين تمتلىء بالأكاذيب التي يوردونها . مع أن أكثر المسلمين اليوم لا يمثلون الإسلام حقاً ، فلقد ذاب كثير منهم في بوتقة الضباب الآتي من الشرق أو الغرب ، فجرفهم التيار الذي يجرف الغثاء ، حتى إن الطلاب الذين يقبلون على الدراسة في المدارس ، تغسل أدمغتهم وقلوبهم من كل معاني الإسلام ـ إن لم يؤلبوا عليه ـ ويستعاض عنها بمناهج بائسة يائسة .

ونحن لا نشكوا من النقد العلمي البناء أو المحاورة الكريمة . بل ندعو إلى ذلك ونرحب به كيف لا وقد أنزل الله علينا في كتابة : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن . إلا الذين ظلموا منهم وقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون** ﴾ ـ العنكبوت /٤٦ ـ إن علماء المسلمين على استعداد تام للمشاركة في ندوات علمية ، تحدد النقاط التي

ستبحث فيها مسبقاً ، ثم يجري فيها حوار كريم بعيد عن كل كلمة نابية سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة ، لتكون بحق ندوات بحث عن الحقيقة ، على غرار ما حدث في الهند في شهر رجب عام ١٢٧٠ هـ بمدينة أكبر أباد ؛ فقد دعا الشيخ (رحمة الله) الهندي القسيس البروتستانتي (فندر) إلى مناظرة في محفل مشهود ومجلس عام. وبعد تردد من القسيس تم الاتفاق على أن تقع المناظرة في خمس النقاط التالية: النسخ والتحريف والتثليث وحقيقة القرآن ونبوة محمد ﷺ.

وعقدت المناظرة بحضور القضاة والمفتين وكبار رجال الدولة الإنكليزية وكتاب دواوينهم وجمهور كبير من الناس . وكان يآزر القسيسَ فندر قسيسٌ آخر اسمه (فرنج)، ويعاون الشيخ السيد محمد وزير خان، وابتدأت المناظرة في مسألة النسخ والتحريف، فظهر تفوق الشيخ ومعاونه أمام الحاضرين. ولم يجد القسيس بداً من الامتناع عن إتمام المناظرة في ثلاث المسائل المتبقية. وقد دون كتاب الدواوين وغيرهم ما جرى في هذه المناظرة من مناقشة وحجج .

وعلى غرار ما حدث في السودان عام ١٤٠٠ هـ بمدينة الخرطوم ، حيث عقدت ندوة علمية بين علماء من المسلمين وآخرين من النصارى، جرى فيها حوار كريم في جو هادىء . وكان كل طرف يأتي بأسئلته واستفساراته في جلسة ، ثم يرد عليها الطرف الآخر في جلسة لاحقة . وأجهزة التسجيل تسجل كل ما يدور . وكانت النتيجة أن اعتنق الإسلام كثير من علماء النصارىٰ . علماً بأنه لا زال كثير من الناس يحتفظون بالأشرطة التي سجلت عليها وقائع الحوار .

إننا لا نستنكر أمثال هذا الحوار بل نرحب به ، ولكننا نستنكر الدعوة إلى النصرانية بين المسلمين والمهاجمة المقزعة التي لا تترفع عن الشتائم المبطنة والأكاذيب الملفقة بأسلوب عظيم الإثارة ضد الإسلام والقرآن .

إن الحملات التبشرية بمؤسساتها الضخمة وأرصدتها الكبيرة إنما استهدفت العالم الإسلامي قبل غيره . مما يدل على أن اليد الاستعمارية الخفية هي التي تقف وراء هذه المنظمات العالمية التي ينتمي إليها أفراد من مختلف الجنسيات ، ويتعاون بعضها مع بعض .

إن منظمة التبشير البروتستانتي في مدينة (بال) إنما اختيرت سويسرا مقراً لها ذراً للرماد في العيون لأنها الدولة النصرانية الوحيدة التي لم تكن لها مستعمرات . وتقدر ميزانية هذه المنظمة بملايين الـدولارات ، فقد جـاء في أحد أعـداد مجلتها المسماة (مجلة إرساليات التبشير البروتستانتي في سويسرا) أن ما ينفق على التبشـير سنـوياً يبلغ (١٣٥) مليـون دولار ، منها (١٠٥) مليـون في الدول الإسـلامية ، و(٣٠) مليوناً لأعمالهم الإعلامية ومراسليهم الإداريين[1] .

إنهم يزعمون أنهم يريدون أن يقدموا المدنية والحضـارة والتجديـد والعلم للشعوب الجاهلة المتخلفة فهل من الضروري لذلك ـ إذا كان قصدهم صحيحاً ـ أن يَتَنصَّر الإنسان أولاً ؟! .

إن حقيقة ما يهدف إليه النصاري من دعوة التجديد والتقدم ، إنما هو دعوة المسلمين إلى نبذ الإسلام وتعاليمه جانباً . ولهم في ذلك عبارات غامضة مريبة ، مثـل مبدأ التسـامح ، وهـدفهم في ذلك دعـوة المسلمين إلى السكـوت في وجـه التنصير . وثمة شعار آخر يطرحونه ، ألا وهو الحقوق الأساسية للإنسان ، وهو مبهم وغامض . وهم إنما يهدفون منه إلى منع تطبيق الشريعة الإسلامية .

أما أسلوب العمل الذي تتبعه جمعيات التبشير بالنصرانية فاستغلالي يأبـاه أصحاب الشهامـة . فهم يأتـون إلى قرى فقيـرة في مناطق نـائية، ويتـوددون إلى السكان، فيقيمون مـدرسة ثم مستـوصفاً ثم كنيسـة متـظاهـرين بـالإحسـان إلى الإنسانية، ولا سيما المرضى. وبعـد ذلك يتـدفق الرهبـان والراهبـات والمبشرون والمبشرات وتقام المعاهد والمسـارح ودور الأيتام والكنـائس والمستشفيات بمبـانيها الضخمة وصلبانها المرتفعة . .

إن استغلال حاجة المريض والجائع ليس إحساناً إلى الإنسانية . بل إنما هو ضرب من التلصص الروحي . لأن الجائع يهرع إلى من يطعمه ، والعاري يقبل على من يكسوه ، والمـريض يسرع إلى من يعـالجه ، والخـائف يلوذ بمن يمـنحه الأمـان. حتى إنهم يتسللون إلى السجـون والمعتقـلات، فيستغلون حـاجـة

(١) غارة تبشيرية على أندونيسيا مقدمة الطبعة الأولى ص ١٢ .

المنكوبين والمصابين، ويعرضون عليهم الوعود بمد أسرهم بالدواء والغذاء والكساء وسائر الحاجات الضرورية إذا ما وقَّعوا على تعهد يذكرون فيه أنهم مستعدون للتنصير. إنهم في الحقيقة يستغلون بؤس الشعوب ومصائبها، فيستهوونها بما يملكون من تفوق مادي.

أما المدارس والمعاهد وسائر المرافق التعليمية، فإنهم يحاولون حرمان المسلمين منها وإبعاد أبنائهم عنها. إن أبواب المعاهد لتوصد أمام من لا يبرهن على عدم تعصبه بحسب اصطلاحهم ، أو على الأقل أمام من ليس لديه استعداد لتغيير اسمه الصريح في إسلاميته إلى اسم آخر. وإذا ما أدخلوا الصغار من أبناء المسلمين في مدارسهم من أجل التسامح الديني الذي ينادون به ، عمدوا إلى تنصيرهم بطرق مختلفة ؛ فهم لا يجبرونهم على الدخول إلى الكنيسة فحسب ، ولكن ينفرونهم عن دينهم بأساليب يأباها الكرام ، ومن الأمثلة على ذلك أنهم يأتون بالأغلفة التي تغلف بها قطع الحلوى الصغيرة، فيكتبون على بعضها يسوع المخلّص أو نحو ذلك ، ويرسمون على بعضها صليباً ، ويكتبون على ما تبقىٰ اسم النبي محمد ﷺ ثم يضعون في كل غلاف كتب عليه محمد مادة مرة الطعم ، وفي سائر الأغلفة مادة حلوة طيبة الطعم ، ويطلبون من التلاميذ أن يختاروا ، وإذا بالمرارة تكون نصيب من اختار الغلاف المكتوب عليه محمد . وفي المرة الثانية يختار الجميع القطع التي رسم عليها الصليب أو التي كتب عليها اسم المسيح ، وتبقىٰ القطع التي كتبوا عليها اسم محمد ﷺ منبوذة. فيا له من نصر دعموا به النصرانية .

إن المبشرين بالنصرانية يرفضون دائماً المقترحات المتتالية والملحة التي يقترحها بعض المسلمين بأن لا يذهب النصارى إلى مناطق المسلمين لتنصيرهم ، ولا يذهب المسلمون إلى مناطق النصارىٰ . بل يعمل كل في مناطقه لتعميق الوعي الديني في أبنائه وذويه ، وليحتفظ برعاياه عن أن تنحرف ، وليوجه التبشير إلى الجماعات الوثنية والبدائية . فما السر في التركيز على العالم الإسلامي ؟ أهو الرغبة في إدخال المسلمين ملكوت الرب حقاً ؟ لو كان هذا صحيحاً لكان أقربوهم أولى بمعروفهم .

إن المؤسسات التعليمية للمبشرين إنما تخرج طبقة جديدة من النـاس ، لا تتمسك بالإسلام ، ولا تدين بـالنصرانيـة ، بل إنمـا تنساق إلى أحضـان الإلحاد والانحلال . وإذا ما انحـل المسلمـون من دينهم ، فسيقـولون عن المسيـح ما تقوله يهود . فهل يريد النصارى ذلك ؟ .

إن المسيح ـ عليه السلام ـ إنما أُرسل لهداية خراف بني إسرائيل الضالة ، لكن جمعيات التبشير بالنصرانية تركت خرافها ضالة حائرة ، وطفقت تعمل على تنصير المسلمين . ولو كان هدفها نشر تعاليم الدين النصراني حقاً لكان الأجدر بها أن تعمل على إعادة خراف أوروبا وأمريكا الضالة إلى حظيرة التدين ، بدلاً من تعريض المتدينين من أبناء البلاء الأخرى لعـواصف الإلحاد . لأنـه يصعب على الموحد أن يكون مثلثاً إلا عن مصلحة .

لكن هـل حصحص الحق يا تـرىٰ ؟ فقد بـدا في الأفق تغير لـدىٰ بعض أقطاب النصرانية في العالم . فثمة وثيقة صادرة عن أمانة سر الفاتيكان لشؤون غير النصـارىٰ عنوانها (تـوجيهات لإقـامة حـوار بين النصـارى والمسلمين) ، وهي تحتوي على خمسين ومائة صفحة . وقد طالبت هذه الوثيقة في الطبعة الثالثة عام ١٩٧٠ م بمراجعة المواقف إزاء الإسلام ونبذ الأحكام السابقة ؛ فقد جاء فيها ما يلي : « وعلينا أن نهتم أولاً بأن نغير تدريجياً من عقلية إخواننا المسيحيين ، فذلك يُهِمُّ قبل كل شيء . ويجب التخلي عن الصورة البالية التي ورثنا الماضي إياها ، أو شوهتها الضربات والأحكام المسبقة . . كما يجب الاعتراف بالمظالم التي ارتكبهـا الغرب المسيحي في حق المسلمين »[١] .

والوثيقة تعالج أخيراً الحكم السابق القائل بأن الإسلام دين جامد ، يبقي أتباعه في عصر بائد ، ويجعلهم غير مؤهلين للتكيف مع منجزات العصر الحديثة والتقنية . وهي تعلن أيضاً ما يلي : « إننا نجد في الفكر الإسلامي مبدأً لإمكانية تطور المجتمع »[٢] .

---

(١) انظر كتاب (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم) لموريس بوكاي ص ١٣٦ .
(٢) المرجع السابق ص ١٣٩

إنها كلمة حق . وإن جاءت متأخرة . لكن يبدو أنه لما يحصحص الحق . فقد نشرت الصحافة الكويتية في ٢٩ صفر عام ١٤٠٦ هـ و ٤ نوفمبر عام ١٩٨٥ م[1] خبراً مفادة أن مسجداً يبنىٰ في مدينة روما . وكان قد تأخر بناؤه خمسين عاماً بسبب ممانعات الدوائر الكاثوليكية ، بحجة أن لا حاجة إلى مؤذن يدعو إلى الصلاة في قلب مدينة نصرانية . مع أن عدد المسلمين في مدينة روما أكثر من أربعين ألفاً . وذكر المهندس الذي يشرف على بناء المسجد أن مئذنته لن ترتفع أكثر من سبعة وعشرين متراً حتى لا تكون أعلى من قبة كاتدرائية القديس بطرس التي يصل ارتفاعها إلىٰ ١٣٢,٥ م . ثم ذكرت هذه الصحافة عجز المجلس البلدي في مدينة مُسلمة عن تنفيذ مخططاته لتطوير المدينة وإعادة تخطيطها . ولا سيما في الجزء الذي يتعرض فيه لكنائس النصارىٰ ، بعد أن هدم كثيراً من المباني والمساجد . وبقي الأمر على ذلك مدة طويلة من الزمن ، مع أن المجلس وعدهم بإعطاء مساحات أكبر وأفضل في مناطق أخرىٰ مع تعويض مادي كبير ، يُمَكِّنُهم من بناء كنائس أضخم وأكبر . فإين مذكرة الفاتيكان ؟؟ .

إن الأقليات الإسلامية في البلاد النصرانية تُضطهد ، وتُؤخذ أراضيها باسم المسيح . فهل هذه تعاليمه لتلاميذه إذا دخلوا مدينة ؟! .

إنني لا أدعو إلى تعصب ظالم . فالشريعة الإسلامية تأمر بالعدل حتى مع الذين نُبغضهم ويُبغضوننا . وقد عاش النصارى واليهود في ظل الدولة الإسلامية آمنين على كنائسهم ومعابدهم وأموالهم . وبقاء الكنائس والمعابد القديمة منذ عصر الراشدين إلى يومنا هذا خير دليل على ذلك . بل إن نصارى بلاد الشام ومصر كانوا يطلبون من المسلمين أن ينقذوهم من الرومان مع أنهم نصارى مثلهم . أما اليهود فلم يجدوا الأمان والاطمئنان إلا في بلاد المسلمين ، وإنهم ليُقرون بظلم الأوروبيين لهم وعطف المسلمين عليهم في القرن السالف ، فماذا كان الجزاء ؟ .

---

(١) انظر مجلة المجتمع العدد ٧٤١ .

إنني إذ أنشر كتابي هذا (إتمام البناء بخاتم الأنبياء) لا أدعـو إلى رد فعل ظالم ، ولا أشتم أحداً ، ولا أهاجم مبدأً . وإنما ألفت انتباه الناس إلى دين الحق دين الإسلام ، المبني على أسس ثابتة من الوحي الإلٓهي ، والمنقول نقلاً صحيحاً ثابتاً . فلم تُنقل مصادر دين أو شريعة قَط بمثل الطريقة العلمية الثابتة التي نُقلت فيها مصادر التشريع الإسلامي . ورائدي في ذلك إنما هو إظهار الحق ، رغبة في الأجر والنفع . وقـد جعلت الكتاب جـزأين هما : (ميثـاق النبيين) و (الكتب السماوية وشروط صحتها) .

فالجزء الأول قسمته إلى خمسة أقسام :

ـ القسم الأول (البشرية والنبوة) ذكرت فيه ظاهرة النبوة وضرورتها .

ـ والقسم الثاني (دلائل نبوة محمد ﷺ) ذكرت فيه : الأمور التي في ذاته ، والأمور التي في صفاته ، والأمور الخارجة عن ذاتـه وصفاتـه . وقد تعـرضت في الباب الأخير لذكر آياته ومعجزاته المادية والمعنوية ، كإخباره بالغيب وإجابة دعائه وحتميّة ذكره والتبشير به في الكتب السماوية .

ـ والقسم الثالث (بشارات العهد القديم) ذكرت فيه : بشـارات التوراة وبشارات الزبور وبشارات إشَعْياء ثم بشارات سائر أسفار العهد القديم .

ـ والقسم الرابع (بشارات العهد الجديد) ذكرت فيه بشـارات الأناجيـل وبشارات الرسائل . ثم أتبعت ذلك ببشارات الأديان الأخرىٰ .

ـ والقسم الخامس (وجاء النبي المنتظر) ذكرت فيه نماذج من بقايا من أهل الكتاب كانوا ينتظرون بعثة خاتم الأنبياء ﷺ ليتّبعوه وينصروه . وقد تعرضت فيه لقصة الراهب بحيرا وورقة بن نوفل وعـداس النصراني والنجـاشي ملك الحبشة وسلمان الفارسي وعبد الله بن سلام والحوار الذي دار بين أبي سفيان وهرقل .

كـل ذلك بـأسلوب التحقيق والتدقيق البعيـد عن الافتئات والتشـويـه ، والمأخوذ من أوثق المصادر والمراجع . فقد كنت أقارن بين النصوص القديمة التي ذكـرها ابن حـزم والقرافي وابن يتميـة وابن القيم وابن كمـونـة اليهـودي وبـين

النصوص التي طُبعت في القرن السالف والنصوص الحديثة التي طُبعت في عصرنا هذا . وهنا كان يظهر التحريف والتشويه المتعمد وغير المتعمد ،ولا سيما في البشارات . وبخاصة لدى مقارنة التوراة السامرية بالتوراة العبرانية التي انفرد كتابي بها ـ ولله الحمد والمنة ـ فإن نصوص السامرية أدل على نبوة محمد ﷺ من العبرانية ، كما أنها تُنزه الله سبحانه عن بعض ما تصفه به العبرانية ، وإن كانت ضعيفة الترجمة ركيكة العبارة .

أما الجزء الثاني (الكتب السماوية وشروط صحتها) فقد جعلته ثلاثة أقسام :

ـ القسم الأول (مصادر التشريع الإسلامي) بينت فيه توثيق النص القرآني منذ نزوله بمكة إلى أن نُقلت إلينا القراءات العشر . كما وضّحت انفراد المسلمين بعلم الرواية ونقل الأخبار وكيفية توثيق حديث رسول الله ﷺ .

ـ القسم الثالث (الكتب المقدسة لدىٰ النصارى) ذكرت فيه أسفار العهدين والأدوار التي مرت بها ، سواء المتفق عليها والمختلف فيها . وعقبت ذلك أيضاً بنماذج من تحريفها واضطرابها وتناقضها .

ألا وإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأشرف الكلام ذكر الله ، وأحسن الهدي هدي الأنبياء ، وأعمىٰ العمىٰ الضلالة بعد الهدىٰ ، وشر العمىٰ عمىٰ القلب ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، ورأس الحكمة مخافة الله . وصلى الله وسلم وبارك على جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة

١٣ رجب الفرد عام ١٤٠٧ هـ
١٣ آذار عام ١٩٨٧ م

ـ القسم الأوّل

البشرية والنبوّة

وفيه ما يلي :

١ ـ ظاهرة النبوة
٢ ـ ضرورة النبوة
٣ ـ طرق إثبات النبوة

١ ـ ظاهرة النبوّة

يذكر التاريخ ، ويتناقل الناس خلفاً عن سلف أنه قد ظهر على مر الزمن في الأقوام القديمة رجال دعوا الناس إلى عبادة إله واحد متصف بكل كمال منزه عن كل نقصان ، ألا وهو الله خالق الكون ومبدعه . وذكروا أنه أرسلهم إلى الناس لإرشادهم إلى الحق والخير والإحسان ، ولإبعادهم عن الظلم والشر والطغيان . ولدرء المفاسد عنهم وجلب المصالح لهم . وذلك عن طريق ما أنزل عليهم من كتب ، وأوحىٰ إليهم من تعاليم . وكانوا يبشرون من اتبعهم ، وينذرون من صدّ عنهم بجزاء من جنس العمل في الدنيا والآخرة . . هؤلاء الأشخاص هم الذين يُسمّون بالأنبياء .

ويذكر التاريخ ويتناقل الناس أن هؤلاء الأنبياء كانوا ممن اشتهر بالصدق والأمانة والعفّة وحسن السيرة ، حتى إن من عرفهم عن قرب وخالطهم ، وصفهم بأنهم صفوة بني الإنسان والمثل الأعلى له .

ويذكر التاريخ أيضاً ويتناقل الناس أنهم كانوا مزودين بقُوى خارقة للعادة تحدَّوا بها الناس ، وجعلوها دليل صدقهم وبرهانه . فعجز البشر عن الإتيان بمثل ما أتوا .

فهل يمكن أن يكون جميع هؤلاء الأنبياء ، رغم بعدما بينهم من مكان وزمان ، كاذبين متواطئين ؟ وأن الله ما أنزل على بشر من شيء ؟! .

إننا لنرى أن من وثق بإنسان ما ، يعسر عليه تكذيبه لما لمس في مصاحبته

الطويلة من صدق وأمانة ، وعرف في طبعة النفور عن الكذب والخيانة . فكيف بمن عرفَهم أقوامهم أنهم شبوا منذ نعومة أظفارهم على الصدق ، وآثروه حتى أصبح عادة لهم ، وإن جَرَّ عليهم ما جر ، وفَوَّت ما فَوَّت ؟! ولولا إظهارهم النبوة ودعوتهم الناس إلى الله ، لكانوا مرموقين مبجلين ، ولما جرؤ أحد علىٰ توجيه إساءة لهم .

تعريف النبوة ومراتبها :

لفظ النبي لغة : أما مشتق من النبأ بمعنىٰ الخبر . أو من النَبْوَة ، وهي ما علا وارتفع من الأرض . فعلىٰ الأولى هو فعيل بمعنى فاعل ، لأنه أنبأ عن الله . وهو مهموز وغير مهموز . وعلى الثاني هو فَعيل بمعنى مفعول ، وأصله غير مهموز . وسمي بذلك ، لأنه شَرُف على سائر الخلق .

وكلا المعنيين يصدق على النبي . فإنه الشخص الذي أنزل الله عليه الأنباء ، وشرفه على سائر الخلق . وقد بلغنا الخبر عن طريقه .

أما الرسول ، فمشتق من الإرسال . وإرسالك شخصاً إلى شخص يقتضي أنك حَمَّلتَه رسالة إليه أو خبراً أو ما أشبه ذلك .

والفرق بين البعث والإرسال أنه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر الحاجة يخصّه دونك ودون المبعوث إليه ؛ كالصبي تبعثه إلى المدرسة . فتقول بعثته ولا تقول أرسلته . لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة أو ما يجري مجراها .

والرسالة : جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها إلى غيره . أما النبوة : فتكليف القيام بالرسالة[1] .

إذاً . فالنبي أو الرسول هو من أوحىٰ الله إليه بشرع ، من غير أن يكون

(١) انظر في ذلك المصباح المنير ومختار الصحاح . والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

بينهما وساطة آدمي آخر . ثم قام هو بدوره ، فبلّغ الناس ذلك الشرع[1] .

• وعليه يكون المراد من النبوة : أن يرسل الله رجالاً اصطفاهم من البشر ، ليكونوا وسطاء بينه وبين سائر البشر . يبلغونهم عنه - سبحانه - ما شاء من العقائد والأحكام والعبادات والأخلاق والآداب وغير ذلك . ويبشرون من آمن بحسن الثواب ، وينذرون من كفر بأليم العقاب . « الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس . إن الله سميع بصير » - الحج / ٧٥ -.

والأنبياء ليسوا بدرجة واحدة من الفضل والمكانة . بل بعضهم أفضل من بعض « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات » - البقرة/٢٥٣ -.

« ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، وآتينا داود زبوراً » - الإسراء/ ٥٥ -.

فقد يطلق لفظ النبي أو الرسول على معنى أخص من ذلك ، وهو من أوحي إليه بشرع لإصلاح البشر ، وقد أُمِر بتبليغه وتبيينه لهم .

وهذا إنما يصدق على نبي مرسل بشريعة عامة شاملة ، وقد أنزل عليه كتاب . وليس كل نبي كذلك . بل من الأنبياء من بُعِث مقرراً لشرع من قبله ، ومبلغاً لمن لم يسبق تبليغهم من قبل . ومنهم من بعث للإخبار بنزول عقاب على أمة مخصوصة ، أو بأمر يتجدد في المستقبل ، أو وقع في الماضي . ومنهم من بعث

---

(١) كثر الخلاف وطال الكلام في الفرق بين النبي والرسول . والمشهور أن النبي : من أُوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، والرسول : من أُوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه . أي أن النبي هو الذي نَبَّأه الله ، والرسول هو الذي أرسله الله . وعليه فالرسالة أعلى مرتبة من النبوة . إذ كل رسول نَبي ، وليس كل نبي رسولاً . والمحققون - كما قال الكمال بن الهمام - على ترادفهما ، وأنه لا فارق بينهما إلا الكتاب . بل قال بعضهم بترادفهما مطلقاً . فإنه ما من قول إلا وعليه وارد . والذي يهمنا هنا إنما هو الفرق بين النبي المرسل الذي أُنزل عليه كتاب وشريعته عامة شاملة ، وبين من يتابع من قَبله ويدعو إلى شريعته . انظر فيض القدير لعبد الرؤوف المناوي ١/ ١٥ - ١٦ ، ومجموع فتاوي ابن تيمية ٤/ ٢٩٠ .

ليكون ردءاً ومصدقاً لنبي آخر ، أو ممهداً له ، أو نحو ذلك . كما هو الحال لدى كثير من أنبياء بني إسرائيل ـ عليهم السلام ـ حال حياة موسى ـ عليه السلام ـ أو بعد وفاته . فإنهم لم يبعثوا بشرائع تخصهم . بل كانوا على شريعة موسىٰ ـ عليه السلام ـ وإنما بعثوا بقضايا تخص أهل زمانهم أو بعضهم .

حقيقة النبوة :

إن جوهر الإنسان يكون في أول فطرته خالياً من المدركات ، ليس معه منها سوى شعوره بنفسه . وبعد أن تُستكمل فيه الحواس الخمس ، يدرك أجناساً من الموجودات المتنوعة . فإذا تجاوز عالم المحسوسات ، خُلق فيه التمييز ، وهو طور ثانٍ من أطوار وجوده ، يدرك فيه ما لم يكن يدركه بالحس الظاهر من قبل . ثم يترقىٰ إلى طور ثالث ، ألا وهو طور العقل . حيث يدرك بعض الواجبات والممكنات والممتنعات ـ أي المستحيلات ـ وأموراً أخرى لم يكن يدركها في الطورين السابقين . والنبوة طور آخر أبعد من العقل . بل هي بمثابة عين أخرىٰ تنفتح للإنسان ، فَيُبْصِر بها الغيب من ماضٍ وحاضر ومستقبل ـ أي ما بعد الموت ـ كما يدرك أموراً أخرىٰ ، لا يمكن للإنسان أن يدركها بنفسه . إذ الجنس البشري ضعيف مهما أوتي من قوة ، تتغلب عليه الأهواء والشهوات وغير ذلك مهما أوتي من حكمة ، يقصر عن إدراك كثير من الحقائق مهما أوتي من علم . وذلك لأن أسباب العلم عنده محدودة ؛ فالحواس وقدُراتها والعقل وإمكاناته قاصران عن إدراك أمور كثيرة، ولا سيما إدراك سر الحياة والموت (الروح) ومعرفة الغاية التي خلق البشر من أجلها ، وأُودِعُوا على ظهر الأرض لتحقيقها . فما أضيق الحياة لو لا الإيمان بالله ، والرضىٰ بقضائه وقدره ، والعمل على مرضاته .

وبعض الناس ممن سَبَح في شاطىء بحر العلم والمعرفة يأبىٰ مدركات النبوة ، ويستبعد وجودها . وما ذاك إلا لأنها طور لم يبلغه ، ولم يوجد في حقه ، فظن أن لا وجود له في الحقيقة ، كما أن المصاب بعمى الألوان ، لو لم يعلم بالتسامع والتواتر تمايز الألوان والأضواء وتباينها ، وحكي له ذلك ابتداءً ، لما كان يُقِرّ بها ويعترف .

ومن نظر بعين الاعتبار في عناية الباري بخلقه ، وجد أن الحاجة إلى وجود أنبياء لإصلاح البشر أشد من الحاجة إلى كثير من الأمور التي لم تهملها العناية الإلهية ، كإنبات الشعر على أشفار العينين ، وتكثيفه في الحاجبين ، وكتقعير أخمص القدمين ، وتقوية إبهام الكفين ، إلى غير ما هنالك من أمورٍ لا ضرورة لها في البقاء ، وإنما هي نافعة فيه . فإذا اقتضت حكمة الله وعنايته إيجاد تلك المنافع ، فكيف لا تقتضي بعثة الأنبياء التي هي أهم من ذلك وأشد ضرورة ؟ ولا يعقل أن يكون المبدىء المعيد يعلم أحد الأمرين دون الآخر. فإن علمه محيط بكل شيء . « وما قدروا الله حق قدره ، إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء » الأنعام/٩١ ـ.

أضف إلى ذلك أن الكون الذي نعيش فيه ذو نظام دقيق محكم عجيب . وقد وضعت فيه كافة العوامل التي تُهيّيء الحياة للإنسان . بل جعله الله كله مسخراً له . فهل يعقل أن يجعل الله هذا الكون المدهش مسخراً لحياة الإنسان ، ثم يترك الإنسان نفسه يتخبط فيه بدون نظام ولا هدىٰ ؟!؟ إن من تمام الانسجام أن يضع الله للبشر تشريعاً ينظم علاقاتهم بربهم وببعضهم. وهذا لا يتم إلا عن طريق الأنبياء ، فهذه هي مهمتهم، وتلك هي حقيقتهم.

وحدة الأنبياء في الدعوة والهدف :

قال سبحانه : ﴿ **كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم . فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ ـ البقرة/٢١٣ ـ .

أشارت الآية الكريمة إلى أن الناس كانوا على الهدى ودين الحق ، لكنهم اختلفوا وتنازعوا وأفسدوا في الأرض ، وحادوا عن الطريق القويم . فبعث الله تعالىٰ النبيين مبشرين ومنذرين . .

واقتضت حكمته أن يرسل إلى كل قوم رسولاً خاصاً بهم . قال سبحانه : ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ ـ فاطر/٢٤ ـ.

وقال جل شأنه : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ ـ النحل/٣٦ ـ.

والأنبياء جميعاً يدعون إلى أصول مشتركة لا تختلف في حقيقتها وجوهرها . ويبنون أحكامهم على أسس متناسقة . قال تعالىٰ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه : أن لا إله إلا أنا ، فاعبدون** ﴾ ـ الأنبياء/٢٥ ـ.

وقال جل جلاله : ﴿ **ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك : إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم** ﴾ ـ فصلت/٤٣ ـ.

وقد استهدفت جميع الشرائع السماوية في عباداتها وتشريعاتها وأحكامها ما يحقق مصالح الناس في الدنيا ، ويهيئهم للظفر بسعادة الآخرة . قال تبارك وتعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحاً ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسىٰ : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ ـ الشورىٰ/١٣ ـ .

فالأصل والهدف واحد . بيد أن تفاصيل الشرائع وفروع الأحكام تختلف من أمة إلى أمة تبعاً لاختلاف زمان الناس وأحوالهم واستعداداتهم وما يحيط بهم من عوامل وملابسات .

قال سبحانه : ﴿ **لكلٍ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ﴾ ـ المائدة/٤٨ ـ.

وقال أيضاً : ﴿ **لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه** ﴾ ـ الحج/٦٧ ـ.

ولا أدل على وحدة الأنبياء في الأصل والجوهر من قول صاحب الرسالة العامة الذي ختم الله به النبيين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولىٰ : إذا لم تستحْيِ فاصنع ما شئت » ـ أخرجه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه ـ .

النبوة فضل واصطفاء :

الأنبياء بشر كسائر الناس ، بيد أن الله سبحانه اختارهم للنبوة وأوحىٰ إليهم . قال تعالىٰ : ﴿ **قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إلي أنما إلهكم إله واحد** ﴾ ـ الكهف / ١١٠ ـ .

والنبوة لا تكون عن قوة في النفس ، ولا عن رياضة يحصل بها الصفاء فالتجلي ، ولا عن الصلة بالنجوم وقربان الهياكل السبعة . وكذلك ليست بالإرث ، بل إنما هي هبة إلهية ومنحة ربانية يهبها الله عز وجل لمن اختارهم واصطفاهم من خلقه ، ممن هم أهل لحملها . قال سبحانه : ﴿ **وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة . سبحان الله وتعالى عما يشركون** ﴾ ـ القصص / ٦٨ ـ[1] .

والله سبحانه إنما يختار للنبوة ويصطفي لها من يشاء من عباده ممن اتصف بالصفات الكريمة والأخلاق الحميدة ، وكان فيه خيريّة وصلاحية للنبوة . ولا يعقل ولا يمكن أن يصطفي الله رجلاً شريراً فاجراً ويبعثه نبياً . قال تعالىٰ : ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ ـ الأنعام / ١٢٤ ـ وهذا ما يدفعنا إلى معرفة صفات الأنبياء ودراستها :

صفات الأنبياء :

ثمة صفات لا بد من تحققها مجتمعة في كل نبي ، ألا وهي ما يلي :

١ ـ العِصمة :

وهي لغة : المنع والحفظ . وشرعاً : لطف من الله يحمل النبي على فعل الخير ، ويحفظه من فعل الشر ، مع بقاء الدافع والاختيار ، تحقيقاً للابتلاء .

ويشمل ذلك ما يلي :

أ ـ العصمة من الكفر والشرك وسائر الفواحش :

فقد عصم الله أنبياءه من الوقوع في الشرك والضلالة ، وطَهَّرهم من

---

(١) انظر مجموع فتاوي ابن تيمية ١٤/٩ ـ ١٦ و ٢٥١ ، و١٥/ ٣٠ ـ ٣١ ، و١٢/ ٣٥٤ ، و١٧/ ٣٣٠ .

الفسوق والعصيان ، وبرأ هم من الزيـغ والأهواء ، وأبعـدهم عن كل مـا يُخل بـالمروءَة أو يهـدر الكرامـة . فعزفت نفـوسهم عن الشهوات المحـرمة واقتـراف المعاصي ، وصاروا للرسالة أهلاً . وذلك لأنا مأمورون بالتأسي بهم في الأفعال ، وتجويز ذلك عليهم يقدح في التأسي بهم . ثم إن الذنوب تنافي الكمال ، وتوجب التنفير، ولا سيما ممـن عظمت نعمة الله عليـه ، فإنها أقبح .

ب ـ العصمة من الخطأ والنسيان في تبليغ الرسالة وأداء الأمانة :

فقـد سدد الله أنبيـاءَه في التبليغ عنـه ، وصانهم عن الخـطأ أو السهـو أو النسيان ، فلا يُقرون على شيء من ذلـك . وهذه العصمـة هي التي يحصل بهـا مقصود الرسالة والنبوة . ولولاها لما كان ثمة نفع منهما . قـال سبحانـه : ﴿ **وما ينطق عن الهوىٰ . إن هو إلا وحي يوحىٰ** ﴾ ـ النجم/٣ـ٤ـ .

والأقوال الثابتـة عن الأنبياء معصـومة ، ومعنـاها حق . عـرف ذلك من عرفه ، وجهله من جهله . والبحث عنها إنما هو في المراد منها . ولذلك لا يمكن أن يصدر عن النبي خبران أو أمران متناقضان في الحقيقة . إلا أن يكون أحدهما ناسخاً للآخر[١] .

---

(١) العِصْمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والإجماع هي العصمة في التبليغ . فقد أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء فيما يبلغونه عن الله ، فلا يستقر في ذلك خطأ . ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه . أما العصمة في غير التبليغ فللناس فيها نزاع : أهي ثابتة بالعقل أم بالسمع ؟ وهل هي من الكبائر والصغائر أو من الكبائر فقط ؟ وهل العصمة إنما هي في عدم الإقرار عليها أو في عدم فعلها ، فلا تقع منهم بـحال ؟ وعامة ما يُنقل عن جمهور العلماء أن الصغائر قد تقع منهم بيد أنهم لا يقرون عليها . والقدح إنما يكون مع البقاء وعدم الرجوع . والتوبة النصوح التي يقبلها الله ، قد ترفع صاحبها إلى أعظم مما كان عليه . والتأسي بهم إنما هو فيما أُقِروا عليه ، دون ما نُهوا عنه ورجعوا ، كما أن النسخ جائز فيما يبلغونه . وطاعتهم إنما هي واجبة فيما لم ينسخ .

وصفوة القول : إن الذي أجمعت عليه الأمة إنما هو إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مـطلقاً . انـظر في ذلك مجمـوع فتاوي ابن تيميـة ٤/١٦٨ ـ ٦٩ و ١٩١ و٣١٩ ـ ٣٢ ، و٢/١٧٤ ، و١٠/٢٨٩ ـ ٢٩٠ و٢٩٢ ـ ٢٩٣ و٢٩٥ و ٣٠٩ ، ١٥/١٤٨ .

وينتج عن العصمة الصفتان التاليتان :

٢ ـ الصدق والأمانة :

فالصدق : مطابقة الخبر للواقع . والأمانة صفة تشمل كثيراً من الفضائل المادية والمعنوية كالأمانة على الأموال والأسرار .

وهاتان الصفتان ، وإن كانتا ضروريتين في جميع البشر ، لكنهما في الأنبياء أشد ضرورة وألزم . وهما فطريتان فيهم . فلا يمكن أن يصدر عن النبي ما يُخل بالمروءة كالكذب والغشّ والخيانة والغدر ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وغير ذلك من الصفات القبيحة التي تُنفّر الناس من اتباعهم . فقد صان الله فطرتهم عن الانحراف ، فبقيت تكره القبيح وتنفر منه .

ولو جاز أن يكون النبي كاذباً أو خائناً ، لغيّر الشرائع وأفسد الأحكام التي يتلقاها عن الخالق . ومن ثمَّ يضيع الغرض المنشود من إرساله .

ونظراً لهذه الصفات التي امتاز بها الأنبياء ، فقد أوجب الله سبحانه طاعتهم في كل ما يُبلِّغونه عنه ، وجعلهم القدوة للبشر ، والأسوة الحسنة للإنسانية . قال تعالىٰ : ﴿ **أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده** ﴾ ـ الأنعام /٩٠ـ .

وقال سبحانه : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا**

هذا ما يعتقده المسلمون . أما أهل الكتاب ، فيزعمون أن الأنبياء ، إنما هم معصومون في تبليغ الوحي تقريراً كان أو تحريراً . فهم مصونون عن الخطأ والسهو والنسيان في ذلك . أما في غير التبليغ ، فليسوا بمعصومين عن أي شيء ، لا قبل النبوة ولا بعدها . فيصدر عنهم أكبر الكبائر عمداً حتى بعد البعثة ، فضلاً عن الخطأ والنسيان . وقد ذكروا في توراتهم أن بعض الأنبياء زنىٰ بالمحارم . بل ذكروا أن بعضهم قد عبد الأصنام وبنى لها المعابد والمذابح ، ثم مات مرتداً . ولا يخرج عندهم نبي من إبراهيم إلى يحيىٰ إلا ويكون زانياً أو من أولاد الزنى - انظر إظهار الحق ٢/ ٢٣٠ و ٢٩٩ ـ وسمعت من إذاعة (حول العالم) الداعية إلى النصرانية والمبثوثة من (مونتيكارلو) تحت عنوان (شخصيّات الكتاب المقدس) وصف يعقوب بأنه كان مخادعاً غشاشاً ، انتزع البركة من أبيه بالحيلة والكذب بعد أن كانت لأخيه .

الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً ﴾ ـ الأحزاب / ٢١ ـ.

٣ ـ الفطانة :

وهي الذكاء والنباهة مع كمال الرشد وسرعة الإدراك وحضور البديهة وقوة الحجة . لأن من مقتضى الرسالة أن يكون النبي قادراً على إقناع من يخاطبهم ، عارفاً الطرق المؤثرة في الدعوة إلى الله ، عالماً بما يزيل الشكوك والشبهات من النفوس . وذلك لإلزام الخصم وإفحام المعاندين . لذا يستحيل على الأنبياء الغباوة والبلاهة . بل يجب أن يكونوا على أكمل وجوه الذكاء والنبوغ . والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة في دعوة الأنبياء إلى الله وأسلوبهم في محاجة أقوامهم تدل على ذلك .

قال سبحانه : **﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾** ـ الأنعام / ٨٣ ـ.

٤ ـ السلامة من العيوب المنفرة:

لا يمكن أن يكون في الأنبياء عيوب جسمية ، تجعل الناس ينفرون منهم ، ويأنفون من الاجتماع بهم والاستماع لدعوتهم . مثل التشويه في الصورة والقصر الفاحش ونقص الأطراف أو الحواس الهامة ووجود الأمراض السارية كالجذام ونحوه . فقد عافاهم الله من ذلك من أجل مهمتهم . أما الأمراض العارضة فتعتريهم .

٥ ـ الذكورة :

الأنبياء مرسلون إلى جماعات مختلفة ، فيهم الذكي والغبي ، والعالم والجاهل . وفيهم الذي ينقاد إلى الحق فيدور معه حيثما دار ، والذي يعاند فيه فيكابر أو يروغ . . فمهام النبوة صعبة شاقة ، تحتاج إلى صبر ومصابرة في نوعي الجهاد . والمرأة في الغالب أضعف جسماً من الرجل ، وأدنى اتزاناً ، وأقل تحملاً وصبراً ، أضف إلى ذلك طبيعة تكوينها ؛ فقد تأتيها الدماء الطبيعية من حيض ونفاس ، وقد تكون مستحاضة ، أو حاملاً أو مرضعاً ، أو في أوضاع جسمية ونفسية متفرعة عن تلك أو ناتجة عنها . والنبوة تحتاج إلى تفرغ كامل ، وتحمل

ومصابرة . قال سبحانه : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا** ﴾ ـ المزمل / ٥ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل** ﴾ ـ الأحقاف / ٣٥ـ .

فلذلك وغيره يعلم العاقل المنصف صاحب الطبع السليم حكمة الله تعالىٰ في عدم تكليف النساء بأعباء الرسالة التي تنوء بها كواهل الرجال . قال جل جلاله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم** ﴾ ـ يوسف / ١٠٩ ـ.

٢ - ضرورة النبوّة

إن من يؤمن بالوجود الحق ، ألا وهو وجود الله واجب الوجود ، يعلم علم اليقين أن خالق الكون ومبدعه ، لا يمكن أن يكلَ عباده الذين أودعهم ظهر الأرض إلى أنفسهم ، بلا هداية ولا رعاية ، ويرضى لهم أن يتخبطوا دون جدوى ، من غير أن يزودهم بسبل النجاة . بل لابد - بمقتضى حكمته ورحمته - من أن يصطفي من أطيبهم رجالاً يرسلهم إليهم بالآيات البينات ، يبلغون الناس ما أنزل إليهم ويبينونه . وذلك لحفظ النوع البشري ، وتأمين مصالح معاشه ومعاده ، بإقامة القسط والعدل بين الناس . قال سبحانه : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط . وأنزلنا الحديد ، فيه بأس شديد ، ومنافع للناس . وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب . إن الله قوي عزيز** ﴾ الحديد / ٢٥ -.

إن بني آدم في كثير من المواضع لا يعلمون حقيقة القسط ولا يقدرون عليه . فلا بد من إرسال أنبياء مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ويحيىٰ من حيّ عن بينة . قال سبحانه : ﴿ **ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلاً لم نقصصهم عليك . وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ - النساء / ١٦٤-١٦٥- .

فالنبوة ضرورة في حياة البشرية لا معدل عنها ولا محيد . وتظهر ضرورتها وحكمتها وحاجة البشر إليها من الوجوه التالية :

١ ـ لا يمكن للإنسان بمفرده أن يعرف الله حق المعرفة :

قد يرسخ الإيمان بالله سبحانه في النفس لأسباب وقرائن لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها . إذ العقل وحده كافٍ في الاستدلال على وجود الخالق ومعرفة بعض صفاته . ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد . كما أن فطرة الإنسان السليمة التي يولد عليها ، تجعله مستعداً لقبول الحق والخير . فقد فطر الله سبحانه الإنسان على معرفة خالقه والاتجاه إليه . قال تعالىٰ : ﴿ **فطرة الله التي فطر النّاس عليها . لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم** ﴾ ـ الروم / ٣٠ ـ.

بيد أن الإنسان لا يمكن أن يصل بمفرده إلى معرفة كثير من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا . وما يجب له وما يستحيل عليه . ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا عن طريق النبوة .

٢ ـ تصحيح زيغ العقل وانحراف الفطرة :

الإنسان مركب على الغفلة والسهو والسرعة والتأثر . فكثيراً ما يزيغ العقل وتنحرف الفطرة بتأثير عوامل متعددة ، منها غلبة الأهواء والشهوات ، وتأثير المجتمعات ، وتقليد الآباء والأجداد ، ومصاحبة الأشرار من شياطين الإنس والجن .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ـ الحديث ـ أخرجه الستة والطبراني والبيهقي ـ .

ومن ثم يصبح الإنسان بحاجة ماسة إلى من يذكره ، أو يصحّح انحرافه ويقومه . وبعثة الأنبياء إمداد له بمن إذا سها نبّهه ، أو مال به الهوىٰ منعه . ولو تُرِكَ وهوى نفسه لكان في ذلك إغراء له بالقبائح . ألا ترى أن البشر إذا وكلوا إلى أنفسهم ضلوا وتفرقوا ؛ فمنهم من يعبد الأصنام تقرباً إلىٰ الله ، ومنهم من يعبد الشمس أو القمر من دون الله . بل منهم من يعبد البقر أو الفأر أو القرد إلى غير ما هنالك من الآلهة الباطلة المضحكة . وتلك الديانات مما ورثه الناس عن

الأقدمين . أما جاهلية عصرنا ففيها عبادة المصلحة والمادة والتجرد من جميع القيم . فيها الشباب التائه الذي يتخبط في جِواء الحضارة المادية ، وقد تحلل من أي شيء يقف أمام نزواته ، ولو كان حقاً وخيراً ، وأتىٰ كل شيء دعته إليه شهواته ، ولو كان الزنىٰ بالمحارم . وهل حققوا السعادة ؟؟ لقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، فلم يجدوا سوى الانتحار الفردي أو الجماعي ملجأً لهم من الهموم والأحزان ، بعد أن جربوا المسكرات والمخدرات وما يتبعها لوضع حد لقلقهم وحيرتهم ، ولكن دون جدوىٰ . .

ألا ترى إذاً أن البشرية بحاجة إلى من يعرفها بالله ، ويرشدها إلى طريقه ويصلها به ؟ وخير سبيل لذلك هو إنزال البيان على أشخاص طيبين تتوفر فيهم الصفات الحميدة ، ليخاطبوا الناس بلسانهم ، ويبلغوهم ما أنزل إليهم .

٣ ـ تعريف الإنسان بالأمور الغيبية :

ثمة أمور غيبية عظيمة ، لا يمكن للإنسان أن يصل إلى معرفة أكثرها بمجرد العقل والحواس ، كالبعث بعد الموت والحشر والحساب والجزاء والجنة والنار والملائكة وغير ذلك . لأن الحواس لا تدرك إلا عالم الشهادة وحده . أما عالم الغيب الذي هو أعظم وأرحب ، فلا سبيل لها إليه . وإذا عرف الإنسان بعض ذلك بعقله وفطرته ، فإنه لا يعرفه على حقيقته وتفصيله . إذ العقول متفاوتة ، والكامل نسبياً نادر ، والأسرار الإلٰهية عزيزة جداً . فلا بد من بعثة الأنبياء وإنزال الكتب ، ليصل كل إنسان باتباعه لهم إلى منتهى كماله الممكن ، بحسب شخصه وتوفيق الله له . ثم إن البشر ، وإن علموا حسن الإيمان والعمل الصالح ، وقبح الكفر والعمل الفاحش ، فإنهم لا يعلمون استحقاق جزيل الثواب الأبدي على فعل الحسن ، واستحقاق أليم العقاب على فعل القبيح في الآخرة ، لا سيما وهم يرون أن في فعل القبيح لذة عاجلة .

أضف إلى ذلك أن عمر الإنسان محدود ، وغالباً ما يكون فيه متاعب وآلام ومعاناة . وقد يكون مظلوماً مهضوم الحق . فمتى يرفع عنه الظلم وينال حقه إن

لم يتمكن من ذلك في الدنيا ؟ إن العقل وإن توصل إلى معرفة الحياة الآخرة التي فيها الانتصاف وأخذ الحق ، لكنه لا يتأكد من ذلك ويطمئن قلبه إلا ببعثة الرسل . لذا كان الأصل الأول فيما يأتي به النبي أن يعرّف الناس أن لهم خالقاً واحداً حياً قادراً لا شريك له . . . وأن من حقه أن يطاع فيما شرعه من أمر ونهي ، وأنه قد أعد السعادة لمن أطاعه ، والشقاوة لمن عصاه ، وأن يقرر عندهم أمر المعاد ونعيمه الأبدي أو عذابه المقيم . وبذلك يُحَصْحِصُ الحق ، وتنقطع أعذار الناس .

٤ ـ مقومات الجسم ومقومات الروح :

الإنسان مركب من جسم مادي ، وروح هي سرّ الحياة ، لا يعلم حقيقتها إلا الله . ولكل منهما غذاؤه ومقوماته اللذان لا يستغني عنهما ، ولا يصلح شأنه إلا بهما . إذ الإنسان لم يخلق ليعيش ويأكل فحسب . قال سبحانه : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ ـ الذاريات /٥٦ـ٥٨ـ .

ومقومات العنصر المادي هي الأطعمة والأشربة ونحوها . وبعض الأطعمة والأشربة ضار بالإنسان من نواح كثيرة ، بل قد يؤدي إلى إهلاكه ، ولا سيما إذا كان فيه لذة . وبعضها الآخر نافع ومفيد . فلو تُرِك الإنسان وحده ليكتشف ذلك بالتجرِبة ، لطال به الأمد ، وقد يهلك في أثناء ذلك . لكن الرسل بما أنزل عليهم من شرائع ، يوضحون هذا ويفصّلونه. قال سبحانه في وصف محمد ﷺ : ﴿ **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ ـ الأعراف /١٥٧ ـ وقال جل جلاله : ﴿ **وقد فصَّل لكم ما حرم عليكم** ﴾ ـ الأنعام /١١٩ـ .

أما مقومات الروح ، فهي معنويات لا تفي بها العقول والأفكار . وإنما تفي بها هداية الله عن طريق أنبيائه وكتبه . وبذلك يعيش الإنسان حياة متوازنة لا ميل فيها .

أضف إلى ذلك أن الإنسان وإن توصَّل بعقله وفطرته إلى وجوب طاعة الخالق وعبادته، لكنه لا يستطيع أن يهتدي بمجرد العقل والفطرة إلى معرفة جميع حقوق الله عليه من العبادة المثلى وغيرها. فإن الكيفية والكمية وما يتعلق بهما من أسباب وشروط وموانع، تبقىٰ غير معروفة. فبعث الله الرسل لجبر هذا العجز وتعويضه، وتنظيم علاقة الإنسان بخالقه.

فالرسالات بما حملت في كتبها المنزلة من هدايات، هي التي تجنب الإنسان خطر الضلال والشقاء، وتحقق له الموازنة الصحيحة بين متطلبات الجسم ومتطلبات الروح. وليست العقول والأفكار المنجرفة أو المنساقة. وكفى بالأطباء النفسانيين شهوداً على ذلك.

٥ ـ الامتثال ومداواة النفوس :

إن ما يفعله الإنسان بمقتضى عقله يكون كالفعل المعتاد، ولا سيما مع التكرار، فإن الإنسان يشعر بجفافه ويكرره بشكل آلي. بخلاف الذي يأمر به من كان له عظمة في قلبه، فإن إتيانه به يكون لمحض العبادة، وبخاصة إذا لم يكن مطلعاً على سببه وحكمته.

ولما كانت القلوب تقسو وتتغير، والشهوات تتحكم في نفوس البشر، ولا سيما إذا بعد بهم العهد عن نزول الوحي وإرسال الرسل، اقتضت حكمة الله أن يلزم عباده بأقوال وأفعال يكررونها في أوقات متقاربة تذكرهم بالله واليوم الآخر وغير ذلك مما بشرت به الرسل أو حذرت منه. لئلا ينسوا تعاليم الأنبياء أو يغفلوا عنها مع انقراض القرن الذي يلي النبي أو بعده بقليل. وتلك الأفعال هي العبادات المتنوعة كالصلاة والصيام والزكاة والحج. وغير ذلك من العبادات المحضة وغير المحضة[١]، مما فيه سعادة الناس في الدنيا والآخرة.

---

(١) العادة تصبح عبادة عند حسن النية.

ولا يخفىٰ أن في العبادات وامتثال أوامر الخالق من الخواص في مداواة القلوب والنفوس ، وإدخال السَكِينة فيها ، ما لا يستطيع العقل وحده أن يدركه ، أو يدرك وجه الفائدة فيه . لأن ذلك إنما يُدرَك ويُحَسُّ به في هدي النبوة ، ليس غير .

٦ ـ قصور العقل والحواس .

لا ريب في أن العقل وإمكاناته سبب من أسباب العلم ، بيد أنه لا يكفي وحده ليكون فيصلاً في التفريق الكامل الصحيح بين الخير والشر والحسن والقبح . ولا يستطيع وحده ـ كما سلف ـ أن يبلغ بصاحبه ما فيه سعادته في عاجل أمره وآجله ودنياه وآخرته . بل إن أرقىٰ العقول إدراكاً وأكثرها تفتحاً ونضجاً ، لا يقدر أن يهتدي بنفسه في شتى مناحي الحياة ، ولا يستقيم حكمه في جميع أمورها . وذلك لأسباب عديدة منها ما يلي :

أ ـ العقل الإنساني قاصر محدود . وهذا أمر مسلم به . ألا ترى أن ثمة مسائل يصعب عليه معرفة الحق فيها على الوجه الصحيح ، فيدخل في الظن والتخمين . ولو كان كاملاً لعرف وجه الحق فوراً في كل مسألة . ولما تغير رأيه واجتهاده عدة مرات في مسألة واحدة .

ومما يدل على قصوره أيضاً كونه يزداد علماً ومعرفة بمرور الزمن عن طريق التجارب والمطالعة . ولو كان كاملاً لما احتاج إلى ذلك ، ولما ازداد علماً ومعرفة يوماً بعد يوم ، واكتشف أغلاطه السابقة .

ب ـ إن العقول البشرية تتفاوت في إدراكاتها وحكمها على الأشياء من حولها ؛ فقد يستحسن عقل عملاً يستقبحه آخر . وقد يكون الشيء مستقبحاً لدى كثير من الناس ، وليس كذلك في حقيقة الأمر . والعكس صحيح أيضاً . والأمثلة كثيرة معروفة . أضف إلى ذلك أن العقل ، تحت تأثير عوامل خارجية لا حصر لها ، قد يرى الاستمساك بالقبيح والتخلي عن الحسن ؛ فالصدق على سبيل المثال ، يَستحسنه العقل . لكن كثيراً من الناس عندما يرون أن في الصدق مضيعة لمغنم عاجل ، أو مجلبة لخسارة مؤلمة أو نحو ذلك ، تنقلب مفاهيمهم ،

فيرون العكس . لذلك كثيراً ما تختلف مفاهيم الحسن والقبح والخير والشر من مجتمع لآخر ، تبعاً لاختلاف العقول وتفاوتها من جهة ، ولتأثير العادات والتقاليد من جهة ثانية .

جـ - إن وسائل العقل للوصول إلى الحقائق والمعارف ناقصة أيضاً ؛ فالحواس الخمس محدودة من جهة ، وعرضة للخطأ من جهة ثانية . ألا ترى أن العين لها مدى رؤية لا تتعداه ؟ وهي لا تبصر الحركات البطيئة ، كحركة عقربي الساعة الكبيرين ؟ وكذلك لا تبصر الحركات السريعة كالعجلات التي تدور بسرعة . أضف إلى ذلك أنها لا تبصر كثيراً من الحقائق التي حولها كالكهرباء والمغناطيس والأشعة غير المرئية ونحو ذلك . والأذن محدودة أيضاً ، ألا ترى أنها لا تسمع الأصوات الخفيفة كحركة النملة ؟ ولا الأصوات البعيدة أو الهائلة . بل تصعق بها ؟ فالأوتار السمعية محدودة لا تسمع ما يتعداها علواً أو انخفاضاً . ولذلك يستعينون بالآلات لرؤية الأشياء البعيدة أو سماع صوتها . وقل مثل ذلك في سائر الحواس .

وصفوة القول : إن الاحتكام إلى العقول وحدها غير مجدٍ . لأن العقل ناقص محدود في نفسه وفي أدواته . ومن ثم فإنه غير قادر على الوصول إلى الحكم الصحيح في كثير من المسائل الهامة ، ولا سيما إذا تعرض للمؤثرات المتنوعة . من أجل ذلك اختلفت اتجاهات الناس ؛ فمنهم من يرى الاتجاه المادي هو الصواب ، ومنهم من يرى عكس ذلك . ومنهم من يرى أن طريق الرأسمالية الحرة هو الصحيح ، ومنهم من يرى طريق الشيوعية أو الاشتراكية . ومنهم من يدعو إلى القومية ، ومنهم من يدعو إلى الإنسانية . ومنهم من يدعو إلى الحرية المطلقة غير المحدودة (الوجودية) ومنهم من يتحفظ ، فيرىٰ عكس ذلك أو التخفيف منه . . . وسيظهر على مرور الزمن عقليات متباينة وأفكار متضاربة .

كل ذلك يدل على أن العقل الإنساني لا يستطيع وحده الوصول إلى الحق الكامل والرأي الصحيح في جميع المسائل ، حتى في هذا العصر الذي قطع فيه التقدم المادي شوطاً كبيراً . فلا يستقيمُ أمر الإنسانية إلا إذ انتهت إلى إنسان

متصل برب الأرض والسماء ومؤيد منه ، يرسم لها الطريق القويم في الحياة الواسعة ، ويضع الأمور في مواضعها الصحيحة ، قال سبحانه : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ ـ الإسراء /١٥ـ وقال جل شأنه : ﴿ **ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا: ﴿ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزىٰ** ﴾ ـ طه /١٣٤ـ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون . ذكرى وما كنا ظالمين** ﴾ ـ الشعراء /٢٠٨ و ٢٠٩ ـ.

٧ ـ إقرار النظام ووضع الشرائع ضرورة اجتماعية :

الإنسان مدني بطبعه ، فهو يمتاز عن البهائم بأنه لا تتم معيشته ولا تحسن إذا انفرد في تدبير أمره وشأنه من غير مشاركة بني جنسه في ضروريات حاجاته . فهو مثلاً يحتاج إلى غذاء ولباس وسكن وغير ذلك ، ولا يمكن القيام بهذه الأمور جميعها إلا بمشاركة الآخرين ومعاوضتهم . هذا ينقل إلى ذلك ، وذاك يخبز لهذا ، وهذا يخيط للآخر ، والآخر يتخذ له آلة الخياطة . .

واحتياج الناس بعضهم إلى بعض مَظنة التنازع المفضي إلى التخاصم ؛ فخلال المعاملات والمشاركات ، يرغب الإنسان في أن يستأثر بكل خير ، ولو فوت على غيره ما فوت ، أو ضيق ما ضيق . ومن ثم يحدث التصادم المؤدي إلى الغضب والمستتبع للجور والظلم ، فيختل أمر المجتمع . ولا يندفع هذا إلا بالتزام قواعد عادلة سالمة تتناول شتى نواحي الحياة. فلا بد في حسن المعيشة من قواعد وضوابط في علم الأخلاق ومكارمها . وكذلك في السياسات المدنية والمنزلية وغيرها . إن الادراك بالحواس والمعرفة بالعقل لا يحملان الإنسان على الاتصاف بالفضائل والبعد عن الرذائل . وغاية ذلك أن يميز الإنسان بين الجميل والقبيح من المدركات ، فيستحسن الأول وينفر من الثاني . لكن هذا التمييز أو الإدراك لا يكفي لأن يجعل الإنسان متحلياً بالمكارم بعيداً عن النقائص لا يظلم أحداً .

إذاً . فلا بد من شريعة تحفظ مصالح الناس ، وتصون حقوقهم ، وتنظم علاقاتهم على أسس من العدل والتعاون ومكارم الأخلاق ومحاسن العادات ،

يفرضها الله سبحانه ، ويبينها أنبياؤه بالقول والتطبيق . ومن ثم يكون لها هيبة واحترام في قلوب الناس . ولا يمكن بحال من الأحوال أن تقوم القوانين الوضعية بهذه المهمة لما سبق ولما يلي .

٨ ـ القوانين الوضعية لا تفي بالغرض:

إن التشريعات البشرية يسيطر عليها في الغالب الهوى والمصلحة الضيقة ، بالإضافة إلى النقص الفطري في واضعيها ؛ وإذا نجت من الهوى بعض الشيء في نطاق بلد معين ، فإنها لا تنجو منه في تعامل هذا البلد مع غيره من البلدان . فالدول الكبرى أو المتقدمة صناعياً تبيح لنفسها اقتراف أمور تقوض فيها اقتصاد الدول الصغيرة النامية . بل قد تخطط مع مثيلاتها مناهج وبرامج تمتص بها خيرات الدول الضعيفة والمتخلفة بطرق مباشرة وغير مباشرة . بل إننا لنرى في بعض الأحيان أن الهوى يسيطر على واضعي القوانين ، فيسوغ لهم ظلم فريق أو طائفة من الناس في البلد الواحد ، لأمور ونظرات اجتماعية تكون مألوفة لديهم .

أضف إلى ذلك أن الواضعين لها ، مهما أوتوا من علم وخبرة بأحوال الناس ، فإنهم لا يقفون على حقائق الأمور ، ولا على وجهها الصحيح للأفراد والجماعات في الأزمنة المختلفة والأمكنة المتعددة ، مع اختلاف العادات والبيئات والثقافات . لأن العقول البشرية مهما سمت فهي محدودة الإدراك كما سلف ، ولا يمكن لبعض الخلق أن يحيطوا بأمور عامة الخلق. فلو فوض التشريع إلى بعض الفئات ، لأتت كل فئة بوضع خاص وبقانون خاص . فلا يكاد يتطابق أهل مدينة على شرع واحد . وهذا يفضي إلى الجور والخلاف وكثرة الفتن والتعديل في القوانين . مما يؤدي إلى كثرة الفساد والاضطراب بين الناس .

٩ ـ عدم كفاءة الواضعين :

إن الذين يشرعون للناس أو يُصدرون المراسيم التشريعية ، يأتون إلى سدة التشريع إما عن طريق القوة ، أو عن طريق الانتخابات التي تُشترى فيها الأصوات ، أو يكون النجاح فيها لحزب معين ، أو لفئة جمعتها المصلحة ، بغض

النظر عن أي شيء آخر . ولنفترض أنهم أتوا من طريق صحيح سليم ، أو أُنيط وضع القوانين بلجنة علمية . أفليس في المجتمع من هو أكفأ منهم وأعلم بالتشريع ؟ بيد أنهم لم يستطيعوا الوصول إلى هذا المركز لأسباب ما ؟ وأولئك وصلوا لأسباب ما ؟ فالذين هم أكفأ وأعلم سيكون لهم ملاحظات على القوانين إن لم يخالفوهم في وجهات النظر كلها . وبالتالي لن يكون في نفوسهم احترام أو تقدير لهذه القوانين ، بل سيتعالون عليها ويُهوِّنون من أمرها . ولذلك نرى أنه إذا ما جاءت حكومة في أعقاب حكومة ، فإنها تهدم كثيراً من القوانين والأنظمة التي سنتها الحكومة السابقة بحجة أنها غير عادلة ، أو تحقق مصلحة فئة معينة أو نحو ذلك مما يهوّن من شأنها . وقد يكون صحيحاً أو باطلاً .

١٠ ـ فقدان احترام الناس لها :

إن التشريعات مهما كانت صالحة في ذاتها ، فإنها لا تؤدي الغرض المطلوب منها إلا إذا ظفرت بقدر كبير من الاحترام والخضوع الذاتيين لها ولواضعيها، على نحو يحمل الأفراد على طاعتها رغبة وطوعاً في السر والعلن . وبدون ذلك لا يمكن لأي تشريع مهما كان صالحاً في ذاته أن يجد طريقه إلى التطبيق المحكم الصحيح . لأن سبل التفلت والتلاعب كثيرة . ولا تستطيع القوة حمل الناس على الطاعة المطلوبة .

إن الله سبحانه خلق في الإنسان قُوى الشر كالغضب والشهوة وحب التملك والاستعلاء وغير ذلك . ولو استحكمت في الإنسان لأفسدت أمره وجعلته شريراً . كما خلق فيه قُوى الخير كالعدل والرحمة والحنان وغير ذلك ، ولو حكمت تصرفاته ، وتغلبت على قوى الشر لظفر بسعادة الدنيا والآخرة . والأنبياء وتعاليمهم وشرائعهم ـ وليست العقول وقوانينها الوضعية ـ هي التي تسمو بقوى الخير ، وتُعليها على قوى الشر . ومن ثم يحيا الإنسان حياة طيبة هانئة ، وينال في الآخرة الحسنى وزيادة .

وصفوة القول في التشريع : إنه لا تتم المشاركة بين البشر إلا بمعاملة . ولا

بـد في المعاملة من سنـة وعدل . إذ لـو ترك النـاس وآراءهم لضلوا واختلفوا . والقوانين الوضعية لا تفي بـالغرض ، وهي غـير كافيـة لجعل المجـرم يقلع عن إجـرامه حقيقـة . لأنه يعتقـد أنها من وضع بشر مثله يخـطىء ويصيب ، يعدل ويظلم . ولهذا يحاول التفلت منها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . وهو إن أطاعها ، فإنما يطيعها بظاهره . وهذا أمر لا يخفىٰ خطره . ولا ملجأ ولا منجا ولا عاصم من هذا كله إلا بتشريع عادل كامل شامل محيط بجميع مصالح الناس ، بعيد عن الأهواء والرغبات وسائر المؤثرات الشخصية والاجتماعية . يحفظ حياة الناس ، ويؤمن مصالحهم ، ويدفع الضر عنهم . ويكون لـه في قلوبهم هيبة وإجـلال لا يتعالى عليه أحد ، بل يقف الجميع معجبين بعدله وحكمته ، وشموله وإحاطته . وهذا لا يتأتىٰ عن طريق العقل البشري . لأنه فوق طاقته . بل إنما يتم عن طريق العزيز العليم ، وتبليغ أنبيائه المرسلين ، الذين يخاطبون الناس ، ويبينون لهم ما اختلفوا فيه ، عن طريق الحكم بالشـرع الذي أنـزله الله عليهم ، وآنئـذ يعتقد الناس أن طاعة هذا الشرع واجبة ، وأن احترامه ظاهراً وباطناً في السـر والعلن قربة إلى الله الذي يعلم السر وأخفىٰ .

ومن الجدير بالذكر أنه لا تعارض بين العقل السليم والفطرة الصافية وبين مـا جاءت بـه الأنبياء . فـالله سبحانـه وتعالىٰ لم يتعبـدنا بشيء يخـالف العقل أو الفطرة . ولو أن صاحب فكرة سليمة فكر بحق لوصل إلى كثير مما يريده الإسلام من البشر ، ولأدرك حكمة الله في التشريع . وليس ثمة ما يمنع من أن تأتي الرسل مؤيدة لما رأته العقول السليمة . بل يكون ذلك بمثـابة تـرادف الأدلة ، أو بمثـابة التفصيـل لما وصـل إليه العقـل السليم من كليات مجملة . أو قـد يـأتي الشـرع بكليات ، ويترك إلى العقول الطيبة تفصيلها . ولذلك وافق القرآن عمر ـ رضي الله عنه ـ في أمور اقترحها ، وارتآها بفطرته الصافية التي نفض الإسلام عنها غبار الجاهلية . وكأن الله سبحانه ينبهنا بذلك إلى أن هـذه الفطرة إذا كـانت صافيـة سليمة تستطيع أن تصل إلى كثير من قضايا الدين ، وأن كثيراً من الأحكام لو لم تنزل من السماء لنبعت من صفاء الفطرة في الأرض . ولكن من يضمن لنا صفاء

الفطرة وسلامة العقل ولو نسبياً ؟ من يضمن لنا خلّو هذا الشخص من المؤثرات ؟ لذلك كان لا بد عند تفاوت العقول واختلافها وتكافؤ الأدلة ، من أن تأتي الرسل بما يحسم هذا الخلاف ، ويكون قولهم هو الفصل .

١١ ـ حاجة البشر إلى نماذج فَذّة :

إن كل جنس من الأجناس تحته أنواع . وفيما بين تلك الأنواع نوع واحد هو أكملها . ومن ذلك البشر . لا بد فيهم من رئيس كامل . والرئيس . أما أن يكون نفوذه على الظاهر فقط ، وهو الحاكم . أو على الباطن فحسب ، وهو العالم أو الحكيم . أو عليهما معاً ، وهو النبي . فالنبي بمثابة القلب بين الأعضاء . والأنبياء أكمل البشر وأشرفهم ، وهم أسوتهم وقدوتهم . والغرض من بعثتهم رعاية الناس ، وتعليمهم ما لا سبيل لهم إلى معرفته بمجرد العقل . لإنقاذهم وإسعادهم وقطع معاذيرهم [١] .

---

(١) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية ٣/٢٩٨ و ٢٣١ ، والفصل لابن حزم ١/٧٣ ـ ٧٧ ، والتنبيهات في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر للشيخ رحمة الله الهندي . وهو مطبوع على هامش إظهار الحق ، طبعة المطبعة العلمية سنة ١٣١٥ هـ ص ٧ ـ ١٣ ، ومجموع فتاوي ابن تيمية ٤/٤٨ و ٩٩ .

٣ ـ طرق إثبات النبوّة

من البديهي الظاهر أنه لا بد من أن يخص الله سبحانه الإنسان الذي ينتدبه لمهمة الرسالة بأمر من دون الناس يدل على صدقه . وذلك ما يسمىٰ بالآيات أو البراهين المادية والمعنوية . وإلا لم يتميز عن غيره من الناس ، ولم يكن قبولهم منه بأولىٰ من قبولهم من غيره .

والناس قسمان : منهم من لا يؤمن بجنس النبوة مطلقاً ، ومنهم من يؤمن به .

فطريقة إثبات نبوة شخص ما بالنسبة لمن يؤمن بالله ولا يؤمن بجنس النبوة ، أن يعرف أحوال هذا الشخص وسيرته ، إما بالمشاهدة ، وإما بالتواتر والتسامع :

فمن الناس من يعرف معنى النبوة ويتحقق منها إذا أكثر من النظر فيما أتى به مدعي النبوة ، وتأمل أخباره وأحواله ، وما يأمر به من العبادات وأفعال الخير ومحاسن العادات ، وما ينهي عنه من أضداد ذلك . فربما حصل له من ذلك ، بالإضافة إلى قرائن أخرى لا يمكن التعبير عنها على وجه التفصيل، ربما حصل له الإيمان بنبوته مستغنياً عن الاستدلال عليها بما يظهره الله على يديه من خوارق العادات .

ومن الناس من لا يكتفي في الإيمان بنبوة شخص ما بمجرد الخوارق

وحدها ، ما لم ينضم إليها قرائن كثيرة خارجة عن الحصر . لأنه قد يظن أنها سحر أو تخييل أو استدراج أو نحو ذلك .

إذاً . فالخوارق أو المعجزات إحدى الدلائل أو القرائن التي أيد الله بها أنبياءه ، لإثبات صدقهم ، حتى يحصل العلم اليقيني في جملة النظر بنبوة ذلك الشخص . إذ كثيراً ما يحصل اليقين بمجموع أمور ولا يحصل بأفرادها . كاليقين الحاصل عند التواتر .

ذلك سبيل من لا يؤمن بجنس النبوة مطلقاً . أما من يؤمن بجنسها فنوعان :

أ ـ نوع يؤمن بجنس النبوة ، لكنه لا يدري أيبعث نبي أم لا ؟ .

وهذا يحتاج إلى أن يعلم أن هذا المدعي ، هل هو من جنس الأنبياء الصادقين ، أو من جنس المتنبئين الكاذبين ؟ .

وصدق النبي يعرف بأمرين : ثبوت دلائل الصدق المستلزمة لصدقه أوّلاً . وانتفاء لوازم الكذب الموجب انتفاؤها انتفاءَ كذبه ثانياً . كما أن كذب الكذاب يعرف بأدلة الكذب المستلزمة لكذبه ، وبانتفاء لوازم الصدق المستلزم انتفاؤها انتفاءَ صدقه .

فالشيء يعرف تارة بما يدل على ثبوته ، وأخرى بما يدل على انتفاء نقيضه . وهو الذي يسمىٰ (قياس الخلف) . لأن الشيء إذا انحصر في أمرين ، لزم من ثبوت أحدهما انتفاء الآخر ، ومن انتفاء أحدهما ثبوت الآخر .

ويعرف صدقه كذلك بما يخصه به الله من آيات وبراهين ، وباعتبار ما جاء به الأنبياء قبله . إذ الأنبياء جميعاً يدعون إلى أصول مشتركة ، لا تختلف في حقيقتها وجوهرها ـ كما سلف ـ ويبنون أحكامهم علىٰ أسس متناسقة ، ولا سيما في الأمور التي لا تقبل النسخ . والأخبار الصادقة لا تتناقض ، لكن قد يكون بعض الأنبياء أعلم ببعض الأمور أو تفاصيلها من بعض . فمحمد ﷺ قد بين

الله له من القسط والشرع ما لم يبين لغيره ، وأَقْدَرَه على ما لم يقدر عليه غيره .

ب ـ ونـوع عرف أنـه يبعث نبي ، وقد يعـرف بعض صفاتـه ونعوتـه ، فيحتاج إلى أن يعرف عينه . وما يحتاج إليه هذا النوع من دلائل الصدق أيسر مما يحتاج إليه من لا يؤمن بالرسل ، أو من لا يعلم أن نبياً سيبعث .

وأهل الكتاب من يهود ونصارى كانوا من هذا النوع قبـل بعثة محمـد ﷺ فـإنهم كانـوا ينتظرون مجيء النبي الـذي بشرت بـه الأنبياء ، وبينت صفـاته ، وأخذت له من أممها العهد . ولا سيما موسى وعيسىٰ ـ عليهما الصلاة والسلام ـ.

عن عياض ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله نظر إلى أهـل الأرض ، فمقتهم عربهم وعجمهم ، إلا بقـايا من أهـل الكتاب » ـ رواه مسلم ـ.

ولذلك كان من حكمة إبقاء أهل الكتاب على دينهم بمقتضى عقد الجزية ، أن يظهر ما عندهم من الشواهد والدلائل على نبوة محمد ﷺ وعلى ما أخبر به من الإيمان بالله واليوم الآخر وغير ذلك مما اتفقت عليه الأنبياء[1] .

---

(١) الجواب الصحيح ٢٩٨/٣ و ٣٢١/٤ ، الفصل لابن حزم ٧٣/١ ـ ٧٤ ، مجموع فتاوي ابن تيمية ٤٨/٤ و ٩٩ و ٢٠٩ .

القسم الثّاني

دلائل نبوّة محمد ﷺ

وفيه ثلاثة أبواب :

١ ـ الأمور التي في ذاته

٢ ـ الأمور التي في صفاته

٣ ـ الأمور الخارجة عن ذاته وصفاته

من تتبع سيرة محمد ﷺ وتدبرها، من حين ولد إلىٰ أن بعث، ومن حين بعث إلى أن انتقل إلى جوار ربه ، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله وما جرى معه وما انتهى إليه بتجرد وإنصاف ، وصل إلى طمأنينة القلب بصدق هـذا الرجـل وصدق ما جاء به .

فقد اجتمع لمحمد ﷺ أمور لا يجتمع مثلها إلا لنبي . وهي ثلاثة أنواع :

١ ـ أمور في ذاته :

٢ ـ أمور في صفاته :

٣ ـ أمور خارجة عن ذاته وصفاته :

١ ـ الأمور التي في ذاته

وتشمل ما يلي :

أ ـ شرف نسبه :

فقد كان ﷺ من أشرف العرب نسباً ، من صميم سلالـة إبراهيم الـذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، ثم من قريش صفوة بني إبراهيم ، ثم من بني هاشم صفوة قريش .

وقد ذكر البخاري في ترجمـة باب مبعث النبي[١] ﷺ نسبـة فقال : « هـو محمـد رسول الله ﷺ ابن عبـد الله بن عبد المـطلب بن هاشم بن عبـد مناف بن قُصيّ بن كـلاب بن مُـرّة بن كعب بن لُـؤي بن غـالب بن فِهْـر بن مـالـك بن النَضْر بن كِنانة بن خزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن معد بن عدنان اهـ » ولا خـلاف أن عـدنـان مـن ولـد إسـمـاعـيـل بـن إبـراهـيـم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ .

وعن واثلة بن الأسقـع ـ رضي الله عنه ـ قـال : سمعت رسـول الله ﷺ يقول : إن الله اصطفىٰ كِنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنـانة ، واصـطفى من قـريش بني هـاشم ، واصـطفـاني من بني هـاشم ـ رواه مسلم والترمذي ـ .

---

(١) ٧/١٢٤ ـ ١٢٥ .

وللترمذي : إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة . . .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: بعثت من خير قرون[1] بني آدم، قرناً فقرناً، حتى كنت من القرن الذي كنت منه ـ رواه البخاري ـ .

وعن أبي وداعة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قام على المنبر فقال : من أنا ؟ فقالوا : أنت رسول الله . قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ، ثم جعلهم فرقتين ، فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل ، فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً ، فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نَفْساً ـ رواه الترمزي وقال : حسن صحيح ـ.

فهو ﷺ خيار من خيار من خيار « وربك يخلق ما يشاء ويختار » ـ القصص /٦٨ ـ.

ب ـ خاتِمَ النبوة :

وقد ميزه الله سبحانه بخاتم النبوة بين كتفيه . ذكرت ذلك الكتب المقدسة وبينته الأنبياء كما سيأتي في البشارات إن شاء الله .

عن السائب بن يزيد ـ رضي الله عنه ـ قال : ذَهَبَتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن ابن أختي وَجِع ، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ، فتوضأ ، فشربت من وَضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة ـ رواه البخاري ومسلم والترمزي ـ.

وعن عبد الله بن سرجس ـ رضي الله عنه ـ قال : رأيت رسول الله ﷺ

---

(١) القرون جمع قرن ، والمراد به الأمة في عصر من الأعصار ، كلما انقضى عصر سُمي أهله قرناً ، سواء طال أم قصر . انظر جامع الأصول ٨/ ٥٣٥ .

وأكلت معه خبزاً ولحماً ـ أو قال : ثريداً . شك الراوي ـ فقلت : يا رسول الله غفر الله لك . قال : ولك .

قال الراوي عنه : فقلت : أَستغفرَ لك رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، ولك ، ثم تلا هذه الآية :

﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ ـ محمد / ١٩ ـ.

ثم قال : درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرىٰ ، جُمعاً عليه خِيلان كأمثال الثآليل[1] ـ رواه مسلم ـ.

وعند الترمزي عنه ـ رضي الله عنه ـ قال : كان خاتم رسول الله ﷺ الذي بين كتفيه غدة حمراء مثل بيضة الحمام . ـ وقال الترمذي : حسن صحيح ـ.

جـ ـ ما شوهد من خلقته وصورته الدالة بحكم الفِراسة على نُبوَّته :

إن الرجل الصادق البار يظهر على وجهه من نور صدقه وبهجة وجهه سيما يعرف بها . وكذلك الكاذب الفاجر . وكلما طال عمر الإنسان ظهر هذا الأثر فيه . قال تعالىٰ : ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسّمين** ﴾ الحجر / ٧٥ .

وصورة رسول الله ﷺ كانت توحي بالثقة والطمأنينة :

عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل الممغّط ، ولا بالقصير المتردد ، كان ربعة من القوم . . ثم يقول : بين كتفيه خاتم النبوة ، وهو خاتم النبيين ، أجود الناس صدراً ، وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عِشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، يقول ناعته : لم

(١) ناغض الكتف : طرف العظم العريض الذي في أعلى طرفه . والخيلان : جمع خال ، وهو الشامة .
جُمعاً : قال الحميدي لعله عنى جمع الكف ، وهو أن يجمع الرجل أصابعه ويعطفها إلى باطن الكف ـ انظر جامع الأصول ٨/٢٤١ .

أر قبله ولا بعده مثله ـ رواه الترمذي في المناقب[1] ـ.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ ضخم القدمين حسن الوجه ، لم أر بعده ولا قبل مثله ـ رواه البخاري ـ.

وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خَلْقاً، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ـ رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ـ .

وفي رواية البخاري ومسلم وأبي داود : لم أر شيئاً قط أحسن منه .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشىٰ تكفأ، وما مسِسْتُ ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شمَمت مسكة ولا عنبرةً أطيب من رائحة النبي ﷺ ـ رواه البخاري ومسلم ـ .

وفي رواية الترمزي قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لي (أف) قط ، وما قال لشيء صنعته : لِمَ صنعته ؟ ولا لشيء تركته : لم تركته ؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقاً ، وما مسِست خزاً قط ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكاً قط ولا عنبراً أطيب من عرق رسول الله ﷺ .

وعن زيد بن سَعْنَة ـ رضي الله عنه ، وكان من أحبار اليهود ـ أنه قال : إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه ، إلا اثنتين لم أُخْبَرهما منه : يسبق حلمُه جهلَه ، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فكنت أتلطف له توصلاً لأن أخالطه ، فأعرف حلمه وجهله ، فابتعت منه تمراً إلى أجل ، فأعطيته الثمن ، فلما كان قبل مجيء الأجل بيومين أو ثلاثة ، أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه علىٰ عنقه ، ونظرت إليه بوجه غليظ ، ثم قلت .

(١) وحسنه الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول ١١/ ٢٢٥ .

ألا تقضيني حقي يا محمد ، فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مُطْل .

فقال عمر : أي عدو الله ، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع ، فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك . ورسول الله ينظر إلى عمر بسكون وتُؤدة وتبسم . ثم قال : أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التِّباعة ، اذهب به يا عمر ، فاقضه حقه ، وزده عشرين صاعاً مكان ما رُعْتَه . ففعل . فقلت : يا عمر ، كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه ، إلا اثنتين لم أخبرهما : يسبق حلمه جهله ، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فقد اختبرتها . فاشهد أني قد رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ ـ نبياً ـ أخرجه ابن ماجة والطبراني والحاكم والبيهقي ـ .

وعن عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وانجفل الناس قبله ، فقالوا : قدم رسول الله ﷺ . قال : فجئت في الناس لأنظر إلى وجهه ، فلما رأيت وجهه ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . فكان أول شيء سمعته منه أن قال : يا أيها الناس ، أطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، وصِلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام ـ أخرجه أحمد وغيره ـ .

٢ ـ الأمور التي في صفاته

أخلاقه الكريمة :

كـان ﷺ من أكمل النـاس تربيـة ونشأة، لم يـزل معروفـاً بالصـدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق، وترك كل وصف مذموم، ولم يعرف له شيء يعاب به، لا في أقواله ولا في أفعاله، وما جُرِّبَت عليه كذبةٌ قط، شهد له بذلـك جميع من يعرفه ، قبل النبوة وبعدها ، ممن آمن بـه أو كفر . وقـومه المعـادون له مـا زالوا معترفين بصدقه ، ومتفقين على أنهم لم يجربوا عليه كذباً حتى عرف بينهم بالصادق الأمين . وتسميته بهذا الاسم دليل على أنه بلغ مرتبة في ذلـك ميزتـه عن سائـر رجال قريش .

ولما بنت قريش الكعبة ورفعت سَمْكها ، وتأتّى لها مـا أرادت في بنائهـا ، وانتهوا إلى موضع الحجر ، تنازعوا أيهم يضعه . . .ثم اتفقوا على أن يرتضوا بأول من يطلع عليهم من باب شيبـة ، فكان أول مَن ظهـر لأبصارهم النبي ﷺ من ذلك الباب . وكـانوا يعـرفونـه بالأمـين لوقـاره وهديـه وصدق لهجتـه واجتنابـه الأدناس ، فحكموه فيما تنازعوا فيه وانقـادوا لقضائـه ، فبَسط ما كـان عليه من رداء ، وأخذ الحجر ووضعه في وسطه ثم قال لأربعة رجال من قريش من أهـل الرياسة والزعامة : ليأخذ كل منكم بجنبةٍ من جَنَبات الرداء فحَملوه وأدْنَوْه من موضعه ، فأخذه ﷺ ووضعه مكانه .

عن مجاهد عن السائب بن يزيد ـ رضي الله عنه ـ قـال : كنت فيمن بنى

البيت، وإن قريشاً اختلفوا في الحجر حين أرادوا أن يضعوه حتى كادوا يقع بينهم قتال بالسيوف . فقالوا : اجعلوا بينكم أولَ رجل يدخل من الباب . فدخل رسول الله ﷺ وكانوا يسمونه في الجاهلية « الأمين » فقالوا : يا محمد قد رضينا بك .

وفي بعض الروايات : هذا الأمين رضينا ـ رواه ابن إسحاق ـ.

ولم يَدَّعِ النبوة ﷺ إلى أن أكمل الله له أربعين سنة . وهي سنّ الكمال ورجاحة العقل وانتهاء نزوات الطيش والطموح[1] .

وقد شهد له بذلك ربه حيث أنزل عليه ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ ـ القلم / ٤ ـ ولولا أنه كان كذلك لكذبه قومه بهذا الوصف ، ولكان قد فتح على نفسه باباً كبيراً .

شفقته وتواضعه :

وكان ﷺ عظيم الشفقة والرحمة على أمته وعلى سائر الناس حتى أعدائه ، وكان كريماً شديد السخاء ، ليس للدنيا في قلبه وقع ، بل كان في غاية التواضع والطيب ، ولا سيما مع الفقراء والمساكين وأهل الصدق والدين ، يتودد إليهم ويفضلهم على أهل الدنيا من الأثرياء والوجهاء .

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال : رأى سعدٌ أن له فضلاً على من دونه . فقال النبي ﷺ : « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » ؟ ـ رواه البخاري وأحمد ـ.

وأخرج النسائي من حديث طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ أنه ظن أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها ، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم[2] .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٨٠ .

(٢) وصححه المعلق على رياض الصالحين شعيب الأرناؤوط ص ١٤٠ .

وعن أبي الدرداء عُويمر - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ابغوني الضعفاء ، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم - رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وقال : حسن صحيح . وجَوَّده النووي في الرياض ، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي -.

ومع كونه ﷺ في كل واحدة من هذه الصفات في الغاية ، فهو مستجمع لها بأسرها . وقد بقي على طريقته هذه إلى آخر عمره .

ومع ذلك فقد لاقى من قومه العنت والمشقة ؛ ضربوه وعذبوه وآذوه واضطهدوه ، نثروا عليه الأوساخ وغير ذلك من دون أن يفتَّ ذلك في عضده .

لجوء قومه إلى الترغيب :

ولما أعياهم أمره لجؤوا إلى الترغيب ، فعرضوا عليه مراراً أن يصير ملكاً عليهم ، وأن يعطوه المال حتى يكون من أغناهم ، وأن يزوجوه ما شاء من النساء - وهذه الثلاث مطلب النفوس من الدنيا - ومع ذلك كان يعرض عن القبول ، ويبين أنه لا يقدر أن يدع ما أمره الله بتبليغه ، حتى يظهره الله أو يهلِك دونه . فطلبوا تعجيزه وأخذوا يستفزّونه حتى يعجز عنه تبليغ رسالة ربه ، فاتهموه بالسحر تارة ، وبالكهانة أخرىٰ، وبالجنون طوراً لِيَنْفضّ الناس عنه .

روى ابن مردويه في كتاب التفسير ويحيىٰ بن معين وأبو يعلي الموصلي في مسنده وعبد بن حميد أن عتبة بن ربيعة قال : والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر ، وعلمت من ذلك علماً ، فما يخفى علي إن كان كذلك . فأتاه فلما خرج إليه قال : أنت يا محمد خيرٌ أَمْ هاشم ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟ أنت خير أم عبد الله ؟ فبمَ تشتم آلهتنا وتضلل آباءَنا ؟ فإن كنت إنما تريد الرياسة عقدنا لك الرياسة ، فكنت رأسنا ما بقيت ، وإن كان بك الباه زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت ، وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك . ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم . فلما فرغ قرأ رسول الله : « بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآناً

عربياً لقوم يعلمون ـ ـ ـ إلى قوله : فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود»[1] فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم أنه يكف. ورجع إلى أهله ، فلم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم . فجاء أبو جهل فقال : يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره ، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد . فغضب وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً ، وقال : لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة ، فأجابني بشيء ، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، ثم تلا عليهم ما سمعه من محمد ، وما ناشده . ثم قال : وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فخفت أن ينزل بكم العذاب .

وما زال يدعوهم إلى الله صابراً على ما يلقاه من تكذيب المكذب وجفاء الجافي وإعراض المعرض إلى أن اجتمع بأهل المدينة ـ وكانت تسمى يثرب ـ وكانوا جيران يهود ، وقد سمعوا أخباره منهم وعرفوه . وسمعوا كذلك ما تناقله الناس من أخباره ما عرفوا به مكانته ، فإن أمره قد انتشر . فلما دعاهم إلى الله وسمعوا منه تحققوا من صدقه ، وعلموا أنه النبي المنتظر الذي تخبرهم به يهود . فآمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم ، وهم يعلمون أنهم سيعادون الناس ، وأن العرب سترميهم عن قوس واحدة[2] .

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ حدث عن سعد بن معاذ ـ أنه قال : كان صديقاً لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية . فلما قدم النبي ﷺ المدينة ، انطلق سعد معتمراً، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة، لعلي أطوف بالبيت ، فخرج به قريباً من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل فقال : يا أبا صفوان، من هذا معك؟ فقال: هذا سعد. فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمناً ، وقد أويتم الصُباة ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم ، أما والله ،

---

(١) سورة فصلت من ١ ـ ١٣ .

(٢) الجواب ٤/٨١ .

لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالماً . فقال له سعد ـ ورفع صوته عليه ـ : أما والله ، لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه : طريقك على المدينة . فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي . فقال سعد : دعنا عنك يا أمية ، فوالله ، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنه قاتلك . قال : بمكة ؟ قال : لا أدري . ففزع لذلك أمية فَزَعاً شديداً » . فلما رجع أمية إلى أهله قال : يا أم صفوان ألم تريْ ما قال لي سعد ؟ قالت : وما قال لك ؟ قال : زعم أن محمداً أخبرهم أنه قاتلي ، فقلت له : بمكة ؟ قال : لا أدري . فقال أمية : والله لا أخرج من مكة .

فلما كان يوم بدر ، استنفر أبو جهل الناس ، فقال : أدركوا عيركم . فكره أمية أن يخرج . فأتاه أبو جهل فقال : يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت ، وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك . فلم يزل به أبو جهل حتى قال : أما إذ غلبتني ، فوالله لأشترين أجود بعير بمكة . ثم قال أمية : يا أم صفوان جهزيني . فقالت له : يا أبا صفوان ، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال : لا ، وما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً . فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلاً إلا عقل بعيره ، فلم يزل بذلك حتى قتله الله ببدر ـ رواه البخاري ـ .

وفي رواية نحوه ، إلا أن فيه : فجعل أُمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك ، وجعل يمسكه ، فَغضب سعد فقال : دعنا منك ، فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك . قال : إيايَ ؟ قال : نعم . قال : والله ما يكذب محمد إذا حَدَّث . فرجع إلى امرأته فقال: أتعلمين ما قال أخي اليثربي ؟ قالت : وما قال ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي . قالت : فوالله ما يكذب محمد .

قال : فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ ، قالت له امرأته : أما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال : فأراد أن لا يخرج . فقال أبو جهل ، إنك من أشراف الوادي ، فسر يوماً أو يومين . فسار معهم ، فقتله الله .

فالذين اتبعوه لم يتبعوه رغبة أو رهبة ، فإنه ﷺ لم يكن لديه مال يعطيهم ،

ولا مناطق يوليهم ، ولا سيف يرهب به . بل ولد يتيماً فقيراً . وكان المال والجاه والسيف مع أعدائه .

ماذا جنى أتباعه الأوائل غير أنواع الأذى وأصناف العذاب ؟! ومع ذلك ظلوا صابرين محتسبين ، لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان وبشاشته . ثم إنهم بعد ذلك هجروا الأهل والأوطان، وصبروا على المكاره وصابروا . فطائفة هاجرت إلى الحبشة ، ثم تبعتها أخرىٰ . وبقيت طائفةٌ تصابر ، إلى أن هاجروا جميعاً من أحب البلاد إليهم وأفضلها عندهم ، ألا وهي مكة أم القرىٰ ، إلىٰ مدينة كانوا فيها محتاجين إلىٰ أهلها .

وماذا جنى هو ﷺ في أول أمره وآخره ؟! إن من يكذب يحاول أن يحقق لنفسه نَفعاً لم يكن ليأتيه إلا بالكذب . فما النفع الذي حققه رسول الله ﷺ من جراء النبوّة؟ لقد عاش فقيراً متواضعاً، يلبس الثوب المرقَّع، ولم يشبع من خبز الشعير ، وكانت النار لا توقد على طبخ في بيته الشهر وزيادة . . . فلماذا كذب إذاً ؟! ليس للكذب مبرر في حياته . إنه لو عاش على ما كان عليه من ائتمان الناس له في التجارة قبل البعثة ، لعاش في يسر ورخاءٍ وعزٍّ بين قومه . إن المتاعب كلها قد انصبّت عليه بعد الدعوة ، وهو لم يرد لنفسه هذه الحياة . لكن الله أرادها له . ولذلك أخفق أعداؤه في ترغيبهم له وترهيبهم إياه . ثم ما الذي انتهىٰ إليه ؟ إنه ﷺ مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له ، وتقديمهم له على الأموال والأنفس ، مات ولم يخلّف ديناراً ولا درهماً ، ولا شاة ولا بعيراً ، إلا بغلته وسلاحه . وكانت درعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير ابتاعها لأهله .

وصفوة القول : إن محمداً ﷺ تحمل في أداء الرسالة أنواعاً من المتاعب والحرمان ، ولم يظهر في غرضه فتور ، ولا في إصراره قصور . ثم لما ظهر على أعدائه ، وصارت له دولة ، لم يتغير عن منهاجه في الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة . والمزوّر إنما يسعىٰ لتحصيل الدنيا ، فإذا وجدها ولم ينتفع بها ، فكأنما كان ساعياً في تضييع الدنيا والآخرة . وهذا ما لا يفعله عاقل .

شهادة غير المسلمين برسول الله ـ ﷺ ـ :

إن من يتتبع سيرة محمد ﷺ يجد أنه قد اجتمع فيه من الأخلاق العظيمة والأوصاف الجزيلة والكمالات العلمية والعملية ، والمحاسن الراجعة إلى النفس والبدن والنسب والوطن ، ما يجزم العقل المنصف بأنه لا يجتمع مثله في غير نبي . إنّ كل خصلة فيه ، وإن كانت قد توجد في غير الأنبياء أيضاً . بيد أن مجموعها مما لا يحصل إلا للأنبياء . فاجتماعها في ذاته وصفاته ﷺ من دلائل نبوته . وقد أقر المخالفون بوجود أكثر هذه المحاسن فيه . فقد كانت حياة محمد ﷺ مصدراً غنياً لدراسات الكثيرين من الباحثين والمؤلفين والكتاب في أكثر اللغات ، ولا سيما في القرون الأخيرة ، فقد حظيت بقدر بالغ من النظر ، وواجهها كتاب الغرب على أنحاء مختلفة .

لقد كانت الأوهام والعدوات الدينية والتعصب الأعمىٰ ـ كما يقول إميل درمنجم ـ تحول دون دراسة حقيقية علمية لعظمة هذا الرجل . ومع ذلك فقد استطاعت سيرته أن تنفذ إلى نفوس الكثيرين من الباحثين المنصفين الذين اعترفوا بعظمته ، وأفاضوا في تقديره والإعجاب به . ونحن لو استعرضنا حياة هؤلاء الباحثين الذين أنصفوا الإسلام ونبيَّه ﷺ لوجدنا أنهم لم يكونوا في حاجة إلى شهرة أو غنىٰ ، أو كانوا يطمعون في منصب حين أعلنوا شهادتهم . بل إن بعضهم أعلن صيحته عندما كان الغرب في أعنف تعصبه وأقوى حملته ضد الإسلام . وهذه نبذة من أقوال بعضهم :

١ ـ قال سيل في مقدمة ترجمة معاني القرآن الكريم[(١)] عن رسول الله ﷺ : إنه كان حسن الوجه ذكياً ، وكانت طريقته مرضية ، وكان الإحسان إلى المساكين شيمته ، وكان يعامل الكل بالخلق الحسن .

٢ ـ وقال الفيلسوف الروسي تولستوي : ومما لا ريب فيه أن النبي كان من عظماء المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة . ويكفيه فخراً أنه

---

(١) ص ٦ من النسخة المطبوعة عام ١٨٥٠ م ، انظر إظهار الحق ٢ / ٢١٢ .

هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام ، وتؤثر عيشة الزهد . ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقي والمدنية[1] .

٣ ـ وقال الكاتب الانكليزي برنارد شو : لقد عمد رجال الإكليروس في العصور الوسطىٰ إلى تصوير الإسلام في أحلك الألوان ، وذلك بسبب الجهل ، أو سبب التعصب الذميم . والواقع أنهم كانوا يسرفون في كراهية محمد ﷺ وكراهية دينه ، ويعدونه خصماً للمسيح ـ عليه السلام ـ أما أنا فأرىٰ واجباً أن يُدعىٰ محمدٌ ﷺ منقذَ الإنسانية ، وأعتقد لو أن رجلاً مثله تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته ، وَلأَحَلَّ في العالم السلامَ والسعادة . وما أشدَّ حاجة العالم اليوم إليهما[2] .

٤ ـ وقالت الكاتبة الإيطالية الدكتورة فينشا فاليري : قام أعداء الإسلام الألداء الذين أعماهم الحقد والتعصب ، واتهموا رسول الله ﷺ ذلك الرجل النبيل الذي كان ينظر إليه قبل الرسالة نظرة إكبار وإجلال من جميع مواطنيه ، لما تحلىٰ به من الأمانة والسجايا الكريمة ، وكانت هذه التهمة التي رموه بها مما لا يقبله عقل ، ولا يمكن أن يسلم به عاقل ، فضلاً عن أنها لا تقوم على أي أساس ، وهي تهمة الغش والخداع .

ثم قالت : وإذا كان كاذباً في دعوته كما يفترون ، فكيف صمد للمقاومة أكثر من عشر سنين ، وهو في مكة ؟! واحتمل في أثنائها الشيء الكثير من صنوف الاضطهاد والآلام . وهو ذلك الرجل الوديع الهادىء الطباع . وكيف تهيَّأ له أن ينحاز إليه طواعية واختياراً ، بل وبمنتهى التحمس جماعات كثيرة من رجالات قريش ونبلائهم ، وأن يَنْضَوُوا تحت لوائه مع غيرهم من السوقة والعبيد[3].

---

(١) انظر كتاب « محمد رسول الله في نظر فلاسفة الغرب ومشاهير علمائه ، ص ٩ لمحمد فهمي عبد الوهاب طـ دار الاعتصام .

(٢) انظر كتاب « آفاق جديدة في الدعوة إلى الإسلام » لأنور الجندي ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

(٣) آفاق جديدة ص ٢٣١ .

٥ ـ وقد ظهر أخيراً في الولايات المتحدة كتاب اسمه « المائة ! » للدكتور « مايكل هارث » وهو من المتخصصين في علوم الفضاء ، والبارزين في علوم الأقمار الاصطناعية والصواريخ في أمريكا . وهو أيضاً من ذوي الاهتمامات المتعددة ؛ فلديه شهادة في الرياضيات من جامعة كورنيل ، وشهادة في القانون من جامعة نيويورك، وشهادة في الفيزياء من جامعة أديلفي ، ودكتوراة في الفلك من جامعة برنستون حصل عليها عام ١٩٧٢ م . أما حياته العملية فقد عمل في مركز أبحاث الفضاء العسكرية في ميريلاند ، وفي المركز القومي لدراسات طبقات الجوّ في كولورادو ، وفي أكبر مرصد للأفلاك في كاليفورنيا . وكان أخيراً مسؤولاً علمياً عن التطبيقات العلمية لعلوم الفضاء في ميريلاند .

وموضوع الكتاب أهم مائة رجل في التاريخ الإنساني كله في جميع المجّالات من سياسة وحرب وعلم وأدب وفن وفكر وغير ذلك . وهي مهمة تكاد تكون مستحيلة ، فمن يزعم أنه تعمق في كل التاريخ الإنساني والعلوم الإنسانية من دين إلى فكر إلى علم سياسة حتى يقدم على هذه المحاولة ؟ .

يقول المؤلف : إنه تأثر بكلمة شهيرة للفيلسوف الإنكليزي فرانسيس بيكون يقول فيها « القراءة تصنع الإنسان الكامل » فانطلق يقرأ في كل مجال أتيح له .

وعقب مناقشة حول اختيار أهم مائة في التاريخ كله ، وترتيبهم بدرجة الأهمية ، قَبِل التحدي وقام بهذه المحاولة التي أعطىٰ فيها عصارة حياته . ومن قراءة الكتاب يظهر أمران لا شك فيهما :

الأول : إن المؤلف بذل جهداً جبّاراً في قراءة تاريخ العالم وحضارته بكل وجوهها .

الثاني : إن المؤلف كان على درجة عالية من التجرد والنزاهة .

والدليل على ذلك أنه اختار الأول في الأهمية في التاريخ الإنساني كله : نبي الإسلام محمداً ﷺ وأنه وضع عيسى ـ عليه السلام ـ في الترتيب الثالث واضعاً قبله

العالِم « نيوتن » ، ووضع موسى في الترتيب السادس عشر ومن الملفت للنظر أيضاً أنه اختار عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وأعطاه الترتيب الحادي والخمسين .

ومن الجدير بالذكر أن المؤلف لم يرشح الأعظم ، لكنه رشح «الأهم» وأنه حاول وهو الأمريكي النصراني أقصى ما يمكن أن يحاول إنسان ، وإن خانته الدقة العلمية في بعض الأماكن .

وقد برر اختياره للرجل الأول ، فقال بعد أن سرد حياة محمد ﷺ بإيجاز ما يلي : إن اختياري محمداً ليكون الأول قد يدهش القراء . لكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلىٰ نجاح على المستويين: الديني والدنيوي. إن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية كاملة ، وتحددت كل أحكامها ، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته . وقد أقام إلى جانب الدين دولة جديدة ، وَحَّد القبائل في شعب والشعوبَ في أمّة ، ووضع لها كل أسس حياتها ، ورسم أمور دنياها ، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم حال حياته . فهو الذي بدأ الرسالة الدينية والدنيوية ، وهو الذي أتمها .

ويضيف إلى ذلك : إن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم . لكن محمداً ﷺ هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماماً من كل مقومات الحضارة والتقدم ، فجعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة ، قَهَرتْ بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس . وفي تاريخ الغزو في كل مكان وزمان يكون الغزو عسكرياً . لكن في حق الرسالة المحمدية ، فإن معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماماً ، وتغيرت لغة وديناً وقومية ، وبقيت كذلك إلى الآن . وهو معيار في قياس أثر الرسالة ـ أي استمرارها الزمني وثباتها ـ ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم . . . كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات ، نقل عن رجل واحد ، وبقي بحروفه كاملاً دون تحوير زمناً طويلاً سوى القرآن الذي نقل عن محمد ﷺ بخلاف التوراة والإنجيل .

ثم يختم كلامه قائلاً : هكذا نجد أن فتوحات العرب التي بدأت في القرن السابع الميلادي بقيت تلعب دوراً هاماً في التاريخ الإنساني حتى يومنا هذا .

فمن أجل هذا النفوذ الديني والدنيوي وَجَدْتُ أن محمداً ﷺ هو صاحب الحق الوحيد في أن أُعُدّه صاحبَ أعظم تأثير على الإطلاق في التاريخ الإنساني[1] .

وصفوة القول : لقد كانت نشأة محمد ﷺ نشأة خاصة تُلفِتُ النظر ، وأخبارُ الإرهاصات تدل على ذلك . وقد أجمع المعادون له والمدافعون عنه سواء كانوا مؤمنين أو كافرين ، على أنه كان طرازاً فريداً في سلوكه وأخلاقه ؛ من صدق وأمانة وعفة ورجاحة عقل وعُلُوِّ همة ولين جانب وسَعة صدر وبعد عن الفحش والأذى والملاحاة والمماراة ، وغير ذلك من الصفات العالية الرفيعة . لم يَرْمِهِ أحد بكذب أو بتهمة غدر أو خيانة ، لا قبل البعثة ولا بعدها . وقد صح نقل ذلك عنه بالطرق المتواترة .

أما عدم إيمان بعْض قومه برسالته ، فإنما كان عن عناد . وقد بين الله ذلك فقال: **﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك. ولكنَّ الظالمين بآيات الله يجحدون﴾** ـ الأنعام /٣٢ ـ. أي فإنهم لا ينسبونك إلى الكذب ، ولا يتهمونك به في واقع الأمر . ولكنهم جاحدون معاندون للحق يدفعونه بصدورهم ويكابرون مكابرة .

(١) عن مجلة العربي الكويتية العدد ٢٤١ ، تاريخ المحرم ١٣٩٩ هـ ، ديسمبر ١٩٧٨ م ، مقال (المائة الأوائل) بقلم أحمد بهاء الدين . بتصرف .

٣ ـ الأمور الخارجة عن ذاته وصفاته

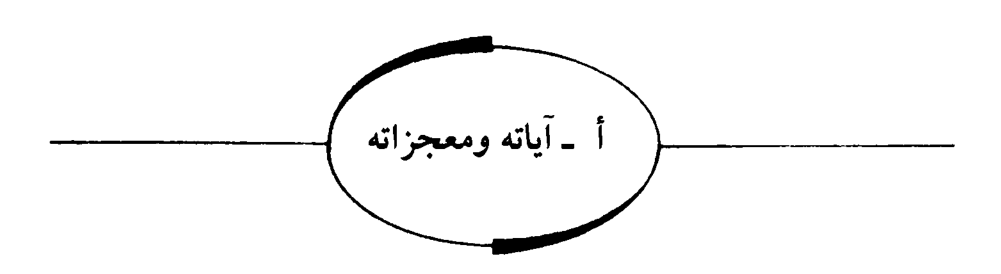
الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة ، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ، كما أنها لا تختص بحياته ، بل منها ما كان قبل مولده ، ومنها ما كان في حياته ، ومنها ما كان بعد مماته ، ويشمل ذلك ما يلي :

أ ـ آياته ومعجزاته التي أجراها الله على يديه تأييداً لنبوته .

ب ـ إخباره بالغيب الماضي والمستقبل والكائن في زمنه .

جـ ـ إجابة دعائه .

د ـ ورود البشارات بمقدمة في أسفار الأنبياء السابقين .



أ ـ آياته ومعجزاته

وهي نوعان :

١ ـ منها ما مضى وصار معلوماً بالخبر المتواتر أو المشهور المستفيض ، وهي معجزاته المادية .

٢ ـ ومنها ما هو باقٍ إلى اليوم ، وهي دلائل نبوته المعنوية أو العقلية . وأعظمها القرآن الكريم .

١ ـ معجزاته المادية :

من براهين النبوة ودلائلها حدوثُ أمور خارقة للعادة ، وأشياء كانت في حكم الممتنع مما يجعل العاقل المنصف يعلم يقيناً أن صَانع هذه المعجزات هو الله سبحانه تصديقاً لأنبيائه[1] . ومما أظهره الله على يد محمد ﷺ من هذا القبيل ما يلي :

أ ـ تكليم الجمادات له وانقيادها إليه :

عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «إن بمكة حجراً، كان يسلم عليَّ ليالي بُعثت، إني لأعرفه الآن» ـ أخرجه مسلم والترمذي ـ .

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال : كان في مسجد رسول

(١) الفصل لابن حزم ١/٧٣ .

الله ﷺ جذع في قِبلته يقوم إليه رسول الله ﷺ في خُطبته ، فلما وُضِع المنبر سمعنا للجذع مثلَ أصوات العِشار[1] ، حتى نزل رسول الله ﷺ فوضع يده عليه ـ رواه البخاري والنسائي والترمذي ـ.

وفي رواية للبخاري : فصاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت تنشق .

وفي رواية النسائي : كان رسول الله ﷺ إذا خطب يستند إلى جذع نخلة من سواري المسجد ، فلما صُنع المنبر ، واستوىٰ عليه ، اضطربت تلك السارية ، تَحِنُّ كحنين الناقة ، حتى سمعها أهل المسجد ، حتى نزل إليها رسول الله ﷺ فاعتنقها .

وهذه المعجزة من باب تغيير الطبائع .

ب ـ زيادة الطعام والشراب :

وقد تكرر هذا الأمر كثيراً وتناقلته الناس[2] . ومن ذلك ما يلي :

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر . فالتمس الناس الوَضوء فلم يجدوه ، فأتي رسولُ الله ﷺ بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه . قال : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه . فتوضأ الناس ، حتى توضؤوا عن آخرهم ـ أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي ومالك في الموطأ ـ.

وفي رواية للشيخين : أن النبي ﷺ دعا بماء . فأُتي بقدح رَحْرَاح ، فجعل

---

(١) العِشار : جمع عُشراء ، وهي الناقة الحامل التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها .

(٢) هذه المعجزة بنوعَيْها رواها بضعة عشر صحابياً ، ورواها عنهم أضعافهم من التابعين ، ورواها عن التابعين من لا يعد . وأكثرها ورد في قصص مشهورة ومجامع من الناس . وإنما حصل النبي ﷺ على الطعام القليل أو الماء أولاً ثم كثّره ، ولم يوجد مباشرة من العدم ، مراعاة للأدب بحسب الظاهر . وليعلم الناس أن الموجد هو الله ، وأنه إنما حصلت البركة بسبب دعائه ﷺ انظر إظهار الحق ٢/١٩٦ .

القوم يتوضؤون فحزرت ما بين الستين إلى الثمانين. قال : فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه.

وعن سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فأصابنا جهد ، حتى هممنا أن ننحر بعض ظَهْرِنا . فأمرنا النبي ﷺ فجمعنا فزادونا، فبسطنا له نِطَعاً ، فاجتمع زاد القوم على النِطَع . قال : فتطاولت لأحزُرَه كم هو؟ قال : حزرتُه فإذا هو كربضة العنز . ونحن أربع عشرة مائة . قال : فأكلنا حتى شبعنا جميعاً . ثم حَشَوْنا جُرُبَنا ـ رواه مسلم ـ. وعند البخاري : خَفَّت أزواد القوم وأملقوا . فأتوا النبي ﷺ في نحر إبلهم ، فأذن لهم . فلقيهم عمر ـ رضي الله عنه ـ فأخبروه ، فقال : ما بقاؤكم بعد إبلكم ؟ فدخل على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما بقاؤهم بعد إبلهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نادِ في الناس يأتوا بفضل أزوادهم » . فَبُسط لذلك نِطَع ، وجعلوه على النطع . فقام رسول الله ﷺ فدعا وبَرَّك عليه ، ثم دعاهم بأوعيتهم . فاحتثى الناس حتى فرغوا . ثم قال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله » .

وهذه المعجزة من باب إيجاد جواهر من العدم .

جـ ـ إنشقاق القمر :

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر ـ رواه الشيخان والترمذي . واللفظ للبخاري .

وزاد الترمذي : فنزلت « اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا : سحر مستمر » .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بشقين، ونحن معه فقال: اشهدوا اشهدوا ـ رواه الشيخان والترمذي ـ .

وفي رواية للترمذي: انفلق فِلقتين: فِلقة وراء الجبل وفِلقة دونه .

وعن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - قال: انشق القمر على عهد رسول الله - ﷺ - فصار فرقتين. فقالت قريش: سحر محمد أعيننا. فقال بعضهم لبعض: لئن كان سحرنا، ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم - رواه الترمذي[1] -.

وزاد رزين: فكانوا يتلقون الركبان، فيخبرونهم بأنهم قد رأوه، فيكذبونهم.

وأخرج البيهقي وابن جرير عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة . قال : فقالوا : انظروا السفار ، فإن كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق ، وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم ، فهو سحر سحركم به . قال : فسئل السفار - قال : وقدموا من كل وجهة - فقالوا : رأينا . فأنزل الله عز وجل : اقتربت الساعة وانشق القمر . .

ولو لم ينشق مع نزول الآية ، لأسرع المؤمنون إلى تكذيب ذلك فضلاً عن أعدائه من الكافرين[2] .

وهذا قليل من كثير وغيض من فيض مما اشتملت عليه كتب الحديث والسيرة ودلائل النبوة . ومعلوم أن هذا وأمثاله لا يظهر إلا على يدي نبي .

وهذه المعجزات ، وإن لم تتواتر كل واحدة منها في النقل ، فإن القدر

---

(١) وأحمد وابن حبان . وحسنه عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على الجامع ٨/٣٩٨ . وقد روى حديث الانشقاق جماعة من الصحابة منهم أيضاً ابن عمر وابن عباس وغيرهما - رضي الله عنهم - وأخرج أبو داود الطيالسي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - نحو ما زاده رزين وأخرجه البيهقي وابن جرير أيضاً .

(٢) نقلت جريدة الإنسان التركية التي كانت تصدر قديماً في استامبول عن بعض الجرائد الأجنبية أنه عثر في ممالك الصين على بناء قديم ، مكتوب عليه أنه بُني عام كذا وكذا من التاريخ الصيني ، حيث وقع حادث سماوي عظيم ، وهو انشقاق القمر نصفين . وبمراجعة التاريخين الميلادي والصيني من قبل العلماء تبين أن ذلك يوافق السنوات التى كان فيها النبى ﷺ بمكة اهـ. ونقل الحافظ المزي عن ابن تيمية أن بعض المسافرين ذكر أنه وجد في بلاد الهند بناء قديماً =

المشترك بينها متواتر بلا ريب ـ أي إن التواتـر يدل عـلى صحة ذلـك في الجملة ـ وهذا القدر يكفي . ولا فرق بين مشاهدة المعجزة وتناقلها عن طريق التـواتر في الدلالة على صحة نبوة من ظهرت على يديه . لأن نقل الكافة لها يمنع من جواز الكذب . فوجب تصديق ذلك ضرورة[1] .

وهـذا النوع من المعجـزات المـاديـة وقتيٌّ حسيّ ، يـذهب بـزوال وقتـه ، كمعجزات سائر الأنبياء ـ عليه السلام ـ فلم يدركها إلا من شاهدها ببصره . فإذا مات النبي ومن رآها زالت ، ولم يبق إلا تناقلها من جيل إلى جيل .

والمعجزات التي ينقلها أهـل الكتاب عن مـوسىٰ وعيسى وسائـر الأنبياء ، ليس لها سند متصل عندهم ، فضلاً عن أن تنقل بالتواتر . بل إن الحالات التي اتفق الإنجيليون الأربعة على نقلها ، ليس لها شبه سند متصل ، وذلك لأن أهل الكتاب لم يكونوا يعرفون علم الرواية ونقل الأخبار كما عرفه المسلمون . وهذا أمر مسلم به لديهم كما سيأتي في الكتاب الثاني إن شاء الله . بخلاف أحاديث الأحاد لدىٰ المسلمين فإنه لا بد لها من سند متصل وإلا سقط الاحتجاج بها . ومع ذلك يذكر أهل الكتاب معجزات كثيرة لأنبيائهم ولمن يسمونهم رسلاً من بعد المسيح ـ عليه السلام ـ ويكابرون بصحتها .

٢ ـ معجزاته المعنوية (القرآن الكريم) :

تعريف القرآن :

هو كلام الله القديم ، نزل به الروح الأمين ، على قلب محمد ﷺ ليكون من

= مكتوباً عليه : « بني ليلة انشق القمر » وفي المقالة الحادية عشرة من تاريخ (فرشتة) أن أهل مليبار من إقليم الهند رأوه أيضاً .

وإنما لم يره جميع الناس وينقل بالتواتر . لأن انشقاق القمر كان في الليل ، وهو وقت غفلة ونوم . ألا ترى أن خسوف القمر يقع كثيراً ولا يراه إلا قلة من الناس . ويكفي أن أهل مكة رأوه بعد أن طلبوه . انظر إظهار الحق ٢ / ١٩٥ .

(١) الفصل ١ / ٧٤ و ٧٦ ـ ٧٧ ، إظهار الحق ٢ / ٢١٢ وانظر منه ٢ / ١٨٢ ـ ١٨٣ .

المنذرين ، بلسان عربي مبين ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المتحدىٰ بأقصر سورة من سُوَرِه[1] .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نبي من الأنبياء ، إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » ـ رواه البخاري ومسلم ـ .

فما من الأنبياء من نبي إلا أعطاه الله سبحانه من الدلائل والآيات والبراهين ما يوجب على البشر الإيمان به لدىٰ معاينته . فمعجزاتهم كانت مادية حسية ، انقضت بانقضاء أوقاتها .

أما رسول الله ﷺ فقد أيده الله بالمعجزات المادية الحسية ، والمعنوية العقلية الباقية ، والمستوعبة للبشر في أنحاء الأرض ، والمخاطبة للعقول في كل زمن حتى يرث الله الأرض ومن عليها . فقد خصه الله سبحانه بالقرآن الكريم الذي هو وحي . وفيه إعجاز بكل ما احتواه واشتمل عليه من وجوه متعددة . وليس شيء من كتب الله المنزلة على الأنبياء السابقين كان معجزاً إلا القرآن الكريم .

وهو باق بعد رسول الله ﷺ على ما كان عليه وقت النزول بأصالته وإعجازه . لذلك يرجو رسول الله ﷺ أن تكون أمته أكثر الأمم .

من صفات القرآن الكريم :

هو كتاب الله الذي أحكمت آياته ، وأُتقنت فصوله ، واتفقت مبانيه ، وائتلفت معانيه ، فلا تجد فيه اختلافاً ولا تناقضاً . قال سبحانه : ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ هود / ١ ـ وقال جل شأنه : ﴿ **لا**

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٧٨ ، إظهار الحق ٢/٥٣ ، ومجلة كلية القرآن الكريم ، مقال للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ١٨ .

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ﴾ ـ فصلت /٤٢ ـ أنزل على خير مبعوث وأكرم مرسل بأسلوبه المعجز ، وتشريعاته المحكمة ، وعلومه المتنوعة ، وأخباره الصادقة . فيه الدعوة والحجة والتشريع .

جمع الله به الشمل وأصلح الأمر ، ورسم فيه منهاج الحياة الرشيدة ، وسن القوانين التي بها يصلح أمر الدين والدنيا جميعاً . وسما بالإنسانية إلى أمثل الطرق وأنجح السبل في إحقاق الحق وإزهاق الباطل . قال تعالىٰ : **﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾** ـ المائدة /١٥ ـ ١٦ ـ. ما من فضيلة إلا دعا إليها وحض عليها ، وما من رذيلة إلا حذر منها ونهى عن قربها ، وما من عمل يصلح صاحبه في الدنيا ، ويسعده في الآخرة ، إلا رسم حدوده ، ووضح مناهجه(١) . فيه دواء وفيه شفاء . قال تعالىٰ : **﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾** ـ الأنعام /٣٨ ـ.

وهو حبل الله المتين من آمن به واتبعه رشد ، ومن تركه وضل عنه خاب وخسر ، ومن ابتغى العزة بغيره أذله الله ، ومن حاربه من جبار قصمه الله .

وجوه إعجازه :

القرآن الكريم لا ينضب معينه ولا تنقطع فوائده ، ولا تفني عجائبه . ويظهر كونه آية وبرهاناً من وجوه متعددة أهمها ما يلي :

أ ـ الإعجاز اللغوي :

جاء القرآن الكريم في الدرجة العالية من الفصاحة والبلاغة التي لم يعهد مثلها في تراكيب العرب . عرفها فصحاء العرب بسليقتهم ، فتقاصرت عنها درجة بلاغتهم . ويعرفها علماء النقد بمهارتهم في فن البيان ، وإحاطتهم بأساليب الكلام . ومن كان أعرف بلغة العرب وفنون بلاغتها كان أعرف بإعجاز القرآن .

---

(١) مجلة القرآن الكريم مقال للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ١٥ ـ ١٦ .

فهذه المعجزة ظاهرة أيضاً في هذا الزمان لألوف الألوف من أهل اللسان وماهري علم البيان (١) .

ويبدو ذلك من جهة نظمه وأسلوبه وفصاحته وبلاغته في دِلالة اللفظ على المعنىٰ ؛ فنظمه عجيب ، وأسلوبه بديع ، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ، فهو ليس شعراً ولا رجزاً ، ولا من جنس الرسائل أو الخطابة . بل إنما هو أسلوب فريد خارق للعادة ، لم يأت أحد بنظيره ، حتى سماه أهل المعرفة بـ « الأسلوب القرآني » (٢) .

والبلاغة هي التعبير باللفظ المعجب عن المعنى المناسب للمقام ، بلا زيادة ولا نقصان في البيان والدلالة . وكلما ازداد شرف الألفاظ ورونق المعاني ومطابقة الدلالة كان الكلام أبلغ(٣) . ويدل على كون القرآن في هذه الدرجة من البلاغة أمور منها ما يلي :

١ ـ إن الكلام الفصيح إنما يكون في البيت والبيتين من القصيدة غالباً . بخلاف القرآن ، فإنه مع طوله فصيح كله ، بحيث يعجز الخلق عنه . ومن تأمل في قصة يوسف عرف أنها مع طولها وقعت على الدرجة العالية من البلاغة .

٢ ـ إن الشاعر أو الكاتب إذا كرر مضموناً أو قصة ، فإن كلامه الثاني لا يكون مثل الأول . وقد تكررت قصص الأنبياء وأحوال المبدأ والمعاد ، والأحكام الشرعية والصفات الإلٰهية ، واختلفت العبارات إيجازاً وإطناباً ، وتفنناً في بيانها غيبة وخطاباً . ومع ذلك ، فإن كل واحد منها في نهاية الفصاحة (٤) .

---

(١) إظهار الحق ٢ / ٣١ و ٢ / ٦٠ .

(٢) الجواب الصحيح ٤ / ٧٨ .

(٣) إظهار الحق ٢ / ٣١ .

(٤) ولتكرار القصة أسباب منها : أن إعجاز القرآن لما كان باعتبار البلاغة في أحد جوانبه كررت القصة بعبارات مختلفة إيجازاً وإطناباً مع المحافظة على الدرجة العالية للبلاغة في كل مرتبة ومنها أنه يمكن أن يقال : إن الألفاظ الفصيحة التي كانت مناسبة لهذه القصة قد استعملت ، =

٣ ـ إنه إذا طلب من شاعر فصيح أو كاتب بليغ أن يكتب في بِضع من مسائل الفقه أو العقائد في عبارة فصيحة مشتملة على التشبيهات البليغة والاستعارات الدقيقة ، فإنه يعجز . والقرآن الكريم اقتصر على فرض العبادات ، وتحريم الخبائث ، والحث على المكارم ، والزهد في الدنيا واختيار الآخرة ، ولا سيما في بعض الأماكن ، ومع ذلك جاء في الدرجة العالية من الفصاحة ، مع أن أمثال هذه الأمور توجب تقليلها .

٤ ـ إن كل شاعر إنما يُحسِن الكلامَ في فن من الفنون ، فيشتهر به ، ويضعف في غيره . لذا قيل : فلان في المديح ، وفلان في الهجاء ، وفلان في الرثاء ، ونحو ذلك . أما القرآن فقد جاء على غاية الفصاحة في كل فن ، ترغيباً كان أو ترهيباً ، زجراً كان أو وعظاً أو غيرهما . ومن تأمل الأمثلة التالية وضح له المراد:

ففي الترغيب قوله سبحانه ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ السجدة /١٧ ـ وفي الترهيب قوله تعالىٰ : ﴿ **واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . من ورائه جهنم ، ويسقىٰ من ماء صديد . يتجرعه ، ولا يكاد يسيغه . ويأتيه الموت من كل مكان ، وما هو بميت ، ومن ورائه عذاب غليظ** ﴾ ـ إبراهيم /١٥ـ١٧ ـ.

وفي الزجر والتوبيخ قوله جل جلاله ﴿ **فكلاً أخذنا بذنبه ؛ فمنهم من أرسلنا**

وبقيت ألفاظ غير مناسبة ، أو يقال : إن طريق كل بليغ يخالف الآخر ، فبعضهم يقدر على الطريق المطنب ، وبعضهم على الموجز ، فلا يلزم من عدم القدرة في نوع عدم القدرة مطلقاً ، أو يقال : إن دائرة البلاغة ضيقة في بيان القصص ، وما صدر عنه فمحمول على المصادفة والاتفاق . فلما كررت القصة إيجازاً وإطناباً ، لم يبق عذر من هذه الأعذار . وعلم أن القرآن من عند الله ، وخارج عن قدرة البشر . ومنها أن القصة الواحدة قد تشتمل على أمور كثيرة ، فتذكر تارة ويقصد بها بعض الأمور قصداً وبعضها الآخر تبعاً ، وتعكس مرة أخرى . فقد تكون القصة مثلاً لتعداد النعم ، وقد تكون للتقريع ، فيختلف السياق والتعبير ، كما في قصة موسى مع قومه في سورة البقرة ٥٨ ـ ٦٠ وفي سورة الأعراف ١٦٠ ـ ١٦٢ . انظر إظهار الحق ٢/٥٨ ـ ٥٩ .

عليه حاصباً ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا . وما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ ـ العنكبوت /٤٠ ـ.

وفي الوعظ قوله جل شأنه : **﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين . ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ؟ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾** ـ الشعراء /٢٠٥ـ٢٠٧ـ.

وفي الإلهيات قوله تقدست أسماؤه : **﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة ، الكبير المتعال ﴾** ـ الرعد /٨ـ٩ـ.

٥ ـ الأغلب أن الكلام إذا انتقل من مضمون إلى آخر ، واشتمل على بيان أشياء مختلفة ، فإن ربطه لا يكون حسناً ، ويسقط عن الدرجة العالية للبلاغة . والقرآن فيه الانتقال الكثير من قصة إلى أخرى ، والخروج من باب إلى باب ، والاشتمال على أمر ونهي ، وخبر واستخبار ، ووعد ووعيد ، وإثبات النبوة وتوحيد الذات وتفريد الصفات ، وترغيب وترهيب ، ومثال وبيان حال ، وغير ذلك ، ومع كل هذا فيه من كمال الربط وعلو البلاغة ، ما حيّر عقول بلغاء العرب .

٦ ـ يأتي القرآن في أغلب المواضع بألفاظ يسيرة متضمنة لمعاني كثيرة ، ويكون اللفظ أعذب وأرحب . فقوله تعالىٰ **﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾** لفظ يسير متضمن لمعانٍ كثيرة ، مع كونه بليغاً مشتملاً على المطابقة بين المعنيين المتقابلين ، وهما « القصاص والحياة » وعلى الغرابة بحيث يجعل القتل الذي هو مفوت للحياة ظرفاً لها . وهو أولى من جميع الأقوال المشهورة في هذا الباب عند العرب[1] .

وهكذا الأمر في جميع آيات القرآن ضع يدك حيث شئت من المصحف ، وعدّ ما أحصته يدك من الكلمات ، ثم أحص عدتها من أبلغ كلام تختاره خارجاً عن الدفتين ، وانظر نسبة ما حواه هذا الكلام من المعاني إلى ذاك ، ثم انظر كم كلمة

---

(١) إظهار الحق ٢/٣١ ـ ٣٤ ، والآية من سورة البقرة / ١٧٩ .

تستطيع أن تسقطها أو تبدلها من هذا الكلام دون إخلال بغرض قائله ؟ وأي كلمة تستطيع أن تسقطها أو تبدلها هناك[1] .

يقول ابن عطية : إنك لو نزعت لفظة من كتاب الله ، ثم أُدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد .

٧ ـ إن الجزالة والعذوبة بمنزلة الصفتين المتضادتين ، واجتماعهما على ما ينبغي في كل جزء من الكلام الطويل خلاف العادة المتبعة لدى البلغاء . فاجتماعهما في كل موضع من مواضع القرآن دليل على كمال بلاغته وفصاحته الخارجتين عن العادة .

٨ ـ إن القرآن مشتمل على جميع فنون البلاغة من ضروب التأكيد وأنواع التشبيه والتمثيل ، وأصناف الاستعارة وحسن المطالع والمقاطع ، وحسن الفواصل ، والتقديم والتأخير ، والفصل والوصل اللائق بالمقام ، وخلوه عن اللفظ الركيك أو الشاذ الخارج عن القياس ، النافر عن الاستعمال . وغير ذلك من أنواع البلاغة . ولا يقدر أحد من البلغاء والكملاء من العرب العرباء إلا على نوع أو نوعين من الأنواع المذكورة . ولو رام غيره في كلامه لم يتأتَّ له ، وكان مقصراً .

٩ ـ تأليفه العجيب وأسلوبه الغريب في المطالع والمقاطع والفواصل ، مع اشتماله على دقائق البيان ، وحقائق العرفان ، وحسن العبارة ولطف الإشارة ، وسلاسة التركيب وسلامة الترتيب . فتحيرت فيه عقول العرب العرباء ، وفهوم الفصحاء الأدباء . والبليغ ناظماً كان أو ناثراً يجتهد في هذه المواضع اجتهاداً كاملاً . فيمدح أو يعاب في هذه المواضع غالباً .

والحكمة في هذه المخالفة أن يمتاز هذا الكلام عن كلام العرب ويظهر تفوقه ، فلا يبقىٰ لمتعسف عنيد مظنة السرقة[2] .

١٠ ـ جمال التعبير ودقة العبارة : ومن تتبع ذلك وجد العجب العجاب في

(١) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١١٢ طبعة دار القلم .
(٢) إظهار الحق ٢ / ٣٥ ـ ٣٧ .

جمال التعبير القرآني وروعته ، من إبدال لفظة بلفظة ، وتعبير مكان تعبير . وكذلك في التصوير الفني والتقديم والتأخير ، والاختيار العلمي والأدبي للفظة على أختها ، والذكر والحذف وغير ذلك من أبواب البلاغة والأدب . والأمثلة التالية توضح جمع القرآن بين جمال التعبير ودقته .

أ ـ قال تعالىٰ : **﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم ، إنما نحن مستهزؤن ﴾** ـ البقرة / ١٤ ـ.

فإذا رأىٰ المنافقون أهل الإيمان قالوا « آمنا » بصيغة الفعل الدالة على التجرد والحدوث . وإذا لقوا أصحابهم أظهروا ما في أنفسهم من الكفر ، وأطلقوا ألسنتهم على سجيتها لتفصح عن حقيقة أمرهم فقالوا : « إنا معكم . . . » فجاء به جملة إسمية مؤكدة بإن ، وبإنما الدالة على القصر . فخالف بين التعبيرين لاختلاف الحالين[1] .

ب ـ وكذلك قوله تعالىٰ **﴿ سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ﴾** ـ الأعراف /١٩٣ .

ولم يقل : أدعوتموهم أم صمتم . بل جاء باسم الفاعل . وذلك لأن الفعل يدل على الحدوث والتجدد ، والاسم يدل على الثبوت . فمعنى قولنا : « هو يحفظ » أنه يفعل ذلك ، ومعنى قولنا (حافظ) أنه متصف بهذا الأمر وثابت له . وفي الآية جعل الصمت بصيغة الاسمية ، والكلام بصيغة الفعلية ، لأن الأصل في الإنسان أن يكون صامتاً ، ولا يتكلم إلا لحاجة تعرض له . فكأنه قال : أدعوتموهم أم بقيتم على صمتكم[2] .

جـ ـ وقال تعالىٰ : **﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ ﴾** ـ الأعراف / ٤٤ ـ.

فلم يقل : « ما وعدكم » بمقابل « ما وعدنا » وذلك لأن الكفار كانوا ينكرون

---

(١) الكشاف ١ /١٤٢ .

(٢) الكشاف ١ /٥٩٢ .

اليوم الآخر جملة وتفصيلاً ، ولا ينكرون ما وعدهم به فقط . فكأنه قال : هل وجدتم وعد ربكم حقا ؟ بخلاف المؤمنين ، فإنهم كانوا ينتظرون ما وعدهم ربهم من الخير والكرامة ، فقال عنهم : « وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً »[1] .

د ـ قال تعالىٰ عن السد الذي بناه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس المذاب : ﴿ **فما اسطاعوا أن يظهروه ، وما استطاعوا له نقباً** ﴾ ـ الكهف /٩٧ ـ.

أي فما اسطاعوا أن يصعدوا عليه ، وما استطاعوا نقبه . فإنه لما كان صعود السد أيسر من نقبه وأخف عملاً ، خفف الفعل فحذف التاء ، ولما كان نقبه أشد زاد مبنى الفعل فقال : « وما استطاعوا » وهو تعبير طريف بديع ، فإن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنىٰ[2] .

تحدي القرآن للعرب وعجزهم عن معارضته :

تحدىٰ القرآن العرب الذين هم الغاية في الفصاحة مرة بعد مرة ، فعجزوا عن معارضته :

ـ أما تحديهم به : فقد تواترت الآيات والأخبار الدالة على ذلك ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **قل : لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾ ـ الإسراء /٨٨. وقوله سبحانه : ﴿ **أم يقولون : افتراه . قل : فأتوا بعشر سور مثله مفتريات** ﴾ هود /١٣ . وقوله جل جلاله : ﴿ **أم يقولون : افتراه . قل : فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله** ﴾ يونس /٣٨. وقوله تقدست أسماؤه : ﴿ **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ، ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ، أعدت للكافرين** ﴾ البقرة /٢٣ـ٢٤ .

---

(١) الكشاف ١ /٥٤٩ .

(٢) الكشاف .

فهذه الآيات دلت على أن التحدي وقع مرة بالقرآن كله ، ومرة بعشر سور منه ، ومرة بسورة واحدة منه . أما في الآية الأخيرة فقد ذكر أمرين :

أحدهما : قوله : ﴿ فإن لم تفعلوا ﴾ أي فإن لم تفعلوا فقد علمتم أن حق .

الثاني : قوله : ﴿ ولن تفعلوا ﴾ ولن : حرف نفي ونصب واستقبال . أي إنهم فيما يستقبل من الزمان لا يأتون بمثله . فهذا نفي للمستقبل ، وإخبار عن الغيب . ولولا أنه تيقن أنهم لا يأتون بمثله لما أقدم على الإخبار به ، وهو لا يعرف العرب كلها ، ولا يحصي قبائلها . والفصاحة والبلاغة مبثوثة بين الرجال والنساء والعبيد والإماء .

ـ وأما عجزهم عنه : فلأن الدواعي كانت متوفرة على الإتيان بالمعارضة . وليس ثمة مانع منها . ولم يأتوا بها . فهذا دال على عجزهم . ويدل على توفر دواعيهم ، أنه قد تحداهم بالمعارضة مرة بعد أخرىٰ ، وهي تبطل دعوته . وقد كلف من تبعه ترك أديانهم ورئاستهم ، وأوجب عليهم ما يتعب أبدانهم وينقص أموالهم ويطالبهم بعداوة أصدقائهم وأهليهم . وهي أمور تشق عليهم . أما أعداؤه ، فقد رأوا أن سبيل الحرب والدماء وتجميع الأحزاب أيسر عليهم من مقابلة تحدي القرآن . وهذا أمر غريب ، فإن المنافرات الأدبية كانت قائمة بينهم على قدم وساق ، وهم يقيمون المحكمين للتحديات الأدبية . وإذا كانت معارضة القرآن مبطلة لأمره لا محالة ، علمنا دواعي العرب إليها . فما الذي صرفهم جميعاً عن هذا التحدي القاسي !؟ إنهم لو كانوا قادرين عليها لفعلوها ، وإذ لم يفعلوها ، كان هذا القرآن من العجائب الخارقة للعادة[1] .

ويدل على عدم المانع عن المعارضة أنهم كانوا لا يخافون أول الأمر ، ولا سيما في مكة ، فقد لبث فيها ثلاث عشرة سنة يتحداهم ، ويلاقي منهم العنت والاضطهاد . فوجب أن يتفرغوا للمعارضة في تلك المدة . ويدل على أنهم لم يعارضوه ، أنهم لو أتوا بالمعارضة ، لكان اشتهارها أولى من اشتهار القرآن نفسه .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٧٣ ـ ٧٤ .

لأن القرآن يصير حينئذ كالشبهة ، وتلك المعارضة كالحجة المسقطة أبهة المدعي ، والمبطلة لرونقه . فلما لم تظهر ، أو لم تُتناقل علمنا أنها لم تقع . مع أنه قد انتدب غير واحد لمعارضته، ولا سيما من ادعى النبوّة كمسيلمة الكذاب وغيره. بيد أنه جاء بكلام فضح به نفسه ، وظهر تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله .

وظاهر أن كل من توفرت دواعيه إلى الشيء ، ولم يوجد لديه مانع منه ، ثم لم يتمكن فهو عاجز . لا سيما وقد عدلوا عن المعارضة إلى حربه التي فيها تعريض النفس للقتل وغير ذلك ، مع أن المعارضة أسهل . والعدول عن الأسهل إلى الأصعب لا يكون إلا بتعذر الأسهل[1] .

وإلا فكيف يتصور أن يكون الفصحاء والبلغاء من العرب كثيرين كثرة الرمال ، ومشهورين بغاية العصبية والحمية الجاهلية ، والتهالك على المباراة والمباهاة ، والدفاع عن الأحساب ، فيتركون الأمر الأسهل ، وهو الإتيان بمقدار أقصر سورة ، ويختارون الأشد الأصعب مثل بذل المهج والأرواح في الحروب والقتال[2] ؟ .

فالقرآن إن كان خارقاً للعادة فهو معجز ، وإلا وجبت معارضته . وهذه المعجزة أبلغ من الآيات الحسية التي تكرر جنسها كإحياء الموتى ورد بصر الأعمى ونحو ذلك . فإن هذا القرآن لم يأت أحد بنظيره مطلقاً[3] .

وهب مدعياً ادعى أن محمداً ﷺ كان أفصح من غيره ، فلهذا لم يقدروا على معارضته . فإنه قد يوجد صاحب حرفة معينة برع فيها ، وليس في زمانه من يساويه فيها ، بل ربما بعده[4] .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٧٧ .

(٢) إظهار الحق ٢/٣٨ و ٢/٥٠ .

(٣) الجواب الصحيح ٤/٧٤ .

(٤) تنقيح الأبحاث لابن كمونة اليهودي ص ٧٠ .

فالجواب أن مثل هؤلاء لم يبلغ التفاوت بينهم إلى حد الإعجاز. بخلاف التفاوت بين القرآن وغيره من كلام العرب شعراً ونثراً .

أضف إلى ذلك أن الكامل في الفصاحة لا يكون بين كلامه المرتجل وبين الذي يروي فيه مباينة كبيرة . ومن نظر إلى حديث رسول الله ﷺ وجد أن كلام النبي في غير القرآن مضافاً إلى القرآن ، كلام غيره مضافاً إليه .

هاتوا لنا إنساناً له موهبة وأسلوب ، واطلبوا منه أن يقول شيئاً ، ثم سجلوا مميزات أسلوبه . ثم اسألوه أن يغير أسلوبه إلى أسلوب آخر ، ثم سجلوا له الأسلوب الآخر . ثم قولوا له : نريد أسلوباً ثالثاً . فإنه لا يستطيع أن يتبرأ من أسلوبه الأول أبداً . وذلك لأن الأسلوب هو الطريقة اللازمة للشخص في أداء المعاني . وما دامت له طريقة في أداء المعاني ، فإن الأداء سيأخذ تشخيصاً لا يمكن أن يبرىء صاحبُه نفسَه منه . وإذا ما جئنا بأسلوب قرآني ، وأسلوب حديث قدسي ، وأسلوب حديث نبوي ، فسنجد أساليب ثلاثة ، لا يمتزج فيها أسلوب بآخر ، بل لكل أسلوب خواصه ومميزاته وطبائعه . فهل يستطيع بشر أن يجعل لموهبته الأساسية ثلاثة أساليب في ميادين كثيرة من الأقوال ؟! .

ولو ادعىٰ مدعٍ أن العرب ما كانوا عالمين بذات الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ولا بالملائكة وقصص الأنبياء وأحوال الجنة والنار . وكان محمد ﷺ عالماً بها ، وهو يطلب منهم المعارضة بمجموع الفصاحة والنظم والإتيان بمثل هذه الأشياء ، فلعدم علمهم بذلك استعظموا القرآن وعجزوا عن مثله[1] .

فالجواب أن اليهود والنصارى كانوا حاضرين في الجزيرة ومحيطين بها ، وقد راسل أهل مكة يهود ، يسألونهم عن أمر محمد ﷺ فأرسل إليهم اليهود بأسئلة يمتحنونه بها ـ كما سيأتي ـ ولو كانوا يظنون أنه استعان بغيره ، لأمكنهم هم أيضاً أن يستعينوا بغيرهم . بل كان من الواجب أن يتعلموا هذه الأمور من اليهود والنصارىٰ ، ثم يعبروا عنها بألفاظ فصيحة . أضف إلى ذلك أنه كان من العرب

(١) تنقيح الأبحاث لابن كمونة ص ٧٠ .

يهود ونصارى فصحاء ، فكان من الواجب أن يتولوا هم أمر هذه المعارضة .فلما لم يفعلوا ذلك وآثروا المقارعة على المعارضة ، والمقاتلة على المقاولة ، ثبت أن بلاغة القرآن كانت مسلمة عندهم ، وكانوا عاجزين عن المعارضة [1] .

ولا نزاع في أن محمداً ﷺ كان أعقل الناس ، وأخبرهم وأعرفهم بما جاء ، وقد اتفقت الأمم مسلمها وكافرها على كمال عقله ، ووفور معرفته وخبرته في سياسات الأمور ، سواء قيل : إنه صادق أو كاذب . فإقدامه على أن يقول خبراً يتحدى به الناس ، ثم يقطع بأنهم لا يأتون بمثله ، لا في ذلك العصر ، ولا في سائر الأعصار التالية ، لا يكون إلا مع جزمه بذلك وتيقّنه له . وإلا فمع الظن والشك لا يقول ذلك من يخاف أن يظهر كذبه ، ويفتضح أمره لدى كثير من الناس ، وبخاصة من اتبعه ، فيرجعون عن تصديقه ، ويفسد عليه ما قصده . فهذا لا يقدم عليه عاقل . أما إذا كان جازماً بذلك متيقناً به ، فإنه لا يمكن أن يكون إلا عن إعلام من الله له بذلك . إذ ليس في العلوم المعتادة أن يعلم الإنسان ويجزم أن جميع الخلق لا يقدرون أن يأتوا بمثل ما عنده ، إلا إذا علم أنه خارج عن قدرة البشر [2] .

شهادة فصحاء العرب بالقرآن :

وأشراف العرب مع كمال حَذَاقتهم في أسرار الكلام ، وشدة عداوتهم للإسلام ، لم يجدوا في بلاغة القرآن ، وحسن نظمه وأسلوبه مجالاً للقدح فيه . بل اعترفوا أنه ليس من جنس خطب الخطباء وشعر الشعراء وسجع الكهان . ولذلك نسبوه تارة إلى السحر تعجباً من فصاحته وحسن نظمه . وقالوا تارة : إنه إفك افتراه ، وأساطير الأولين . وكثيراً ما قالوا لأصحابهم « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوافيه لعلكم تغلبون » وهذا كله دأب المحجوج المبهوت [3] .

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : إن الوليد بن المغيرة جاء إلى

(١) الجواب الصحيح الجواب ٤/٦٦ ـ ٦٧ ، إظهار الحق ٢/٥٠ .

(٢) الجواب الصحيح ٤/٦٦ ـ ٦٧ وص ٧٧ .

(٣) إظهار الحق ٢/٣٨ ، والآية من سورة فصلت / ٢٦ .

النبي ﷺ فقال : اقرأ علي . فقرأ عليه : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاى ذي القربى ، وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » فقال : أعد . فأعاد . فقال : والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا يعلىٰ عليه ، وإنه ليحطم ما تحته ، وما يقول هذا بشر .

وفي رواية : وبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً . قال : ولم ؟ قال : أتيتَ محمداً لتُعوض مما قبله . قال : قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً . قال : فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له . فقال : ماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم أعلم بالأشعار مني . . . ثم قال : إن له لحلاوة . . إلخ .

قال ابن إسحاق : ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذاسن فيهم ، وقد حضر الموسم . فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم من كل جانب ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم ، فأجمعوا فيه رأياً ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً . فقالوا : فأنت فقل . فقال : بل قولوا وأنا أسمع . قالوا : نقول: كاهن . قال : ما هو بزمرة الكهان ولا سجعهم . قالوا : نقول : مجنون . قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخالجه . قالوا : نقول : شاعر . قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر رجزه وهزجه ، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه . قالوا : نقول : ساحر . قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة وسحرهم ، فما هو بعقدهم ، ولا نفثهم . قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : ما نقول من شيء من هذا ألا عرف أنه باطل ، وإن أقرب القول أن تقولوا : ساحر يفرق بين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك . فجعلوا يجلسون للناس ، لا يمر بهم أحد إلا حزروه إياه ، وذكروا له أمره . فأنزل الله في الوليد : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالاً ممدوداً ، وبنين شهوداً ، ومهدت له تمهيداً ، ثم يطمع أن أزيد . كلا ، إنه**

كان لآياتنا عنيداً . سأرهقة صعوداً . إنه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر . . ﴾ - المدثر /١١-٢٦ [١] .

فهذه شهادة الوليد بحلاوة القرآن وعذوبته ، مع أنه من صناديد قريش وعتاتهم .

مناسبة معجزة النبي لحال قومه :

من تتبع سيرة الأنبياء وجد أن حكمة الله اقتضت أن تكون بعض المعجزات في كل زمان من جنس ما يغلب على أهله من حيث الظاهر . لأنهم برعوا فيه ، فيكونون أكثر تدبراً وفهماً للمعجزة ، ومن ثَمَّ يقفون على الحد الذي يمكن للبشر الوصول إليه . فإذا شاهدوا ما هو خارج عن الحد المذكور علموا أنه من عند الله . وكان عجزهم دليلاً علىٰ صدق النبي .

ففي زمن موسى ـ عليه السلام ـ كان السحر غالباً على أهل مصر ، وكانوا بارعين فيه . فأيد الله موسى بعصاه التي تصبح حية تسعىٰ إذا ألقاها . وبيده التي تخرج بيضاء من غير سوء أذا أدخلها في جيبه . ولما علم كبار السحرة أن حد السحر إنما هو تخييل ، دون أن يغير الحقائق . وأن عصا موسى انقلبت حية تسعىٰ لتلقفَ ما يأفكون ، من غير أن يزداد حجمها ، علموا أن هذا خارج عن السحر فآمنوا بالله رب موسى وهارون ، رغم تهديد فرعون لهم . فإنه لما كان قاصراً عن هذه الصناعة وكان معانداً ظن أنه سحر أقوى من سحرهم .

وفي زمن عيسى ـ عليه السلام ـ كان الطب غالباً على كثير من الناس في ذلك الوقت ، وتناقلت الناس براعتهم فيه . فجاءهم عيسى يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله . فلما رأوا ذلك علموا أن هذا ليس من علم الطب في شيء . بل إنما هو من عند الله .

والعرب قبل بعثة رسول الله ﷺ كان الكلام والفصاحة فيه شعراً ونثراً

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٧٤ ـ ١٧٥ .

شغلهم الشاغل ، يعقدون لذلك الندوات ، ويقومون في الأسواق العامة والمواسم السنوية بخطبهم وشعرهم ، يتحدى بعضهم بعضاً ، ويتحاكمون إلى كبرائهم في ذلك الفن . حتىٰ إنهم علّقوا القصائد السبع أو العشر بباب الكعبة تحدياً لمعارضتها كما تذكر كتب السير والأدب ، وكان في ذلك فخر لهم . فأيد الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ بمعجزة القرآن ، وتحداهم في جنس ما برعوا فيه . وقد علم بالتواتر أن العرب كانوا في غاية العداوة لرسول الله ﷺ بعد البعثة ، وفي غاية الحرص على إبطال أمره . ومفارقة الأوطان والعشيرة وبذل النفوس من أقوى الأدلة على ذلك . فإذا أضيف إلى ذلك التقريع ، وهو قوله تعالىٰ ﴿ **ولن تفعلوا** ـ ﴾ عُلم أنهم لو كانوا قادرين على الإتيان بسورة من مثله لأتوا . فحيث لم يأتوا ، ظهر الإعجاز وثبت أنه من عند الله .

ومن الجدير بالذكر أن التحدي والإعجاز وقع بمجموع الفصاحة والأسلوب ، لا بمجرد الفصاحة .

ب ـ الإعجاز المعنوي :

إن الدليل على أن القرآن من عند الله ليس منحصراً في كونه فصيحاً بليغاً . بل البلاغة سبب من الأسباب الكثيرة الدالة على أنه من عند الله . ولا سيما من جهة معانيه التي أخبر بها عن الله وأسمائه وصفاته وملائكته ، وعن المعاد والحساب والجنة والنار وغير ذلك . فليس في غيره من الكتب السماوية المتقدمة من خبر عن ذلك إلا وقد زاده بياناً وتفصيلاً ، وأتىٰ به على أكمل وجه . حتى إنه قد أخبر عن أشياء ليست في غيره . وقد قرر أيضاً نبوة الأنبياء ورسالة المرسلين والشرائع الكلية التي بعث بها الرسل كلهم . وجادل المكذبين والمعاندين بأنواع من الحجج والبراهين . فهو شاهد للكتب السماوية السابقة ، يصدقها ويكذب ما حُرّف منها . قال سبحانه : ﴿ **بل جاء بالحق ، وصدق المرسلين** ﴾ ـ **الصافات / ٣٧ ـ.**

ومن تأمل فيما جاء به الأولون والآخرون في أصول الدين والعلوم الإلٓهية

وأمـور المعاد والنبـوات والأخلاق والسيـاسـات وغـير ذلـك من كمـال النفـوس وصلاحها وسعادتها ونجاتها لم يجد عندهم إلا بعض ما جاء في القرآن . ولهذا لم تحتج الأمة مع كتاب ربها وسنة نبيها إلى شيء آخر .

والقرآن متجدد في معانيه عند من تدبره وأنعم النظر بصـدق وإخلاص ؛ تتجلى فيه براهين الخالق جل وعلا في كل قراءة ، فتزيد المتدبر إيماناً وخشوعاً . وكان السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ تتجلىٰ لهم في الآيـة الواحـدة عوالم من ملكوت الله ـ عز وجل ـ فلا يريمون عنهـا الليل كله . قـال سبحانـه : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ، ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب** ﴾ ـ ص / ٢٩ـ .

ويظهر تجدده من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية والأمثلة المضروبة وغير ذلك مما أخبر عنه وبينه من الدلائل . قال سبحانه : ﴿ **ولقـد ضربنـا للناس في هذا القرآن من كل مثل** ﴾ ـ الروم /٥٨ ـ.

والمثل هو الأصل والنظير الذي يشبه به ويقاس عليه ويعتبر بـه . فضربـه يوضح صورة المقصود ويبين حكمه . وضرب الأمثال في المعاني نوعان :

ـ أحدهما : الأمثال المعينة التي يقاس فيها الفـرع بأصـل معين . وهي في القرآن بضع وأربعون مثلاً . ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيـل الله ، كمثل حبـة أنبتت سبع سنـابل ، في كـل سنبلة مـائـة حبـة . والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم** ﴾ ـ البقرة / ٢٦١ ـ.

وقوله جل جلاله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر . فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً . لا يقـدرون على شيء ممـا كسبوا . والله لايهدي القوم الكافرين** ﴾ـ البقرة / ٢٦٤ ـ.

ونظير ذلك القصص . فإنها كلها أمثال .

ـ ثانيهما : الأمثال الكلية . وهي تارة تكون صفات ، وتارة تكون أقيسة . ومن هذا النوع قوله سبحانه : ﴿ **مثـل الذين اتخـذوا من دون الله أولياء كمثـل**

العنكبوت اتخذت بيتا . وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم ما يدعـون من دونه من شيء ، وهـو العزيـز الحكيم . وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون ﴾ ـ العنكبوت /٤١-٤٣- .

والأمثال المضروبة في القرآن ، منها ما يصرح فيه بتسميته مثلاً . ومنها ما لا يصرح فيه بذلك[١] .

جـ ـ الإعجاز السماعي :

إن للقرآن إعجازاً نفسياً لدى القارىء والسامع . فهو متجدد عند قارئه ، يقرؤه فلا يسأمه ، وعند سامعه ، يسمعه فلا يمله . بل إن تكراره يوجب زيـادة محبته ، بخلاف غيره . دع القارىء المجود يرتل القرآن حق ترتيله ، نازلاً بنفسه عـلى هوى القـرآن دون العكس . فستجد نفسـك بإزاء وقـع غـريب عجيب . وستجد اتساعاً وائتلافاً يسترعي سمعـك ، لا تجده في كـلام آخر لـو جُوّد هـذا التجويد[٢] .

إنك تسمع القصيدة المتحدة الأوزان في الشعـر ، ثم لا يلبث سمعك أن يمجها ، وطبعك أن يملها إذا أعيدت وكررت . بينما أنت من القرآن في وقع على النفس متنوع متجدد ، تنتقـل فيه بـين أسباب وأوتـاد وفواصـل ، على أوضـاع مختلفة ، يأخذ كل منها بنصيب من قلبك ، فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم . بل لا تفتأ تطلب منه المزيد .

---

(١) مجمـوع فتـاوىٰ ابن تيميـة ٥٦/٤ ـ ٥٧ و ٦٥ ، ١٥/١٣ ـ ١٦ ، ٤٤/١٧ ، الجـواب الصحيح مجلة كلية القرآن الكريم ص ١٩٣ .

(٢) دأبت إذاعة (حول العالم) الداعية إلى النصرانية من (مونتيكارلو) تذيع نصوصاً من العهد الجديد ، تقرأ على نمط قراءة القرآن الكـريم ولهجته . وقـد فاتهم أمـر الفاصلة القـرآنية والإعجاز اللغوي والمعنوي والسماعي في القرآن . لا سيما وأن نصوصهم مترجمة ترجمة أقرب إلى الحرفية ، وليس لها فاصلة . فوقعها ثقيل على الأذن . وأين الثريا من الثرىٰ . ويا ليتهم لم يفعلوا ذلك أو يكفوا عنه من أجل مصلحتهم .

إن بنيان القرآن بهذه الصورة الهندسية العجيبة ، لا يمكن أن يصدر إلا من خالق البشر . ومن ثم أصبح الإعجاز العددي أو الحسابي يأخذ حيزاً من فكر المشتغلين بعلوم القرآن والغَوْص في أسراره[1] . فهذه التراكيب العجيبة بأعداد موزونة لا تفاوت فيها ، أمر يجعل الفكر في دهشة وانبهار من هذا الترابط البديع[2] .

أضف إلى ذلك الخشية التي تلحق قلوب سامعيه ، والهيبة التي تعتري تاليه . فمن الثابت أن القرآن كان يأخذ العرب بروعة بيانه ، ويستهوي أسماعهم ، ويأخذ بألبابهم ، فلا يملكون أنفسهم عن سماعه . كما حدث مع الوليد بن المغيرة . ولذلك حاولوا أن يحولوا بين القرآن وأسماع الناس . لأنهم يعلمون أن مجرد وصوله إلى السمع يحدث أثراً في النفس ووقعاً . وقد حكى القرآن عنهم ذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ **وقال الذين كفروا : لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيه ، لعلكم تغلبون** ﴾ ـ فصلت /٢٦ ـ .

حتى إن الخشية لتعتري قلوب من لا يفهم معانيه ، ولا يعرف تفسيره . فالنجاشي ملك الحبشة عندما قرأ عليه جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ القرآن فاضت عيناه بالدموع . وما زال يبكي مع أصحابه حتى فرغ جعفر من قراءته . ولما جاء وفد من النصارىٰ إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن بكَوْا وآمنوا . فنزل في حقهم قوله سبحانه : ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق . يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ ـ المائدة /٨٣ ـ.

وروى البخاري عن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت

---

(١) كما فعل الدكتور رشاد خليفة مستخدماً الحاسبات الإلكترونية . ونشر ذلك في مجلة آخر ساعة على دفعتين . ثم أتبع ذلك بمحاضرات سجلت على أشرطة . لكنه أصاب في مواضع ، وبالغ في مواضع ، وأخطأ في مواضع .

(٢) إظهار الحق ٢ /٥٤ ، النبأ العظيم لمحمد عبد الله دراز ص ١٠٢ ، مجلة كلية القرآن الكريم ص ١٩٣ .

رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور . وكان جاء في أُسارى بدر ـ ولابن حبان : في فداء أهل بدر ـ وهو يومئذ مشرك .

وللبخاري في المغازي : وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي . ولسعيد بن منصور : فكأنما صدع قلبي حين سمعت القرآن .

وعند البخاري في التفسير : سمعته يقرأ في المغرب بالطور . فلما بلغ هذه الآية ﴿ **أم خلقوا من غير شيء . أم هم الخالقون . . الآيات إلى قوله : المصيطرون** ﴾ كاد قلبي يطير[1] .

وصفوة القول : إن حسن الكلام يكون لثلاثة أسباب : أن تكون ألفاظه فصيحة . وأن يكون نظمه مرغوباً فيه . وأن يكون مضمونه حسناً . وثلاثة الأمور هذه متحققة في القرآن بلا ريب . فهو كما قيل : كلام قديم لا يُمل سماعه[2] .

د ـ الإعجاز العلمي :

إن وجوه إعجاز القرآن الكريم لا تقف عند الحد الذي ذكره الأقدمون . بل هو متجدد في معانيه . وإن أهل العلم ليكتشفون كل يوم في الكون ما كان مجهولاً بالأمس . فما يهل على الناس عصر حتى تتكشف لهم معاني القرآن في بعض النواحي أكثر مما تكشفت لأسلافهم . غير أن القرآن الكريم لا يهدف إلى عرض القوانين التي تسود نظام الكون في ميادين علوم الطبيعة أو الفلك ، أو فيما يخص الإنسان من العلوم الطبية أو نحو ذلك . بل إن له هدفاً دينياً جوهرياً معروفاً في إسعاد الإنسان في حياته . ومع ذلك فإنه يذكر أنواعاً كثيرة من الحقائق العلمية والظاهرات الطبيعية ، أتت الاكتشافات العلمية الحديثة مصدقة لها ومؤيدة . مع أنها لم تكن في عصر التنزيل تخطر على قلب بشر .

---

(١) فتح الباري ٢/٢٤٨ طبعة المطبعة السلفية ، والآية من سورة الطور / ٣٥ ـ ٣٧ ـ .
(٢) إظهار الحق ٢/٥٥ .

والقرآن الكريم إذ يثير هذه الوقائع ذات الصفة العلمية ، فإنما يرمي منها أن تكون إشارات ودعوات للملاحظة الإنسانية ، كي تدرك من ورائها عظمه الخلاق العليم . قال سبحانه : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾ ـ آل عمران / ١٩٠ .

وقال جل شأنه : ﴿ **قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الأيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** ﴾ يونس /١٠١ـ.

التوافق التام بين الحقيقة القرآنية والحقيقة العلمية :

لا ريب أن في الكون حقائق علمية ثابتة ، هي مخلوقة من قبل الله وحده . والعلماء إنما يحاولون اكتشافها ومعرفتها واستغلالها . والقرآن الكريم كلام الله خالق الأكوان والعوالم . لذا كان من أمحل المحال أن تتعارض حقيقة علمية مع حقيقة قرآنية . وإذا ما ظهر لأحد تعارض بين حقيقة علمية وحقيقة قرآنية ، فإن هذا ناتج عن خطأ في فهم إحدى الحقيقتين قطعاً . ولا بد من إعادة النظر من جديد .

فكثيراً ما يكون الأمر المكتشف مجرد فرض أو احتمال أو ظن . فيسارع بعض الناس ـ ولا سيما إذا بدا لهم أن في ذلك تعارضاً مع القرآن ـ ويقولون إنها حقيقة علمية . مع أن الفرضيات والاحتمالات ، إن هي إلا مجرد آراء لم تكتمل دراستها ، فضلاً عن أن تصل إلى درجة الحقيقة العلمية .

كم أرجف المرجفون بمحض احتمالات لنظريات كونية أو طبيعية ظنوا أنها تتعارض مع القرآن الكريم أو سوّل لهم فهمهم المغرض ذلك . ثم انجلىٰ الغبار ، فظهرت الحقائق ، وبطل ما كانوا يمكرون . ومن تتبع أقوال العلماء وما نشرته المجلات العلمية عن ثبات بعض الكواكب وعدم دورانها ، ومنها الشمس ، حتى إنهم سموها بالثوابت . ثم أضربوا عن ذلك ورجعوا عنه فقالوا : إنها تدور حول نفسها وتجري في مجرتها ساحبة معها مجموعتها . . وكذلك عن وجود حياة علىٰ سطح المريخ أو إمكانية ذلك وعدمه ، عرف تقلب الآراء

واختلافها . فكم تتبدل الاحتمالات وكم تتعدل . فلا بد إذاً من أن تكون الحقيقة العلمية حقيقة مسلماً بها قولاً وفعلاً قبل كل شيء .

أما الحقيقة القرآنية ، فلا بد من أن تكون قطعية الدلالة حسب اصطلاح علماء الأصول . أو على الأقل جرى تفسير النص القرآني وفق الأصول المتبعة في علم أصول التفسير .

إن فهم واحد من علماء المسلمين لقضية قرآنية لا يعد حجة على القضية القرآنية . فكم تحمس من متحمس لنظريات علمية لم تتأكد بعد ، فأذاع وأشاع أن القرآن قد سبق هذه القضية بأربعة عشر قرناً . وإذا ردت النظرية فماذا يكون ؟ .

وفي بعض الأحيان يكون الأمر بالعكس تماماً ، فيرد بعض الناس حقيقة علمية مسلماً بها ، لأنها تتعارض مع فهمهم هم للقرآن . وذلك لأنهم لم يتمرسوا في فهم الأسلوب العربي ودلالاته ، فظنوا أن ما فهموه قطعي الدلالة .

إن المسلمين يقرؤون القرآن بقداسة ودراسة . لكن لا بد قبل إعمال الرأي بالنص من التماس النصوص التي يفسر بعضها بعضاً ؛ فنطلب تفسير القرآن منه ، فإن لم نجد فمن السنة . وإذا لم نجد رجعنا إلى أقوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من نزول القرآن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح . ولا سيما علماؤهم وكبراؤهم . فإذا لم نجد في القرآن ولا في السنة ولا عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فقد ذهب كثير من الأئمة إلى الرجوع إلى أقوال التابعين كمجاهد وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وعكرمة وغيرهم . وقال بعضهم : أقوال التابعين ليست حجة على غيرهم ممن خالفهم .

أما إذا أجمعوا على الشيء ، فلا يرتاب في كونه حجة . فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم . ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب .

إن القرآن نزل باللسان الفصيح الوضيح . والعربي يقرأ القرآن بملكته . وساعة يقرؤه بملكته ، يستطيع أن يضع اللفظ في مكانه المناسب ، وإن لم يكن منطوقاً بذلك[1] .

وصفوة القول : إنه إذا التقت الحقيقة القرآنية مع الحقيقة العلمية فهو الأصل . لأن كلتيهما من عند الله . فلا بد من أن تلتقيا . وإذا ظهر تعارض ، فثمة خطأ في فهم إحدى الحقيقتين .

وعلى هذا يجب أن نفرق بين الحقيقة على أنها حقيقة بالمقاييس الصحيحة ، وبين الأمر يظن أنه حقيقة وليس كذلك . وأن يكون تفسير القرآن بالقرآن أولاً ، ثم بالسنة ، ثم بأقوال الصحابة والتابعين ، ثم يجري التماس اللغة وقواعدها وأساليبها وأحكامها . وإذا عرف التفسير من جهة النبي ﷺ أو أجمع عليه الصحابة أو التابعون ـ رضي الله عنهم ـ لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة . فأما تفسيره بمجرد الرأي فحرام .

أمثلة عن الإعجاز العلمي :

١ ـ مدار الشمس ومدار القمر :

قال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر ، كل في فلك يسبحون** ﴾ ـ الأنبياء/٣٣ ـ. وقال سبحانه : ﴿ **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار ، فإذا هم مظلمون . والشمس تجري لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون** ﴾ ـ يس/٣٧ـ٤٠ـ.

فالقرآن يذكر بوضوح أمراً جوهرياً ، ألا وهو وجود مدارٍ لكل من الشمس والقمر . كما يشير إلى تنقل هذين الجرمين في الفضاء ، كل بحركة خاصة[2] .

---

(١) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٣/٢٧ و ٣٦٤ و ٣٦٨ و ٣٧٠ .

(٢) دراسة لموريس بوكاي ص ١٨٣ .

٢ ـ توسع الكون :

قال سبحانه : ﴿ **والسماء بنيناها بأيد ، وإنا لموسعون** ﴾ ـ الذاريات/٤٧ـ.

وتوسع الكون أعظم ظاهرة اكتشفها العلم الحديث . وهذا الأمر قد ثبت اليوم تماماً ، والخلافات إنما هي في الطريقة التي يتم بها هذا التوسع باستمرار .

وهو يعتمد على معطيات مادية من خلال دراسات طيف المجرات ، فالانتقال المنهجي نحو اللون الأحمر من الطيف يجد له تعليلاً في تَنَحِّي المجرات بعضها عن بعض . وعليه ، فإن امتداد الكون لا يكفّ عن التوسع (١) .

٣ ـ تلقيح النبات :

قال سبحانه ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح** ﴾ ـ الحجر/٢٢ ـ.

قرر القرآن الكريم أن الله سبحانه جعل النبات أزواجاً . وهي حقيقة اهتدى إليها العلم حديثاً . فكل نبات له خلايا تذكير وخلايا تأنيث ، إما مجتمعة في زهرة واحدة ، أو في زهرتين في العود الواحد ، وإما منفصلة في عودين أو شجرتين . والمعروف أن الثمرة هي نتاج عملية التلقيح في النباتات العليا . فبعد وقوع غبار الطلع الذي تحويه الأعضاء المذكرة « الأسدية » على الأعضاء المؤنثة « الميسم والمبيض » في الزهرة ، تتم عملية الإخصاب ، وتبدأ الثمرة في التشكل .

والذي ينقل غبار الطلع من خلايا التذكير إلى خلايا التأنيث الرياح في الدرجة الأولىٰ ، فهي بمثابة اللواقح لتُكّون الثمرة . وهناك عوامل أخرى تَنقُل غبار الطلع كالنحل والذباب وسائر الحشرات .

وقد دلت الآية على هذه الحقيقة العلمية التي لم تكتشف إلا بعد صنع المجهر العادي (٢) .

---

(١) دراسة لموريس ص ١٩٢ .

(٢) دراسة لموريس ص ٢٠٠ وص ٢١٥ .

٤ ـ تكوّن اللبن في أنثى الحيوان :

قال سبحانه : ﴿ **وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين** ﴾ ـ النحل/٦٦ـ.

عندما يصل محتوى الأمعاء ـ الفرث ـ إلى مرحلة مناسبة ، فإنه يمر عبر جدار الأمعاء نحو الدورة العامة في البدن . ويتم هذا الانتقال بطريقتين : إما مباشرة بوساطة ما يسمىٰ بالأوعية اللمفاوية . وإما بشكل غير مباشر ، بوساطة الدورة البابية التي تقود هذه المواد إلى الكبد ، حيث تقع عليها بعض التعديلات ، ثم تخرج من الكبد لتذهب أخيراً إلى الدورة الدموية .

فالدم واللمف يوصلان الغذاء إلى الغدد الثديية التي تصنع وتفرز اللبن ، وتتغذىٰ هذه الغدد بمنتجات هضم الأغذية التي تأتي إليها بوساطة الدم الدائر .

إن هذه المعلومات لم تكن تعرف مطلقاً في عصر النبي ﷺ ولم يتم اكتشافها إلا بعد عشرة قرون تقريباً من نزول القرآن ، وتعد اليوم من مكتسبات الكيمياء الحيوية وعلم غرائز جهاز الهضم[1] .

٥ ـ أطوار النسل الإنساني :

في القرون الماضية كانت ضروب كثيرة من الخرافات تحيط بالنسل الإنساني . أما القرآن الكريم فإنه يقص علينا مراحله المتسلسلة بدقة وتحديد :

أ ـ قال تعالى : ﴿ **مالكم لا ترجون لله وقارا ؟ وقد خلقكم أطواراً !** ﴾ ـ نوح/١٣ـ١٤ـ.
أي حالاً بعد حال .

ب ـ وقال سبحانه : ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث ، فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ، لنبين لكم . ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمىٰ . ثم نخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم . ومنكم من يتوفىٰ ، ومنكم من يرد إلى أرذل**

---

(١) دراسة لموريس ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤ .

العمر ، لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً . . ﴾ ـ الحج / ٥ـ.

جـ ـ وقال جل جلاله : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفةعلقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر . فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ ـ المؤمنون/١٢-١٦ـ.

يـ ـ وقال جل شأنه : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه . وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴾ ـ السجدة/٧ـ٩ـ.

د ـ وقال تقدست أسماؤه : ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟! ألم يك نطفة من مني يُمنىٰ ؟ ثم كان علقة فخلق فسوىٰ ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ . أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتىٰ ؟ ﴾ ـ القيامة/٣٦ـ٤٠ـ.

و ـ وقال تعالى جده : ﴿ هل أتىٰ على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ ـ الإنسان/١ـ٢ـ.

يبين الله سبحانه لنا قدرته في خلق الإنسان ؛ فيقرر أنه قد مضى على الإنسان حين من الدهر لم يكن له فيه وجود ولا ذكر . ثم يشرح من خلال الآيات كيف أفاض عليه نعمة الوجود :

فبداية هذه السلسلة أنه سبحانه خلق آدم الذي هو أصل الإنسان وأبو البشر من تراب ، من سلالة من طين ، ثم من حمأ مسنون ، ثم من صلصال

---

(١) تفسير الماوردي ٤/٣٦٥ ـ ٣٦٦ ، التفسير الكبير للفخر الرازي ٣٠/٢٣٥ .

كالفخار ، ثم نفخ فيه الروح التي هي سر الحياة[1] ، والتي لم يطلع عليها أحداً . قال تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح ؟ قل الروح من أمر ربي . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ ـ الإسراء/ ٨٥ـ.

إذاً . فالإنسان مخلوق من تراب بكل ما تحمل هـذه الكلمـة من معنىٰ . وإن الخلية غير المصورة فيه « الميتوكوندريا » لتتكـون من الماء ، ثم من الأمـلاح المعدنية ، ثم من عناصر ثانوية ، ثم من عناصر أخرىٰ بكمية قليلة جداً ، بحيث نرىٰ في كل خلية حية قُرابة ثمانية عشر عنصراً من العناصر المعدنية المـوجودة في التراب[2] .

وثاني هذه السلسلة أن جعله يتكاثر عن طريق التوالد الذي يتم بعد الزواج بين الذكر والأنثى ؛ حيث قال سبحـانه : ﴿ **يـا أيها النـاس اتقوا ربكم الـذي خلقكم من نفس واحـدة ، وخلق منهـا زوجهـا ، وبث منهـما رجـالاً كثيـراً ونساءً . .** ﴾ ـ النساء/ ١ـ.

وتكاثر الإنسان إنما يكون عادة عن طريق اللقاء بين الحُوَيْن المنوي في نطفة الرجل وبين البييضة النازلة من مبيض الأنثى، ثم يعقُب ذلك أطوار أخرىٰ يحدث فيها التخلق.

فكلمة نطفة : تشير إلى كمية ضئيلة جداً نطفت من سائل .
وكلمة سلالة : تدل على شيء مسلول ـ أي مستخرج ـ من شيء .
وكلمة أمشاج : تدل على تركيب النطفة من أخلاط من عناصر شتى .
والسائل المنوي يتكون من إفرازات مختلفة تأتي من غـدد مختلفة[2] .

مخرج الماء الدافق :

ويبين الله سبحانه مكان ماءِ الرجـل والمرأة في الجسم فيقـول : ﴿ **فلينظر**

---

(١) الطب محراب الإيمان للدكتور خالص جلبي ص ٤٨ ـ ٤٩ وص ٥٩ .
(٢) دراسة لموريس الصفحات ٢٢٥ و ٢٢٨ ـ ٢٣٠ و ٢٣٥ وهو يعتمد على التفسير المنتخب .

الإنسـان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق . يخـرج من بـين الصلب والتـرائب ﴾ ـ الطارق/ ٥ـ٧ـ.

أي فلينظر الإنسان في أول نشأته ، من أي شيء خلق ؟ لقد خلق من المني المتدفق من الرجل والمرأة ، فهو الذي يتكون منه الولد بإذن الله . ومصدر هـذا الماء هو ما بين الصلب والترائب في جسم الإنسان . قـال حسن وقتاده : صلب الرجل وترائبه ١هـ .

والصلب : فقار الظهر ، والمراد أسفل العمود الفقري . والترائب : عظام الصدر[١] .

فعند الرجل تعد الخصية مصنع النطف أو الخلايـا المنويـة . فإذا نضجت سارت بأذنابها الطويلة عبر الأنابيب إلى البربخ ، حيث تقف قليلاً ثم تنتقل إلى قناة أخرىٰ (القناة الناقلة) تصعد بها إلى الأعلىٰ لتصب في خزان معد على جانبي جوف البطن من الجهة السفلية يسمىٰ بالحويصلات المنوية ، فتتجمع هنـاك أي بين الصلب والترائب إلى أن يحين الوقـت الملائم .

وعند الجماع تتدفق الخلايا المنوية عبر القناة الدافعة إلى الإحليل ، حيث تمتزج مع مفرزات غدة الموثة (البروستات) وغيرها لتشكل المني الذي يخرج على شكل دفقات متتابعة .

إن هذا السائـل الدافق وكـل ما سـاهم في تكوينـه من الأوعية الـدمويـة الشريانية والوريدية التي تغذي الخصية وبقيـة الأعضاء التنـاسلية ، ومن الجملة العصبية الودية ونظيرة الودية ، والأعصاب الشوكية وغير ذلك مما يساهم في تنظيم عملية الإفراز وغيره ، إنما مصـدره ومصدر تكـوينه من المنـطقة الـواقعة مـا بين الصلب والترائب[٢] .

أما عند المرأة فيعد المبيض المصنع الذي يكوّن بُيَيْضات المـرأة . والبييضة

(١) تفسير الماوردي ٤/ ٤٣٣ ، صفوة التفاسير ٣/ ٥٤٥ .

(٢) الطب محراب الإيمان ص ٦٢ ـ ٦٣ و ص ٦٥ ـ ٦٦ .

ليست وحدها في المبيض ، بل هي محاطة بكمية كبيرة من الخلايا ضمن قربة صغيرة تسمىٰ (جُريب دوغراف) يحتوي بداخله على سوائل هرمونية تهيء الرحم لاستقبال البييضة الملقحة .

وعند انفجار الجريب تندفع البييضة مع الماء الدافق باتجاه أحد حيواني البوقين (النفيرين) لتلج في البوق . وذلك في منتصف الدورة الشهرية للمرأة . وتسير هذه البييضة حتى تصل إلى الثلث الأول من البوق فتنتظر ، وهي لا تعيش أكثر من (٢٤) ساعة . أما الجريب ، فبعد أن يفرغ سوائله في فسحة البطن ، ينتقل إلى مهمة جديدة ، حيث يمتلىء بمادة صفراء هي هرمون خاص ، لذا يسمىٰ بالجسم الأصفر .

إن المبيض والصيوانين والبوقين والرحم والأوعية الدموية الشريانية والوريدية المسؤولة عن تغذية هذه اللأعضاء وبقائها . والأعصاب الودية ونظيرة الودية والشوكية المسؤولة عن التحكم في عمل هذه الأعضاء وإنتاجها . إنما تقع كلها في المنطقة الواقعة ما بين الصلب والترائب[1] .

طور النطفة :

وبعد الجماع يجري الإخصاب في البوق لبييضة انفصلت عن المبيض في منتصف الدورة الحيضية . والعامل المخصب مني الرجل ـ ويكفي لذلك كمية ضئيلة جداً منه ـ وبالتحديد الحُوين المنوي ، الذي ينطلق عبر الرحم إلى النفير والبوق ، وهو يضرب بذنبه الطويل ، ويشق عباب المفرزات بأسرع حركة . إن البوق الذي سارت فيه البييضة يعد نفقاً هائلاً بالنسبة لها ، وأكثر هولاً بالنسبة للنطفة . وتعبر النطفة المسافة في مدى ساعات حتى تصل إلى ثلث البوق حيث البييضة ، فتتهافت الحوينات أو الخلايا المنوية عليها . وتوجه البييضة بروزاً خفياً إلى من تختاره ممن يسبق إليها ، فينفتح جدارها ويلجه الحوين بقلنسوته المصفحة ويترك وراءه الذنب الطويل . ثم تضرب على نفسها حجاباً واقياً دون الحوينات

---

(١) الطب محراب الإيمان ص ٦٨ ـ ٧٠ .

الأخرىٰ ، فتموت كلها . وبهذا تتحول إلى بييضة ملقحة أو مخصبة .

إن في الخلية المنوية حيوية عجيبة ، وهو ما يسمى بالانقسام المنصف ، فالصبغيات أو المورثات التي تكمن فيها صفات الأب ، ليست كاملة ، بل يوجد نصفها بالضبط . ولذا فهي تنتظر بلهفة تلك اللحظة التي ستجتمع فيها مع البييضة التي تملك أيضاً نصف الكروموسات أو الصبغيات التي تنقل صفات الأم . وباجتماع النصفين يتخلق بشر سوي بإذن الله .

وفي جوف البييضة تقترب النواتان ، وتندمج الصبغيات وتكتمل ، فتتراكب الكروموسات على بعضها ويتخلق إنسان جديد له صفات الأب والأم معاً[1] .

تكون الذكر أو الأنثى :

وقوله تعالىٰ ﴿ **فَجعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ** ﴾[2] يدل على أن تحديد الجنس إنما يعود للنطف عند الذكر . لأن الضمير في «منه» يعود إلى المني . فالذكر هو الذي يحدد جنس الجنين .

وهذه حقيقة علمية كشف العلم الحديث عن سرها أخيراً بعد أن تم اكتشاف المجهر الكهربي (الاليكتروني) ، فاستطاع العلماء بوساطته رصد الصبغيات ونوعها وعددها . . .

إن تحديد الجنس يعود إلى الأيام الأولىٰ من تخلق الإنسان ، وبالضبط إلى اللحظة التي التقى فيها الحوين المنوي بالبييضة .

والحُوَينات المنوية نوعان من حيث حمل الصفات الجنسية : نوع يحمل صبغياً يرمز له بـ «X» وآخر يرمز له بـ «Y» ، وقد اكتشفوا أن الذكر تحوي خلاياه

---

(١) الطب محراب الإيمان ص ٦٣ و ٧١ ـ ٧٢ ، دراسة لموريس ص ٢٢٥ و ٢٢٨ ـ ٢٣٠ و ٢٣٥ .

(٢) القيامة / ٣٩ .

(٢٣) زوجاً من الصبغيات ، (٢٢) زوجاً منها تتعلق بالصفات الجسمية ، والزوج الأخير يتعلق بالصفات الجنسية ، وهو يكون من اجتماع صبغي (×) مع صبغي (Y)، فصبغة الذكر الجنسية هي (×Y) بينما وجدوا أن الأنثى لا تحوي خلاياها إلا نوعاً واحداً من الصبغيات الجنسية هي (×) فالصبغة الجنسية في خلايا الأنثى هي (٢٣) زوجاً ، (٢٢) زوجاً منها للصفات الجسمية ، والزوج الأخير هو (××) للأنوثة . فإذا التحم حُوين منوي يحوي صبغة (×) كان الجنين أنثىٰ . لأن بُييضة المرأة لا تحمل إلا (×) فتكون النتيجة هي (××) وهي صبغة الأنثىٰ . أما إذا التحم حُوين يحوي صبغة (Y) كان الجنين ذكراً . لأن الصبغة ستكون (×Y) وهي صبغة الذكر . وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالىٰ : ﴿ **وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ، من نطفة إذا تمنىٰ** ﴾ ـ النجم/ ٤٥ـ٤٦ـ. فالذكر هو الذي يحدد جنس الجنين بسبب الحوينات المنوية متغايرة الصبغة التي أودعها الله فيه[١] .

طور العلقة :

بعد أن يتم تلقيح البييضة تضرب في محيطها الخارجي جداراً كتيماً يمنع بقية النطف من الدخول فتموت . ثم تبدأ البييضة الملقحة بالانقسام بشكل سلسلة هندسية (٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢) وهكذا ويذكر بعض العلماء أنه يحصل لها قرابة خمسين انقساماً . وهذا ينتج عدداً ضخماً من الخلايا مع عدم زيادة حجم البيضة الأصلي. وفي أثناء هذا الانقسام تكون البييضة سائرة في نفق البوق حيث تدفعها التيارات المصلية الموجودة في البوق وتستغرق هذه الرحلة عبر هذا النفق قرابة عشرة أيام حيث يكون الانقسام قد أخذ ذروته . وعندما تصل إلى الرحم يكون الغشاء المخاطي للرحم مهيأً لاستقبالها . وتكون البييضة قد أصبحت على شكل حبة التوت من كثرة ازدحامها بالخلايا . ومن عجيب خلق الله أن جدار الرحم يكون مغلقاً ، لكن البييضة تمد أرجلاً كأرجل الأخطبوط ، فتعمل بقوة وعنف

---

(١) الطب محراب الإيمان ص ٧٦ ـ ٧٧ .

على فتح الجدار . فإذا تم لها ذلك دخلت وانطمرت في الرحم حيث يغلق الباب خلفها .

ويتحقق استقرار البييضة المخصبة في الرحم بوساطة تلك الامتدادات التي تمتد على مدار البييضة ، وهي ما يعرف بـالزغـابات الكـوريونيـة ، حيث تتعلق بجدار الرحم وتقوم بقضم محتوياته مع العروق الدموية ، فينسكب الدم الغزير على شكل برك تحيط بهذه العلقة ، وتمتص منه كل ما يلزم لتخلق الجنين . ويرجع تاريخ معرفة هذه الامتدادات إلى العصـور الحديثـة بينما ذكـرها القـرآن الكريم بصراحة حيث قال سبحانه : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق** ﴾ ـ العلق / ١ـ٢ـ.

فكلمـة «علق» تشير إلى مـا يعلق ويتشبث بشيء ، ولـو كـان عـلى وجـه التشبيه ، وسميت علقة لأنها تعلق بـالرحم . إن الاتفـاق بين القـرآن والمعرفـة الحديثة يثير الإعجاب حقاً[١] .

طور المضغة :

وبعـد انتهاء التشبث أو التعلق ، تصبـح العلقة عـلى شكـل كتلة لحميـة صغيرة ، تبدو للعين المجردة على هيئة المضغة ، كما لو كانت علكاً ممضوغاً ، وقد بدا عليه آثار الأضراس .

ولا يمكن في البداءة تمييز مظهر الكائن الإنساني فيها[٢] .

عملية التخلق :

ولو فتحنا هذه الكتلة لوجدنا فيهـا مكانـاً رقيقاً يشبـه اللوحة أو القـرص الصغير ، يختلف عن بقية المناطق . يسمى باللوحة المضيفـة .

---

(١) الطب محراب الإيمان ص ٧٤ ـ ٧٥ ، دراسة لموريس بوكـاي الصفحات ٢٢٦ و ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(٢) دراسة لموريس ص ٢٢٦ ، الطب محراب الإيمان ص ٧٨ .

إن أكداس الخلايا التي تكونت وشكلت ما يشبه حبة التوت ، يختص قسم منها بالتكوين الخارجي للمضغة ، ويختص قسم صغير منهـا في تكوين الخـريطة الأولى للمساحة الإنسانية . وهذه اللوحة يطلق عليها العلماء «مجموعة الـوريقات التي ستتخلق منها الأعضاء » وهي الوريقة الباطنية والظاهرة والمتوسطة[1] .

ثم تنمو المضغة ، ويتم فيها تدريجياً استكمال التخلق ؛ فيظهر ميـزابه في وسطها ، وهي التي ستكون في المستقبل الدماغ والنخاع . كما تظهر بجانبها قطع عرفت بالقطع البدئية . ومن هذه القطع تتولد الفقرات وامتدادها العظمي ، أي عظام الأطراف .

والعجيب أن العـظام تتكون بـالأصـل ، ثم تـأتي العضـلات بعـد ذلـك لتكسوها . وهذه المراحل ذكرها الله في القرآن حيث قال : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً . فكسونا العظام لحماً . ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ المؤمنون/١٢-١٤-.

فخلايا النسيج العظمي تظهر قبل خلايا النسيج العضلي . وهذه الحقيقة لم تعرف إلا في الستينيّات من القرن العشرين[2] .

ثم تبدأ عملية خلق أعضاء الجنين ، فطائفة من الخلايا تختص بالحواس ، وأخرى بالعظام ، وثالثـة بالعضـلات ورابعة بـالأجهزة . ويتكـون من الوريقـة البـاطنية الـرغـامىٰ والقصبـات والـرئتـان والبلعـوم والأنبـوب الهضمي والكبـد والمعثكلة .ويتكـون من الوريقـة المتوسـطة الجمجمـة ونسيـج الـرأس الضـام وعضلاته وعضـلات الأطراف وهيكـل العظام والجهـاز التناسـلي وغشاء الجنب والشـامور والصِفـاق والقلب والعـروق والبلغم والجملة البيـوليـة . ويتكـون من

---

(١) الطب محراب الإيمان ص ٧٥ .

(٢) الطب محراب الإيمان ص ٧٥ ، دراسة لموريس ص ٢٣٢ - ٢٣٤ .

الوريقة الظاهرة بشرة الجلد والعناصر الملحقة بها من غدد وأشعار وأظافر وأعضاء الحواس والجملة العصبية .

ويلاحظ أن بعض الأجزاء في أثناء ذلك تكون غير متناسبة مع ما سيكون عليه المخلوق في المستقبل . وإلى هذا تشير الآية ﴿ **ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء** ﴾ كما يذكر القرآن ظهور الحواس والأحشاء في قوله تعالىٰ : ﴿ **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة** ﴾ السجدة/ ٩ـ.

ومن العجيب أن كل مجموعة خلوية لا تعمل مستقلة ، بل تتعاون مع غيرها ، بحيث يأخذ كل جهاز مكانه الطبيعي[1] . وإلى ذلك يشير قوله تعالىٰ ﴿ **يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ؟ الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾ ـ الانفطار/ ٦ـ٨ـ.

سير التخلق :

ما إن يكتمل الشهر الثاني حتى يكون التكون قد اكتمل بشكل إجمالي ورسمت خريطته . ثم يدخل بعد ذلك في مرحلة الجنين الكامل ، حيث تتكامل أعضاؤه ، وتأخذ شكلها النهائي . كما أشارت الآية ﴿ **ثم أنشأناه خلقاً آخر** ﴾ ولنتابع تطور الجنين وتخلقه :

يبلغ طوله في بدء الشهر الثالث (٣) سم ، ووزنه (١١) غ . ويتميز بكبر الرأس ، حيث يقارب حجمه ثلث حجم الجنين . أما الأحشاء فتكون بارزة مع الكبد في حالة فتق .

وفي نهاية الشهر الثالث يبلغ طوله (١٠) سم ، ووزنه (٥٥) غ . ولا يلبث الفتق أن يزول ، وترجع الأحشاء مع الكبد إلى الداخل ، ويتكون موضع السرة .

وفي نهاية الشهر الرابع يصبح طوله (٢٠) سم ووزنه (١٧٠) غ ،

---

(١) الطب محراب الإيمان ص ٧٦ .

ويتشكل الجهاز الهضمي ، ويبدأ الكبد بالعمل ، ويبدو الجنين أحمر اللون متجعّد الجلد أصلع . وتكون خصيتاه في ظهره .

وفي نهاية الشهر الخامس يصبح طوله (٣٠) سم ، ووزنه (٦٥٠) غ ، ويظهر شعر الرأس ، وتبدأ غدد الجلد في العمل .

وفي الشهر الثامن يكون طوله (٤٥) سم ، ووزنه (٢٥٠٠) غ ، ويصبح لون الجلد أبيض وردياً بعد أن ذهبت تجعيداته . وتنفصل الأجفان ، وتنزل الخصيتان إلى الصفن .

وفي نهاية الشهر التاسع يكون طوله (٥٠) سم ، ووزنه (٣٢٥٠) غ ، وتكتمل الأجهزة ، ويكون الجنين في تمام الخلقة ينتظر أن يأذن الله بالولادة[١] .

إن الآيات القرآنية التي تذكر مبدأ خلق الإنسان وتطوره ، تعبر بألفاظ بسيطة عن حقائق علمية ، أنفقت لمعرفتها مئات السنين . ويتضح الإعجاز إذا قارنا ذلك بالمعلومات التي كانت سائدة في عصر التنزيل ، لندرك إلى أي مدى كان أهل ذلك العصر بعيدين عن حيازة مثل تلك المعلومات[٢] .

والحق يقال : إن العلم كلما تقدم ، وكُشِفَ عن المزيد من أسرار الكون وما حوى فإن المؤمن يزداد إيماناً بقدرة الخلاق العظيم ، وثقةً بالنبي الأمين ، وأن هذا القرآن من لدن حكيم حميد ، لا سيما وهو يرى الآيات التي تشير إلى قضايا علمية دقيقة ، لم يكشف عن أسرارها إلا في هذا القرن .

ولنستمع الآن إلى شهادة العالم والطبيب الفرنسي موريس بوكاي الذي أجرى دراسة للكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة حيث يقول في كتابه « القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم »[٣] :

إن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ، وبفضل الدراسة

---

(١) الطب محراب الإيمان ص ٧٦ و ٧٨ و ٨١ ـ ٨٢ .

(٢) دراسة لموريس ص ٢٣٤ .

(٣) انظر ص ١٣ ـ ١٤ .

الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث . أما بالنسبة للعهد القديم ، ففي سفر التكوين مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم الحديث رسوخاً في عصرنا . إن الإسلام (اعتبر) الدين والعلم توأمين متلازمين . . . ويقول أيضاً[1] : إن القرآن لا يحتوي على أية دعوى علمية غير مقبولة . وهذه الملاحظة تدحض فرض الذين يرون في محمد ﷺ مؤلفاً للقرآن . كيف يمكن لإنسان كان أمياً ، ثم أصبح بعد ذلك سيد الأدب العربي على الإطلاق أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي ، لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها ، وذلك بدون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة . إن هذه الاعتبارات العلمية ستقود إلى الحكم بعدم معقولية أن إنساناً يعيش في القرن السابع من العصر المسيحي قد استطاع أن يُصدر عبر القرآن ، وفيما يتعلق بموضعات متعددة أفكاراً لا تنتمي إلى أفكار عصره ، وتتفق مع ما أمكن إثباته بعد ذلك بقرون عديدة .

ويقول[2] : إن مقارنة عديد من روايات التوراة مع روايات القرآن في نفس الموضوع تبرز الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علمياً وبين مقولات القرآن التي تتوافق تماماً مع المعطيات الحديثة .

هـ ـ الإعجاز التشريعي :

القرآن كتاب مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم ؛ فقد جمع علوماً كلية ، ومعارف جزئية ، كما نبه على طرق الحجج العقلية بشكل لم يعهد في علم الشرائع مثله .

والعلوم نوعان : دينية وغير دينية .

والنوع الأول قسمان : علم عقائد وعلم أعمال .

---

(١) ص ١٥٠ .

(٢) ص ٢٨٦ .

فعلم العقائد عبارة عن معرفة الله وأسمائه وصفاته ونحو ذلك ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

والقرآن مشتمل على دلائل هذه المسائل وتفاريعها وتفاصيلها على وجه لا يقاربه فيه شيء من الكتب .

وعلم الأعمال هو علم التكاليف المتعلقة بالظاهر والباطن وغير ذلك من الأخلاق ونحوها . ويدخل في ذلك علم المعاملات وما يتبعها . وقد جاء في القرآن من مباحث هذا النوع ما لم يأت في غيره .

أما العلوم غير الدينية ، وهي العلوم التجريبية ونحوها ، فقد بين أن الله سخر للإنسان ما في الأرض جميعاً ، وجعله خليفة فيها ، وأمره بالنظر في السموات والأرض . وضرب بعض الأمثلة العلمية كما سلف .

فثبت أن القرآن جامع لجميع العلوم النقلية والعقلية ، أصولها وفروعها ؛ فيه تنبيه على أنواع الدلالات العقلية ، ورد على أرباب الضلالات الفلسفية ، ببراهين قاهرة ، وأدلة باهرة ، سهلة المباني مختصرة المعاني . وقد جمع بين الدليل ومدلوله ؛ فالقارىء إذا كان ممن يدرك معانيه ، يفهم مواضع الحجة والتكليف معاً في كلام واحد . لأنه ببلاغة الكلام يستدل على الإعجاز ، وبالمعاني يقف على أمر الله ونهيه ، ووعده ووعيده(١) .

وقد جاء القرآن بتشريع كامل شامل عادل ، صالح لكل زمان ومكان . جمع بين المثالية والواقعية ، من غير أن تطغى واحدة منها على الأخرىٰ ؛ فقد اشتمل على كثير من المبادىء السامية التي تدل على عظمته وأصالته وعدله . كما شهد بذلك علماء القانون من مسلمين وغيرهم . ومن هذه المبادىء ما يلي :

١ ـ مبدأ حرية العقيدة والرأي . ويتجلى ذلك في حسن معاملة أهل الذمة والمعاهدين .

---

(١) إظهار الحق ٢/٥٢ ـ ٥٤ .

٢ ـ قواعد عادلة في المعاملات بين الناس .
٣ ـ قوانين رحيمة حكيمة في الأحوال الشخصية .

٦ ـ تشريعات راسخة في النواحي المدنية « القانون المدني » .
٥ ـ تشريعات جمعت بين المثالية والواقعية في القصاص والحدود والتعزير « القانون الجزائي » .
٦ ـ أصول جمعت بين العدل والرحمة في معاملة الأمم الأخرى حرباً وسلماً « القانون الدولي » .
٧ ـ إرشادات أخلاقية وسلوكية في معاملة الأرحام والجيران وغيرهم من أصحاب الحقوق .

والقرآن الكريم يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث : لم يبق معروف تعرف العقول السليمة أنه معروف إلا أتى به ، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه . ولم يأمر بشيء ، فقيل : ليته لم يأمر به ، ولم ينه عن شيء ، فقيل : ليته لم ينه عنه . وأحل الطيبات ، لم يحرم شيئاً منها ، كما حُرم في شرع غيره ، وحرم الخبائث ، لم يحل شيئاً منها ، كما استحلها غيره . بل جمع محاسن ما عليه كتب الأمم ، فليس في التوراة والإنجيل والزبور إيجاب لعدل ، وقضاء بفضل ، وترغيب في الحسنات ، إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه .

وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها وعبادات الأمم السالفة ، ظهر له فضل عبادة هذه الأمة ورجحانها . وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع .

وأمته لا يستحلون أن يأخذوا شيئاً من الدين في جميع نواحيه من غير ما جاء به القرآن أو السنة ، فلا يبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله[1] .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٧٤ و٨٣ ـ ٨٤ .

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ـ رواه الشيخان ـ

وفي رواية لمسلم: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد.

أي مردود عليه غير مقبول منه . ونحن كما قال عمر بن عبد العزيز : متبعون لا مبتدعون . والعلماء المجتهدون إنما يفهمون النصوص ويطبقونها ، ويقفون عندها فلا يتجاوزونها بتحليل أو تحريم .

هذا ، ومن الجدير بالذكر أن الذين يبدعون في ناحية من العلوم ، إنما يحصلون على ذلك في جانب يختصون به بعد دراسة طويلة وجهود مضنية ، ومع ذلك فكثير منهم لا يتقن اختصاصه حقيقة .

فكيف استطاع هذا الأمي الذي عاش في بيئة جاهلية أمية ليس فيها مدرسة ولا كتاب مدون أن يأتي بنظام كامل شامل للفرد والأسرة والمجتمع ، وبنظام للحكم وعلاقات الأمم ، وبنظام لعلاقات الناس فيما بينهم وبين ربهم . بشكل أعجز الخلق عن مجاراته في أي جانب من جوانبه أو ناحية من نواحيه كما اعترف بذلك أساطين العلماء في مؤتمرات لاهاي وغيرها[1] .

قال المفكر فارس الخوري : إن محمداً أودع شريعته المطهرة أكثر من أربعة آلاف مسألة علمية واجتماعية وتشريعية . ولم يسع علماء القانون المنصفين إلا الاعتراف بفضل الشريعة التي دعا الناس إليها باسم الله ، وبأنها متفقة مع العلم ، ومطابقة لأرقى النظم . إن محمداً أعظم عظماء الأرض سابقهم . فقد استطاع أن يوحد العرب بعد شتاتهم ، وأنشأ منهم أمة واحدة ، فتحت العالم المعروف يومئذ ، وجاء لها بأعظم ديانة ، عينت للناس حقوقهم وواجباتهم وأصول تعاملهم ، على أسس من أرقىٰ دساتير العالم وأكملها[2] ا هـ .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٧٨ .

(٢) انظر آفاق جديدة في الدعوة الإسلامية ص ١٢١ .

قلت : والأستاذ فارس الخوري من رجالات سورية المعروفين بُعَيْد الاستقلال ، كان نصرانياً أريباً مفكراً . اطلع على سيرة النبي ﷺ وتعمق في دراسة الإسلام . ذكر فضيلة =

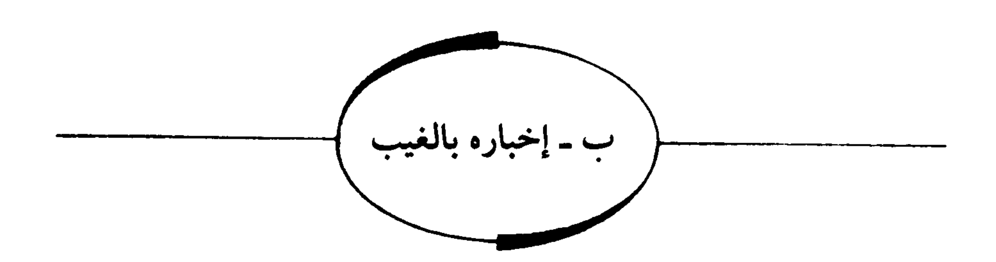
إن الإعجاز في معنى القرآن أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه. وعجز جميع عقلاء البشر عن الإتيان بمثل معانيه، أعظم وأكبر من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه. ولدى التأمل كان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والعقلية والأفقية ما يتبين لهم به أنه حق وصدق. قال سبحانه ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق. أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد؟** ﴾ - فصلت/٥٣- فكل ما ذكره الناس من الوجوه في إعجازه، هو حق وحجة على إعجازه. وليس ثمة تخالف. فإن كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له[(١)].

وصفوة القول في إعجاز القرآن: إن محمداً ﷺ رجل أمي، ظهر من قبيلة أمية بعيدة عن العلم، ونشأ في مكة، وكانت يومئذ خالية من الكتب العلمية والمباحث الحقيقية. ولم يسافر من تلك البلدة إلا مرتين إلى الشام بصحبة ناس من قريش لم يفارقوه، ولم يظهر لهم منه ما يلفت الانتباه. وكانت مدة سفره قليلة، بحيث لا يتمكن فيها من تلقي أي شيء من العلم ولو كان قليلاً. ولم يعرف أنه تتلمذ لأحد. انقضى من عمره أربعون سنة دون أن يخوض في أي مطلب علمي. ولو كان ثمة شبهة في ذلك لذكرها أعداؤه من قومه وأهله وأعمامه. ثم أظهر هذا الكتاب الفصيح في الألفاظ، البديع في الأسلوب، الجم في الفوائد، الغزير في المعاني والعلوم، الكامل الشامل في التشريع، البالغ في معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وتنزيهه عما لا يليق به هذا المبلغ العظيم. وذكر كثيراً من قصص الأولين وتاريخ الأقدمين. وقد خاض في تلك الأمور كلها دفعة واحدة بكلام عجز الأولون والآخرون عن معارضته أو مقاربته. فهذا ما لا يمكن أن يكون إلا لنبي عن سبيل الوحي

= الشيخ علي الطنطاوي في برنامجه اليومي مسائل ومشكلات أنه مات على الإسلام. وقد سمعت ذلك من غيره ممن عاصره واجتمع به في آخر عمره أيضاً.

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٦٤ و ٧٥.

والتنزيل . ولو كان من عند غير الله لظهر فيـه أنواع من الكلمـات المتناقضـة ، ولم يبرأ من التفاوت والاختلاف . إذ كل كتاب غيره حوى أنـواعاً من العلوم لا ينفك عن ذلك . قال تعالىٰ : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ؟ ولـو كان من عنـد غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ ـ النساء/٨٢ـ .



ب ـ إخباره بالغيب

أخبر محمد ﷺ عن مغيبات كثيرة متنوعة ، لا يمكن لأحد أن يعلمها إلا بتعليم الله سبحانه له . وهذا إعجاز دال على صدقه في دعوى النبوة والرسالة . فهو نبي الله ورسوله حقاً وصدقاً .

والمغيبات نوعان :

١ ـ متقدمة على زمانه . وهذا إخبار بالغيب الماضي .

٢ ـ غير متقدمة على زمانه ، وهي قسمان :

أ ـ إخبار بالغيب الكائن في زمنه ﷺ مما غاب عنه وعن أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ حال حياته .

ب ـ إخبار بالغيب المستقبل .

الإخبار بالغيب الماضي :

وهو ما أخبر به ﷺ من وقائع المتقدمين ، حوادث وقصصاً ، خبراً مفصلاً من غير قراءة كتاب ولا استفادة من إنسان . والقصص القرآني على قسمين :

١ ـ قسم لا يعرفه أهل الكتاب ؛ كقصة هود وصالح وشعيب ، وما جرى لهم مع أقوامهم عاد وثمود وغيرهم . وقد أنكر كثير من المستشرقين

اعتسافاً وجود هذه الأقوام والكوارث التي أصابتهم. بيد أنهم لم يلبثوا طويلاً حتى تبين لهم أن عاداً وثمود مذكورتان في تاريخ (بطليمو)، وأن اسم عاد مقرون باسم إرم في كتاب اليونان ، فهم يكتبونها « أدراميت » ويؤيدون تسمية القرآن لها بـ « عاد ، إرم ذات العماد » . وقد عثر المنقب التشيكي صاحب كتاب (الحجاز الشمالي) على آثار هيكل عند (مدين) منقوش عليه كتابة بالنبطية واليونانية ، وفيه إشارة إلى قبائل ثمود[1] .

٢ ـ قسم مذكور في كتب أهل الكتاب ؛ كقصة آدم وخلقه من تراب ، وإقامته في جنة عدن مع زوجه حواء ، ثم إخراجهما منها وهبوطهما إلى الأرض . وقصة نوح ودعائه على قومه ، وغرقهم بالطوفان . وقصة إبراهيم وما جرى له مع قومه ، ثم مع نسائه وأولاده . وقصة لوط وإهلاك قومه . وقصة يعقوب ويوسف وما جرى له مع إخوته عند أبيه ، ثم في مصر . وقصة موسى وما حدث بينه وبين فرعون ، ثم خروجه من مصر على رأس بني إسرائيل مع سرد آياته . وقصة داود وسليمان وتسخير الريح والجن له ، وتعليمه منطق الطير والنمل ، وإحضار عرش بلقيس ملكة سبأ . وقصة عيسىٰ وما جرى له مع اليهود ، مع ذكر بعض معجزاته ، ومنها إنزال المائدة على الحواريين ، ثم محاولة اليهود قتله وإخفاقهم في ذلك ، والتأكيد على أنه لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم . وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والظالمين وأحوال بني إسرائيل، مبينة بأصدق بيان مفصلة بأحسن تفصيل[2] .

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم لا يسرد القصة كما جاءت في أسفار أهل الكتاب ، بل يزيد عليها أموراً يجهلها أهل الكتاب ، ويصحح لهم كثيراً من الأخطاء التي وقعوا فيها .

فمما لم يكن يعلمه أهل الكتاب ولا ذكر في كتبهم : قصة ابن نوح وكفره

---

(١) انظر مطلع النور لعباس محمود العقاد ص ٧٤ ، والآية من سورة الفجر / ٧ .
(٢) الجواب الصحيح ١/ ٤١ ، ٤/ ٢٣ .

وغـرقه بـالطوفـان . وإضرام النـار لإحراق إبـراهيم . وإيمان امـرأة فـرعـون . وإنجاء جسد فرعون بعد موته غرقاً .

ومما صححه لهم من معلومات مغلوطة : أن الذي صنع العجـل الذهبي لبني إسرائيل في غيـاب موسى هـو السامـري ، وليس هارون نبيّ الله . بـل إن هارون نَصحهم ، لكنهم أصروا على فعلتهم .

ومن ذلك قولهم : إن موسى وهارون وسبعين من شيوخ بني إسرائيل رأوا الله . .

بينما يذكـر القرآن أن هـذا ما كـان ، ولا ينبغي أن يكون ﴿ **وإذ قلتم يـا مـوسى لن نؤمن لـك حتى نـرى الله جهـرة ، فـأخـذتكم الصـاعقـة وأنتم تنظرون** ﴾(*) كما يذكر القرآن أن موسى سأل ربه الرؤية فقـال ﴿ **قال رب أرني أنظر إليك . قال لن تراني . .** ﴾ ـ الأعراف/١٤٣ ـ.

ومن ذلك تكليم المسيح للناس في المهد ، ونزول المائدة على الحـواريين ، وأن المسيح لم يقتل ولم يصلب ، ولكن شبه لهم وغير ذلك[1] .

وإخباره ﷺ بمثل هذه الوقائع عن الأمم الهالكة والقرون الغابرة ، لا يعدو أحد احتمالات ثلاثة :

١ ـ إما أن يكون كاذباً فيما يخبر به ، وقد نسجه من خياله .
٢ ـ وإما أن يكون تعلم من بشر وصل إليه عن طريق نبي . وهذا المعلم ، إما أن يكون من قومه ، أو من غيرهم من أهل الكتاب اليهود أو النصارىٰ .
٣ ـ وإما أن يكون وحياً أوحاه الله إليه . فهو نبي مرسل .

وسنرى أي احتمال يصدق عليه بعد التجرد من الحقد والهوىٰ :

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٥٤ .
* البقرة / ٥٥ .

مناقشة الاحتمال الأول :

يستدل على صدق محمد ﷺ فيما أخبر عنه من هذه الحوادث والقصص الماضية ، وأنه لم ينسجها من خياله بما يلي :

أولاً : تصديق أهل الكتاب له فيما وافقهم فيه ، مع علمهم بأنه لم يتعلم منهم :

فإخباره بمثل ما أخبر به الأنبياء قبله ، من غير مواطأة بينه وبينهم ولا تشاعر ، فلم يأخذ عنهم ولم يأخذوا عنه ، مع أن كلاً منهم أخبر بأخبار مفصلة ، يمتنع في العادة الاتفاق عليها إلا بتواطؤ، يدل على أن كل واحد منهم صادق فيما أخبر به[1] .

ثانياً : إن قومه المعادين له يعلمون حق العلم أنه صادق فيما يقول. وهم مع قوة عداوتهم له ، وحرصهم على ما يطعنون به عليه ، لم يتمكنوا من أن يطعنوا فيه طعناً يقبل منهم . فقد قالوا عنه : شاعر وساحر وكاهن ومجنون وغير ذلك . وهم معترفون بأن ما يقوله ليس بشعر ولا كهانة ، وأنه ليس بساحر ولا مجنون. وإذا اجتمعوا وتشاوروا في أمره اعترفوا بأن هذا كذب ظاهر عليه ومحض افتراء ، كما نقل عنهم، وذكره من أسلم منهم بعد إسلامه.

ثالثاً : ويكفي في الدلالة على صدقه تأييد الله له ، وإظهاره على المشركين وسائر الكفرة تأييداً وإظهاراً لا يمكن معارضته . وكذلك إظهار أمته من بعده على سائر الأمم . مع أن الأنبياء قبله قد أخبروا أن المتنبىء الكذاب لا يؤيده الله ، ولا يتم أمره ، بل مصيره القتل ، كما سيأتي في البشارات إن شاء الله . وقد ادعىٰ النبوة كذابون كثيرون من بعده ، فكان مصيرهم القتل ، كمسيلمة الحنفي والأسود العنسي وسجاح وطليحة الأسدي والحارث الدمشقي وبابا الرومي[2] .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٢٢ و ٥٤ .

(٢) الجواب الصحيح ١/١٤١ ، ٤/٤١ .

مناقشة الاحتمال الثاني :

والدليل على أنه لم يتعلمه من بشر يأتي من الوجوه التالية :

أولاً : من الثابت تاريخياً ، بل قد نقل بالتواتر أن محمداً ﷺ كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة باللغة العربية فضلاً عن أن يحسن لغة غيرها ، أو يشتغل بمدارسة العلماء .

قال تعالىٰ : ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك ، إذا لارتاب المبطلون** ﴾ ـ العنكبوت/٤٨ ـ. فلم يقرأ في صحيفة مكتوبه ، ولا كتب شيئاً بيده منذ ولد إلى أن توفاه الله سبحانه . وإنما كان له كتاب بعد البعثة يكتبون له الوحي والرسائل . ولو كان ثمة شيء من ذلك لارتاب في أمره المبطلون من أهل الكتاب فقالوا : إن النبي الذي نجده في كتبنا أمياً لا يقرأ ولا يكتب . وهذا يقرأ ويكتب . ولارتاب أيضاً مشركو العرب فقالوا : لعله تعلمه من غيره وكتبه بيده .

ومعلوم أن من يتعلم من غيره ، إما أن يأخذه تلقيناً وحفظاً ، وإما أن يأخذه من كتابه . ومحمد ﷺ لم يتعلم شيئاً من أحد بشهادة قومه المعادمين له ـ كما سيأتي ـ ولم يكن يقرأ شيئاً من الكتب من حفظه . والذي يأخذ من كتاب غيره ، إما أن يقرأه ، وإما أن ينسخه . وهو ﷺ لم يكن يقرأ أو ينسخ[١] .

ومن الجدير بالذكر أن العهد القديم لم يكن ترجم إلى اللغة العربية في ذلك الوقت . وأول ترجمة إلى العربية جرت في أوائل العصر العباسي ، أو عند منصرم العصر الأموي . وليس ثمة قرائن تدل على وجود ترجمة عربية سابقة لظهور الإسلام ، كما ذكرت الموسوعة البريطانية[٢] .

وقد قام بالترجمة عالم يهودي اسمه (سعدية بن يوسف) عاش ما بين عامي ٨٩٢ م ـ ٩٤٢ م ، غير أن الترجمة كانت بأحرف عبرية . ثم قام من بعده

---

(١) الجواب الصحيح ١/١٤١ ، ٤/٣٤ ، إظهار الحق ٢/٥١ ـ ٥٢ ، الكشاف ٢/٤٩٨ .

(٢) ٢/٨٨٩ . انظر التوراة بين الوثنية والشرك لسهيل ديب ص ٢٦ .

(يافث بن علي) وهو يهودي من القرائين ، بترجمة ثانية إلى العربية في القرن العاشر الميلادي . وفي القرن الثالث عشر للميلاد قام (أبو سعيد أبو البركات) بترجمة ثالثة إلى العربية . وفي متحف لينينغراد توجد اليوم أجزاء من هذه الترجمات ، تعود إلى القرن السادس عشر . غير أن تلك الترجمات المتقدمة تختلف كثيراً عن بعضها ، تبعاً للأصل المترجم عنه ، فقد يكون عبرياً أو يونانياً أو سريانياً أو قبطياً أو لاتينياً . كما فصلت الموسوعة البريطانية .

هذا . وقد قام رجال دين كاثوليك وبوتستانت بتراجم حديثة إلى العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين. ومنها ترجمة صادرة عن المطبعة الكاثوليكية في بيروت ، وقد حصل لها عناية وتحسين على التوالي . أما الترجمة البروتستانتية ، فلم تتغير منذ وضعها في القرن السالف . ولذلك كانت لغتها أقل جودة ، بل ركيكة في بعض الأحيان . وثمة فروق أساسية بين النصين المقبولين لدى الطائفتين[1] .

ثانياً : قد علم بالتواتر أن المشركين من قريش وغيرهم لم يكونوا يعرفون هذه القصص ولا أمثالها . بل كانوا أمّة أمية ، عارين حتى عن العلوم العقلية ، قلَّ فيهم من يحسن القراءة والكتابة . قال تعالىٰ : **﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾** ـ الجمعة/٢ـ.

أي بعث في الأميين رسولاً أُمّياً مثلهم ، يتلو عليهم آياته . . ولو كان غير أمي لكذبه قومه ، وفي مقدمتهم المؤمنون به . وكذلك قومه الذين نشأ بينهم ، فقد كانوا أميين وثنيين جاهلين بعقائد الملل وتواريخ الأمم ، وعلوم الشرائع ، والفلسفة ، حتى إن مكة لم يكن فيها مدرسة ولا كتاب مدوّن قط . فما جاء به محمد ﷺ من الدين التام والتشريع الكامل العادل وغير ذلك من آيات الله والحكمة، لا يمكن أن يكون مكتسباً من غيره ولا مستنبطاً من فكره. بل إنما هو

---

(١) التوراة بين الوثنية والشرك ص ٢٦ ـ ٢٧ ، وهو يقتبس عن اللغة العربية وبعض مشكلاتها لأنيس فريحة ص ٢٨ طبعة دار النهار بيروت .

محض وحي من رب العالمي . قال تعالىٰ عقب قصة نوح : ﴿ **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك . ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا . فاصبر إن العاقبة للمتقين**﴾ ـ هود/ ٤٩ـ.

فإذا كان قومه لا يعلمون ذلك ، وهو لم يعاشر إلا قومه ، فكيف يتعلم منهم !؟ وقومه يعلمون أنه لم يعاشر غيرهم . فمن ثم قامت الحجة عليهم وعلى من بلغه الأمر من بعدهم[1] .

وقال سبحانه عقب قصة يوسف التي ذكرها بالتفصيل ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك . وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم ، وهم يمكرون** ﴾ ـ يوسف/١٠٢ ـ.

وقال جل شأنه عقب قصة موسىٰ ﴿ **وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ، وما كنت من الشاهدين** ﴾ ـ القصص/ ٤٤ـ.

وقال جل جلاله في قصة مريم : ﴿ **وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ؟ وما كنت لديهم إذ يختصمون** ﴾ ـ آل عمران/ ٤٤ـ.

وصفوة القول : إنه إذا لم يكن خُلق حال حدوث تلك القصص ، ولم يتعلمها من أحد . فمن أين جاء بها ؟ .

ثالثاً : إن أخبار محمد ﷺ منذ وُلد إلى أن بعث ثم مات مستفيضته مشهورة متواترة . فقد ظهر أمره ، وانتشرت أخباره ، وتواترت أحواله أكثر من سائر بني آدم .

وقد علم بالتواتر أنه ولد في مكة ونشأ بها ، بعد أن كان مسترضعاً في بني سعد بن بكر . وكانت مكة من الصغر بحيث يعرف أهلها أخبار بعضهم معرفة تامة . ومن حكمة الله أنه لم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ، لا من اليهود ولا من النصارىٰ . بل كان المشركون في أول الأمر يرسلون إلى البلاد التي فيها

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٢٣ و٥٣ ، إظهار الحق ٢/٥١ ـ ٥٢ ، الكشاف ٢/٤٩٨ .

علماء من أهل الكتاب ، يسألونهم عن أمر محمد ﷺ فيرسل اليهود إليهم بمسائل يمتحنون بها نبوته[1] .

روى ابن إسحاق عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : بعثت قريش النَضْر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة . فقالوا لهما : سلاهم عن محمد ، وَصِفا لهم صفته . فإنهم أهل الكتاب . وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء . فخرجا حتى قدما المدينة . فسألاهم عنه ، ووصفا لهم أمره . فقالت لهما أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإلا فهو رجل مُتقوّل . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان أمرهم ؟ فإنه كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، فما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟ فأقبلا حتى قدما مكة . فقالوا : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد . قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فجاء رسول الله ﷺ فسألوه عما أخبرهم أحبار يهود . فجاء جبريل بسورة الكهف ، فيها خبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف . وجاء بقوله : ﴿ **ويسألونك عن الروح ؟ قل الروح من أمر ربي . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ ـ الإسراء/ ٨٥ ـ .

إن قومه يعلمون حق العلم أنه لم يتعلم من أهل الكتاب ولا من غيرهم . ولم يجتمع بأحد من علماء أهل الكتاب ممن يعرف اللسان العربي . لأنهم يعلمون أنه لم يغادر مكة قبل البعثة إلا مرتين تحت سمعهم وبصرهم . مرة وهو صغير يقارب عمره اثني عشر عاماً مع عمه أبي طالب في نفر من قريش . لم يفارقه فيها ، حتى رآه الراهب بحيرا ، فعرفه من صفاته ، وألح على عمه أن يرده إلى مكة مخافة أن تعرفه يهود . فرده ـ كما سيأتي ـ وأخرى وهو كبير مع ركب من قريش في تجارة . لم يفارقهم فيها أيضاً . ولا خلا أو اجتمع بأحد دونهم . فإذا كان لم يسافر إلا هاتين السفرتين ، ولم يره بحيرا إلا بعض نهار مع نفر من قريش . ولم يكلمه إلا كلمات يسيرة ، يستخبر بها عن حاله . فكيف يتعلم من أهل الكتاب

---

(١) الجواب الصحيح ١/ ٤١ ، ٤/ ٥٧ .

تلك العلوم كلها في سفرتين صغيرتين ؟ وهو أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ![1] .

فإذا أتى قومه ببيان ما في الصحف الأولى مع علمهم أنه لم يعاشر أحداً من أهل الصحف الأولىٰ ، ولا استفاد من أحد منهم ، كان هذا من أعظم الدلائل على أنه نبي مرسل .

رابعاً : لو أنه تعلم هذه القصص المتنوعة من أهل الكتاب مع عداوتهم له وعداوته لهم ، لأخبروا بذلك وأظهروه . ولو فعلوا لنقل إلينا وعرف . فإن هذا من الحوادث التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها . وكيف يتعلم من أهل الكتاب ، ومكة لم يكن بها من يعرف ذلك من يهودي أو نصراني !؟ .

ولما هاجر ﷺ إلى المدينة ، وكان بها كثير من اليهود ، كانت العداوة متأججة بينه وبينهم . فكانوا يسألونه إحراجاً وتعجيزاً عن الغيوب التي لا يعلمها إلا نبي ـ وهي غير المسائل التي كانوا يرسلون بها إليه أو يسأل عنها وهو في مكة ـ فيخبرهم ويتلو عليهم ما أوحاه إليه ربه . فآمنت طائفة منهم وكفرت طائفة . والطائفتان ليس فيهم من يقول : إن هذا تعلمه منا أو من نظرائنا ، ولا أنه قرأه في كتبنا . مع أنه لو تعلمه منهم ، لكانوا أساتذته ، ولا متنع أن يصدقوه ظاهراً وباطناً ، لا سيما وهو يفعل فيهم ما يفعل لغدرهم وعدم وفائهم . ومن أسلم منهم فإنما كان يقبل على المقاطعة والحرمان . فلما لم ينقل ذلك عنهم كان دليلاً قاطعاً بيناً على أن هذه الأخبار إنما هي من علم الغيب الذي نبّأه الله به[2] .

عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال : كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد . فدفعته دفعة كاد يصرع منها . فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول : يا رسول الله ؟ فقال اليهودي :

---

(١) الجواب الصحيح ١/١٤١ ، ٣/٢٤ ، ٤/٣٤ ، إظهار الحق ٢/٥١ ـ ٥٢ .

(٢) المصدر السابق ٣/٢٥ ، ٤/٥٧ ـ ٥٨ .

إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله . فقال رسول الله ﷺ : إن اسمي محمد ، الذي سماني به أهلي . فقال اليهودي : جئت أسألك . فقال رسول الله ﷺ أينفعك شيء إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذنيّ . فنكتَ رسول الله ﷺ بعود معه ، فقال : سل . فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ﷺ : في الظلمة دون الجسر . قال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : فقراء المهاجرين . قال اليهودي : فما تُحفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كَبِد النون . قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : يُنحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها . قال : فما شرابهم ؟ قال : من عين فيها تسمىٰ سلسبيلا . قال : صدقت . قال : وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد إلا نبي أو رجل أو رجلان . قال : ينفعك إن حدثتك ؟ قال : اسمع بأذنيّ . قال : جئت أسألك عن الولد ؟ قال : ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر . فإذا اجتمعا فعلا منيّ الرجل مني المرأة ، أذْكَرا بإذن الله . وإذا علا مني المرأة منيّ الرجل ، آنثا بإذن الله . قال اليهودي : صدقت . وإنك لنبي . ثم انصرف فذهب . فقال رسول الله ﷺ : لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه ، ومالي علم بشيء منه ، حتى آتاني الله عز وجل به ـ أخرجه مسلم ـ.

وعن صفوان بن عسال ـ رضي الله عنه ـ قال : قال بعض اليهود لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي . فقال صاحبه : لا تقل نبي ، إنه لو سمعك كان له أربعة أعين . فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات ؟ فقال لهم : لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان لقتله ، ولا تسحروا ، ولا تأكلوا الربا ، ولا تقذفوا محصنة ، ولا تُولوا الأدبار يوم الزحف ، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت . فقبلا يده ورجله . وقالا : نشهد أنك نبي ، فقال : ما يمنعكما أن تتبعاني ؟ قالا : إن داود دعا ربه أن لا يزال من ذريته نبي ، وإنّا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود ـ أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد ، وقال الترمذي : حسن صحيح ـ.

خامساً : إن قومه كانوا من أشد الناس عداوة له ، وأحرصهم على تكذيبه ، وأكثرهم بحثاً عما يقدحون فيه بنبوته . ولو أنه تعلم هذه الأخبار من بشر لعلموا بذلك ، ولطعنوا فيه وأظهروه ، ولتناقلته الناس . فإنهم كانوا أعرف الناس بحاله من مولده إلى مبعثه . ومع كمال علمهم بحاله ، يمتنع أن لا يعلموا ذلك لو كان . ومع حرصهم على القدح فيه ، يمتنع ألا يقدحوا فيه ، ويمتنع ألا يظهر ذلك ويصل إلينا . فإنه لو وقع لكان من أعظم ما تتوفر الدواعي على نقله وإشاعته . بل إن المؤمنين به والمتبعين له ، إذا اطلعوا عليه ، فلا بدّ أن يشيعوه ويعلنوه ، فكيف بالمخالفين له والمكذبين ؟! . فلما لم يقع دل على أنه لم يكن ، وعلم أن ما علّمه لقومه إنما هو نبأ أنبأه الله به ، وكان هذا من أعلام نبوته وبراهينها[1] .

قال تعالى : ﴿**قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ، ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ، أفلا تعقلون**﴾ - يونس/١٦- .

---

(١) الجواب ٣/٢٩ - ٣٠ و ٢٦٢ ، ٤/٢٥ و ٥٤ - ٥٥ .
هذا . وإن قومه المكذبين له مع حرصهم على الطعن فيه وعلمهم بحاله ، لم يقل أحد منهم ما يمكن أن يكون شبهة في تعلمه من أهل الكتاب . بل إنما قال بعضهم ما ظهر بطلانه لكل أحد : فقد كان بمكة رجل أعجمي مملوك لبعض قريش ، فألجأ الحقد بعضهم إلى أن ينسب إليه التعليم ، فادعى أن محمداً كان يتعلم منه . فبين الله سبحانه أن هذا كذب ظاهر فقال : ﴿**لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين**﴾ النحل / ١٠٣ ، أي إن ذلك الرجل لا يحسن التكلم بالعربية ، وغايته أن يعرف قليلاً من كلام العرب الذي يحتاج إليه في العادة ، ومحمد ﷺ لا يحسن التكلم بغير العربية ، فكيف يميلون ويضيفون هذا العلم لذلك الرجل ؟!!!

انظر الجواب الصحيح ١/١٤١ ، ٣/٢٦١ - ٢٦٢ ، ٤/٢٨ .

قلت : ومن المعلوم أن أهل الكتاب ، ولا سيما النصارى ، يقصرون علوم دينهم على رجال الدين . وهذا الأعجمي ليس من رجال الدين ، فكيف يعلم محمداً ﷺ كل هذه الأمور ، مع أن فاقد الشيء لا يعطيه ! ولا يمكن لمثل هذه الأمور أن تؤخذ عن طريق التسامع مع عوامهم ، لو فرض أنه خالطهم في سفره . لأنهم لا يعلمون إلا النزر اليسير . والحاصل أنه لم يغب عن قومه غيبة يمكن له التعلم فيها من غيرهم .

سادساً : لو أنه تعلم من غيره لكان لا بد أن يعرفه ولو خواص الناس ، وبالتالي لا بد أن يفشو ويشيع ، حتى لو تواصوا بكتمانه عن طريق الترغيب أو الترهيب، ولكان خواصهم يعلمون في الباطن أنه كذاب وإن صدقوه ظاهراً . مع أن الوقائع تثبت أن تصديقهم الظاهر والباطن له بلغ حد العجب لدى المشركين . وكان أخص أصحابه وأعلمهم بحاله أعظمهم محبة له وفداءً ، مع أنهم لا قوا باتباعه الأذى والحرمان(١) .

إن الملوك والرؤساء كثيراً ما يجتهدون في إخفاء ما يبطنون من أمر ملكهم أو رئاستهم ، فيأخذون العهود والمواثيق على أوليائهم وأنصارهم ليكتموا ذلك ، ويبذلون لهم الرغبة والرهبة ، ثم يظهر ذلك ولو بعد حين . فمثل هذا لو كان بين محمد ﷺ وأصحابه لشاع كما شاع ما كتم من أمر الدينات الباطنية وبروتوكولات حكماء صِهْيَوْن ، مع شدة الحرص وتحري الدقة .

ثم إن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قد وقع اختلاف فيما بينهم بعد وفاة رسول الله ﷺ ومع ذلك لم يذكر أحد منهم شيئاً من هذا القبيل البتة . بل على العكس إنه ﷺ قد أخبر الانصار الذين آووه ونصروه أنهم سيلقون من بعده أَثَرَه ، حيث يغمطهم الناس حقوقهم ، وقال لهم : اصبروا حتى تلقوني على الحوض .

سابعاً : إن محمداً ﷺ أنزل عليه في القرآن ما لا يوجد عند أهل الكتاب مثل قصة هود وصالح وشعيب ، وبعض التفاصيل في قصة إبراهيم وموسى وسليمان وعيسى ، ومثل إيمان امرأة فرعون . وتكليم المسيح للناس في المهد ونزول المائدة على الحواريين ، وأن المسيح لم يقتل ولم يصلب ، ولكن شبه لهم ، وغير ذلك .

فهذا وأمثاله لا يعرفه أهل الكتاب ، فيمتنع أن يقال : تعلمه منهم ، وقومه أيضاً لم يكونوا يعلمون ذلك ، فلم يبق إلا أن يكون وحياً أوحاه الله إليه(٢) .

ولو أنه كان يَتَعلم من أهل الكتاب لما زاد هذه الزيادات ولما خطأهم في بعض ما ذكروه ، بل لكان يوافقهم فيما تعلمه منهم ،ويجمل القصة إجمالاً حتى لا يفتح

(١) الجواب الصحيح ٤/ ٢٥ و ٥٥ .
(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٥٤ .

على نفسه باب معارضتهم ، إذ لا يليق بالعاقل أن يقدم على فعل يمنعه من مطلوبه ، ويبطل مقصوده من غير فائدة .

ومخالفة القرآن في بعض المواضع لكتب أهل الكتاب ، إما لعدم كون هذه الكتب أصلية ، أو لعدم كونها إلهامية . قال تعالىٰ : ﴿ **إن هذا القرآن يقص على بني إسائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون** ﴾[1] ـ النمل/٧٦ـ.

هذا . **وقد قام العالم الفرنسي موريس بوكاي بعمل مقارنة** بين الروايات القرآنية ، وروايات التوراة ، فيما يختص بهذا الموضوع ، وقد تبين له أن الآيات القرآنية لا صلة لها البتة بالعهد القديم ، ولا علاقة لها إطلاقاً بتلك الأوهام التي يبرزها المعلقون على التوراة ، مثل الأب كوروايبه وغيره .

فقد عالج موضوع خلق العالم في دراسة نقدية في العهد القديم وفي القرآن، وقام ببعض المقارنات من ص ٤٠ ـ ص ٤٧ .

وعن الطوفان من ص ٥٢ـ ص٥٤ ، وفي ص ٢٤٤ ـ ص٢٤٨ وبين الفروق الشاسعة بينهما. وأجرى مقابلة بين معطيات الكتب المقدسة والمعارف الحديثة عن مكوث بني إسرائيل بمصر وخروجهم منها من ص ٢٥٤ ـ ص ٢٧١ .

وذكر أن القرآن يقدم معلومات ثمينة بالنسبة لتاريخ خروج موسىٰ ، تضاف إلى رواية التوراة ، وتجعل مجموع الروايتين يتفق تماماً مع معطيات علم الآثار ، بما يسمح بتحديد عصر موسى .

ثم بين أن هناك فروقاً شديدة الأهمية تدحض كل ما قيل ادعاءً ، وبدون أدنى دليل عن نقل محمد ﷺ من التوراة[2] .

ومن ذلك ما تذكره الآيات ٩٠ ـ ٩٢ من سورة يونس عن **نجاة موسى ومن معه وغرق فرعون ومن معه** . ويضيف النص القرآني فيذكر إنقاذ جسد فرعون بعد موته ﴿ **فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية** ﴾[*] . وفي عصر التنزيل كانت جثث الفراعنة مدفونة بمقابر وادي الملوك بطيبة على الضفة الأخرىٰ للنيل ، أمام

---

(١) إظهار الحق ٢/٥١ ـ ٥٢ .

(٢) دراسة لموريس ص ٢٨٦ .

(*) سورة يونس/٩٢.

مدينة الأقصر حالياً . ولم تكتشف هذه الجثث إلا في نهاية القرن التاسع عشر . وفي عام ١٨٩٨ م اكتشف لوريت مومياء « منبتاح بن رمسيس الثاني » في ذلك الوادي . ونقلت المومياء إلى القاهرة ، ورفع « إليوت سميث » عنها أربطتها في ٨ تموز « يوليو» عام ١٩٠٧ م . وفي عام ١٩٧٥ م اتضح أن حالة المومياء قد تدهورت ، وأن هناك أجزاء منها قد اختفت . فأجري فحص عليها في حزيران « يونيو» فقد قام الطبيبان المليجي ورمسيس بدراسة طبية بالأشعة السينية ، على حين قام الدكتور مصطفى المنيلاوي بفضل ثغرة في جدار القفص الصدري والبطن ، بتصوير بعض التفاصيل الهامة داخل الجسم . ومع الدراسة الميكروسكوبية لبعض أجزاء صغيرة وقعت من جسم المومياء ، والتي سيقوم بها البروفيسور (منيو) والدكتور (دوريجون) ستكتمل الدراسة الطبية الشرعية العامة التي سيقوم بها البروفيسور (سيكالدي) .

قال موريس : وإنه لمما يؤسفني حقاً أن نتائج هـذه الأبحاث لم تكتمـل في اللحظة التي ينتهي فيها تحرير هذا الكتاب . ولكن ممـا يمكن استنتاجـه من هذه الدراسة هو ملاحظة آفات عظيمة عديدة مع ثغرة في مادة الجسم . . . ربما كان بعضها قاتلاً . ولا يمكن الجزم بما إذا كان بعض منها حدث قبل موت فرعون أو بعده . فهذا الفرعون قد مات أما غرقاً على حسب روايات الكتب المقدسة ، وإما بسبب رضوض عنيفة جداً سبقت ابتلاع البحر له ، أو ربما للسببين[1] . ا هـ.

قلت : وقد ذكرت بعض المجلات المصرية[2] بعد ذلك أن الجثة نقلت إلى فرنسا بالطائرة ، وأجريت لها مراسم الاستقبال ، فاصطف لها حرس الشرف على أرض المطار ، كما هو الحال عند قدوم رئيس دولة . ثم نقلت إلى مكان البحث . وذكر العلماء أن الصور أشارت إلى وجود أملاح في القفص الصدري ، مما يدعو لاحتمال موته غرقاً كان ذلك عام ١٩٧٦ م.

---

(١) دراسة لموريس ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

(٢) كانت المجلة محفوظة لدي في مدينة حلب وقد نسيت اسمها ، ولم استطع العثور عليها بعد ذلك .

ومن شهد بالحق في ذلك المستشرق الانكليزي بودلي حيث قال : الزعم بأن محمداً ﷺ سرق الإنجيل زعم باطل ، فما رآه أبداً . والقول باطلاعه على ترجمة الإنجيل الناقصة التي قام بها ورقة بن نوفل، لا يضع أمامه إنجيلاً ليراه . فإن أول ترجمة عربية رسمية للعهدين القديم والجديد ظهرت بعد وفاة محمد ﷺ بقرون[1] .

أما توماس كارليل ـ وهو من أوائل كتاب أوربا الذين أنصفوا الإسلام ـ فإنه يقول : ماذا أقول عن ذلك الراهب (سرجياس) ـ بحيرا ـ الذي يُزعم أن أبا طالب ومحمداً ﷺ سكنا معه في دار ؟ فما الذي يتعلمه غلام في هذه السن الصغيرة من أي راهب ؟! إن محمداً ﷺ لم يكن يتجاوز إذ ذاك الرابعة عشرة من عمره ، ولم يكن يعرف إلا لغته . ثم لا ننسَ أنه لم يتلق دروساً على يد أستاذ أبداً[2] .

وهكذا استطاعت ذاتية الإسلام القوية أن تنفذ بأضوائها إلى بعض النفوس والقلوب مخترقة حجاب الحقد والتعصب، فتهزها هزاً، وتدفعها إلى دنيا جديدة من الفكر والنظر.

الإخبار بالغيب الكائن في زمنه ﷺ :

أطلع الله سبحانه نبيه ﷺ على أمور حدثت في زمانه ، غاب عنه وقوعها وخبرها ، فذكرها النبي لأصحابه على سبيل التفصيل ، فما كانوا يجدون في ذلك كله إلا الصدق . ومن ذلك ما يلي :

١ ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : أمّر النبي ﷺ في غزوة مؤتة[3] زيد بن حارثة فقال : إن قتل زيد فجعفر ، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة . . الحديث ـ أخرجه البخاري ـ.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال النبي ﷺ : « أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب

(١) عن كتاب آفاق جديدة في الدعوة لأنور الجندي ص ١١٩ طبع مؤسسة الرسالة .
(٢) آفاق جديدة في الدعوة ص ٢٣١ .
(٣) مؤتة : قرية ببلاد الشام قريبة من البلقاء ومعان . ضمن حدود المملكة الأردنية اليوم ، في منطقة الكرك .

ـ وإن عيني رسول الله ﷺ **لتذرفان** ـ ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ، ففتح له » ـ أخرجه البخاري والنسائي ـ.

وفي رواية أخرى لهما : إن النبي ﷺ نعىٰ زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : أخذ الراية زيد . . وقال في آخره : حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ، حتى فتح الله عليهم .

٢ ـ عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة . فأطلع الله نبيه على ذلك . فبعث علياً والزبير ـ رضي الله عنهما ـ في أثر الكتاب . فأدركا المرأة على بعير ، فاستخرجاه من قرونها ، فأتيا به رسول الله ﷺ . . الحديث ـ أخرجه أبو يعلى في الكبير والبزار في مسنده والطبراني في الأوسط [١] ـ.

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال : « بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد ـ رضي الله عنهما ـ فقال : انطلقوا حتى تأتوا رَوْضة خاخ [٢] ، فإن بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها . فانطلقنا تتعادىٰ بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة . فقلنا : أخرجي الكتاب . قالت : ما معي من كتاب . فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنُلقين الثياب . فأخرجته من عِقاصها . قال : فأتينا به النبي ﷺ . . » الحديث ـ أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي ـ.

وفي رواية للشيخين : حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله ﷺ تسير على بعير لها . فقلنا : أين الكتاب الذي معك ؟ قالت : ما معي من كتاب . فأنخنا بعيرها ، فابتغينا في رحلها ، فما وجدنا شيئاً . فقال صاحباي : ما نرىٰ معها كتاباً . فقلت : لقد علمنا ما كذب رسول الله ﷺ وما كذب . والذي يُحلف به ، لتخرجن الكتاب أو لأجردنك . فأهوت إلى حُجزتها ـ وهي محتجزة بكساء ـ فأخرجت الصحيفة من عِقاصها . فأتينا بها رسول الله ﷺ .

---

(١) ذكر ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٠٣/٩ ـ ٣٠٤ وقال رجالهم رجال الصحيح . انظر جامع الأصول مع التعليق عليه ٣٦٢/٨ .

(٢) مكان بين مكة والمدينة ، وهو أقرب إلى المدينة . والظعينة : المرأة المسافرة ، وقد يطلق على كل امرأة . عقاصها : ضفائر شعرها . الحجزة : ما يشد على الوسط .

٣ ـ وروى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد في عشرين وأربعمائة فارس إلى أكيدر بن عبد الملك من كندة ، وكان ملكاً عليها ، بدومة الجندل[١] . فقال خالد ـ رضي الله عنه ـ : يا رسول الله كيف لي به وسط بلاد كلب وأنمار ، وأنا في أناس يسير ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ستلقاه يصيد الوحش ـ أو قال : البقر ـ فتأخذه » . فخرج خالد ومن معه ، فلما بلغ قريباً من حصنه بمنظر العين . وكانت ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له في الحصن ، معه امرأته . فباتت البقر تحك بقرونها باب الحصن . وأشرفت امرأته على باب الحصن فقالت : ما رأيت كالليلة ـ وفي لفظ : هل رأيت مثل هذا قط ؟ـ قال : لا والله . قالت : فمن يترك هذه الليلة ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، ومعه أخوه حسان . فخرجوا من حصنهم بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فاستأسر أكيدر ، وامتنع حسان فقاتل حتى قتل ، وهرب من كان معه ودخل الحصن . . .

وقال خالد لأكيدر : هل لك على أن أجيرك من القتل حتى آتي بك رسول الله ﷺ على أن تفتح دومة الجندل ؟ قال : نعم ذلك لك[٢] .

٤ ـ وقد كشف النبي ﷺ أسرار المنافقين واليهود وسائر المشركين الذين كانوا يتواطؤون في السر على أنواع كثيرة من المكر والكيد . وكان الله سبحانه يطلع رسوله ﷺ على تلك الأحوال حالاً بعد حال . فما يجدون إلا الإقرار والاستسلام .

قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال : جلس عُمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير . وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويلقَون منه عناء وهو بمكة . وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر . قال : فذكر أصحاب القليب ومصابهم . فقال صفوان : والله إنْ في العيش بعدهم خير . قال له عمير : صدقت والله ، أما والله لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه ، وعيال أخشىٰ عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله .

---

(١) قال أبو عبيد : حصن وقرى بين الشام والمدينة ، قرب جبل طيء .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٥٢٦ مطبعة البابي الحلبي الطبعة الثانية .

فاغتنمها صفوان وقال : عليّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم . فقال له عُميْر: فاكتم شأني وشأنك . قال: أفعل .

قال : ثم أمر عمير بسيفه فَشُحذ لــه وسُمّ . ثم انطلق حتى قدم المدينة . فبينما عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في نفر من المسلمين يتحـدثون عن يـوم بدر ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف . فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، والله ما جاء إلا لشر . ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه . قال : فأدخله عليّ . قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه ، فلبّبه بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسـول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بجمالة سيفه في عنقه . قال : أرسله يا عمر . ادن يا عمير . فدنا ثم قال : انعموا صباحاً . . قال رسول الله ﷺ فما جاء بك يا عمير؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : فما بال السيف في عنقك ؟ قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ؟ قال : اصدقني ، ما الذي جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك . قال : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لو لا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك . قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلامي ، وساقني هذا المسـاق . فقال ﷺ : « فقهـوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره »(١) .

وذكر ابن هشام أن فضالة بن عمير الليثي أراد قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فأخفى خنجراً . فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ: أفضالة ؟

---

١) سيرة ابن هشام ١/٦٦١ .

قال : نعم فضالة يا رسول الله . قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله . قال : فضحك النبي ﷺ ثم قال : استغفر الله . ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه . فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه(1) .

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ـ رضي الله عنهما ـ عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى اليهود بعد وقعة بدر : إنكم أهل الحلقة والحصون، فلتقاتلنّ صاحبنا أو ليكونن بيننا وبينكم أمر. فلما بلغ كتابهم إليهم ، اجتمعت بنو النضير على الغدر ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ : أن اخرج إلينا في ثلاثين من أصحابك ، ويخرج منا ثلاثون حبراً ، فنلتقي بمكان مَنْصَف ، فيسمعون منك ، فإن صدقوك وآمنوا بك ، آمنا أجمعون . فأعلمه جبريل ـ عليه السلام ـ بكيدهم . فغدا عليهم بالكتائب فحصرهم ، فقال : إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدونني عليه . . فعاهدوه فانصرف عنهم ـ أخرجه أبو داود وابن مردويه مختصراً ، وأورده السيوطي في الدر ـ (2) .

وعن عمرو بن أمية ـ رضي الله عنه ـ قال : كتب عامر بن الطفيل إلى رسول الله ﷺ : قد قتلتَ رجلين لهما منك جِوار ، فابعث بديتهما . فانطلق رسول الله ﷺ إلى قُباء ، ثم مال إلى بني النضير ، يستعينهم في ديتهما، ومعه نفر من المسلمين . فاستند إلى جدار ، فكلمهم ، فقالوا : نعم ، فقام أحدهم ، فَصَعِد على رأس الجدار ليدلّي عليه صخرة. فأخبر جبريل ـ عليه السلام ـ رسول الله ﷺ فقام، ثم اتبعه المسلمون . فقال : لقد همت اليهود بقتلي . فقال لمحمد بن مسلمة : اذهب إلى اليهود . فقل : اخرجوا من المدينة ، ولا تساكنوني فيها ، فأجلاهم رسول الله ﷺ(3) .

وعن عروة بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ قال: لما قفل رسول الله ـ

---

(1) ابن هشام ٢/٤١٧ .

(2) وسيأتي مزيد في تخريجه في البشارة الخامسة من بشارات إشعياء.

(3) أخرجه رزين ، وانظر سيرة ابن هشام ٣/١٩٩ ومجمع الزوائد ٦/١٢٨ ، وفتح الباري ٧/٢٥٤ .

ﷺ - من تبوك المدينة، همَّ جماعة من المنافقين بالفتك به، وأن يطرحوه من رأس عقبة في الطريق، فأخبر بخبرهم. فأمر الناس بالمسير من الوادي، وصعد هو العقبة، وأمر عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أن يمشيا معه. فبينما هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم قد غشوهم. فرجع إليهم حذيفة ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم بمحجنه، فأسرعوا حتى خالطوا الناس لظنهم أنه ظهر على ما أضمروه. ثم قال رسول الله ﷺ: «علمتما ما كان من شأن هؤلاء الركب؟» قالا: لا. فأخبرهما بما كانوا تمالؤوا عليه، وسماهم لهما واستكتمهما ذلك. فقالا: يا رسول الله أفلا تأمر بقتلهم؟ قال: أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه[1].

د - أخبر عن موت النجاشي ملك الحبشة في اليوم الذي مات فيه، ثم جاءت الأخبار بذلك:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنّ رسول الله ﷺ نعى النجاشيّ اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلىٰ، فصف وكبر عليه أربع تكبيرات - رواه الشيخان ومالك في الموطأ وأبو داود والترمذي والنسائي -

وفي رواية للبخاري ومسلم والنسائي: نعىٰ لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه وقال: استغفروا لأخيكم.

وعن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ صلىٰ على أصحمة النجاشي فكبر عليه أربعاً - أخرجه الشيخان -

٦ - وأخبر أصحابه ببعض ما كان منهم في الخفاء:

عن أبي كثير قال: قال أبو سهم - رضي الله عنه -: مرت بي امرأة في المدينة، فأخذت بكشحها ثم أطلقتها. فأصبح رسول الله ﷺ في المدينة يبايع الناس، فأتيته فقال: ألست صاحب الجبذة بالأمس؟ قلت: بلىٰ، فإني لا أعود يا رسول الله، فبايعني - أخرجه أحمد في مسنده[2] -.

---

(١) البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير المجلد الثالث ١٨/٥ .

(٢) وحسنه المعلق على جامع الأصول ١١ / ٣٣٠ وقال: وذكره الحافظ في الإصابة ونسبه للنسائي والبغوي وقال: إسناده قوي.

الإخبار بالغيب المستقبل :

أخبر النبي ﷺ عن أمور كثيرة وحوادث آتية تقع في المستقبل . فمنها ما وقع في زمانه ، ورآها أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ على الوجه الذي أخبر . ومنها ما وقع بعد زمانه ، فأتت كما قال . ومنها ما لم يقع حتى الآن ، والمسلمون ينتظرون وقوعه . وهذا الإخبار منه ما ورد في القرآن الكريم ، ومنه ما ورد في السنة المطهرة .

فمما ورد في القرآن الكريم ما يلي :

١ ـ قوله تعالىٰ ﴿ **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم . ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين** ﴾ الأنفال /٧ ـ .

أي واذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم : القافلة الراجعة من الشام بالتجارة ، أو القافلة الآتية من مكة للدفاع عن تلك . فقد بلغ رسول الله ﷺ أن عِيراً لقريش أقبلت من الشام ، وفيها أموال عظيمة . فندب أصحابه إليها . وبلغ قريشاً الخبر ، فنهضوا مسرعين في قريب من ألف مقاتل . فاستشار النبي ﷺ أصحابه ، وأخبرهم أن الله قد وعده إحدى الطائفتين . . . ثم سار بأصحابه حتى نزل قريباً من بدر . بيد أن العير كانت قد ابتعدت . وتم اللقاء بتقدير الله مع قريش . فأنجز الله وعده ، وانتصر المسلمون ، فقتلوا وأسروا وغنموا(١) .

وكان الله سبحانه قد أنزل قبل ذلك قوله: ﴿**أم يقولون نحن جميع منتصر . سيهزم الجمع ويولن الدبر**﴾ ـ القمر/ ٤٤ ـ ٤٥ ـ.

أي أيقولون عن أنفسهم : نحن جمع كثير ، واثقون بكثرتنا وقوتنا ، منتصرون على محمد ﷺ ؟ سيهزم جمع المشركين ، ويتفرق شملهم ، ويولون الأدبار منهزمين .

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال ، وهو في قبة يوم بدر : اللهم أَنشُدُك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم . فأخذ أبو

---

(١) تفسير البيضاوي ص ٢٠٩ ، تهذيب سيرة ابن هشام . تفسير الشوكاني ١٢٥/٥ .

بكر ـ رضي الله عنه ـ بيده وقال : حسبك يا رسول الله ، ألححت على ربك . فخرج رسول الله ﷺ وهو يثب في الدرع ، وهو يقول : « سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهىٰ وأمرّ » ـ رواه البخاري ـ.

وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : لما نزلت « سيهزم الجمع ويولون الدبر » قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أي جمع سيهزم ؟ أي جمع سيغلب ؟ قال عمر ـ رضي الله عنه ـ فلما كان يوم بدر ، رأيت رسول الله ﷺ يَثِب في الدرع ، وهو يقول : « سيهزم الجمع ويولون الدبر . . . الآية » فعرفت تأويلها يومئذ .

وفي رواية عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : لما نزلت ، لم أعلم ما هو ، حتى كان يوم بدر ، سمعت رسول الله ﷺ وهو يلبس درعه ويقول : « سيهزم الجمع . . » فعلمته .

قال ابن الجوزي في تفسيره(1) : وهذا مما أخبر الله به من علم الغيب ، فكانت الهزيمة يوم بدر .

٢ ـ قوله سبحانه ﴿ **الم . غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين . لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . . .** ﴾ ـ الروم/١ـ٥ .

هذه الآية من دلائل النبوة . فإنها نزلت حين غلب الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة العربية وأقاصي بلاد الروم . فاضطر ملك الروم حتى لجأ إلى القسطنطينية وحوصر فيها مدة طويلة ، ولم تنفع محاولاته المتكررة لفك الحصار واستعادة الأرض . وظن الناس أن الروم قد انتهوا من هذه الأمكنة(2) .

وقوله : ﴿ **سيغلبون** ﴾ نص يقتضي أن هذا الأمر يحصل في المستقبل القريب ، في أقل من عشر سنين . وكذلك قوله ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون** ﴾ .

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان المشركون يحبون أن يظهر أهل

---

(١) انظر ٨/ ١٠٠ ، وانظر الجواب الصحيح ٤/ ١٣٠ والكشاف ٣/ ٥ .

(٢) تفسير البيضاوي ٢/ ١٠٣ ، تفسير الشوكاني ٤/ ٢٠٧ ـ ٢٠٩ ، تفسير الفخر الرازي ٢٥/ ٩٥ .

فارس على الروم ، لأنهم وإياهم اهل الأوثان . وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس ، لأنهم أهل كتاب . فذكروه لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال : أما إنهم سيَغْلِبون . . فذكره أبو بكر لهم ـ الحديث ـ رواه أحمد والترمذي وابن جرير وغيرهم [1] ـ.

وعن نِيار بن مُكرِم الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ قال : لما نزلت ﴿ **آلم . غلبت الروم . . الآيات** ﴾ فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم . وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم ، لأنهم وإياهم أهل كتاب . وفي ذلك قوله الله تعالى : ﴿ **ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم** ﴾ وكانت قريش تحب ظهور فارس ، لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث . فلما أنزل الله هذه الآية ، خرج أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يصيح في نواحي مكة « آلم . غلبت الروم في أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » . . . الحديث ـ رواه الترمذي وغيره [2] ـ.

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر ، ظهرت الروم على فارس ، فأعجب ذلك المؤمنين . . الحديث ـ رواه الترمذي [3] ـ.

ومحمد ﷺ كان أعقل البشر . وليس من شأن العاقل المدعي للنبوة ، أن يدعي ادعاءً قطعياً أن الأمر الفلاني . يكون في المدة القليلة هكذا البتة ، ولا سيما في مقابلة المنكرين الطالبين لمذلته ، المتفحصين لمزلة أقدامه ، في أمر لا يكون وقوعه مفيداً فائدة يعتد بها ، ويكون عدم وقوعه سبباً لمذلته وتكذيبه . فلو كان غير واثق

---

(١) وقد صححه الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول ٢ / ٣٠١ وقال : رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي . وأورده السيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٥٠ وزاد نسبته للنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير وابن مردويه والبيهقي في الدلائل والضياء اهـ .

(٢) قال المعلق على الجامع ٢ / ٣٠٠ : وهو حسن بشواهده ، وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٥١ وزاد نسبته للدارقطني في الأفراد والطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان . والآية من سورة الروم / ١ ـ ٥ .

(٣) قال المعلق على الجامع ٢ / ٩٩ : وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه اهـ قال : وفي سنده عطية العوفي صدوق يخطيء كثيراً .

من جهة الله بالوحي لما تحدى الأعداء بأمر لا يأمن عاقبته . والخبر مذكور في كتب التاريخ[١] .

٣ ـ قوله جل جلاله : ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون** ﴾ ـ الفتح /٢٧ـ.

وقد دخل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ المسجد الحرام معتمرين مع رسول الله ﷺ في شهر ذي القعدة سنة سبع للهجرة آمنين غير خائفين، منهم من حلق شعره ، ومنهم من أخذ منه[٢] .

٤ ـ قوله تبارك وتعالىٰ عن اليهود : ﴿ **لن يضروكم إلا أذىٰ . وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار . ثم لا ينصرون** ﴾ ـ آل عمران/١١١ ـ.

فأخبر سبحانه عن ثلاث مغيبات :

أ ـ إن المؤمنين آمنون من ضرر اليهود وكيدهم .

ب ـ لو قاتل اليهود المؤمنين لانهزموا .

جـ ـ إنه لا يحصل لهم قوة وشوكة بعد الانهزام .

وقد حدث هذا كله . وسيبقىٰ بإذن الله ما تمسك المسلمون بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ وعبدوا الله مخلصين له الدين .

٥ ـ قوله تقدست أسماؤه : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** » ـ النور/ ٥٥ـ.

قال أبو العالية : كان النبي ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ بمكة نحواً من عشر سنين ، يدعون إلى الله وإلى عبادته وحده لا شريك له ، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال . حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة فقدموها ، فأمرهم الله بالقتال .

---

(١) انظر في ذلك (كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) لابن البطريق النصراني ٢/ / ١ ـ ٤ طبعة اليسوعيين بيروت .

(٢) الكشاف ١٤١/٣ ، تفسير الفخر الرازي ٢٨/ ١٠٥ .

فكانوا بها خائفين ، يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح . فصبروا على ذلك ما شاء الله . ثم إن رجلاً من الصحابة قال : يا رسول الله أبد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ، ونضع عنا السلاح ؟ فقال رسول الله ﷺ لن تصبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليست فيه حديدة . وأنزل الله هذه الآية ، فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب ، فأمن المسلمون ووضعوا السلاح ا هـ.

إذاً. فالآية وعد من الله تعالى لرسوله وللمؤمنين بعد أن قدموا المدينة ، ورمتهم العرب عن قوس واحدة ، فكانوا يبيتون وهم في حالة استنفار حربي ، ويصبحون وهم في حالة استنفار ، حتى قال بعضهم ـ كما ورد ـ : أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله ؟ فهي وعد من الله بأنه سيجعلهم أئمة الناس والولاة عليهم ، وأنه سيبدلهم من بعد خوفهم من الناس أمناً وحكماً[1] .

ووفى الله بوعده في مدة قليلة . فلم يمت رسول الله ﷺ حتى فتح مكة وخيبر والبحرين واليمن وأكثر ديار العرب . وأذعن له أهل هجر فدفعوا الجزية . وكذلك ناس من أطراف الشام كصاحب إيلة ودومة الجندل ، وناس من نصارى الجنوب ، كنصارى نجران . وآمن به النجاشي ملك الحبشة ، وهاداه هرقل ملك الروم والمقوقس عظيم مصر وملوك عُمان . ثم قام خلفاؤه الراشدون من بعده ، فأصبحوا أئمة الهدى والخير ، ففتحوا بلاد فارس ، وكسروا كسرىٰ ، وفتحوا بلاد الشام ، وهزموا قيصر حتى انحدر إلى القسطنطينية . وفتحوا مصر وامتدوا غرباً . أما شرقاً فامتدوا إلى حد الصين . ففي مدة ثلاثين عاماً تمكن أهل الإسلام من هذه الممالك تمكناً تاماً ، وغلب دينهم الذي ارتضاه الله لهم على سائر الأديان ، فكانوا يعبدون الله آمنين غير خائفين ، وتم وعد الله لرسوله وللمؤمنين . ألا وإن وعد الله قائم ، إلا وإن شرط الله باق[2] .

---

(١) مختصر ابن كثير للصابوني ٢/٢١٦ ـ ٢١٦ ـ ٢١٧ ، وصفوة التفاسير له ٢/٢٤٧ ـ ٢٤٨ ، تفسير الفخر الرازي ٢٤/٢٤ .

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية ، إظهار الحق ٢/٤٣ .

فتلك الآيات وفيض من أمثالها ، من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة ، وكون القرآن من عند الله ، حيث أخبر عن الغيب الذي لا يعلمه إلا العليم الخبير . ووقع كما أخبر[1] .

ومما ورد في السنة ما يلي :

١ ـ بشر أصحابه بغنائم من هوازن ، فغنموها في اليوم التالي :

عن سهل بن الحنظلية ـ رضي الله عنه ـ قال : إنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين فأطنبوا السير حتى كان عشية ، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فارس ، فقال : يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت على جبل كذا وكذا ، فإذا بهوازن عن بكرة أبيهم ، بظُعُنهم ونَعَمهم وشائهم ، اجتمعوا إلى حنين . فتبسم رسول الله ﷺ وقال : تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله تعالى . . الحديث ـ أخرجه أبو داود وحسنه الحافظ في الفتح ـ[2] .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بذراريهم ونَعَمهم ،ومع النبي ﷺ يومئذ عشرة آلاف ، ومعه الطلقاء ، فأدبروا عنه ، حتى بقي وحده ، فنادى يومئذ نداءَين لم يخلط بينهما شيئاً . قال : ثم التفت عن يمينه فقال : يا معشر الأنصار . قالوا : لبيك يا رسول الله ، نحن معك ، أبشر أبشر . قال : ثم التفت عن يساره فقال : يا معشر الأنصار . قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر أبشر ، نحن معك ، قال ؛ وهو على بغلة بيضاء . فنزل فقال : أنا عبد الله ورسوله . فانهزم المشركون . وأصاب رسول الله ﷺ يومئذ غنائم كثيرة . . . الحديث ـ أخرجه الشيخان والترمذي ـ .

٢ ـ وأخبر الأنصار ـ رضي الله عنه ـ بأنهم سيلقون بعده أُثَرة[3] ، وأمرهم بالصبر ، فوطنوا نفوسهم على ذلك :

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال للأنصار بعد

---

(١) تفسير أبي السعود ٤/١٧٦ .

(٢) وحسنه المعلق على جامع الأصول ٨/٣٨٣ .

(٣) الأُثَرة : الاستئثار بالشيء والانفراد به . والمراد يُعطى غيركم أكثر منكم ، ويفضل عليكم .

هزيمة هوازن: إنكم ستجدون بعدي أَثَرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض. قالوا: سنصبر ـ أخرجه الشيخان ـ .

وفي حديث عبد الله بن زيد بن عاصم ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « إنكم ستلقون بعدي أثرة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض » ـ أخرجه الشيخان ـ.

قال أُسَيْد بن حضير ـ رضي الله عنه ـ فلما آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قسم بين المسلمين مالاً ومتاعاً . فبعث إلي بحُلة . فاستصغرتها . . . فبينا أنا في المسجد ، إذ مر بي شاب من قريش عليه حُلة سابغة من تلك الحلل التي أرسلها إلي عمر ، وهو يجرها على الأرض جراً . فذكرت لمن معي قول رسول الله ﷺ : « إنكم ستلقون بعدي أثرة ، وقلت : صدق رسول الله ﷺ فانطلق الرجل إلى عمر وأخبره بما قلت . فجاءني مسرعاً ، وأنا أصلي . فقال : صل يا أسيد . فلما قضيت صلاتي ، أقبل علي وقال : ماذا قلت ؟ فأخبرته بما رأيت وبما قلت . فقال : عفا الله عنك ، تلك حلة بعثت بها إلى فلان ، وهو أنصاري عقبي بدري أحدي ، فشراها منه هذا الفتى من قريش ، ولبسها . أفتظن أن هذا الذي أخبر به رسول الله ﷺ يكون في زماني ؟ فقال أسيد : والله يا أمير المؤمنين ، لقد ظننت أن ذلك لا يكون في زمانك[1] .

٣ ـ وأخبر ببقاء بعض أصحابه من بعده وذكر أسماءهم :

عن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ أن امرأة أتت النبي ﷺ فكلمته في شيء، فأمرها بأن ترجع. قالت: فإن لم أجدك؟ ـ كأنها تقول الموت ـ قال: إن لم تجديني فأتي أبا بكر ـ رواه البخاري ومسلم والترمذي ـ .

وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال: أني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدي، وأشار إلى أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه ـ رواه الترمذي وقال حسن وأحمد والحاكم ـ .

(١) صور من حياة الصحابة لعبد الرحمن الباشا ٣/٣٧ ـ ٣٨ .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال قال رسول الله ﷺ : « اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي ، أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار ، وتمسكوا بعهد ابن مسعود ـ رواه الترمذي وحسنه ـ.

وكان كما قال ﷺ فبقي هؤلاء من بعده ، واقتدى الناس بهم واهتدوا بهديهم .

٤ ـ وأخبر بعض أصحابه بأمور تحدث لهم في المستقبل فحدثت :

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال له : هل لكم من أنماط[١] ؟ ـ وفي رواية النسائي ، قال : هل تزوجت ؟ قلت : نعم . قال : أتخذتم أنماطاً ؟ ـ قلت : وأنى تكون لنا الأنماط ؟ قال : أما إنها ستكون لكم الأنماط . فكانت . قال : فأنا أقول لها ـ يعني امرأته ـ : أخري عنا أنماطك ، فتقول : ألم يقل رسول الله ﷺ : ستكون لكم الأنماط ؟ فأدعها ـ رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي ـ.

وعن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ قال : بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل . فقال : يا عدي هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها . قال : إن طالت بك حياة لترينَّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف إلا الله تعالى ـ قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دعّارطيّ ، الذين سعروا البلاد ؟ ـ ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى . قلت كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز . ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة ، يطلب من يقبله منه ، فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ، وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ، فيقولن : ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك ؟ فيقول : بلى يا رب . فيقول : ألم أعطك مالاً وأفضل عليك ؟ فيقول : بلى . فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم ، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم . قال عدي : فسمعت النبي ﷺ

(١) الأنماط : جمع نَمَط ، وهو ضرب من البسط كان معروفاً .

يقول : اتقوا النار ولو بشق تمـرة ، فمن لم يجد شق تمـرة ، فبكلمة طيبـة . قال عديّ : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترونّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه ـ أخرجه البخاري ـ.

وهـذا خبر عـظيم أخبر بـه النبي ﷺ والدنيـا كلهـا ضـده ، والمسلمـون مستضعفون في الأرض ، فتم ما أخبر به ، ودانت الجزيرة العربية لدينه ، وأمنت ربوعها ، وزال منها الخصام والشقاء ، فغدا المسافر حراً لا يخاف على نفسه وماله . وفتحت فارس وغنم المسلمون كنوزها ، وتـوالت الفتوحـات حتى حُملت ثروات الملوك إلى الحجاز ، فأترعت فيها الأموال واغتنى الناس ، حتى لم يعد ثمة فقير . وكان الرجل يخرج زكاة ماله في عهد عثمان وعمر بن عبد العزيز ، فلا يجـد من يقبلها لغنىٰ الناس وورعهم الذي يمنع الطمع .

٥ ـ وحدد مدة الخلافة الراشدة من بعده :

عن سفينة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم ملك بعد ذلك ـ قال سعيد بن جُهمان : ثم قال : أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان ، ثم قال : أمسك خلافة علي ، فوجدناهـا ثلاثـين سنة ـ أخرجه الترمذي[1] ـ.

وعند أبي داود : خلافـة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتي الله الملك من يشاء . قال سعيد : قال لي سفينة : أمسك ؛ أبو بكر سنتين ، وعمر عشـراً ، وعثمان اثنتي عشرة ، وعلي ستاً .

٦ ـ وأخبر عن حوادث طبيعية تكون من بعده ، فكانت :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تخـرج نار من أرض الحجـاز تضيء لهـا أعنـاق الإبـل ببُصـرىٰ ـ أخـرجـه الشيخان ـ.

---

(١) وحسنه الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول ٤/٤٥ ، ونقل عن الحافظ في الفتح قوله : أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان .

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار تضيء له أعناق الإبل ببصرىٰ ـ مسند الفردوس وابن عدي في الكامل ـ.

وقد خرجت هذه النار سنة ٦٥٤ هـ في الحجاز قرب مرحلة من المدينة المنورة . وكان إقبالها من المشرق في جهة طريق (السوارقية) وظهور هذه النار في المدينة قد اشتهر اشتهاراً بلغ حد التواتر عند أهل الأخبار . وقد تقدمها زلازل مهولة ، كان ابتداؤها يوم الأحد مستهل جُمادي الآخرة ، وكانت خفيفة إلى ليلة الثلاثاء . وفي يوم الأربعاء ظهرت ظهوراً شديداً ، واشتدت حركتها ، واضطربت الأرض بمن فيها ، وارتفعت الأصوات لخالقها ، ودامت الحركة حتى أيقن أهل المدينة بوقوع **الهلاك**. فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ، ثار في الجو دخان متراكم ، ثم شاعت النار وعلا ضوؤها حتى غشي الأبصار . وكانت ترى في صورة البلد العظيم يسيل منه بحر عظيم من النار إلى جهة الوادي ، له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه . وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم . ورأى الناس في ضوئها أعناق الإبل ببصرىٰ . قال ابن كثير أخبرني القاضي صدر الدين الحنفي قال : أخبرني والدي صفي الدين مدرس مدرسة بصرىٰ أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التي ظهرت فيها النار أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء تلك النار ١ هـ ونقل أبو شامة أن هذه النار رؤيت من مكة ومن الفلاة جميعها ورآها أهل ينبع . وقال القسطلاني : جاء من أخبر أنه أبصرها بتيماء وبصرىٰ ١ هـ وذكر القرطبي أنه بلغه أنها رؤيت من جبال بصرىٰ . واستمرت هذه النار تسيل سيلاً ذريعاً في الوادي إلى أن انطفأت في السابع والعشرين من شهر رجب ، وقد تركت على الأرض من الحجر الأسود قدر ارتفاع رمح[1] . وأهل المدينة يطلقون عليها اليوم اسم (الحرة المحترقة ، وهي تمتد على طريق الرياض خلف المطار . تبدأ من منطقة العاقول .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٧١ ، وفاء الوفاء للسمهودي ١/١٤١ ـ ١٥١ ، البداية والنهاية لابن كثير١٣/١٩١ ، إظهار الحق ٢/١٨٠ .

٧ ـ وأخبر عن فتوحات تكون من بعده ، فجاءت كما قال :

عن نافع بن عتبة بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال : حفظت من رسول الله ﷺ أربع كلمات أعدهنّ في يدي ، قال : تغزون جزيرة العرب ، فيفتحها الله ، ثم فارس ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال ، فيفتحه الله ـ رواه مسلم في صحيحه والبخاري في التاريخ بنحوه ـ.

وعن سفيان بن زهير ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : تفتح اليمن ، فيأتي قوم يُبِسّون ، فَيَتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح الشام ، فيأتي قوم يبسون ، فيتحلمون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تفتح العراق، فيأتي قوم فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ـ رواه الشيخان ـ.

فأخبر النبي ﷺ بفتح اليمن والشام والعراق قبل أن يكون ، وأخبر أنه يخرج من المدينة أقوام يتحملون بأهليهم ومن أطاعهم إلى هذه الأمصار طلباً للترف وسعة الرزق وقد حدث ما قال .

وعن جابر بن سمرة وأبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ قالا : قال رسول الله ﷺ : إذا هلك كِسْرىٰ فلا كسرىٰ بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده ، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله ـ رواه الشيخان وروى حديث أبي هريرة الترمذي أيضاً ـ.

وهذا قد أخبر به النبي ﷺ وملك كسرى وقيصر أعز ملك في الأرض ، وقد تم ما أخبر به ، فهلك كسرىٰ وهو آخر الأكاسرة في خلافة عثمان بأرض فارس ، ولم يبق بأرض العراق وفارس كسرى يثبت له أمر من بعده ، وهلك قيصر الذي بأرض الشام وغيرها ، ولم يبق بعده من هو ملك على الشام ولا مصر ولا الجزيرة من النصارىٰ ، وتنحىٰ عن بلاد الشام إلى أن فتحت القسطنطينية[١] .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/١٣٩ ـ ١٤٠ .

وهكذا زالت من الوجود مملكتا فارس والروم وورثهما المسلمون ، فأنفقت كنوزهما في سبيل الله بعد موت النبي ﷺ وَوُزِّعت على أصحابه ، واجتمعت أكوام من المال أمام عمر ـ رضي الله عنه ـ في مسجد رسول الله ﷺ فجعل يقلبها ويبكي ، ثم وزعها على المسلمين .

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : عُصيبة من المسلمين يفتحون البيت الأبيض ، بيت كسرىٰ ـ أو آل كسرىٰ . شك الراوي ـ أخرجه مسلم ـ.

وفي رواية : لتفتحن عصابة من المسلمين ـ أو المؤمنين ، شك الراوي ـ كنز آل كسرىٰ الذي في الأبيض .

والأبيض قصر كان لكسرىٰ ، وقد فتح هذا القصر سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ في خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ وأرسل إليه كنزه .

وعن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمىٰ فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً ـ » أو قال : ذمة وصهراً . شك الراوي ـ. فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة فاخرج منها .

قال : فمر أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل بن حسنة ، يتنازعان في موضع لبنة ، فخرج منها ـ رواه مسلم ـ.

وفي رواية له قال : فرأيت فخرجت .

وعن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوىٰ لي الأرض ،(١) فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها ، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض . . . الحديث ـ رواه مسلم وأبو داود والترمذي ـ وهذا قد أخبر به رسول الله ﷺ في أول الأمر ، قبل فتح مكة ، وأصحابه في غاية

---

(١) زويت لي الأرض : أي جمعت وضمت .

القلة . وكان كما أخبر ، فقد ملك المسلمون مشارق الأرض ومغاربها ، وكان ملكهم في هاتين الجهتين واسعاً ، من طنجة غرباً إلى الصين شرقاً ، أما في جهتي الجنوب والشمال ، فلم يبلغ فيها مبلَغه في جهتي الغرب والشرق(١) .

وملكوا الذهب والفضة بكثرة هائلة ، ولم يُضْعفهم إلا اختلافهم وتفرقهم . فكان هذا إخباراً بالمستقبل .

وعن أم حرام - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال : أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم - رواه البخاري - .

ولم يقل ينتصرون أو نحو ذلك، بل بشرهم بالمغفرة. وغزا المسلمون القسطنطينية في خلافة معاوية، وكان أميرهم يزيد، وكان في العسكر أبو أيوب الأنصاري، فاستُشهِد هناك، ولم يتمكن المسلمون من فتحها، ثم غزوها ثانية في خلافة عبد الملك بن مروان، غزاها ابنه مسيلمة وحاصرها عدة سنين، ولم يتمكن من فتحها.

وعن أم حرام بنت مِلْحان - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا » . قالت : قلت : أنا فيهم ؟ قال : أنت فيهم . قالت : ثم قال : أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم . فقلت : يا رسول الله أنا منهم ؟ قال : لا - رواه البخاري - .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب إلى قُباء يدخل على أم حرام فتطعمه ، فدخل عليها رسول الله ﷺ يوماً فأطعمته ، فنام ثم استيقظ وهو يضحك ، قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا علي غُزاة في سبيل الله يركبون ثبج(٢) هذا البحر ، ملوكاً على الأسرة - أو قال : مثل الملوك على الأسرّة . شك إسحاق - قالت : فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم .فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه ، فنام ثم استيقظ

---

(١) قال السير وليم مور العدو اللدود للإسلام : لقد دفن محمد ﷺ مؤامرات أعدائه في التراب ، وكان يثق بانتصاره ليل نهار مع حفنة من الأنصار والأعوان ، رغم أنه كان مكشوفاً عسكرياً من كل ناحية .

(٢) ثَبَج البحر : وسطه ، وثبج كل شيء وسطه .

وهو يضحك . قالت : فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عُرضوا على غُزاة في سبيل الله ـ كما قال في الأولىٰ ـ قالت : فقلت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم . قال : أنت من الأولين ـ وفي رواية : ولست من الآخرين ـ قال أنس : فركبتْ أمّ حرام بنت ملحان البحر ـ وفي رواية : فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية ، فلما انصرفوا من غزوتهم قافلين . وفي ثالثة : فركبت البحر مع بنت قرظة ، فلما قفلت ركبت دابتها ـ فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت . ـ رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود ومالك في الموطأ ـ.

وقال أبو داود : وماتت بنت ملحان بقبرص .

والمسلمون لم يغزوا البحر في خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ وأول غزوٍ للبحر حدث في خلافة عثمان ، وكان معاوية نائبه على بلاد الشام . قال أهل السير والأخبار : وركبت أم حرام وزوجها إلى قبرص ، فصرعت عن دابتها هناك فتوفيت ودفنت هناك .

٨ ـ وأخبر عن فتن وحروب تقع في المستقبل ، وقد وقعت :

عن عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وهو في قبة من أدم ، فقال : أعدوا أشياء بين يدي الساعة : موتي ، وفتح بيت المقدس ، ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم ، ثم استفاضة المال ، يعطي الرجل مائة دينار ، فيظل ساخطاً ، ثم فتنة لا يبقىٰ بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، كل غاية اثنا عشر ألفاً ـ رواه البخاري ـ.

فَفُتح بيتُ المقدس بعد موته ﷺ في خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ ثم وقع بعد ذلك الطاعون العظيم بالشام ، في خلافة عمر أيضاً ، ومات فيه معاذ بن جبل وأبو عبيدة بن الجراح وخلق كثير ، وكان ذلك أول طاعون في الإسلام ، وهو المعروف بطاعون عمواس ، وقد أخذهم كعقاص الغنم . ثم استفاض المال في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ حتى كان أحدهم يعطي مائة دينار فيسخطها . ثم وقعت

الفتنة العامة التي لم يبق بيت من العرب إلا دخلته ، وذلك بعد مقتل عثمان ، واتسعت الفتنة بين المسلمين في يومَيْ الجمل وصفين[1] .

وعن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : ينزل أناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة ، عند نهر يقال له (دجلة) ، يكون عليه جسر ، يكثر أهلها ، وتكون أمصار من المهاجرين ـ وفي رواية : من المسلمين ـ فإذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطوراء ، عراض الوجوه ، صغار الأعين ، حتى ينزلوا على شط النهر ، فيتفرق أهلها ثلاث فرق : فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية وهلكوا ، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا ، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم ، وهم الشهداء ـ أخرجه أبو داود ـ[2] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : لا تقوم الساعة ، حتى تقاتلوا قوماً نِعالهم الشعر ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجانُّ المطرَقة ـ أخرجه الستة إلا ابن ماجة ـ .

وفي رواية للبخاري ومسلم : تقاتلون بين يدي الساعة قوماً نعالهم الشعر ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، حمر الوجوه صغار الأعين .

قال سفيان : وزاد في رواية : صغار الأعين ذُلْف الأنوف[3] .

ولمسلم : لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك ، قوماً وجوههم كالمجانّ المطرقة ، يلبسون الشعر ويمشون في الشعر .

وقد جمعت الروايات الصفات التالية : وجوههم كالمجان المطرق ، حمر

---

(١) الجواب الصحيح : ٤/١٣٥ .

(٢) وحسنه المعلق على جامع الأصول ١٠/٢٥ والغائط : المطمئن من الأرض ، والبصرة ، الحجارة البيض الرخوة ، وبها سميت البصرة . وبنو قنطو راء : هم الترك ، يقال إن قنطوراء اسم جارية كانت لإبراهيم ، ولدت له أولاداً جاء من نسلهم الترك .

(٣) المجن ـ بكسر الميم ـ الترس ، وجمعه مَجان ـ بالفتح ـ .
والذلف في الأنف : استواء في طرفه ، وليس بالغليظ الكبير .

الوجوه ، صغـار الأعين ، ذلف الأنـوف ، يلبسون الشعـر ، نعالهم من الشعـر الطويل الغليظ كأنهم يمشون فيه .

وهؤلاء الطوائف قاتلهم المسلمون ، كما أخبر النبي ﷺ وأمرهم معروف ، فإن قتال التـرك من التتار وغيـرهم الذين هـذه صفتهم مشهور . وقـد وصفهم النبي ﷺ بدقة ، ولو كُلِّفَ من رآهم بعينه أن يصفهم ، لما أتى بأحسن من هذه الصفة[١] .

ذلك وأمثاله مما أخبر به النبي ﷺ من المستقبلات ، فوقع من بعده كما أخبر ، ورأى الناس ذلك ، وهو غَيْض من فيض مما في كتب السنة .

٩ ـ أما ما أخبر به مما لم يقع كله أو بعضه حتى الآن ، والمسلمون ينتظرون وقوعه ، فكثيرٌ أيضاً ، ومنه ما يلي :

عن حـذيفة ـ رضي الله عنـه ـ قـال : قـال رسـول الله ﷺ تكـون النبـوة فيكم مـا شاء الله أن تكـون ، ثم يـرفعهـا الله إذا شـاء أن يـرفعهـا . ثم تكـون خلافة على منهـاج النبوة ، فتكـون ما شـاء الله أن تكون ، ثم يـرفعها إذا شـاء أن يرفعها . ثم يكون ملكاً عاضاً ، فيكون ما شاء الله أن يكون ، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها . ثم تكون ملكاً جبرياً ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها . ثم تكون خلافة على منهاج النبوة . ثم سكت ـ أخرجه أحمد في المسند ، وصححه العراقي من طريقه ، وأخرجه البزار والطيالسي بأتم منه ، وروى الطبراني في الأوسط بعضه ، قال الهيثمي : ورجاله ثقات ـ .

وعن أبي قبيل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ وسئل : أي المدينتين تفتح أولاً ؛ القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق ، قال : فأخرج منه كتاباً . قال : فقال عبد الله : بينما نحن حـول رسول الله ﷺ نكتب ، إذْ سئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولاً ؛ أقسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : مدينة هرقل تفتح أولاً .

---

(١) الجـواب الصحيح ٤/١٣٥ ـ ١٣٦ وهـذا كلام ابن تيميـة الذي عـاصرهم وحـاربهم . وحديثهم في كتب المسلمين قبل قتالهم .

يعني قسطنطينية ـ أخرجه أحمد في المسند وابن أبي شيبة والدارمي والحاكم والمقدسي في كتاب العلم وقال : حديث حسن الإسناد ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ـ.

وقد تحقق الفتح الأول ، فتح القسطنطينية ، مدينة هرقل ، على يد السلطان العثماني محمد الثاني ، المعروف بالفاتح . ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش جيشها . وسماها « إسلام بول » أي مدينة الإسلام . أما رومية : فهي روما عاصمة إيطاليا اليوم ، ومقر بابا النصارى الكبير « الفاتيكان » فلتفتحن بإذن الله ، كما أن الشمس تشرق كل يوم ، وسيتحقق الفتح الثاني كما تحقق الأول . بيد أنه لا يعلم ذلك الوقت إلا الله تعالى .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهودي وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو الشجر : يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي ، تعال فاقتله . إلا الغرقد ، فإنه من شجر اليهود » ـ رواه الشيخان ـ.

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال : « تقاتلكم اليهود ، فتُسلطون عليهم ، حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي ورائي تعالى فاقتله » ـ أخرجه الشيخان والترمذي ـ.

ومن تقدير الله سبحانه أن الأوربيين عرضوا على اليهود أن يقيموا دولتهم في استراليا ، فرضي بعضهم وأبى أكثرهم ، ثم عرضوا عليهم أن يقيموها في إفريقية ، فرضي بعضهم وأبى أكثرهم ، وأصروا على فلسطين واستكبروا استكباراً ، مسددين ضربة الخيانة لمن لاقوا عندهم أحسن الأمان والاطمئنان . فاجتمعوا من شتى بقاع الدنيا في فلسطين بعد أن نكبوا أهلها ، ولا يزالون يتوافدون عليها ويجتمعون ، حتى إن بعضهم نادى بطرد البقية الباقية من المسلمين . وهذا تحقيق لما أخبر به محمد ﷺ في رواية ابن عمر : « تقاتلكم اليهود » . ولا يعلم إلا الله متى يُخْلِصُ المسلمون في جهادهم ، حتى يكون كله لله وبأمره ، خالصاً من أية

شائبة ، ليتحقق وعد الله . وإن ذلك لكائن بإذن الله ، كما أن الشمس تشرق كل يوم ، ولن تقف دونه قوة .

ومن الطريف ما حدثني به فلسطيني يتردد إلى الأرض المحتلة : أن اليهود يكثرون من زراعة شجر الغرقد للزينة . والله غالب على أمره .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « صِنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس . ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » ـ رواه مسلم ـ .

فالصنف الأول هم أعوان الظلمة من الحكام ، الذين يلازمون أدوات التعذيب ، ويتفننون فيه ، فإذا أمروا بضرب من اتهم بعدائه للحاكم أو نحو ذلك ، تعدوا الحد المشروع في الصفة والمقدار ، بل ربما أفضى بهم ما جبلوا عليه من القسوة إلى إهلاك المتهم أو تعطيل أحد مرافق جسمه .

أما الصنف الثاني فهن النساء اللائي يسترن بعض أبدانهن ويكشفن بعضها ابتغاء الفتنة ، ويتكلّفن في مشيتهن ، فيملن أكتافهن وأكفالهن . . . وقد صففن شعر رؤوسهن بأنواع من الترجيلات ، بحيث يغدو رأس إحداهن كسنام الجمل تماماً . وقد رأينا هذا كله . فنسأل الله العافية .

ومما رأيناه أيضاً ولم يره أهل القرن السالف ما ورد عن عمر ـ رضي الله عنه ـ في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ أنه قال لرسول الله ﷺ : فأخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان . . الحديث ـ أخرجه مسلم ـ. وقد حدث هذا ، فبسطت الدنيا لأهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة ، وأصبحوا يتباهون بارتفاع البنيان والتطاول ، حتى لقد زادت الأدوار في بعض الأبنية عن الثلاثين ، مع أن الأدوار في البناء لم تكن معروفة في ذلك الوقت .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها ـ رواه أبو داود والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ـ.

وقد تمت هذه النبوءة ، وستتم في المستقبل بإذن الله كما أخبر النبي ﷺ والحديث على عمومه ، فالمجدد قد يكون حاكماً أو عالماً أو مصلحاً ، وقد يكون واحداً أو أكثر . فإنه لفظة (من) تقع على الواحد والجمع[1] .

وهذا التجديد معناه الرجوع بالمسلمين إلى حظيرة الدين نقياً صافياً . ومن المجددين عمر بن عبد العزيز والشافعي وأحمد وصلاح الدين الأيوبي وابن تيمية والجنيد ومحمد الفاتح وغيرهم . رحمهم الله تعالىٰ .

وعن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ـ أخرجه مسلم ـ.

وفي رواية : له يبرح هذا الدين قائماً ، يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة .

وهذا ما أخبر به ﷺ حين كانت أمته أقل الأمم ، ثم انتشرت في مشارق الأرض ومغاربها ، وكان ما أخبر به ، وإن هذه الأمة ـ ولله الحمد ـ لم يزل فيها طائفة ظاهرة بالعلم والسلاح ، ولن يصيبها ما أصاب من قبلها كبني إسرائيل وغيرهم ، حيث كانوا مقهورين مع الأعداء . بل إن هذه الأمة ، إن غُلِبَتْ طائفة منها في قطر أو أقطار الأرض ، كان في مكان آخر طائفة ظاهرة ، ولن يسلط على مجموع الأمة عدو أجنبي يستبيحها إن شاء الله[2] .

عن سلمة بن نفيل الكندي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « ولا

---

(١) انظر جامع الأصول ١١/ ٣٢٠-٣٢١.

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ١٤٦ ، والحديث في الصحيحين وغيرهما عن جابر ومعاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة وعقبة بن عامر وسعد بن أبي وقاص وثوبان وأبي هريرة وأبي أمامة وعمر بن الخطاب وجبير بن نفير وغيرهم ـ رضي الله عنهم ـ.

تزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ، ويُزيغ الله لهم قلوب أقوام ، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة ، وحتى يأتي وعد الله » ـ أخرجه أحمد والنسائي ـ.

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله ، قاهرين لعدوهم ، لا يضرهم من خالفهم ، حتى تأتيهم الساعة ، وهم على ذلك » .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أجل ، ثم يبعث الله ريحاً كريم المسك، مسّها مسّ الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقىٰ شرار الناس، عليهم تقوم الساعة ـ أخرجه مسلم ـ.

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ستخرج نار من حضرموت ـ أو من بحر حضرموت ـ شك الراوي ـ قبل القيامة، تحشر الناس. قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام» ـ أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح ـ .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رآها الناس آمن من آمن عليها » ـ أخرجه الشيخان وأبو داود ـ.

وفي رواية لهم : فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون . فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

وقد خَرَّج أئمة الحديث أنَّ رسول الله ﷺ أخبر أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ أن خيبر تفتح على يد علي ـ رضي الله عنه ـ في غده . وقد فتحت. وأن الفتنة لا تظهر ما دام عمر ـ رضي الله عنه ـ حياً ، وأن عثمان ـ رضي الله عنه ـ يقتل مظلوماً ويدخل الجنة على بلوى تصيبه . وأن أبا ذر ـ رضي الله عنه ـ يعيش وحيداً ويموت وحيداً . وكان ذلك . وأن الحسن بن علي ـ رضي الله عنه ـ سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين . فأصلح الله به بين أتباعه وأهل الشام ، فبايع معاوية ـ رضي الله عنه ـ وسمي ذلك العام بعام الجماعة ، : فهذه الأمور كلها وقعت في زمن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وأخبر أن أمته ستفترق على ثلاث

وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . وهي التي تبقى متمسكة بما كان عليه هو ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ.

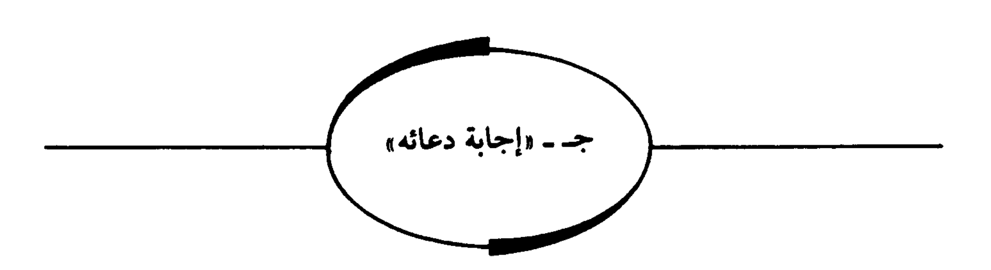
وهذا غيض من فيض من الغيب الذي أخبر ، فوقع كما قال . وظهر بذلك ما قاله موسى في سفر التثنية :

١٨/٢١ : وإذ تقول في سرك : كيف يتبين الأمر الذي لم يخاطبه الله ؟.

١٨/٢٢ : ما يقوله المتنبىء باسم الله ، ولا يكون ذلك الأمر ولا يأتي ، هو الأمر الذي لم يقله الله . باتّقاح قاله المتنبىء . لا تخف منه .

وفي العبرانية : فما تكلم به النبي باسم الرب ، ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب . .

ومما أخبر به ولم يأت بعد: خروج المهدي ونزول عيسى وظهور الدجال. كما سنرى إن شاء الله في القسم الثالث.



جـ ـ «إجابة دعائه»

كان ﷺ مجاب الدعوة، فما دعا لأحد أو على أحد إلا استجاب الله له، وحدث ما دعا به. وهذا شيء قد تواتر من حيث أصل الإجابة، وهو دليل على صدقه، فهو نبي الله حقاً وصدقاً. ومن ذلك ما يلي:

١ ـ دعا لابن عمه عبد الله بن عباس بالفهم والعلم، فكان ترجمان القرآن وحبر الأمة وبحرها:

عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: ضمني رسول الله ﷺ إلى صدره وقال: اللهم علمه الكتاب ـ رواه البخاري والترمذي ـ .

وفي رواية ثانية: الحكمة. وفي ثالثة: اللهم فقهه في الدين. وعند مسلم: اللهم فقهه.

وعند أحمد وابن حبان والطبراني: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.

٢ ـ ودعا لأم أبي هريرة ـ رضي الله عنها ـ فأسلمت بعد عنادها:

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام، وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام، فتأبىٰ علي، فدعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله تعالى أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ : «اللهم أهد أم أبي هريرة. فخرجت مستبشراً بدعوة النبي ﷺ فلما جئت فصِرت إلى الباب وقرُبت منه، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدميّ فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ خضخضة الماء، فاغتسلتْ، ولبست دِرعها

وعجلت عن خمارها ففتحتِ الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، فقلت: يا رسول الله أبشر، فقد استجاب الله دعوتك، وهدى أم أبي هريرة. فحمد الله، وقال خيراً. قال: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا. فقال رسول الله ﷺ: اللهم حبب عُبيدك هذا ـ يعني أبا هريرة ـ وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهما المؤمنين. فما خَلْق من مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني ـ رواه مسلم ـ.

٣ ـ عن عثمان بن حنيف ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً ضريراً أتىٰ النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. فقال: «إن شئتَ دعوتُ، وإن شئت صبرتَ، وهو خير». قال: فادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضىٰ، اللهم شفعه فيّ ـ وزاد الترمذي والحاكم: وشفعني فيه» ـ.

قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا، كأن لم يكن به ضُر ـ رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني والحاكم في المستدرك، وقد صححه جماعة من العلماء، منهم ابن تيمية ـ.

٤ ـ قال ابن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى بن هرمز ملك الفرس وكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدىٰ، آمنَ بالله ورسوله، فإني أدعوك بدعاية الله، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. فأسلم تسلم. وإن أبيت، فإن إثم المجوسية عليك». فلما قرأ الكتاب شققه وقال: يكتب إلي بهذا الكتاب. وهو عبدي؟

قال ابن إسحاق: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر: فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ووضعه عنده. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: أما هؤلاء فيمزقون، وأما هؤلاء فستكون لهم بقية.

٥ ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نُحرت جَزور بالأمس. فقال أبو

جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلانٍ[1]، فيأخذه فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه. فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه، فاستضحكوا، وجعل بعضهم يحيل على بعض. وأنا قائم أنظر، فلو كانت لي مَنعَة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان، فأخبر فاطمة ـ رضي الله عنها ـ فجاءت ـ وهي جُويرية ـ فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم ـ وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً ـ ثم قال: اللهم عليك بقريش ـ ثلاث مرات ـ فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته. ثم قال: اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة ابن أبي معيط وذكر السابع ولم أحفظه. قال: فوالذي بعث محمداً بالحق، لقد رأيت الذين سمىٰ صرعىٰ، ثم سُحبوا إلى القَلِيب قليب بدر ـ أخرجه الشيخان، وأخرجه النسائي مختصراً ـ .

وفي رواية ذكر الراوي السابع، وهو عمارة بن الوليد. وفيها: فيعمد إلى فَرثها ودمها وسلاها، فيجيء به، ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه.

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ـ قال ـ أي قبيل معركة بدر ـ : هذا مصرع فلان ـ ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا ـ قال: فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ أخرجه مسلم ـ .

وعند أبي داود: والذي نفسي بيده، ما جاوز أحد منهم عن موضع يد رسول الله ﷺ فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخذوا بأرجلهم فسُحبوا فألقوا في القليب.

٦ ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم

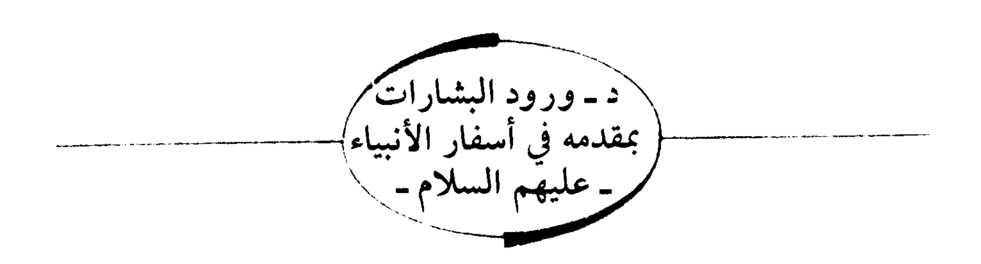
---

(١) السلا: الذي يكون فيه الولد في بطن أمه. وقيل: الكَرِش. الجزور: البعير ذكراً كان أو أنثى. المنعة: القوة والشدة. الفرث: ما يكون في الكَرِش: القليب البئر لم تُطوَ، وإنما هي حفيرة قلب ترابها، فسميت قليباً. ما ماط: ما زال وما بعد، والميط الميل والعدول. انظر جامع الأصول ٨/١٨١ و ١١/٣٦٦.

وقد دعا رسول الله ﷺ على عتبة بن أبي لهب فقال: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك. فقتله الأسد.

كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك. وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبـد كُلال، فلم يجبني إلى مـا أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرن الثعالب[1]، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. قال رسول الله ﷺ : «بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» أخرجه البخاري ومسلم ـ .

(١) مكان بين مكة والطائف. وسيأتي مزيد تفصيل عند الكلام على إسلام عداس النصراني إن شاء الله.



وهذا دليل مستقل على ثُبوت نبوة محمد ﷺ وعلمٌ من أعلام رسالته. فهو مما تتظاهر فيه الأدلة على المدلول الواحد.

وهو أيضاً من جهة ثانية دليل على نبوة ذلك النبي السابق، الذي أخبر وبشر بهذا النبي اللاحق[1].

اعتماد أهل الكتاب على بشارات الأنبياء:

إن كثيراً من النصارى، إنما يعتمدون في إثبات النبوات على بشارات الأنبياء بمن يأتي بعدهم، فيقولون: المسيح بشرت به الأنبياء المتقدمة، بخلاف محمد ﷺ فإنه لم يبشر به نبي. وزعموا أن من لم يُبشِّر به فليس بنبي[2]. والجواب من وجهين:

١ ـ إن العلم بنبوة نبي من الأنبياء، لا يتوقف على العلم بأن من قبله أخبر به وبشر بنبوته، كما أن دلائل النبوة لا تنحصر في إخبار من تقدم. بل إن طرق العلم

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٢٨٢.
(٢) الجواب ١/١٧٦، ٣/٢٧٥.

بالنبوة متعددة، ودلائلها كثيرة متنوعة. فإذا عرفت نبوة بطريق من الطرق، وثبَتَتْ بما قام عليها من الدلائل والبراهين، وجب الإيمان بها واتباع صاحبها، وإن لم يعلم أن من قبله بشّر به(١).

ومعلوم باتفاق الملل أنه ليس من شرط نبوة كل نبي، أن يبشر به من قبله، فإن النبوة تثبت بغير ذلك. فنوح وإبراهيم ـ عليهما الصلاة والسلام ـ لم يُعلم أنه بشر بهما من تقدمهما. وكذلك عامة الأنبياء الذين قاموا في بني إسرائيل، كداود وإشَعياء وغيرهما، فإنه لم تتقدمهم بشارات من الأنبياء السابقين، لا سيما وأنهم لم يبعثوا بشريعة ناسخة. كما أن موسى ـ عليه السلام ـ كان رسولاً إلى فرعون، ولم تتقدم لفرعون بشارة به(٢).

٢ ـ إنه قد ثبت أن الأنبياء قبله قد بشروا به:

فالآثار الكثيرة تخبر بأن محمداً ﷺ كان مكتوباً بصفته أو باسمه الصريح، فيما هو منقول عن الأنبياء، وأن البشارة به في الكتب المتقدمة أعظم من البشارة بالمسيح ـ عليه السلام ـ ولكن كما أن اليهود يتأولون البشارة بالمسيح على أنه ليس عيسى بن مريم، بل هو آخر لا زالوا ينتظرونه. كذلك البشارات بمحمد ﷺ في الكتب المتقدمة، يتأولها كثير من اليهود والنصارى على غير تأويلها(٣).

ولو قُدِّر أن هذا ليس في الكتب التي لديهم الآن، لم يلزم منه أن المسيح ومن قبله لم يذكروه أو يبشروا به، بل يمكن أن يكونوا قد ذكروه ولم ينقل إلينا، ويمكن أنه كان في نسخ غير هذه النسخ فأزيل من بعضها، إذ ليس كل ما أخبر به المسيح والأنبياء من قبله وصل إلينا، وهذا بديهي مسلم به.

وإذا ادعى اليهود أن المسيح لم تبشر به الأنبياء، وادعى اليهود والنصارى أن

---

(١) الجواب ١/١٧٦ ـ ١٧٧، ٣/٢٨٩، هداية الحيارى لابن القيم ص ٥٩١.
(٢) الجواب ١/١٧٦ ـ ١٧٧، ٣/٢٧٧ ـ ٢٧٨.
(٣) الجواب ١/١٧٧، ٣/٢٨٠.

محمداً ﷺ لم تبشر به الأنبياء أيضاً، فإن ذلك لا يقدح في نبوتها. لأن دلائل نبوة كل منها قطعية يقينية.

إن شواهد نبوة محمد ﷺ وآياتها لا تنحصر فيها عند أهل الكتاب من نعوته وأوصافه. بل آياتها وشواهدها متنوعة متعددة ـ كما سلف ـ ونعته وصفته في الكتب المتقدمة فرد من أفرادها. وجمهور أهل الأرض لم يكن إسلامهم عن الشواهد والأخبار التي في كتبهم، بل إن أكثرهم لا يعلمونها وما سمعوا بها، وإنما كان إسلامهم للدلائل التي عاينوها والآيات التي شاهدوها. ثم جاءت تلك الشواهد التي عند أهل الكتاب مقوية عاضدة، من باب تقوية البينة، وقد تم النصاب بدونها. إن العرب من أولهم إلى آخرهم لم يتوقف إسلامهم على معرفة ما عند أهل الكتاب من الشواهد، وإن كان ذلك قد بلغ بعضهم وسمعه من اليهود قبل البعثة وبعدها، فقد كان الأنصار يسمعونً من اليهود صفة محمد ﷺ ونعته ومخرجه، فلما عاينوه وأبصروه عرفوه بالنعت الذي أخبرهم به اليهود، فسبقوهم إليه. بيد أن اليهود تعنتوا، فغصوا بمائهم وقالوا: ليس هو الذي كنا نعدهم به[1].

الطرق الدالة على أن الأنبياء بشرت بمحمد ﷺ :

يستدل على أن الأنبياء السابقين بشروا بمحمد ﷺ وأنه مذكور في كتبهم من النواحي التالية:

١ ـ ما في الكتب التي لدى اليهود والنصارى اليوم من ذكر صفاته والبشارة بنبوته:

فقد استخرج كثير من العلماء مواضع متعددة منها، وصنفوا في ذلك مصنفات كثيرة قديماً وحديثاً. وهي قليل من كثير، وغيض من فيض، كما سنرى في القسم الثالث إن شاء الله.

وهذه البشارات من أظهر الحجج على أهل الكتاب، ومن أظهر الدلائل على

---

(١) الجواب الصحيح ١/١٧٧، ٣/٢٨٠ و٢٨٢، هداية الحيارى ص ٥٩٠ ـ ٥٩١.

نبوته ﷺ وهي لا تنطبق إلا عليه ـ كما سنرى إن شاء الله ـ بحيث لا يشك من عرف تلك الصفات والعلامات المذكورة، ورأى محمداً ﷺ أو درس سيرته لا يشك في أنه هو، كما عرفه سلمان الفارسي وهرقل ملك الروم، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس عظيم مصر وغيرهم، بتلك العلامات المذكورة في كتبهم(٢).

٢ ـ إخباره ﷺ بذلك في القرآن وغيره واستشهاده بعلماء أهل الكتاب واحتجاجه عليهم:

فقد نادى محمد ﷺ في أهل الكتاب من يهود ونصارىٰ أن ذكره ونعته وصفته بعينه عندهم في كتبهم، ودعاهم إلى تصديقه والإيمان به مرة بعد أخرىٰ، وأخبر بذلك أعداءه من المشركين الذين لا كتاب عندهم، كما أخبر أتباعه المؤمنين. واستشهد على ذلك بعلماء أهل الكتاب واحتج عليهم به، وجعله من أعظم أدلة صدقه وصحة نبوته.

قال تعالىٰ: ﴿ **ويقول الذين كفروا: لست مرسلاً، قل: كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾ ـ الرعد/٤٣ ـ.

ولا ريب عند كل من عرف محمداً ﷺ أو درس حياته من مؤمن وكافر، أنه كان من أعقل أهل الأرض وأحكمهم وأعرفهم بما يستدل به على دعوته. فلو كان هذا الأمر لا وجود له عندهم، لكان محتجاً على دعواه بما يشهد ببطلانها. لأن في ذلك تسليطاً للمشركين أن يسألوا أهل الكتاب فينكروا ذلك، وإغراءً لأهل الكتاب بتكذيبه، وتنفيراً لأتباعه عنه، وحَضًّاً لهم على تكذيبه بعد تصديقه. والعادة تحيل سكوتهم عن الطعن فيه والرد عليه والتهجين لقوله.

فعلم ضرورة أنه. لا يفعله ولا يخبر به لو لم يكن على ثقة تامة ويقين جازم بوجوده، إذ لا يليق بالعاقل أن يقدم على فعل يمنعه من مطلوبه، ويبطل عليه مقصودة، فينقض الغرض المقصود بإخباره من كل وجه، بلا فائدة. فإقدامه ﷺ على إخبار أصحابه وأعدائه بأنه مذكور في كتب أهل الكتاب بنعته وصفته، وإنهم وعدوا به، وأنهم يعرفونه بالنعت والصفة المكتوبة عندهم، والتي لا تنطبق إلا عليه،

---

(١) الجواب ٣/٢٨٢، هداية الحيارىٰ ص ٥٨٠.

كما يعرفون أبناءهم، وتكراره ذلك ذلك عليهم في كل مجمع، وتوبيخهم به، من أقوى الأدلة القطعية على وجوده.

قال تعالىٰ : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون** ﴾ ـ الأنعام / ٢٠.

وقد شهد له عدد من علماء أهل الكتاب، وآمنوا به وصدقوه، وأخبروا بما في كتبهم من أوصافه وذكروها كعبد الله بن سلام وغيره، فلا يقدح جحد المعاندين بعد ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿ **قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله، فآمن واستكبرتم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ ـ الأحقاف/ ١٠ ـ.

وغاية المكذب الجاحد أن يقول: هذا النعت والوصف حق، لكن لست أنت المراد به، بل نبي آخر، ونحن ننتظره. وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة[1].

عن محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: أتى رسول الله ﷺ بيت المدراس فقال: أخرجوا إلي أعلمكم. فقالوا: عبد الله بن صوريا. فخلا به رسول الله ﷺ فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المنّ والسلوىٰ، وظللهم من الغمام، أتعلم أني رسول الله؟ قال: اللهم نعم، وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمبيّن في التوراة، ولكن حسدوك. قال: فما يمنعك أنت؟! قال: أكره خلاف قومي. عسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم.

وعن الفلتان بن عاصم ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ في المجلس، فشخص بصره إلى رجل يمشي، فقال: أيا فلان. قال: لبيك يا رسول الله ـ ولا ينازعه الكلام إلا قال: يا رسول الله ـ قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: لا. قال:

---

(١) الجواب ٣/٢٩٢.

وهداية الحيارى ص ٥١٨، و٥٢٢، و٥٢٤ ـ ٥٢٥ و ٥٨٠ ـ ٥٨١.

أتقرأ التوراة؟ قال: نعم. قال: والإنجيل؟. قال: نعم. قال: والقرآن؟ قال: والذي نفسي بيده، لو أشاء لقرأته. ثم ناشده: هل تجدني في التوراة والإنجيل؟ قال: نجد مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك، فكنا نرجو أن يكون فينا، فلما خرجتَ، خفنا أن تكون أنت هو، فنظرنا، فإذا أنت لست هو. قال: ولم ذلك؟ قال: معه من أمته سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ولا عذاب، وإنما معك نفر يسير. فقال: والذي نفسي بيده لأنا هو، وإنهم لأمتي، وإنهم لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً - رواه البزار، قال في مجمع الزوائد: ورجاله ثقات - .

٣ - اعتراف من أسلم منهم بذلك رغم بعد ما بينهم من الزمان والمكان:

إن اليهود والنصارى معترفون بأن الكتب القديمة بشرت بنبي عظيم الشأن يخرج في آخر الزمان، وبينت صفته ومخرجه وشأنه، كما ذكرت صفة أمته، بل منها ما صرح باسمه.

وقد تواتر عن خلق كثير من أهل الكتاب، ممن وقف على تلك الكتب ممن أسلم وممن لم يسلم أن ذلك في كتبهم، وأنهم ينتظرونه. وتواتر عن كثير ممن أسلم منهم أنه كان سبب إسلامهم، أو من أعظم أسباب إسلامهم. ولا سيما في القرن الأول. فقد شهد من أسلم من علمائهم بوجود البشارات في أسفار العهدين. إن من خيار اليهود من لم يسكن أرض المدينة - يثرب - مع شدتها وحرها ولأوائها، ولم يترك أرض الشام مع رخائها، إلا لانتظار هذا النبي الذي يبعث من ولد إسماعيل.

وكذلك النصارى، فإنهم كانوا ينتظرونه ويترقبون أخباره، مثل هرقل والمقوقس والنجاشي، ونصارى نجران الذين جاءوا إلى مكة ليسمعوا منه وغيرهم.

فأما اليهود ، فعلماؤهم عرفوا وتيقنوا أنه محمد بن عبد الله ﷺ فمنهم من آمن به، ومنهم من جحد نبوته وصد عنه، فقال لعوام اليهود: إنه لم يخرج بعد.

فالمكذبون الجاحدون لنبوة محمد ﷺ لما لم يمكنهم إنكار البشارات كلها وتبديلُها، لجأوا إلى تحريف الكلم عن مواضعه. وهو نوعان: تحريف لفظه وتحريف معناه. كما لجأوا إلى ليّ اللسان بالكلام ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره،

فجحدوا أن يكون محمد ﷺ هو الذي وقعت به البشارات، وقالوا: إنه نبي آخر غيره. وعلموا هم والمؤمنون من قومهم أنهم ركبوا متن المكابرة، وامتطوا غارب البهت، بل إن كثيراً منهم صرح لخاصته وبطانته أنه هو بعينه، وأنه عازم على عداوته ما بقي، كما أخبر بذلك عنهم من أسلم من قومهم فيما بعد. وهذا ليس ببدع في اليهود، فقد جحدوا من قبل نبوة المسيح، ورَمَوْه وأمَّه بالعظائم، مع أن نعته والبشارة به في كتبهم[1].

وأما النصارىٰ، فوضعوا بشارات التوراة، والنبوات التي بعدها على المسيح. ولا ريب أن بعضها صريح فيه، وبعضها ممتنع حمله عليه، وبعضها محتمل.

أما بشارات المسيح ـ عليه السلام ـ فلكثرتها وتنوعها غلبوا على كتمانها وإخفائها أو تبديلها، فحملوا أكثرها على الحواريين. وإذا جاءهم ما يستحيل انطباقه عليهم حرفوه، أو سكتوا عنه وقالوا: لا ندري ما المراد به. كما حملوا بعضَها على أمر وهمي معدوم، لا أساس له البتة ولا وجود. وهكذا صاروا إلى تحريف التأويل وإزالة معنى البشارات عمن لا تصلح إلا له، كما سيأتي إن شاء الله[2].

من أجل ذلك وبخ الله أهل الكتاب جميعاً وبكّتهم فقال سبحانه: ﴿ **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون؟!** ﴾ آل عمران/ ٧١ ـ .

فلبس الحق بالباطل: هو خلطه به بحيث لا يتميزان عن بعضهما، وكتمان الحق: إخفاؤه.

وقال جل جلاله: ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى، من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ ـ البقرة/ ١٥٩ ـ .

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٢٨٢ ـ ٢٨٣ و ٢٩٥، هداية الحيارى ص ٥٢٢ و ٥٢٤ ـ ٥٢٥ و ٥٨٠ ـ ٥٨١، وانظر إظهار الحق ٢/٢٩٦.

(٢) هداية الحيارىٰ ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥ و ٥٨٠.

وقال: **﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تُخفون من الكتاب ويعفو عن كثير* قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين* يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾** ـ المائدة/ ١٥ ـ ١٦ ـ .

بيد إن كثيراً من الأحبار والرهبان آثروا الحق على الباطل فآمنوا بمحمد ﷺ وصدقوه في ذلك، وشهدوا بما قال: «وكان إسلامهم في وقت شدة من الأمر وقلة من المسلمين، وضعف وحاجة بهم، وأهل الأرض مطبقون على عداوتهم، واليهود والمشركون هم أهل الشوكة والعدة والسلاح والمال.

وعن المسلمين الصادقين منهم تلقي المسلمون هذه البشارات، وتيقنوا بصدقها وصحتها، مع تباين أعصارهم وأمصارهم وكثرتهم، ومع اتفاقهم على لفظها وموضعها. وهذا يفيد القطع بصحتها ولو لم يقر بها أهل الكتاب، فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها، وإنما يغالطون في تأويلها والمراد بها[1].

ذكر ابن إسحاق عن صفية بنت حيي بن أخطب ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: لم يكن من ولد أبي وعمي أحد أحبَّ إليهما مني، لم ألقهما في ولد قط إلا أخذاني دونه. فلما قدم رسول الله ﷺ قُباء نزل في بني عمرو بن عوف. فغدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغَلِّسَيْنْ، فوالله ما جاءا إلا مع مغيب الشمس، فجاءا فاترين كسِلين ساقطين يمشيان الهوينا. فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إلي واحد منهما. فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله. قال: تعرفه بنعته وصفته؟ قال: نعم والله. قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.

٤ ـ شهادة المسلمين الذين اختلطوا بأهل الكتاب قبل إسلامهم، وسمعوا البشارات به من أفواههم: وهذا مثل ما تواتر عن الأنصار أنهم كانوا يسمعون من جيرانهم اليهود عن بعثة نبي عظيم الشأن ينتظرونه، وأنه مذكور في كتبهم بصفته

---

(١) هداية الحيارى ص ٥٢٢ و ٥٨٠ و ٥٩٣، إظهار الحق ٢/٢٩٦.

ونعته. وكان هذا من أعظم ما دعاهم إلى الإيمان به، عندما التقىٰ بهم رسول الله ﷺ في العقبة الأولى والثانية وما بينهما[1].

ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث سليمان بن سحيم ورميح بن عبد الرحمن، كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت مالك بن سنان يقول: جئت بني عبد الأشهل يوماً لأتحدث فيهم، ونحن يومئذٍ في هدنة من الحرب، فسَمعت يوشع اليهودي يقول: أظل خروج نبي يقال له أحمد، يخرج من الحرم. فقال له خليفة بن ثعلبة الأشهلي، كالمستهزىء به: ما صفته؟ فقال: رجل ليس بالقصير ولا بالطويل، في عينيه حمرة، يلبس الشملة ويركب الحمار، وهذا البلد مهاجره. قال: فرجعت إلى قومي بني خدرة، وأنا يومئذٍ أتعجب مما يقول يوشع، فأسمع رجلاً منا يقول: هذا وحده يقوله؟ كل يهود يثرب تقول هذا.

وقال النضر بن سلمة حدثنا يحيى بن إبراهيم عن صالح بن محمد عن أبيه عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن محمد بن مسلمة قال: لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودي واحد يقال له يوشع، فَسمعته يقول ـ وإني لغلام ـ: قد أظلكم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت، ثم أشار بيده نحو بيت الله الحرام، فمن أدركه فليصدقه. فبعث رسول الله ﷺ فأسلمنا، وهو بين أظهرنا، ولم يسلم حسداً وبغياً.

وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا وجحدوا ما كانوا يقولون فيه. فقال معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه نبي مبعوث، وتصفونه بصفته! فقال سلام بن مسلم، أخو بني

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٢٨٢.

النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين** ﴾ ـ البقرة/ ٨٩ ـ (١).

وقال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن أشياخ من قومه قالوا: ومما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه، ما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نتبعه، فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم. فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا، ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات من سورة البقرة: ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا؛ كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾ ـ البقرة/ ٨٩ ـ (٢).

وفي رواية أن رسول الله ﷺ لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، فقال: من أنتم؟ قالوا: نَفرٌ من الخزرج. قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلىٰ. فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. . . . فقال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون أنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه. . .

حتمية ذكر محمد ﷺ في كتب الأنبياء:

إن أنبياء بني إسرائيل أخبروا قومهم بما سيكون من الأحداث الكبيرة في المستقبل، وبمن يسلط عليهم من الملوك الذين يقتلونهم، ويخربون بلادهم، ويسبون

---

(١) الاستفتاح: الاستنصار، أي كانوا يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبي المبعوث آخر الزمان.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٢.

نساءهم وأولادهم. كحادثة بختنصر وسنحاريب وكورش والإسكندر وخلفائه، وحادثة أرض أدوم ومصر ونينوىٰ وبابل، وأعلموهم بظهور المسيح الدجال، وحذروهم من فتنته. مع أن مدته في الأرض قليلة.

ويبعد كل البعد ألا يخبر أحد منهم عن ظهور محمد ﷺ الذي كان وقت ظهوره كأصغر البقول، ثم صار شجرة عظيمة تأوي إلى أغصانها طيور السماء.

إنه من المعلوم أن ظهور دين محمد ﷺ وامتداده في مشارق الأرض ومغاربها من أعظم الحوادث التي حدثت في الأرض، بل هو أعظمها. فلم يعرف قط دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه. لقد انتصر محمد ﷺ على اليهود، وحارب النصارى، وظهر على معظم جزيرة العرب. ثم ظهرت أمته من بعده على اليهود والنصارىٰ في أفضل الأرض وأجلها عندهم، ألا وهي بلاد الشام، ولا سيما القدس. كما ظهرت على بلاد الفرس ومصر وغيرهما، فحطمت الجبابرة والأكاسرة. وامتد دينه دهراً طويلاً، ولا يزال يمتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما ظهر في أمته الملايين من العلماء الربانيين، والحكماء المتقنين، والملوك العظام. فكيف يُجوّز العقل السليم أن يكون الأنبياء قد أخبروا عن الحوادث الأصغر، وتركوا هذه الحادثة العظيمة؟!

إن محمداً ﷺ أظهر نبوته، وطلب من الناس تصديقه، وحدث ما حدث حال حياته وبعد وفاته. فمن البديهي أن تخبر الأنبياء به على حسب العادة، ويذكر في الكتب، سواء كان صادقاً أو كاذباً. فإنه إن كان صادقاً فالبشارة به لاتباعه والإيمان به من أولى ما تبشر به الأنبياء من المستقبلات وتخبر به.

وإن كان كاذباً مدعياً، فإن فتنته أعظم من فتنة الدجال من وجوه كثيرة. لأن الذين اتبعوه أضعاف أضعاف من يتبع الدجال. فكان التحذير منه أولى من التحذير من الدجال الذي حذرت منه جميع الأنبياء. ولا يكفي التحذير العام من الأنبياء الكذبة. بل لا بد من أن يذكروه ويذكروا الأحداث التي تجري في أيامه وبعد وفاته، ويحذروا من اتباعه. فكيف يغفل الأنبياء الذين يوحىٰ إليهم التحذير من مثل هذا لو كان كاذباً!؟.

إنه لم ينقل قط عن شيء من الكتب أن فيها ذكره بالذم والتكذيب والتحذير كما هو الحال في الدجال. بل عامة أهل الكتاب، إما أن يقولوا: ليس له ذكر في كتبنا، أو يقولوا: إن له ذكراً بالمدح والثناء. ولو كان ثمة أخبار عن الأنبياء توجب ذمه وتكذيبه والتحذير من متابعته، لكان هذا من أعظم ما يحتجون به عليه في حياته، وعلى أمته بعد وفاته. ولاحتج به أيضاً من لم يدخل في الإسلام منهم على من دخل فيه، ولكان إظهارهم لذلك واحتجاجهم به أقوىٰ وأبلغ. فقد كان عندهم من البغض والعداوة له، والحرص على إبطال أمره ما دفعهم إلى أن يفتروا عليه أشياء لا وجود لها فيه البتة[1].

١) الجواب الصحيح ٣/٢٩٣ ـ ٢٩٦، إظهار الحق ٢/٢١٦، الرسالة السبيعية ص ٧١.

ـ القسم الثالث

بشارات العهد القديم

ويحتوي على الأبواب التالية :

أ ـ بشارات التوراة .
ب ـ بشارات الزبور .
جـ ـ بشارات إِشَعْيَاء .
د ـ بشارات سائر أسفار العهد القديم .
هـ ـ يهود يعترفون برسالة خاتم النبيين ﷺ .



توطئة
في ميثاق النبيين

إن مما خص الله سبحانه ـ نبيَّه محمداً ـ ﷺ ـ به: أن جعله خاتم النبيين، وأرسله للناس كافة، وأخذ عهداً على كل نبي أرسله، أن يؤمن به ويتبعه وينصره، إن بعث وهو حي. كما أخذ العهد على الأنبياء أيضاً أن يبشروا قومهم به، وينعتوه لهم ببعض أوصافه، وأن يأخذوا العهد عليهم، لئن بعث وهم أحياء ليتبعنه ولينصرنه.

قال سبحانه: **﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم، لتؤمنن به ولتنصرنه. قال: أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري[1]؟ قالوا: أقررنا. قال: فاشهدوا، وأنا معكم من الشاهدين ﴾** ـ آل عمران/١٨ ـ.

وعن علي وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ أنهما قالا: ما بعث الله نبياً، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمد ﷺ وهو حي، ليؤمنَنَّ به ولينصرنه. وأمره أن يأخذ العهد على قومه: لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء، ليؤمنُنَّ به ولينصرنه وليتبعنه. ثم تلا علي ـ رضي الله عنه ـ الآية: **﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين... ﴾** ـ رواه البخاري ـ[2].

---

(١) لما: أي مهما. وإصري: عهدي.

(٢) وذكر نحو ذلك عنهما وعن قتادة والسدي والحسن وطاوس، الطبريُّ وابن كثير وغيرهما من أهل التفسير.

وإنما أخذ الله سبحانه له الميثاق والعهد من النبيين، مع علمه تعالىٰ أنهم لا يدركونه، لإظهار فضله ورفع شأنه، وللتنويه بقدره والإشادة بذكره ﷺ .

بشارات الأنبياء بمحمد ﷺ :

لم تزل الأنبياء تبشر برسول الله ﷺ وتصفه لأممها في الكتب والتعاليم، وتأمرهم بأتباعه ونصرته ومؤازرته إذا بعث. وكان أول ما اشتهر الأمر في الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من بعده، حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم. . وأخيراً على لسان عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ .

عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمجندل في طينته. وسأخبركم بأول أمري: أنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسىٰ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني، وقد خرج منها نور ساطع أضاءت منه قصور الشام» ـ رواه أحمد وابن حبان والحاكم في المستدرك وصححاه، وأقر الذهبي تصحيح الحاكم ـ [1].

فدعوة إبراهيم هي التي ذكرها الله سبحانه بقوله: ﴿ **ربنا وابعث فيهم**

---

(١) وعن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: «يا رسول الله أخبرنا عن نفسك؟ قال: «دعوة إبراهيم وبشرى عيسىٰ ـ عليهما السلام ـ ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصرىٰ من أرض الشام ـ رواه ابن إسحاق بسنده. قال ابن كثير: إسناده جيد، وله شواهد ـ .

وروى أحمد عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله ما كان بدء أمرك؟ قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرىٰ عيسىٰ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام ببصرىٰ.

وأخرج ابن عساكر عن عبادة بن الصامت مرفوعاً: «أنا دعوة إبراهيم، وكان آخر من بشر بي عيسى بن مريم» وقد رمز السيوطي لحسنه. قال المناوي: ورواه الحارث بن أسامة والطيالسي والديلمي بلفظ: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسىٰ ، ولما ولدت خرج من أمي نور أضاء ما بين المشرقين.

رسولاً منهم يتلوا عليهم ءايٰتك، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم * إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ - البقرة/ ١٢٩ - .

وبشارة عيسى هي ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم: يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم، مصدقاً لما بين يدي من التوراة، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ - الصف/٦ - .

وهكذا توالت البشارات والعهود من نبي إلىٰ نبي، ومن جيل إلى جيل بالنبي المنتظر خاتم الأنبياء والرسل، المرسل رحمة للعالمين.

أهل الكتاب كانوا على علم تام به - ﷺ :

الغالب أن الأنبياء يبشر بعضهم ببعض. والنبي المتقدم إذا أخبر عن النبي المتأخر، لا يشترط أن يخبر بالتفصيل التام عن أخباره وأحواله وصفاته. بل يكون الإخبار في الغالب مجملاً. ولا سيما عند العوام. أما الخواص فقد يصير جلياً عندهم بوساطة القرائن. وربما يبقىٰ خفياً عليهم، لا يعرفون مصداقه إلا بعد مجيء النبي اللاحق، وإخباره أن المتقدم قد بشر به وأخبر عنه، مع ظهور صدق ادعائه بدلائل النبوة من معجزات وغيرها. وآنئذٍ يصير أمره جلياً لا ريب فيه[1].

وأهل الكتاب من يهود ونصارىٰ كانوا علم تام به وبمبعثه ﷺ فقد ورد كثير من صفاته وصفاة أمته في كتبهم. حتى إذا أظل زمانه تاقت قلوب الطيبين للقائه والإيمان به ونصرته. فضربوا في الأرض يستقصون الأخبار.

عن عياض المجاشعي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب» - أخرجه مسلم - .

وجاء النبي المنتظر (مشتهىٰ كل الأمم) رحمة مهداة للعالمين. جاء أحمد ﷺ

---

(١) إظهار الحق ٢/٢١٦.

فسعد به ناس، وتنكب عنه متعنتون، فأظهره الله عليهم. ثم أظهر أمته من بعده على سائر الأمم.

قال سبحانه: ﴿ **ولما جآءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم. وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا. فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به. فلعنة الله على الكافرين** ﴾ - البقرة - ٨٩ -.

وقال تعالىٰ: ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾ - البقرة/١٤٦ -.

وقال جلّ جلاله: ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم * الذين خسروا أنفسهم، فهم لا يؤمنون** ﴾ - الأنعام/٢٠ -.

محمد في الكتب السماوية:

ما انفك كتاب نزل من السماء عن تضمن ذكر أو بشارة بالنبي محمد ﷺ لكن الغالب أن يكون ذلك بإشارات مدرجة أو رموز معرضة، لا يعرفها إلا الراسخون في العلم لحكمة أرادها الله. ولو كان الأمر منجلياً للعوام لما عوتب العلماء خاصة في كتمانه.

والنصوص الواردة في التوراة والإنجيل - العهد القديم والعهد الجديد - معظمها إشارات تحتاج إلى تأمل، لا سيما وأن علماءهم كانوا وما زالوا يشوّشون وجه الدلالة فيها بإلقاء الشبهات. وازداد الأمر غموضاً بنقل هذه الأسفار من لغة إلى أخرىٰ. ومع ذلك فإن من اطلع على أسفار الكتاب المقدس بعهديه أو على التوراة السامرية، وأنعم النظر وتأمل النص، وصبر على ركاكة العبارة وسقم الترجمة، سيجد بإذن الله بعض النصوص وفيها الدلائل الواضحة والحقائق الناصعة التي لا يمكن حملها إلا على البشارة برسول الله ﷺ (١).

ونحن المسلمين لا ندعي أن مدلول جميع النصوص التي سأوردها في هذا

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٢٠.

الكتاب قطعي الدلالة بحيث يلزم المعاند، ولا مجال فيه لتأويل آخر. لكنه في بعضها قوي يكاد يكون قطعياً. وفي الآخر راجح على سائر الوجوه والاحتمالات للأدلة والقرائن. ومن مجموع ذلك تكون الدلالة العامة على البشارة بخاتم النبيين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ قطعية، لا يزيغ عنها إلا من سفه نفسه.

وإن استشهادنا بنصوص من أسفار الكتاب المقدس بعهديه أو بالتوراة السامرية، لا يعني الإقرار بصحة هذه الأسفار أو الاعتراف بأنها الوحي الذي أنزله الله على أنبيائه والذي فيه هدى ونور. بل إنما هو من قبيل إقامة الحجة وإظهار الحق، ليزداد الذين آمنوا إيماناً مع إيمانهم.

وسأعرض أولاً بشارات العهد القديم، ثم أتبعها ببشارات العهد الجديد محللاً ودارساً.

أ ـ بشارات التوراة

قال الله تعالىٰ: ﴿ واختار موسىٰ قومه سبعين رجلاً لميقاتنا* فلما أخذتهم الرجفة قال: رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي* أتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ إن هي إلا فتنتك[1]، تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء* أنت ولينا، فاغفر لنا وارحمنا، وأنت خير الغافرين* واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة، إنا هدنا إليك* قال عذابي أصيب به من أشاء، ورحمتي وسعت كل شيء* فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا مؤمنون* الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل* يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم* فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون ﴾ ـ الأعراف/ ١٥٥ ـ ١٥٧ ـ .

أمر الله سبحانه موسى ـ عليه السلام ـ أن يختار من قومه سبعين رجلاً، ويأتي بهم إلى الميقات المكاني والزماني الذي عينه لهم. ليتوبوا إلى الله، ويعتذروا عن عبادة العجل. فلما وصلوا طلب ناس منهم أن يروا ربهم، وقالوا لموسىٰ: «لن نؤمن لك حتى نرىٰ الله جهرة» إنك قد كلمته فأرنا إياه. وعلى الفور أخذتهم الرجفة، فزلزلوا وصعقوا، وتهافتوا إلى أديم الأرض ينظر بعضهم إلى بعض.

---

(١) أي محنتك وابتلاؤك.

طلب موسى ـ عليه السلام ـ العفو عما بدر، فقام يناشد ربه ويتضرع إليه ويستعطفه معلناً التوبة والإنابة. فأخبره الله سبحانه أن رحمته سيجعلها للذين يتصفون بهذه الصفات:

ـ الذين يتقون الإشراك بالله وكبائر الذنوب، ويؤدون زكاة أموالهم.

ـ والذين يؤمنون بجميع الأنبياء والكتب، ويلتزمون بأحكام الله ولا يعارضون فيها، ولا يتعنتون في الاقتراح بعد إيمانهم.

ـ وهم الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ محمداً ﷺ.

فسماه رسولاً بالإضافة إلى الله، ونبياً بالإضافة إلى العباد، وأمياً لأنه لا يعرف القراءة أو الكتابة، ومن أمة أمية هي العرب، ومن أم القرىٰ مكة.

وهذا النبي لم تزل صفاته مذكورة في كتب أهل الكتاب من توراة وإنجيل، يعرفها علماؤهم وأحبارهم. لأن الأنبياء أجمعين بشروا أممهم ببعثته، وأمروهم بمتابعته. ومن هذه الصفات ما يلي:

١ ـ يأمرهم بالحق والخير وكل شيء حسن، وينهاهم عن الشر والباطل وكل قبيح.

٢ ـ يحل لهم الطيبات، ويحرم عليهم الخبائث من مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك.

٣ ـ يضعَ عنهم العهد والميثاق الذي أخذه الله عليهم فيما حرمه عليهم. ويخفف عنهم التشديد الذي كان في دينهم والتكاليف الشاقة التي تشبه الأغلال كقتل النفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة من الثوب، وتحريم العمل يوم السبت، وتحريم الشحوم والعروق، وغير ذلك من الأمور الشاقة. لأنه بالتيسير ورفع الحرج والسماحة جاء.

فمن آمن به وعظمه، ومنعه من أعدائه، وجاهد معه ونصر دينه، واتبع

القرآن الذي أنزل عليه والوحي الذي بلغه للناس، فهو الفائز بسعادة الدنيا والآخرة(1).

وكأن الله سبحانه يباهي بمحمد ﷺ وأمته بني إسرائيل، ويوبخهم على ما فعلوه وما طلبوه، قبل أن يولد محمد ﷺ بأكثر من خمسمائة عام وألف. ويصف أمته بأنهم ليسوا على شاكلتهم. بل يقولون: «سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير».

موقف أهل الكتاب من بشارات التوراة:

اشتملت التوراة وسائر أسفار العهد القديم على نصوص تبشر بخاتم النبيين وبشريعته، وتذكر بعض صفاته. لكن أهل الكتاب حرفوا وغيروا، إما من حيث الصورة والكتابة، وإما من حيث المعنىٰ والتأويل. ومع ذلك كله لا يخلو الكتاب الذي بين أيديهم من بشارات لمن تأمله، رغم ما اعتوره من تحريف وتشذيب.

موقف النصارىٰ:

والنصارى الذين يؤمنون بالتوراة، يحملون البشارات كلها على عيسى ـ عليه السلام ـ ويقولون: «إن السيد المسيح هو الموعود به في كتب النبوات. ولا شك أن بعضها يصدق في حقه ـ عليه السلام ـ فقد بشرت الكتب المتقدمة به كما بشرت بمحمد ﷺ لكن ليست جميع البشارات فيه وله.

وقد تأولوا العلامات الواردة في وصف النبي المنتظر وأحواله، ولم تظهر في زمن المسيح باحتمالات بعيدة جداً. ومن تأمل ما نقله مؤلفو العهد الجديد عن كتب الأنبياء من الأخبار التي ادعوا أنها في حق المسيح ـ عليه السلام ـ وجد بعضها غلطاً يقيناً، وبعضها محرفاً، وبعضها لا يصدق عليه إلا بالادعاء البحت والتحكم المحض. ومع ذلك نقلوها ولَوَوْا عنقها وحملوها عليه. واليهود يأبون ذلك، وينكرون تأويلهم أشد الإنكار. وعلماء النصارىٰ لا يلتفتون إلى تفاسير اليهود

---

(1) انظر تفسير الماوردي ٢/ ٥٩ ـ ٦٣، تفسير الطبري ١٣/ ١٤٠، مختصر ابن كثير للصابوني ٢/ ٥٣ ـ ٥٦، الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢١٢، قصص الأنبياء للنجار ص ٢٩٣.

وانتقاداتهم وتأويلاتهم أيضاً. بل يتهمونهم بتأويلها على خلاف الواقع.

والمتأمل المنصف يرى أن ما أورده المسلمون من البشارات بمحمد ﷺ أقوى دلالة، وأوضح مقصداً، وأظهر صدقاً. وكما أن تأويلات اليهود للأخبار التي هي في حق عيسى مردودة عند النصارى، كذلك تأويلات النصارى للأخبار التي هي في حق النبي المنتظر محمد ﷺ مردودة غير مقبولة عند المسلمين[1].

ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من كلام النبوات قد حرفه النصارىٰ عندما نقلوه من العبرانية إلى اليونانية والسريانية، ثم إلى العربية، تحريفاً يتفاوت عن المعنى الأصلي تفاوتاً كبيراً. والنصارىٰ يعترفون بهذا التفاوت أو ببعضه[2].

موقف اليهود:

واليهود بأسرهم مجمعون على أن في التوراة بشارة بنبي يأتي من بعد موسى - عليه السلام - وإنما يفترقون في تعيينه والزيادة عليه. ولا شك أن نصوص نبوءات التوراة كانت واضحة صريحة في محمد ﷺ ولكن علماء بني إسرائيل في أثناء السبي وضعوها في عبارات تحتمل معنيين عند العوام ليوهموهم أنه من بني إسرائيل. ولما عادوا من السبي اختلفوا في تحديد السبط الذي سيخرج منه؛ فقال السامريون: من سبط يوسف الصديق. وقال العبرانيون: من نسل داود لأنه مؤسس المملكة[3].

وسوادهم يزعم أن قائماً يقوم فيهم من ولد داود في آخر الزمان، إذا حرك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم. ولا يبقىٰ على وجه الأرض غيرهم. وهذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به[4].

---

(١) إظهار الحق ٢/ ٢٢٠ و٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) تنقيح الأبحاث لابن كمونة ص ٦٥.

(٣) التوراة السامرية ص ٤١١. وانظر بذل المجهود ص ١٢.

(٤) هداية الحيارى ص ٥٨٥ وص ٦١٣، بذل المجهود ص ٣٩.

والسامريون يؤمنون كذلك بظهور المسيح المنتظر في آخر الزمان . غير أنهم يزعمون أنه سيكون من آل يوسف لا من آل داود كما سلف[1] .

ولا يزال اليهود إلى اليوم ينتظرون مسيحهم الذي يرونه ملكاً عظيماً ، يأتي ليخلصهم من أعدائهم ، ويقيم لهم مملكة بأمر الرب . وهم يحملون البشارات كلها عليه . وهذا تحريف للكلم عن مواضعه . لأن النصوص مجتمعة تدل على أن النبي المنتظر من بني إسماعيل - كما سيأتي إن شاء الله - وهم لا يإخذون بمفهوم النصوص . بل يلوون عنقها لياً[2] .

أما المسيح بن مريم - عليه السلام - فليس له أي ذكر في كتبهم أو تاريخهم الديني اليوم . لأنهم يرونه مرتداً نال عقوبته . وقد كان مذكوراً في التلمود: أن يسوع الناصري أتت به أمه عن طريق الخطيئة . وهو الآن في لُجات الجحيم بين القار والنار[3] .

يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون[4] . إن مسألة قتل المسيح كانت مذكورة في التلمود . لكن اليهود أخرجوها حتى لا يعثر عليها أحد من النصارى .

لمحة موجزة عن الشعب المختار والمسيح المنتظر :

جاء في سفر اللاويين ٢٠ / ٢٤ - ٢٦ : وقلت لكم : ترثون أنتم أرضهم وأنا أعطيكم إياها . . أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب . . فلا تدنسوا نفوسكم بالبهائم والطيور ولا بكل ما يدب على الأرض مما ميزته لكم ليكون نجساً. وتكونون لي قديسين، لأني قدوس أنا الرب. وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لي اهـ.

وبالغ اليهود مستندين إلى هذا النص في تبيان فضلهم واختيارهم . فذكروا أن الفرق بينهم وبين سائر البشر كالفرق بين الإنسان والحيوان ، وأن الناس

---

(١) تقديم التوراة السامرية لأحمد حجازي ص ١٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ ، بذل المجهود ص ٣٩ .

(٣) المسيحية لأحمد شلبي ص ٧٧ - ٧٨، اليهودية له ص ٢٢٢ ، وانظر بذل المجهود ص ٣٢ .

(٤) المسيحية لأحمد ص ٧٨ .

مسخرون لهم ، كما أن الحيوان مسخر للإنسان . وهم يمثلون أنفسهم بعناقيد العنب وسائر الأمم بالشوك المحيط بالكرم لحفظه . ويظهر ذلك ويتجلى في (بروتوكولات حكماء صِهْيَوْن) . وقد قرروا أيضاً أن لليهود وحدهم الحياة الأبدية ، وأن أرواحهم من روح الله دون سائر الناس . وهم يقولون كل يوم في صلاتهم (محبة الدهر) : أحبنا يا إلهنا يا أبانا ، أنت أبونا ومنقذنا[١] .

ويرى بعض العلماء أنه نتيجة لما لاقاه اليهود من اضطهادات نشأت عندهم عقيدة المخلص الذي سيجيء ليعيد مجد إسرائيل ، ويجمع أشتات اليهود بفلسطين ، ويجعل أحكام التوراة نافذة . وقد أطلقوا عليه اسم النبي أو المسيح المنتظر[٢] . ووصفوه بأنه رسول السماء والقائد الذي سينال الشعب المختار بهديه وإرشاده ما يستحقه من سيادة وسؤدد .

ويرى بعضهم أن هذه الفكرة إنما برزت لهم بعد سقوط دولتهم ، وخلال أسرهم في بابل ، ثم تبلورت بعد خضوعهم للفرس . مما دفع الكثيرين من الباحثين إلى الاعتقاد بأن هذه الفكرة مستعارة من الديانة الزرداشتية التي يدين بها الفرس[٣] .

ومن الطريف في ذلك ما كتبه العالم اليهودي الدكتور رافائيل باتاي في الصلاة المدراشية التالية : « وعندما لفت أعمدة اللهب الهيكل صعد ثلاثة كهنة شبان إلى السطح ، وألقوا بمفاتيح بيت الله نحو السماء ، فامتدت يد نزولاً والتقطت المفاتيح . قال الكهنة : إلى متى آدوناي إلى متى ؟ فقال : صوت سماوي : لا أكثر من يومين يا أولادي . فعرفوا عندئذ أن سبي الشخينة وتشتيت إسرائيل سيدوم

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٦١٣ ، بذل المجهود ص ٣٦ و ٣٨ .

(٢) كلمة مسيح معناها عندهم: الممسوح بزيت البركة المقدس. لأنهم كانوا يمسحون الملوك والأنبياء والكهنة عند تقليدهم المناصب، كما مسح صموئيل كلاً من شاؤول وداود بالزيت ملكاً بأمر الرب. وسيأتي مزيد إيضاح لهذه الكلمة في بشارات الإنجيل إن شاء الله. وإنما أطلقوا عليه هذا اللقب ليظهروا للعالم كذباً أنه سيكون منهم لا من بني إسماعيل.

(٣) اليهودية لأحمد ص ٢١٦ و ٢١٨ - ٢١٩ .

ألفين من السنين . إذ هو مكتوب ـ أي في المزمور ٩٠/٤ بروتستانت ـ : لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعدما عبر . فقالوا له : يا سيد الكون ، كيف يستطيع بنو إسرائيل تحمل ألفي سنة من العذاب ؟ فقال لهم : سأعطيهم شعاعاً من النور يضيء ليل تشتيتهم ، سأعطيهم من لن يشاهدوا أبداً ، لكنهم سيشعرون بوجوده في كل الأوقات ، من لن يأتي أبداً ، لكنه سيكون على وشك القدوم دوماً . . من سيفتشون عنه ، لكنه يوجد في قلوبهم فقط . سأعطيهم إياه . وهو لن يكون أبداً ، ولكنه سيساعدهم على البقاء ، سأعطيهم المسيح المنتظر »[١] .

وأنت ترى أن هذا النص يجمع بين الإيمان العميق والرفض المطلق . وهو يعبر عن الحَيْرة التي سيطرت على المفكرين من اليهود في عصرنا هذا[٢] .

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن فكرة النبي المنتظر أو المسيح المنتظر ليست مستعارة لا من الزرداشتية ولا من غيرها . بل إنما هي فكرة أصيلة في عقيدة بني إسرائيل .

فقد بشرت الأنبياء جميعاً ـ ومنهم أنبياء بني إسرائيل ـ بنبي من ذرية إسماعيل يأتي في آخر الزمان بشريعة عامة شاملة عادلة ، فيؤمر بالجهاد ، ويؤيده الله بنصره ، فيمتد دينه وتسود شريعته . وهو خاتم الأنبياء ، فلا نبي بعده . لكن أحبار بني إسرائيل حرفوا النصوص فبدولها وزادوا فيها على مقتضىٰ أهوائهم التي تكره بني إسماعيل وتحتقرهم ـ كما سلف في القسم الثاني ـ ومن هنا بدأ اللبس ، ثم استفحل بالتحريف اللفظي والمعنوي ، فاختلط السم بالدسم .

وكان الله سبحانه قد بشر بني إسرائيل أيضاً بالمسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ على ألسنة أنبيائه ، من لدن موسى إلى زمن داود ومن بعده من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ وأكثر الأنبياء تبشيراً به داود ـ عليه السلام ـ فكانت اليهود تنتظره بشغف

---

(١) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١١٧ ـ ١١٨ .

(٢) ولذلك لما طال انتظارهم للمسيح الغازي ولم يأت فكر بعضهم أحياناً في مجيئه مصلحاً اجتماعياً وعادلاً وديعاً . وكل هذا يعكس قلق العقيدة الذي يعانونه ـ اليهودية لأحمد ص ٢١٩ .

بالغ رجاء أن يحررهم من نير الاستعمار . ولا شك في أن الأنبياء ذكروا عودته الثانية إلى الأرض قبل قيام الساعة ومحاربته للمسيح الدجال وسائر الكفرة وانتصاره عليهم وتثبيت حكم الله في الأرض . لكن بسبب ضياع التوراة وسائر كتب الأنبياء الحقيقية ووجود النصوص المحرفة والمضطربة بالإضافة إلى من يريـدون طمس الحقائق ، حدث سوء الفهم الموجَّه لدىٰ عامة بني إسرائيل ، فالتبست مهمة المسيح ـ عليه السلام ـ بمهمة غيره ممن أُمِرَ بالجهاد . الأمر الذي جعل اليهود ينتـظرون مسيحاً سياسياً وبطلاً عسكرياً ، يعبيء طاقاتهم للبطش بأعدائهم .

جاء في سفر إشعياء ١١ / ١ ـ ٦ : ويخرج قضيب من جذع يسَّىٰ ، وينبت على غصن من أصوله . ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب . ولذته تكـون في مخافـة الرب . فـلا يقضي بحسب نظر عينيه ، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه . بل يقضي بالعدل للمساكين ، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض . ويضرب الأرض بقضيب فمه . ويميت المنافق بنفخة شفتيه . ويكون البر مِنْطَقَة مَتْنَيْه ، والأمانة منطقة حَقويه . فيسكن الذئب مع الخروف ، ويربُض النِّمر مع الجدْي والعجل والشبل والمسمّن معاً ، وصبي صغير يسوقها . والبقرة والدُّبة ترعيان . تربُض أولادهما معاً . والأسد كالبقر يأكل تبناً . ويلعب الرضيع على سَرَب الصِّل ، ويمد الفطيم يده على جُحر الأُفْعُوان . لا يَسُـؤون ولا يفسدون في كل جَبَل قدسي . لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب ، كما تغطي المياه البحر . ويكون في ذلك اليوم أن أصل يَسّىٰ القائم للشعـوب ، إياه تطلب الأمم ويكون محله مجداً . ويكون في ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتني بقية شعبه التي بقيت . . . ويرفع راية الأمم ، ويجمع منفيّي إسـرائيل ، ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض . فيزول حسدُ أفرايم ، وينقرض المضايقون من يهوذا . أفرايم لا يحسد يهوذا ، ويهوذا لا يضايق أفرايم . وينقضّان على أكتاف الفلسطينيين غرباً ، وينهبون بني المشرق معاً . . . ويبيد الرب لسان بحر مصر ، ويهز يده على النهر بقوة ريحه ، ويضربه إلى سبع سواقٍ . ويجيز فيها بالأحذيـة . وتكون سكة لبقية شعبه التي بقيت من آشور ، كما كان لإسرائيل يوم صعوده من أرض مصر اهـ .

وتهيأ الرأي العام اليهودي لهذا المسيح ، وطال الانتظار . فمنذ العودة من السبي كانوا ينتظرون عهد الله بإقامة الدولة اليهودية على يد المسيح المظفر المنتظر . وكانت عقيدتهم به تتجدد كلما ألمت بهم النوائب وحاقت بهم المحن[1] .

وجاء المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وينادي بالخلاص الروحي وتطهير النفس ونحو ذلك . فكذبوه وطردوه ظانين أنه ليس الذي بشروا به ، بحجة أن المبشر به تؤمن به الأمم كلها . وهموا بقتله إلى أن أجمعوا على القبض عليه وقتله ، فصانه الله وأنقذه من أيديهم . فهم يقرون بالبشارات بالمسيح . لكن يعتقدون أنه لما يأت[2] .

قال ابن كمونة اليهودي[3] : وقد جاء في كتب الأنبياء من علامات المسيح وما يكون في زمانه ما لم يظهر في يشوع ولا في زمانه . مثل ما جاء في كلام بعضهم أنه يضرب الأرض بسوط فيه ، وبريح شفتيه يميت الخاطيء ، وأنه يجلس على منبر داود ، فيقضي بين الناس بعدل وحق . وأن الحروب ترتفع ، ولا يرفع أحد على أحد سيفاً . وأن الذئب والكبش يربضان معاً ويرعيان جميعاً . وأن الأسد يأكل التبن مع البقر .

ثم قال : وهذا إن كان على ظاهره ، فلم يجر ولم يقع في أيام يشوع ولا بعده ، وإن كان مثلاً ، فهو مثل لارتفاع الشرور من العالم ، وزوال العدوان من بين الخلق . ولم يجر في زمانه إلا خلاف ذلك من زيادة العدواة بين الناس بسبب ظهوره ، وارتكابهم الذنوب العظيمة فيه وفي أصحابه اهـ .

ولا زال اليهود حتى اليوم ينتظرون مسيحهم الذي يجعل بالقوة من أورشليم محور العالم ، ويقيم الموتى ويرعىٰ الشعوب بقضيب موسىٰ . وقد تعداهم السعد .

---

(١) الشرائع الدينية ص ١٢٤ ، اليهودية لأحمد ص ٢٢٠ و ٢٢٢ .

(٢) الجواب الصحيح ٣/٣٢٤ و ٣٩٣ ، هداية الحيارىٰ ص ٦٤٢ ، الشرائع الدينية ص ١٢٤ ، اليهودية ص ٢٢٢ ، من هو المسيح ص ٢٣ ـ ٢٤ .

(٣) في كتابه تنقيح الأبحاث ص ٦١ .

فلهذا إذا خرج المسيح الدجال يُضِل الناس بحيله الكاذبة ، وبما استدرجه الله به من قدرات اتبعوه بفرح وكانوا جنده .

قال ابن تيمية وابن القيم[1] ـ رحمهما الله ـ : واليهود في الحقيقة إنما ينتظرون المسيح الدجال الذي حذرت منه الأنبياء . فإنه هو الذي ينتظرونه حقاً . وهم عسكره وأتبع الناس له . ويخرج معه سبعون ألف مطيلس من يهود أصبهان . ويكون لهم في زمانه شوكة ودولة إلى أن ينزل مسيح الهدى ابن مريم ، فيقتل مُنتَظَرَهم المسيحَ الدجال ، ويضع هو وأصحابه السلاح فيهم . كما ثبت عن النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة اهـ .

هذه هي وجهة نظر نبي إسرائيل في النبي الذي نبهت التوراة إلى مجيئه ، وبشرت بقدومه . اختلط عليهم بسبب ضلالهم وعنادهم أمره بأمر المسيح بن مريم إبان ظهوره وعند عودته .

أما النصارى فيقرون ببعثة مسيح الهدى ابن مريم ـ عليه السلام ـ لكنهم يزعمون أن شخصيته ناسوتية ولاهوتية بنفس الوقت . لأنه ولد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، فكان له جسد بشري ، لكن جوهر الله كان مستتراً فيه . وهم يزعمون أنه سيأتي ثانية يوم الدينونة ليجزي الناس بأعمالهم[2] . فظهر أن كلاً من اليهود والنصارى والمسلمين ينتظرون مسيحاً يجيء في آخر الزمان : فمسيح اليهود هو الأعور الدجال كما مضى .

ومسيح النصارى لا حقيقة له . لأنه عندهم إله تام من إله تام من جوهر أبيه .

أما مسيح المسلمين ، فهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه ، ليس غير . وقد صح في الأخبار عن سيد الأبرار أنه ينزل على

---

(١) الجواب الصحيح ١/١٧٧، و٣/٢٩٣ و ٣٢٤، هداية الحيارى ص ٥٨٥ .

(٢) من هو المسيح ص ١٨ .

المنارة البيضاء شرقي دمشق على جناحي ملكين ، فيقتل مسيح الضلالة على بضع عشرة خطوة من بـاب لـد ، ويُظهِر دينَ الله وتوحيدَه ، ويقتل أعداءه الذين رموه وأمه بالعظائم ، وأعداءه الذين اتخذوه وأمه إلهين من دون الله . وتعود الملل في زمنه كلها ملة واحدة ، ألا وهي دين الإسلام ملة إبراهيم وسائر الأنبياء .

وقد أخبر النبي ﷺ عن حاله وقت نزوله ، وعن ملبسه الذي عليه ، وأخبر بما يفعل بعد نزوله مفصلاً كأن المسلمين يشاهدونه عياناً قبل أن يروه . بل قد أوصىٰ من أدركه من أمته أن يقرأ عليه السلام منه[1] ﷺ ومن الأحاديث الصحيحة التي وردت في ذلك ما يلي :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد » . ثم يقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ : اقرؤوا إن شئتم : (**وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بـه قبل موته . . الآية**) ـ أخرجه الشيخان والترمذي .

وفي رواية لمسلم : والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً ، فليكسِرن الصليب ، وليقتُلن الخنزير ، وليضعن الجزية ، ولتُتركن القِلاص[2] ، فـلا يُسْعىٰ عليها ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليُدعَوُنّ إلى المال فلا يقبله أحد .

وفي رواية أبي داود أن رسول الله ﷺ قال : « ليس بيني وبينه نبي ، وإنه نازل . فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربـوع إلى الحمرة والبيـاض ، ينزل بـين ممصرتين[3] ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل . فيقاتل الناس على الإسـلام ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام . ويهلك المسيح الدجال . ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفىٰ ويصلي عليه المسلمون » .

---

(١) الجواب الصحيح ١/١٧٧، هداية الحيارىٰ ص ٥٨٦ و ٥٤٢.

(٢) القِلاص: جمع قلوص، وهي الناقة.

(٣) ممصرتين: يقال: ثوب ممصر: إذا كان فيه صفرة خفيفة يسيرة.

وصفوة القول : إن اليهود ادعت أن البشارات كلها إنما هي في حق مسيحهم المنتظر الذي هتفوا به كلما ألمت بهم النوائب . وأنكروا غيره وقالوا : ليست النصارى على شيء . وإن النصارى ادعت أن البشارات كلها إنما هي في حق المسيح بن مريم المكون من الناسوت واللاهوت . وأنكروا غيره وقالوا : ليست اليهود على شيء . أما نحن المسلمين ، فنعتقد أن الأنبياء كلها بشرت بمحمد ﷺ من لدن آدم حتى المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ وأن أنبياء بني إسرائيل قد بشرت أيضاً بالمسيح ابن مريم ، لكن اليهود كفروا به بغياً وظلماً . وسأعرض في هذا القسم إن شاء الله بعض البشارات الواردة في التوراة وسائر أسفار العهد القديم ، مقارناً النص الوارد في التوراة العبرانية مع نظيره في التوراة السامرية ، ومحللاً إياه بدقة وأمانة .

١ ـ بشارة هاجر بإسماعيل

نص البشارة:

جاء في سفر التكوين الباب السادس عشر في قصة هروب هاجر من سارة ما يلي:

١٦/٦: فأذلتها ساراي، فهربت من وجهها.

٧ ـ: فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية.

٨ ـ: فقال: يا هاجر جارية ساراي، من أين أتيت وإلى أين تذهبين؟ فقالت: أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي.

٩ ـ فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك، واخضعي تحت يديها.

١٠ ـ وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك، فلا يُعد من الكثرة.

١١ ـ وقال لها ملاك الرب: ها أنت حُبلىٰ، فتلدين ابناً. وتدعين اسمه إسماعيل. لأن الرب قد سمع لمذلتك.

١٢ ـ وإنه سيكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن.

١٥ ـ ١٦: فولدت هاجر لأبرام ابناً. ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل. كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل(١).

---

(١) هذا النص ـ وكذا كل نص لا يشار إلى مصدره ـ مأخوذ من الكتاب المقدس الصادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨٤ وهو من ترجمة البروتستانت.

ونص الفقرة ـ ١٢ ـ في بعض الترجمات هكذا: وهـو يكون عـين الناس. وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليـه بالخضـوع، ويكون مسكنـه على تخوم إخوته.

وفي ترجمة أخرىٰ: وولدك يكون وحش الناس، وتكـون يده عـلى الكل، ويد الكل به[1].

وذكـر صاحب تحفـة الأريب زيادة في آخـر النص هي: ويكـون أمـره في معظم الدنيا.

أما في التوراة السامرية فنص الفقرة هكذا: وهو يكون وحشياً من النـاس يده بالكل، ويد الكل به. وحول كل إخوته يسكن.

معنى البشارة وتحليلها:

ذكر ابن كمونـة اليهودي في (تنقيـح الأبحاث)[2]: أن قـوله: «ويـده في الكل» يعني أن يده متصرفة في الكل، أو أنه مخالط لهم. وقد يريد به كل إخوته وأهله. وكـونه يسكن عـلى تخوم أرض جميـع إخوتـه بيان لـذلك اهـ. وذكـرت إذاعـة (حول العـالم) الداعيـة إلى النصـرانيـة من (مـونتيكـارلـو) ليلة الأربعـاء ١٢/١٢/١٤٠٥ هـ تحت ركن: (شخصيات الكتاب المقـدس) أن معنى وحش الناس: حمار الوحش. وقالت: يحب الجري والعزلة والرحيـل. وكذلـك كانت ذريته. ومعنى «ويده على غيره، ويـد غيره عليـه» أن ذريته يقتـل بعضهم بعضاً اهـ.

وأنت ترى أن التحامل على إسماعيل وذريته، ومحاولة محق النص وتشويه معنـاه واضـح لا ريب فيـه. نعم يمكن أن نفسر قـولـه: (وحش النـاس) بالخشونة[3] لكن أين البشارة لهذه المرأة؟!

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣١٣، هداية الحيارىٰ ص ٥٢٩ وص ٥٤٤ وص ٦٣٥، تحفة الأريب ص ١٣٣، تنقيح الأبحاث ص ٩٤.

(٢) انظر ص ٩٤ وص ٩٦.

(٣) الجواب الصحيح ٣/٣١٣.

إنك لو تأملت النصوص لوجدت فيها أن الله سبحانه قد سمع قول هاجر وتضرعها، فأرسل إليها ملاكه يبشرها بأنها ستلد ولداً مباركاً، يكون عين الناس، وأن يد ابنها هذا ستكون فوق أيدي الخلائق، وأن كلمته هي العليا، وأن أيدي الناس تكون تحت يده[1]، فهل حدث هذا؟ ومتى؟

من المعلوم أن يد بني إسماعيل لم تكن قبل بعثة محمد ﷺ فوق أيدي بني إسحاق. بل كانت النبوة والكتاب في أيدي بني إسحاق وهم دخلوا مصر زمن يوسف مع يعقوب ـ عليهما السلام ـ ثم خرجوا منها لما بعث موسى ـ عليه السلام ـ وكانوا بعد موسىٰ مع يوشع بن نون، وبعد انتهاء عصر القضاة آل الأمر إلى داود ثم إلى ابنه سليمان الذي لم يؤت أحد من أهل الأرض مثله. ولم يكن لأحد على بني إسرائيل يد. ثم سلط الله عليهم بظلمهم أعداءهم، فنفوهم وسبوهم. ولم يكن لبني إسماعيل عليهم يد في تلك الحال. ثم عادوا إلى فلسطين، وبعث الله فيهم منهم المسيح ـ عليه السلام ـ فعصوا وبغوا. وخرب بيت المقدس الخراب الثاني حين أفسدوا في الأرض مرتين. فزال ملكهم، وقطعهم الله في الأرض أمماً. ولم يكن لولد إسماعيل سلطان أو يد على إحدى الأمم لا من أهل الكتاب ولا من غيرهم، فضلاً عن أن تكون فوق الجميع، واستمرت الحال على هذه الشاكلة إلى أن بعث الله محمداً ﷺ رسولاً إلى العالمين، فصارت ببعثته يد بني إسماعيل فوق الجميع. ولم يبق في الأرض سلطان أعز من سلطانهم، فقد قهروا فارس والروم والترك والديلم واليهود والنصارى والمجوس وغيرهم.

لقد كانت النبوة والملك في بني إسرائيل والعيس، وهما أبناء إسحاق. فلما بعث رسول الله ﷺ انتقلت النبوة إلى بني إسماعيل، فدانت لهم الأمم، وخضعت لهم الملوك. وظهر بذلك تحقيق ما جاء في التوراة: «وتكون يده فوق الجميع، ويد الكل به» إذ من المعلوم أنهم لم يكونوا متصرفين في معظم الأمم،

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٢٩.

ولا ممازجين لهم إلا بالإسلام، ولم يأت من ذرية هاجر من يده على الجميع إلا محمد ﷺ.

فالإشارة في هذه البشارة إنما هي إلى عظيم ذرية إسماعيل، ألا وهو محمد ابن‌عبد الله ﷺ فإن دينه امتد في الأرض وعلا على أهلها، وتصرفت أمته من بعده في مشارق الأرض ومغاربها[1].

ولا شك أن البشارة والإجابة لا تكون بملك ظالم جبار متسلط، ولا سيما إذا ادعىٰ النبوة فإنه يكون شراً من ملك ظالم لم يدع النبوة، ولم يفتر الكذب على الله. وهذا لا تقع البشارة به، بل إنما يقع التحذير من فتنته. وأي بشارة ومواساة تكون في إخبار شخص بأنه سيكون في ولده طاغية يظلم الناس، ويفتري الكذب على الله؟ إن البشارة إنما تكون بخبر مفرح سار. ولذلك فرحت هاجر، وعادت ثانية لتصبر على اضطهاد سارة[2].

وصفوة القول: إن التعظيم المبالغ فيه، والذي يصير فيه إسماعيل فوق الناس، لم يظهر إلا بنبوة محمد ﷺ فدل على أن نبوته حق، وأنه مبشر به، وأن رسالته عامة.

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣١٣ ـ ٣١٤، هداية الحيارىٰ ص ٥٤٢ و ٥٤٤ و ٦٣٤، تحفة الأريب ص ١٣٤، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٥.

(٢) الجواب الصحيح ١/١٨٠ و٣/٣١٢ و ٣١٤، هداية الحيارىٰ ص ٥٤٥.

٢ - بركة إسماعيل وتكثير نسله

نص البشارة:

جاء في سفر التكوين البـاب السابـع عشـر ما يلي:

١٥/١٧: وقال الله لإبراهيم: ساراي امرأتك، لا تدع اسمهـا ساراي. بل اسمها سارة.

١٦ - : وأباركها وأعطيك أيضـاً منها ابنـاً أباركهـا، فتكون أممـاً. وملوك شعوبٍ منها يكونون.

١٧ - : فسقط إبراهيم على وجهه. وفي السامرية: فخر إبراهيم. - - .

١٨ - : وقال إبراهيم: ليت إسمـاعيل يعيش أمـامك. وفي السـامريـة: يحيىٰ في طاعتك.

١٩ - : فقال الله: بل سارة امرأتك تلد لك ابناً، وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهـداً أبديـاً لنسله من بعده. وفي السـامريـة: وأثبت عهدي معه عهد الدهر، ولنسله من بعده.

٢٠ - : وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمـره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة.

وفي الترجمات القديمة: قـد قبلت دعاك: هـا أنا قـد باركت فيـه، وأثمره وأكبره جـداً جداً. وفي بعضٍ آخر: وإني أباركه وأنميـه وأعظمـه جداً جـداً بما قـد استجبت فيه. وأصيـره لأمة كثيـرة. وأعطيـه شعبـاً جليـلاً. وفي بعضهـا، وأجعله لأمة عظيمة.

أما في السامرية فالنص هكذا: وفي إسماعيل استجبت منك. هو ذا باركته، وأثمره، وأكثره جداً جداً. اثني عشر رئيساً يولد. وسأجعله شعباً عظيماً.

توضيح البشارة وتحليلها:

هذا وعد من الله سبحانه لإبراهيم ـ عليه السلام ـ في حق ولديه إسماعيل وإسحاق ـ عليهما السلام ـ بأن يباركهما. وهذا مطابق لما في القرآن الكريم من قوله تعالىٰ: ﴿ **وباركنا عليه وعلى إسحاق. ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين** ﴾ ـ **الصافات/١١٣**.

وكأن إجابة دعاء إبراهيم وإعطاءه الوعد في حق إسماعيل كانت مواساة له وتعويضاً لتركه ابنه إسماعيل وأمه يقيمان بوادٍ غير ذي زرع من أجل زوجه سارة.

والبركة لغة: الزيادة والنماء. وفي أي شيء هنا تكون الزيادة، ويكون النماء؟

لقد فسرت التوراة البركة بأنها تعني أمماً وملوكاً على الشعوب من نسل إسماعيل وإسحاق. وهل يكون مع الأمم والشعوب التي من نسل الولدين شريعة سماوية؟

إن الله لا يصطفي أمماً وملوكاً، ويتركهم بدون هدىً منه. بل كيف يصطفي أمة ولا ينزل عليها كتاباً ينظم حياتها وعبادتها، ويبعد أفرادها عن الظلم والجور؟ وكيف يستخلص ملوكاً ولا يعطيهم شريعة يسوسون بها شعوبهم؟

وقد تحقق الوعد لإسحاق، فكثر نسله، واصطفى الله من ذريته موسى ـ عليه السلام ـ برسالاته وبكلامه.

وقام من بعده من بني إسرائيل بالدعوة أنبياء وعلماء وملوك.

هذه بركة إسحاق. فما بركة إسماعيل؟

إن علماء المسلمين يقولون: إنها كبركة إسحاق تعني أمماً وملوكاً ونبوة وتشريعاً. فلا بد أن يكون أيضاً من أولاد إسماعيل صاحب شريعة حتى تثبت البركة في نسله.

وعلماء أهل الكتاب يقولون: إنها كبركة إسحاق غير أنها لا تعني سوى الأمم والملوك من ذريته.

أما النبوة والتشريع فلا. وهو تعسّف واضح. إذ كيف يكون هذا، ومفهوم البركة لهما واحد؟؟

وإذا ماشينا أهل الكتاب قليلاً. فمتى تحققت هذه البشارة، وكانت الملوك والأمم في ذرية إسماعيل؟

إن من المقطوع به أنه لم يأت من صلب إسماعيل من بورك وعظم وكان لشعب كبير غير محمد ﷺ وإن إسماعيل وأولاده لم يكونوا متصرفين في معظم الأمم، ولم يظهر فيهم الملك إلا بعد بعثته ﷺ حيث ظهرت أمته، وكانت الخلافة في قريش.

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ : لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان ـ أخرجه البخاري ومسلم ـ.

فإذا لم يكن نبياً فهو ملك. وقد علم الخاص والعام أنه أخبر عن نفسه أنه رسول الله إلى الناس كافة.

فإن كان صادقاً عادلاً، فقد وجب الإيمان به. وإلا فكيف تكون البشرى بملك ظالم قهر الناس بسيفه، وادعى أنه رسول الله، وأن الله أوحى إليه بشرع؟ وهل بعد الافتراء على الله جور أشد من ذلك؟

قال الشهرستاني في الملل والنحل[1]: «واليهود معترفون بهذه القضية. إلا أنهم يقولون: أجابه بالملك دون النبوة والرسالة. وقد ألزمتهم ـ أي من حيث الحجةُ والبرهان ـ أن الذي سلمتم به، أهو ملك بعدل وحق أم لا؟ فإن لم يكن

(١) ١/٣١٢ ـ ٣١٣.

بعدل وحق. فكيف يمن على إبراهيم بملك في أولاده، هو جور وظلم؟ وإن سلمتم القول والصدق من حيث الملك، فإن الملك يجب أن يكون صادقاً فيما يقوله. وكيف يكون الكاذب على الله صاحب عدل وحق؟ إذ لا ظلم أشد من الكذب على الله. ففي تكذيبه تجويره، وفي التجوير رفع المنة بالنعمة» اهـ.

فقوله: «ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً» لا شك أن المراد به ذلك العظيم الشأن الذي يخرج من نسل إسماعيل. وفي هذا إشارة إلى النبي محمد ﷺ وعموم رسالته. فإنه لم يظهر من ذرية إسماعيل نبي إلا هو. والأنبياء إنما كانوا في ذرية إسحاق. وقد صيره الله إلى أمة كبيرة، وأعطاه شعباً جليلاً. فقد ملأت أمته الآفاق، وأربت في الكثرة على نسل إسحاق[1].

وهذا متطابق مع قوله تعالىٰ: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك * وأرنا مناسكنا، وتب علينا * إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم، يتلوا عليهم آياتك، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم * إنك أنت العزيز الحكيم﴾** ـ البقرة/ ١٢٧ ـ ١٢٩.

وصفوة القول: إن الله بارك إسحاق وعظمه بأن جعل في ذريته ملوكاً وأنبياء، ولا سيما موسى الذي أنزلت عليه التوراة، وظهر الملك والشريعة من بعده في بني إسحاق. وبارك إسماعيل وعظمه بما جعل في ذريته من الإيمان وخاتمة النبوة.

ما المراد بقوله: «وأُكثّره جداً جداً»؟

إن من عادة العبرانيين الاعتماد في الوقائع والأسماء على قيمة حروف الكلمة من جهة الحساب. والنص العبري للفقرة (٢٠) هكذا «هِنّي بيرَختيني

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣١١، هداية الحيارىٰ ص ٥٣٠ وص ٦٣٤، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٣ وص ١٦٥، إظهار الحق ٢/٢٥١، قصص الأنبياء ص ٢٩٣، محمد رسول الله لبشرىٰ ص ٧٤.

أوثُو وهِفْرِيتي أوثُو وهِربيتي أوتـو بماد مـاد» مع إشمـام ألف (بمـاد ماد) الضمـة، وإمالته نحو الواو. واليهود والنصارى يقـولون بحسـاب الجمل ويعتـرفون بـه. وحساب الجمل هو حساب الأعداد للحروف الهجائية في اللغـة العبريـة على مـا يستعمله اليهـود فيما بينهم في هـذه الكلمات: «أبجـد، هوز، حـطي، كلمن، سعفص، قـرشت» فالألف بـواحـد، والبـاء بـاثـنين، والجيم بثـلاثـة، والـدال بأربعة، والهاء بخمسة، والـواو بستة، والـزاي بسبعة، والحـاء بثمانيـة، والطاء بتسعـة، والياء بعشـرة. والكاف بعشـرين، واللام بثـلاثين، والميم بـأربعـين، والنـون بخمسين، والسـين بستين، والعـين بسبعين، والفـاء بثمانـين، والصاد بتسعين، والقاف بمائة، والراء بمائتين، والشين بثلاثمائة، والتاء بأربعمائة.

وقد استدل صاحب كتاب (الإفحـام) الذي كـان يهوديـاً ثم أسلم، على نبـوة محمد ﷺ بـأنـه ورد في التـوراة أن الله خـاطب إبـراهيم فقـال: «وأمـا في إسماعيل فقد قبلت دعاءك. وها أنا قد باركته، وأثمره، وأكثره جداً جـداً» فإن لفظة «جد جداً» في لغة تنزيل التـوراة هي «بماد مـاد» وحساب حـروفه بـالجمل مساوٍ لحساب حروف (محمد) ﷺ وهو اثنان وتسعـون. وإذا كانت هـذه الكلمة الدالة على المبالغة قد وردت في مثـل هذه الفقـرة الدالـة على شـرف إسماعيـل وأولاده، فـلا عجب أن تتضمن الإشـارة إلى أشـرفهم وأجلهم قـدراً، وهـو محمد ﷺ (١).

وتوضيح ذلك أن «جداً جداً» في اللغة العبرية «بماد ماد» و«شعباً عظيـماً» «لجوى جدول»(٢) وقد قال كثير من علماء اليهود السامريين والعبرانيين إن كاتب التوراة وضع «بماد ماد» و«لجوىٰ جدول» في سيـاق بركـة إسماعيـل، لتدل كـل كلمة منها على اسم النبي الآتي من نسل إسماعيل بحساب الجمل. فإذا أتى من أولاد إسمـاعيل من يـدعي النبوة، قـارنوا اسمـه بتلك الكلمات، فـإذا وجدوا اسمه مساوياً لحساب تلك الكلمات عرفوا أنه النبي المنتظر من نسل إسماعيل.

---

(١) تنقيح الأبحاث لابن كمونة ص ٩٥. بذل المجهود ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) بالجيم المصرية، إذ ليس في لغتهم جيم ولا صاد، إظهار الحق ٣/٢٥١.

وكلمة (محمد) بحساب الجمل عددها اثنان وتسعون؛ لأن الميم الأولىٰ بأربعين، والحاء بثمانية، والميم الثانية بأربعين، والدال بأربعة. وكلمة «بماد ماد» عددها اثنان وتسعون أيضاً؛ لأن الباء بإثنين، والميم الأولىٰ بأربعين، والألف بواحد، والدال بأربعة، والميم الثانية بأربعين، والألف بواحد، والدال بأربعة. وكذلك كلمة «لجوى جدول» عددها اثنان وتسعون؛ فاللام بثلاثين، والجيم بثلاثة، والواو بستة، والياء بعشرة، والجيم بثلاثة، والدال بأربعة، والواو بستة، واللام بثلاثين (١).

وقد صنف أيضاً أحد أحبار اليهود، بعد أن أسلم وتسمىٰ بعبد السلام، رسالة صغيرة سماها (الرسالة الهادية) قال فيها بعد أن ذكر نحو ما سبق: إن أكثر أدلة اليهود بحرف الجمل الكبير، وهو حرف أبجد: فإن أحبار اليهود حين بنىٰ سليمان بيت المقدس، اجتمعوا وقالوا: يبقى هذا البناء (٤١٠) سنين، ثم يعرض له الخراب. وذلك لأنهم حسبوا لفظ (بزات). ثم قال: واعترضوا على هذا الدليل بأن الباء في (بماد) ليست من نفس الكلمة. بل هي حرف جيء به للصلة. فلو أخرج منه اسم محمد ﷺ لاحتاج إلى باء ثانية فيقال: «ببماد ماد» قلنا: المشهور عندهم إذا اجتمعت الباءان، إحداهما أداة، والأخرى من نفس الكلمة، تحذف الأداة، وتبقىٰ التي هي من نفس الكلمة. وهذا شائع عندهم في مواضع غير معدودة (٢).

وذكر ابن القيم في (هداية الحيارىٰ)(٣) أن في النص العبري «بمأذ بمأذ» بدلاً من «جداً جداً» قال: هكذا مكتوبة، وهي على وزن عمر، وتكتب حسب القواعد الإملائية (بمؤذ). واختلف فيها علماء أهل الكتاب: فطائفة تقول:

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٥١، قصص الأنبياء ص ٢٩٣، التوراة السامرية تقديم وتعليق أحمد حجازي ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧.

(٢) إظهار الحق ٢/٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٣) انظر ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧ وص ٥٥٥.

معناها جداً جداً أي كثيراً كثيراً. فإن كان هـذا معناهـا، فهي بشارة بمن عـظم من بنيه كثيراً كثيراً. ومعلوم أنه لم يعظم من بنية أكثر مما عظم محمد ﷺ .

وطـائفة أخـرىٰ تقول: بـل هو صـريـح اسم محمـد ﷺ ويـدل عليـه أن الألفاظ العبرانية قريبة من الألفاظ العربية، بـل هي أقرب اللغـات إليها. فـإذا أخـذت لفظة **«ماد ماد»** وجـدتها أقـرب شيء للفظة محمـد ﷺ ويدل عـلى ذلك الباء، إذ لا يقال: أعظمه بجداً جداً، بخلاف أعظمه بمحمد. وكـذلك كـان. فإن إسماعيل قد عظم بمحمد ﷺ وازداد شرفاً وتعظيماً.

ثم نقـل عن ابن قتيبة قـوله: وقـد قـال لي ولغيـري بعض من أسلم من علمائهم: إن «مئذ مئذ» هو محمد ﷺ وهو بكسر الميم والهمـزة. وبعضهم يفتح الميم ويدنيها من الضمة اهـ[1].

وعـلى التقديـرين فإن النص من أظهـر البشارات بمحمـد ﷺ لا يشك في ذلك المنصفون من علمائهم.

ذكر الأستاذ أحمد زكي باشـا في جريـدة البلاغ القـاهريـة الصادرة في ٢١ آب عـام ١٩٣٣. أنه حصـل سنة ١٩١٣ م عـلى نسخة من التـوراة التي كانت لدى شلبي سامري من طائفة اليهود السامريين. وهي منقولـة مـن أقدم نسخـة من التـوراة تحتفظ بها تلك الـطائفة. قـال: ولما كـانت مكتوبـة بلغة لا أفهمهـا أوصيت صديقي نور الدين مصطفى بشرائها. وفي أثناء زيارتي لفلسطين ذهبت إلى جبل جرزيم الذي يقدسه السامريون، واجتمعت بصديقي شلبي وبطائفته. وتعددت مباحثاتي معهم ومع كبير كهنتهم إسحاق بن عمران على الأخص.

وقال أيضاً: إن التوراة التي اشتراها مترجمـة إلى العربيـة، عبارة عن مجلد يحتـوي على (٦١٥) صفحـة من قطع الـورق الصغـير. وهـو لا يشمـل سـوى

---

(١) وقد صرح بعض العلماء بأن من أسماء النبي ﷺ في العبرية (مادماد) كما في الشفاء للقاضي عياض. انظر إظهار الحق ٢/٥٢ ولعل تغير ضبط اللفظ ناتج عن تغير اللغة العبرية على مر السنين.

الأسفار الخمسة الأولىٰ من التوراة. . وقال: إن كل صفحات الكتاب مكتوبة بلغة عربية، وقد تخللها كتابات باللغة السامرية. والعبارات المكتوبة بهذه اللغة هي التي تؤدي في معناها إلى أسرار السامريين. ولم يشأ مترجم التوراة أن ينقلها إلى العربية، بل أبقاها سامرية كما هي. ومن هذه العبارات جملة في آخر الباب السابع عشر، أي في الصفحة ذات الرقم ٣٩ من الكتاب، وقد كتب الكاهن السامري الأعظم بخط يده على هامشها عبارات رتبها كما يلي:

٩٢

بماد ماد (محمد)

أي جداً جداً.

لجوىٰ جدول.

أي شعباً عظيماً.

أي محمد ٩٢.

ثم وضع في ذيلها الجملة التالية: «انظر كيف أن الله في كل كلمة من كلامه تعالىٰ أسرار مدموجة وآيات عظيمة» حرره العبد الفقير إسحاق الكاهن السامري[1].

وقوله «إثني عشر رئيساً يلد» وعن من الله لخليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأن يهب إسماعيل إثني عشر ولداً. وقد صدق الله وعده، فوهبه إثني عشر ولداً، صار كل منهم رئيس قبيلة.

ومن أولاده: نابت وقيدار وأذبئيل وميسام ومشماع ودومة ومسا وحيدار وتيما ويطور وغيرهم.

---

(١) عن مجلة الوعي الإسلامي الكويتية العدد ٢٥٦ ربيع الآخر عام ١٤٠٦ هـ مقال للأستاذ محمد عزت طهطاوي.

٣ - رحيل هاجر وإسماعيل إلى فاران

نص البشارة:

جاء في سفر التكوين الباب الحادي والعشرين ما يلي:

٢١/١٢ - ١٣: لأنه بإسحاق يدعىٰ لك نسل. وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة - وفي بعض الترجمات: عظيمة - لأنه نسلك.

وفي السامرية: ابن الأمة هذه لشعب كبير أجعله.

١٤ - : فبكر إبراهيم صباحاً، وأخذ خبزاً وقِربة ماء وأعطاهما لهاجر، واضعاً إياهما على كتفها والولَد، وصرفها. فمضت وتاهت في برية بئر سبع.

١٥ - : ولما فرغ الماء من القربة، طرحت الولد تحت إحدى الأشجار.

١٦ - : ومضت وجلست مقابله بعيداً نحو رمية قوس. لأنها قالت: لا أنظر موت الولد. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت.

١٧ - : فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء، وقال لها: مالك يا هاجر. لا تخافي. لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو.

١٨ - : قومي احملي الغلام وشدي يدك به. لأني سأجعله أمة عظيمة. وفي السامرية: شعباً كبيراً.

١٩ - : وفتح الله عينيها، فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء، وسقت الغلام.

٢٠ ـ: وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس.

٢١ ـ وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر.

توضيح البشارة:

هذه بشارة بمن سيجعل من ولد إسماعيل لشعب كبير أو لأمة عظيمة. وليس هو إلا محمد ﷺ فإنه من صميم ولد إسماعيل، ولم يكن في أولاده من كان لشعب كبير غيره. فرسالته عامة لجميع البشر أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم. وأمته هي الأمة العظيمة.

وحمل البشارة على مجرد كثرة النسل والذرية غير صحيح. لأن هذا التعظيم المؤكد يقتضي أن يكون مبالغاً فيه. ومجرد كون الرجل له نسل وعقب لا يعظم به، إلا إذا كان في الذرية مؤمنون بالله مطيعون له.

وهل تسمى الأمة الكافرة أمة عظيمة؟ وهل ثمة بشارة لإبراهيم وهاجر إذا قدر لابنهما إسماعيل أن يكون أباً لأمة كافرة كثيرة العدد؟!

وصفوة القول: إن هذا الكلام فيه بشارة لإبراهيم وهاجر بأمة عظيمة تخرج من ذرية ابنهما إسماعيل. وقد علم بالضرورة أن هذه الأمة العظيمة لا بد أن تكون مؤمنة، فإن التعظيم إنما يحصل إذا كانت ذريته على الحق لا على الباطل. ولم يتحقق هذا إلا بظهور محمد ﷺ وأمته. ولو لم يظهر لبطلت نبوة سائر الأنبياء. فظهوره تصديق لنبواتهم وشهادة لها. وإرساله من آيات الأنبياء قبله. فقد بشروا به، وأخبروا بمجيئه. فمجيئه هو صدق خبرهم. وإلى هذا المعنى أشار الله سبحانه بقوله: «بل جاء بالحق وصدق المرسلين» ـ الصافات/٣٧ـ.

أي بل هو نبي جاء بالحق من عند الله، وهو القرآن الكريم. وصدق المرسلين الذين كانوا قبله بقوله ومجيئه[1].

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣١١، هداية الحيارى ص ٥٢٩ وص ٥٣١ وص ٣٥

٤ - يعقوب يبشر بمن تخضع له الشعوب

نص البشارة:

جاء في سفر التكوين البــاب التاسـع والأربعيـن ما يلي:

٤٩/ - ١: ودعا يعقوب بنيه وقال: اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخـر الأيام.

٨ - : يهوذا، إياك يحمد إخوتك. يدك على قفا أعدائك. يسجد لك بنـو أبيك.

١٠ - :لا يـزول قضيبٌ من يهوذا، ومشتـرع من بين رجليـه، حتى يـأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب.

وفي ترجمة اليسوعيين: لا يزول صولجان من يهوذا، ومشترع من صلبه، حتى يأتي شيلو، وتطيعه الشعوب.

والنص عند ابن كمونة اليهودي هكذا[١]: لا يزول القضيب من يهوذا أو الراسم من بين أقدامه إلى أن يجيء الذي له الأمر، وله تجتمع الشعوب.

وذكر الشيخ رحمة الله الهندي في (إظهارالحق)[٢] أن النص في الترجمـات سنة ١٧٢٢ م و ١٨٣١ و ١٨٤٤ هكذا: فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من

---

(١) تنقيح الأبحاث ص ٦٣.

(٢) ٢/ ٢٥٢.

فخذه، حتى يجيء الذي له الكل، وإياه تنتظر الأمم».

وفي سنة ١٨١١ م هكذا «فلا يزول القضيب من يهوذا والرسم من تحت أمره إلى أن يجيء الذي هو له، وإليه تجتمع الشعوب».

أما في التوراة السامرية فالنص هكذا: «لا يزول القضيب من يهوذة، والمرسم من بين بنوده، حتى يأتي سليمان، وإليه تنقاد الشعوب».

توضيح البشارة وتحليلها:

لما حضرت إسرائيل ـ يعقوب ـ الوفاة بمصر عند يوسف ـ عليه السلام ـ دعا أولاده بين يديه فوصاهم وباركهم واحداً واحداً، وبين لهم أموراً تحدث في المستقبل. وقد تطابقت هذه الوصية من حيث المبدأ مع قوله تعالىٰ: **﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت، إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً، ونحن له مسلمون ﴾** ـ البقرة/١٣٣ ـ

واختلف الناس في فهم هذا النص وتحديد المبشَّر به:

أ ـ ذهب النصارى إلى أن المراد بالقضيب أو الصولجان: الملك والسلطة الدنيوية. وبالراسم: النبي[١]. أما قوله: «حتى يأتي شيلو أو شيلون في العبرية. وسليمان في السامرية» فيقول مفسرو التوراة في المجلة الأولىٰ ص ٤٦٠ من تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين: «هذه عبارة غير واضحة. ويبدو أن أفضل تفسير لها هو الذي يعد نوعاً من الحديث عن (المسيّا) إذا تحرك الحرف الساكن ـ وهو أمر مسموح به في اللغة العبرية ـ فإن الكلمة يمكن أن تترجم (الذي له)» اهـ[٢].

---

(١) تنقيح الأبحاث لابن كمونة ص ٦٣، إظهار الحق ٢/٢٥٣.
(٢) تعليق وتقديم أحمد حجازي على التوراة السامرية ص ٤١٠.

وجاء في الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٧٦ م تعليق على (شيلون): يقول: أي أمان. وعند البعض معناها: الذي له(١).

وزعموا أن المراد بشيلون هو المسيح ـ عليه السلام ـ فهو المبشر به. ومعنى النص: سيبقىٰ الملك مع اليهود إلى أن يأتي المسيح المنتظر. قالوا: وكذلك كان، فإنه ما زالت لهم ملوك ودول إلى زمن المسيح. فلما ظهر بطلت النبوة فيهم، وانقطع الملك عنهم، وصاروا محتقرين مذمومين(٢).

ب ـ وذهب اليهود إلى أن المراد بشيلون المسيح الذي يأتي في آخر الزمان، وينصر دين موسى ـ عليه السلام ـ ويظهر الحق على يديه. وهم لا يزالون ينتظرونه إلى اليوم(٣).

ورد ابن كمونة اليهودي(٤) على ادعاء النصارى فقال: إن الملك زال من آل يهوذا قبل إيشوع المسيح بأكثر من أربعمائة عام. والملوك في البيت الثاني كانو من بني (حمشوناي) وهم هارونيون من سبط لاوي. وكان الملك من بعدهم في هيرودس، وبعده في أولاده. ولم يكن أيضاً من سبط يهوذا.

وقال: وليس لهم أن يقولوا: إن يعقوب كنّي بيهوذا عن اليهود بأسرهم. تسمية لكل الشيء بأشرف ما فيه. لأنه يقال: إن هذا غير محتمل. فإن يعقوب خص كل واحد من أولاده بما يكون منه. وخص يهوذا بهذا القول. فلا يكون اسمه عبارة عن الجملة. ثم قولهم: «إن القضيب هو قضيب الملك، والراسم هو النبي» غير متيقن. فالنبوة انقطعت قبل ظهور المسيح بما يزيد عن ثلاثمائة عام. واللفظة المستعملة في اللغة العبرانية بمعنى القضيب تستعمل بمعنىٰ السبط أيضاً فقد يمنع المانع أنها استعملت للقضيب، أو أن المراد بالقضيب إن استعملت له قضيب الملك.

(١) المرجع السابق ص ٣٦١ ـ ٣٦٢.

(٢) تنقيح الأبحاث ص ٦٣، الأجوبة الفاخرة ص ٧١ . بذل المجهود ص ٢٩.

(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٧٢.

(٤) في تنقيح الأبحاث ص ٦٤.

ثم قال: والأظهر أن المراد به البشارة بداود. والمعنىٰ: لا يزول السبط من يهوذا ولا الرئاسة من بين ظهرانيهم إلى أن تبلغ رياستهم في الزيادة، إلى أن يملك داود، ويتفق على تمليكه جميع شعوب إسرائيل اهـ.

ويرد الشيخ رحمة الله الهندي[1] على ادعاء اليهود والنصارى فيقول: ويفهم من رسائل القسيسين من فرقة البروتستانت أن المراد من القضيب: السلطة الدنيوية. ومن المدبر: الحاكم الدنيوي. وعليه، فلا يصح أن يراد بشيلون مسيح اليهود كما يزعمون. لأن السلطة الدنيوية والحاكم الدنيوي زالا من آل يهوذا من مدة هي أزيد من ألفي عام، من عهد بختنصر، ولم يسمع إلى الآن حسيس مسيح اليهود. ولا عيسى كما يزعم النصارىٰ. لأنهما ـ أي السلطة الدنيوية والحاكم الدنيوي ـ زالا من آل يهوذا قبل ظهور عيسى بمقدار ستمائة سنة. وهو إجلاء بني يهوذا إلى بابل. فكيف يصدق عليه؟! اهـ.

ومن ناحية أخرىٰ فقد ورد في إنجيل متي ما يدل على أن المدبر أو الراسم هو المسيح ـ عليه السلام ـ حيث جاء في ٢/٥ ـ ٦: «لأنه هكذا مكتوب بالنبي: وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرىٰ بين رؤوساء يهوذا. لأن منك يخرج مدبر يرعىٰ شعب إسرائيل». فكيف يكون هو المدبر، وكيف يكون هو شيلون؟!.

ونحن لو حللنا النص لوجدنا ما يلي:

١ ـ إنه من الظاهر الواضح أن المراد بالقضيب أو الصولجان: الملك والسلطة والحكم. وليس السبط كما قال ابن كمونة. وإلا فما معنى: لا يزول السبط من يهوذا؟ وهل يقصد أن نسله لن ينقرض؟!.

٢ ـ إن المراد بقوله «والمرسم من بين بنوده» كما تقول السامرية. أو «الرسم من تحت أمره» كما في ترجمة عام ١٨١١ م شريعة التوراة التي تظل مع

---

(١) في إظهار الحق ٢/٢٥٣.

علماء اليهـود. وتكون هـذه الشريعـة من سمات وعـلامات ملك اليهـود. فـإن الرسم والتدبير. إنما هو التشريع. وسباق النص وسياقه يدلان على ذلك. ولا سيما نص اليسوعيين.

أما إن كان النص: «والراسم من بين أقـدامه» كـما نقله ابن كمونـة، «أو «المدبر من فخـذه» كما في تـرجمة سنـة ١٧٢٢ م وسنة ١٨٣١ وسنـة ١٨٤٤ م، فـالمراد بـه عيسى ـ عليه السـلام ـ لأنه مـا جاء بعـد مـوسى من نسـخ أو زاد في شريعته سوى المسيح.

٣ ـ إن المـراد بقولـه: «حتى يأتي شيلون» أي نبي السـلام والأمـان، كـما ذكرت حاشية الكتاب المقدس المطبوع في بيروت عام ١٩٧٦ م.

وبعض التـرجمات لم تـذكـر (شيلون). بـل ذكـرت: «الـذي لـه الكـل» أو «الذي هو له» أو «الذي له الأمر» أي الذي له أصل الأمر ونهايته. وهذا يدل على أن شريعته تكون عامة شاملة ناسخة لما قبلها، وإن كتابه الذي ينزل عليه، يكون مهيمناً على الكتب التي كانت قبله.

٤ ـ إن قوله: «وإياه تنتظر الأمم» أو «تنقاد ـ أو تجتمع ـ الشعـوب» كما في بعض الترجمات، يدل على أن شريعته عامة ورسالته عالمية. وقد سبق التبشير به قبل مجيئه.

وهـذه كلها عـلامات صـريحـة ودلالات واضحـة عـلى أن المبشر بـه هـو محمـد ﷺ لأن الشعوب مـا اجتمعت قط إلا إليه. ولم يـأت أحد رسـالته لكـل الناس إلا هو. قال سبحانه: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾. وقال تعالىٰ: **﴿ وإن يـريـدوا أن يخـدعـوك، فـإن حسبـك الله، هـــو الـذي أيــدك بنصـره وبـالمؤمنين، وألف بـين قلوبهم* لو أنفقت مـا في الأرض جميعـاً مـا ألفت بـين قلوبهم * ولكن الله ألف بينهم* إنه عزيز حكيم ﴾** ـ الأنفال /٦٢ ـ ٦٣.

وعن جـابر بن عبـد الله ـ رضي الله عنه ـ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر ـ وفي

رواية: على العدو بين يدي مسيرة شهر ـ وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل. وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة. وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة ـ أخرجه الشيخان والنسائي ـ وفي رواية لمسلم: وختم بي النبيون.

وكان من أصحابه الرومي والفارسي والحبشي وغير ذلك.

وعليه يكون معنى البشارة: سيبقى الملك، وستبقى الشريعة التي ينزلها الله على موسىٰ عليه السلام ـ مع العلماء من نسلكم، حتى تنتهي مدة البركة الممنوحة لبني إسحاق، وتبدأ مدة البركة الممنوحة لبني إسماعيل بظهور النبي الذي له الكل من ولده. ولم يأت أحد للكل إلا محمد. فيكون هو المراد صوناً لكلام يعقوب عن الخلل[1]. كما يمكن أن يكون المراد من الحاكم موسىٰ ـ عليه السلام ـ لأنه ما جاء بعد يعقوب صاحب شريعة غيره. وسماه الحاكم، لأن شريعته جبرية انتقامية. والمراد من الراسم عيسىٰ ـ عليه السلام ـ لأنه ما جاء من بعد موسى من نسخ أو زاد في شريعته سوى عيسىٰ. وسماه الراسم لأن شريعته ليست جبرية انتقامية. ومن بعدهما ما جاء صاحب شريعة كاملة عامة شاملة سوى محمد بن عبد الله ﷺ فعلم أنه المراد من كلام يعقوب لأنه جاء بعد الحاكم والراسم.

أما ابن كمونة فقد جانب الحقيقة في قوله: «إلى أن يملك داود، ويتفق على تمليكه جميع شعوب إسرائيل، لأن داود ليس بصاحب شريعة. بل كان تابعاً لشريعة موسىٰ وحاكماً بها، وليس في الزبور أي حكم تشريعي. وسباق النص وسياقه يدلان على أن الملك والشريعة تنزع منهم. بمجيء المبشر به، لا أنها تزداد وتقوى به كما حصل في زمن داود. ثم إنه فسر الشعوب بأسباط إسرائيل، مع أن النص لا يساعد على ذلك. فقد وردت كلمة (شعوب)

---

(١) التوراة السامرية بتعليق وتقديم أحمد حجازي ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٤.

تارة معرفة وتارة نكرة . وإذا كانت المعرفة تدل على العموم ما لم تكن (الـ) للعهد، فإن النكرة تدل على الشعوب الكثيرة. ثم إنه قد ورد في بعض الترجمات « وإياه تنتظر الأمم » فلا يمكن أن يحمل ذلك على أسباط إسرائيل والتفافها حول داود . بل إنما يُحمل على صاحب شريعة عامة، كانت تنتظره الأمم والشعوب ليأتي ويحكم بها. وقد حصل هذا بخاتم الأنبياء[1] .

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٥٢ ـ ٢٥٣، قصص الأنبياء للنجار ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨، محمد رسول الله البشرىٰ ص ٧٥ ـ ٧٦ و ٨١ ـ ٨٢، محمد في الكتب المقدسة ص ١٥ و ٣٧.

٥ ـ أوصاف النبي المنتظر ودلائله

نص البشـــارة:

جاء في سفر التثنية الباب الثامن عشر ما يلي:

١٨/١٥: يقيم لك الرب إلهـك نبياً من وسـطك من إخوتـك مثلي. لـه تسمعون.

١٧ ـ : قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا.

١٨ ـ : أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعـل كلامي في فمـه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به.

وفي بعض التـرجمات: وسـوف أقيم لهم نبيـاً مثلك من بين إخـوتهم، وأجعل كلامي في فمه. ويكلمهم بكل شيء آمره به.

١٩ ـ : ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه.

وفي بعض الترجمات: ومن لم يطع كلامـه الذي يتكلم فيـه باسمي، فـأنا أكون المنتقم منه.

٢٠ ـ : وأما النبي الذي يطغي، فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرىٰ، فيموت ذلك النبي.

وفي بعض الترجمات، ومنهـا ترجمـة الآباء اليسـوعيين: فـأما النبي الـذي يجترىء بالكبرياء، ويتكلم في اسمي مـا لم آمره بـه، بأن يقـوله، أم بـاسم آلهة أخرىٰ، فليقتل ذلك النبي.

٢١ - : وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟

٢٢ - : فما تكلم به النبي باسم الرب، ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب. بل بطغيان تكلم به النبي. فلا تخف منه.

ونقل ابن القيم في (هداية الحيارى) والقرافي في (الأجوبة الفاخرة)[١] النص عن الترجمات القديمة هكذا: «لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين. فسيقيم لكم الرب نبياً من إخوتكم مثلي. فأطيعوا ذلك النبي».

ونقل ابن القيم[٢] نصه العبري كما يلي: «نابي أقيم لأهيم تقارب أخيهم، كانوا أخاً. إيلاؤه شماعون». وفي بذل المجهود[٣]: (لاهيم وهي تابي أقيم مقارب أحيحيم كاموخا إيلا وشيماعون).

أما في التوراة السامرية فقد ذكر النص مرتين؛ مرة في سفر الخروج، ومرة في سفر التثنية. وها أنا أنقله من المكانين جامعاً بينهما مبيناً ما انفرد به كل سفر:

تثنية ١٨/١٥: نبياً من جملة إخوتك مثلي، يقيم لك الله إلهك. ومنه تسمعون.

وجاء في سفر الخروج ٢٠/٢١، وهو بقية نص سفر التثنية ما يلي:

١٨/١٨: نبياً أقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك. وجعلت خطابي بفيه، فيخاطبهم بكل ما أوصيه به.

١٩ - : ويكون الرجل الذي لا يسمع من خطابه الذي يخاطب باسمي أنا أطالبه.

٢٠ - : والمتنبىء الذي يتّقح على الخطاب باسمي ما لم أوصه من الخطاب، ومن يخاطب باسم آلهة أخر، فليقتل ذلك المتنبىء.

٢١ - : وإذ تقول في سرك: كيف يتبين الأمر الذي لم يخاطبه الله؟

٢٢ - : ما يقوله المتنبىء باسم الله ولا يكون ذلك الأمر ولا يأتي، هو

(١) هداية الحيارى ص ٥٣٠ وانظر أيضاً ص ٥٢٦، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٤.

(٢) هداية الحيارى ص ٥٣٦.

(٣) ص ٣٢.

الأمر الذي لم يقله الله. باتّقاح قاله المتنبىء، لا تخف منه.

توضيح البشـــارة:

تذكر التوراة أن موسى ـ عليـه السلام ـ بشر بني إسـرائيل بنبي يـأتي من بعده، من إخوتهم، وليس منهم.

وهو مثل موسى معه شريعة كاملة، ويشابهه في كثير من الخصائص.

ثم بـين أن الله أخبـره بـأنـه سيجعـل كـلامــه في فم هـذا النبي، فهـو سيخاطبهم بكل ما يوحي به الله إليه. ويجب على بني إسرائيل وسائـر الناس أن يطيعوه ويؤمنوا بالشريعة التي معه. ثم نبه إلى أن الذي لا يطيع كلامه الذي هو وحي من عند الله، فإن الله سيكون هو المنتقم منه.

ومن عـلامات صـدق هذا النبي أن مـا يخبر بـه من أمـور وحـوادث عن الغيب والمستقبل يتحقق ويقع كما أخبر. وبذلك يتميز عن المتنبئين الكذبة. كـما نبـه أيضاً إلى أن نهـاية المتنبىء الكـاذب هي القتل. ومفهـوم المخالفـة لهذا الكلام أن هذا النبي المبشر به لن يستطيع أحد قتله.

تفسير أهل الكتاب لهذه البشارة:

وقد تنازع في هذا النص اليهود والنصارى أيضاً:

أ ـ فلليهود في صرفه ثلاثة طرق:

ـ أحدها: أنه على حذف أداة الاستفهام الإنكاري. والتقديـر: أأقيم لهم نبياً مثلك. . أي لا أقيم لهم نبياً هذه صفته.

فهم يقولون: إن هذا النص وإن جاء في صـورة الخبر والـوعد، لكنـه في الحقيقة نفي لأن يجعل الله نبياً في بني إسرائيل موصوفاً بهذا الوصف(١).

ـ ثـانيها: إن هـذا النص خبر ووعـد. لكن المـراد بـه يـوشـع بن نـون. وبعضهم يقول: بل شمويل(٢).

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٢٧، مواجهة صريحة ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٢) هداية الحيارىٰ ص ٥٢٦، إظهار الحق ٢ / ٢٤٠، بذل المجهود ص ٣٣.

ـ ثالثها: أنه نبي يبعث في آخر الزمان، يقيم ملك اليهود، ويعلو به شأنهم. وهم لا يزالون ينتظرونه إلى اليوم. وهذا قول جمهورهم [١].

وهم يزعمون أنه سيكون من بني إسرائيل [٢]. لأن لفظة (إخوتكم) أكثر ما وردت في مخاطبة بني إسرائيل، أريد بها من هو منهم. إلا في النادر، مثل قوله: «إخوتكم بني عيسو». فالمراد هنا من قوله: (إخوتهم) تعريف اليهود أن النبي المنتظر سيكون منهم. لأنهم إخوة، وبعضهم لبعض [٣].

ب ـ أما النصارى فحملوه على البشارة بالمسيح بن مريم [٤]. واحتجوا بما يلي:

١ ـ وقع في الفقرة ١٨/ ١٥ من سفر التثنية زيادة موضحة، نصها كما يلي: «يقيم لك الرب إلهك من بينك من بين إخوتك. . » من بين إخوتك. . » فلفظ «من بينك» يدل دلالة ظاهرة على أن هذا النبي إنما يكون من بني إسرائيل، لا من غيرهم.

٢ ـ إن المسيح ـ عليه السلام ـ نسب هذه البشارة إلى نفسه؛ فقد جاء في إنجيل يوحنا ٥/ ٤٦: ولو كنتم تصدقون موسىٰ لصدقتموني. لأنه كتب فأخبر عني [٥].

٣ ـ إن الضمير في (لهم) عائد إلى بني إسرائيل. وفي (مثلك) عائد إلى موسى. وهذه إشارة إلى السيد المسيح.

قالوا: وبذلك فسره شمعون الصفا فقال: «إن النبي الذي وُصِّيَ بنو إسرائيل بقبول أمره والإيمان به، هو المسيح». قالوا: وتفسير شمعون عندنا حجة قاطعة. ونحن عولنا عليها. لا على مفهوم اللفظ [٦].

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٢٦.
(٢) التوراة السامرية ص ٤٠٠.
(٣) تنقيح الأبحاث ص ٩٦، بذل المجهود ص ٣٣
(٤) هداية الحيارى ص ٥٢٧، التوراة السامرية ص ٤٠٣، مواجهة صريحة ص ٢٠٩.
(٥) إظهار الحق ٢/ ٢٤٦ ـ ٢٤٨.
(٦) تنقيح الأبحاث ص ٦٣ ـ ٦٤. وانظر حاشية الكتاب المقدس المطبوع عام ١٩٨٣.

مناقشة أدلة أهل الكتاب وتحليل النص:

إن الطريق الأول الذي ذهب إليه بعض اليهود باطل من أساسه. لأنه لو كان على تقدير الاستفهام الإنكاري الذي يفيد النفي لما كان للنص كله معنى، ولا سيما الفقرة التاسعة عشرة، فإن السباق والسياق يأبيان ذلك، ويدلان على أن النص خبر ووعد.

وقد أحس اليهود أنفسهم بضعف تأويلهم هذا. ولذلك لم يمنعوا أن يكون إثباتاً ووعداً، لكنه خاص بأحد أنبيائهم يوشع بن نون أو شمويل. وهذا نوع من التحريف الذي برعوا فيه واشتهروا به. ولم يحملهم عليه إلا خشية تمسك المسلمين بهذا النص، والاستدلال به على بشارة الأنبياء بمحمد الذي هو من ذرية إسماعيل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ [1].

ولنحلل النص الآن لنرى هل تنطبق البشارة على يوشع أو على المسيح أو على محمد ﷺ ؟ وخلال ذلك تأتي مناقشة طرق اليهود وحجج النصارى:

١ ـ جاء النص بصيغة الاستقبال: ١٨/ ١٥: «يقيم لك الرب إلهك» ١٨/ ١٨: «أقيم لهم نبياً» وفي بعض الترجمات: «سوف أقيم».

فالموعود به ليس هارون ـ عليه السلام ـ لأنه مات قبل موسى، فما أقيم لهم، ولا يوشع بن نون ـ عليه السلام ـ لأنه أقيم نبياً قبل هذا الخطاب. ولما مات هارون صار وصيّ موسى وفتاه والقائم بالأمر من بعده. فهو من أنبياء بني إسرائيل في ذلك الوقت. والوعد إنما هو بنبي يقيمه الله في المستقبل. فلا يصدق عليه هذا اللفظ. وكذلك فإن سياق النص وما فيه من تهديد لمن يخالف ذلك النبي المبشر به يدل على أنه يأتي في المستقبل[2].

٢ ـ جاء في الفقرة (١٥): «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي» وفي الفقرة (١٨): «أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك». وفي السامرية: «من جملة إخوتهم».

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٢٨، مواجهة صريحة ص ٢٠٩.

(٢) هداية الحيارىٰ ص ٥٢٧، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٤، إظهار الحق ٢/ ٢٤٢.

فالنبي الذي بشرت به التوراة وصفته بصفتين:

الأولىٰ: كونه من إخوة بني إسرائيل، لا منهم حقيقة.

الثانية: كونه نبياً يشابه موسى في أوصافه ونبوته ويماثله.

وهاتان الصفتان لا تتحققان في عيسى بن مريم، ولا في غيره من الأنبياء ممن حمل بعض اليهود البشارة عليه، كيوشع بن نون وصمويل.

أ ـ أما الصفة الأولىٰ، فلأنهم كلهم من بني إسرائيل، وليسوا من إخوتهم أي أبناء عمومتهم. والبشارة إنما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل، لا من بني إسرائيل أنفسهم.

ولا شك أن الأسباط الإثني عشر كانوا حاضرين في ذلك الوقت مع موسى ـ عليه السلام ـ ولو كان النبي المبشّر به منهم لقال: أقيم لهم نبياً منهم، أو من أنفسهم، ولم يقل: من إخوتك، أو من إخوتهم. لأن الاستعمال الحقيقي لهذا اللفظ يقتضي ألا يكون المبشر به له علاقة الصلبية أو البطنية بالمبشِّرين، وهم بنو إسرائيل. بل من فرع آخر غير فرعهم. ولا يعقل أن يقال في لغة من اللغات؛ بنو إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل. لأن إخوة القوم ليسوا أنفسهم، بل بنو أبيهم. كما يقال: بكر وتغلب ابنا وائل. ثم يقال: تغلب إخوة بني بكر، وبكر إخوة بني تغلب. فلو قلت: إخوة بني بكر بنو بكر، كان محالاً. كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه. ولو قلت لرجل: إيتني برجل من إخوة بني بكر بن وائل، لكان الواجب أن يأتيك برجل من بني تغلب بن وائل، لا بواحد من بني بكر(١).

وقد جاء لفظ (الإخوة) بهذا الاستعمال الحقيقي في سفر التكوين ١٦/١٢ في بشارة هاجر بإسماعيل: «ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته» وفي السامرية: «وحول كل إخوته يسكن».

وفي ٢٥/١٨: «أمام جميع إخوته نزل» وفي بعض الترجمات: منتهى جميع إخوته يسكن.

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٢٧ و ٥٣٠ و٥٦٣، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٤، إظهار الحق =

والمراد بالإخوة هنا: بنو إسحاق وبنو العيس وغيرهم من أبناء إبراهيم.

وجاء في سفر العدد ٢٠/١٤: وأرسل موسىٰ رسلاً من قادَش إلى ملك أدوم؛ هكذا يقول أخوك إسرائيل: قد عرفت كل المشقة التي أصابتنا.

وجاء في سفر التثنية ٢/٤: وأوصىٰ الشعب قائلاً: أنتم مارون بتُخْم إخوتكم بني عيسو. الساكنين في سعير. فيخافون منكم. فاحترزوا جداً.

٢/٨: فعبرنا عن إخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير..

ولا شك أن استعمال لفظ «إخوة بني إسرائيل» في بعض منهم - كما جاء في بعض المواضع من التوراة استعمال مجازي. ولا تترك الحقيقة، ولا يصار إلى المجاز ما لم يمنع عن الحمل على المعنىٰ الحقيقي مانع قوي تتعذر معه الحقيقة(١).

وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، وهم العرب، وبنو العيس وهم الروم. فأما الروم فلم يقم فيهم نبي سوى أيوب - عليه السلام - وقد كان قبل موسى. فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة. فلم يبق إلا العرب. وهم بنو إسماعيل إخوة بني إسرائيل، فتعين أن يكون المبشر به منهم. ولم يخرج من ولد إسماعيل إلا محمد بن عبد الله ﷺ فيكون هو الموعود به. ويدعم ذلك وعد الله لإبراهيم وهاجر في حق إسماعيل، والبركة الثابتة له(٢).

وصفوة القول: إن المراد بإخوة بني إسرائيل هم العرب. لأن بني إسرائيل هم أولاد إسحاق بن إبراهيم. والعرب هم أولاد إسماعيل بن إبراهيم. ولو كانت هذه البشارة لنبي من بني إسرائيل، لم يكن لذكر الإخوة هنا معنى. وإذا انتفى حمل البشارة على المسيح ويوشع وسائر أنبياء بني إسرائيل. كان حملها على محمد بن عبد الله هو المصير الذي لا ينازع فيه إلا مكابر. لأنه من ذرية إسماعيل، ولم يقم منها نبي غيره.

= ٢/٢٤١، مواجهة صريحة ص ٢٠٩.

(١) إظهار الحق ٢/٢٤٢. بذل المجهود ص ٣٣.

(٢) هداية الحيارىٰ ص ٥٢٧ و ٥٣٠ و ٥٦٣، تحفة الأريب ص ١٣٤، مواجهة صريحة ص ٢٠٩.

وقوله: «أقيم لهم» يدل على عموم رسالته. وخاطبهم بذلك، لئلا يظنوا أنه مرسل إلى العرب والأميين خاصة(١).

وأما قول النصارى: إنه وقع في الفقرة ١٨/٥ من سفر التثنية زيادة تدل على أن هذا النبي إنما يكون من بني إسرائيل. وهي «من بينك». فالجواب: إن هذه العبارة ملحقة زيدت على النص تحريفاً. ويدل على ذلك ثلاثة أمور:

الأول: إن المخاطبين في هذا الموضع كانوا جميع بني إسرائيل، وليس بعضهم. وعليه، إذا كانت هذه العبارة أصلية، فإن قوله «من إخوتك» يكون لغواً محضاً لا معنى له. لكن لفظ «من إخوتك» جاء في الموضع الآخر ١٨/١٨ أيضاً. فيكون هو الصحيح الأصلي، ويكون لفظ «من بينك» هو الذي أضافه المحرفون.

الثاني: إن موسى ـ عليه السلام ـ لما نقل كلام الله في ١٨/١٨ لإثبات قوله الذي ذكره، لم يذكر فيه هذا اللفظ، ولا يمكن أن يكون ما قاله موسى مخالفاً لما قاله الله زيادة أو نقصاناً.

الثالث: إن الحواريين الذين نقلوا هذا الكلام لم يذكروا فيه لفظ «من بينك»(٢).

جاء في سفر الأعمال في خطبة بطرس في الهيكل ٣/٢٢ ـ ٢٣: فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون في كل ما يكلمكم به. ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب(٣).

---

(١) هداية الحيارى ص ٥٦٤.

(٢) إظهار الحق ٢/٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٣) هذا النص مأخوذ من العهد الجديد الصادر عن جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨١ م ومن الكتاب المقدس الصادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨٤ م. وهو نفسه الذي ذكره في إظهار الحق ٢/٢٤٣ و٢٤٧. نقلاً عن الترجمة العربية المطبوعة عام ١٨٤٤ م. غير أن يد التحريف امتدت إلى العهد الجديد الصادر عن دار =

فسقوط هذه العبارة في هذه الأماكن دليل على عدم ثبوتها. وعلى فرض ثبوتها، فإنها غير مقصودة لذاتها وليس فيها متمسك لهم. بل يكون المراد بها أحد الأمرين التاليين:

الأول: أن يكون قوله (من بين إخوتك) بدلاً من قوله: (من بينك)[1] والمبدل منه غير مقصود. لأنه إذا كان من إخوتهم، فقد قام من بينهم.

الثاني: إن محمداً ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وتكامل أمره بها، كان يسكن حول المدينة قبائل من اليهود؛ هم بنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة. أما يهود خيبر فقد كانوا شمال المدينة على بعد ١٧٠ كم تقريباً. وانطلق النبي وأصحابه من بينهم[2].

وكذلك قوله: «من وسطك» فإنه لا يستبعد أن يكون المغرضون أضافوها ليحْتمل النص المعنيين؛ المعنى الأصلي الذي ذكره موسىٰ ـ عليه السلام ـ وتركه فيهم، والمعنى الجديد الذي يرومونه، فيظن اليهود أن النبي المنتظر سيكون من بني إسرائيل. وهذا تحريف للكلم عن مواضعه، ولبس للحق بالباطل. كما قال سبحانه: ﴿**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم. وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب، وما هو من الكتاب، ويقولون: هو من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب، وهم يعلمون**﴾ ـ المائدة/ ٧٧ ـ ٧٨.

وعلى فرض صحة عبارة «من وسطك» تحمل على ما حملت عليه عبارة

= الكتاب المقدس في العالم العربي والمطبوع في بيروت عام ١٩٨٠ م، فالنص فيه هكذا: «أما قال موسى للآباء: سيقيم الرب إلهكم من بين شعبكم نبياً مثلي...».

(١) بدل اشتمال على رأي ابن الحاجب وأتباعه القائلين بكفاية علاقة الملابسة غير الكلية أو الجزئية في تحقيق هذا البدل. وبدل إضراب على رأي ابن مالك.

(٢) إظهار الحق ٢ /٢٤٧.

«من بينـك». كما يمكن أن تحمـلا معاً عـلى مـا أشـارت إليـه التـوراة في مسكن إسماعيل وأولاده:

جـاء في سفـر التكـوين ١٦/١٢: وأمـام جميـع إخـوتـه يسكن. وفي السامرية: وحول كل إخوته يسكن.

وفي ٢٥/١٨: أمام جميع إخوته نـزل. وفي السامـرية: حـول كل إخـوته نزل.

قال ابن القيم[1]: وقد جـاء في التوراة عنـد ذكر إسمـاعيل: «إنـه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوتـه» وهم بنو إسـرائيل. وهـذه بشارة بنبـوة محمد ﷺ الذي نصب فسطاطـه وملكَ أمته وسط بـلاد بني إسرائيـل وهي الشام التي هي مظهر ملكه اهـ.

أمـا قول النصـارىٰ: إن المسيح ـ عليـه السلام ـ نسب هـذه البشـارة إلى نفسه، واستشهادهم بإنجيل يوحنا، فالجواب أنه إن ثبت هذا النص عن المسيح بالسند المتصل، فليس فيه تصـريح بـأن موسى كتب في حقـه في موضـع كذا أو مكـان كذا. وإنمـا المفهوم منـه أن موسى كتب في حقـه. وهذا يصـدق على أي موضع في التوراة وجد فيه إشارة إليه. ونحن نسلم بهذا الأمر[2].

وقـولهم إن الضمير في لهم عـائد إلى بني إسـرائيل. وفي مثلك عـائـد إلى موسى، صحيح لا نزاع فيه، لكن ليس فيـه إشارة إلى السيـد المسيح. بـل إنما فيه إشارة إلى من يشابه موسى كما سيأتي.

وأمـا احتجاجهم بقـول شمعون الصفـا، فقـد أجـاب عنـه ابن كمـونـة اليهودي فقال[3]: وقول شمعون غير مسلم به، بل هو إشـارة إلى كل نبي يـأتي على دين موسىٰ. وسياقة الكلام المنزل في هذا المعنىٰ لا تقتضي التخصيص بنبي

---

(١) في هداية الحيارىٰ ص ٥٦٣.

(٢) إظهار الحق ٢/٢٤٨.

(٣) تنقيح الأبحاث ص ٦٤.

دون غيره. وبتقدير أن تقتضي ذلك، فنمنع أن المقصود بالتخصيص هو المسيح

ب ـ أما الصفة الثانية، وهي كونه نبياً مثل موسىٰ، فإنها تدل على أن هذا النبي المنتظر، يشابه موسىٰ في أوصافه وأعماله، ويماثله في كونه صاحب شريعة عامة شاملة تتبعها الأمة من بعده.

ولا توجد مماثلة أو مشابهة من هذه النواحي بين موسى ويوشع ـ عليه السلام ـ لأن موسى ـ عليه السلام ـ صاحب كتاب وشريعة جديدة كاملة مشتملة على الجهاد والحدود والتعزيرات، وعلى أحكام الطهارة والعبادات والمحرمات من الأطعمة والأشربة والألبسة والأنكحة وغير ذلك، وعلى أوامر ونواه في الأخلاق والسلوك الاجتماعي ونحو ذلك. ويوشع لم يكن كذلك. بل إنما كان تابعاً لموسى ولشريعته من بعده.

وسواد اليهود اليوم لا ينكرون مجيء هذا النبي، ولا ينكرون أنه سيكون صاحب شريعة، ولا ينكرون نسخ شريعته لشريعة موسىٰ. بل لا خلاف بين السامريين والعبرانيين في نسخ التوراة على يد النبي الذي ما زالوا ينتظرونه(١). أما قبل ذلك فلا تنسخ ولا تبدل بغيرها، لنصوص كثيرة يستدلون بها(٢).

وكذلك لا توجد مماثلة أو مشابهة بين موسى والمسيح ـ عليهما السلام ـ للأمور التالية:

أ ـ إن موسى ـ عليه السلام ـ عبد لله ورسولٌ مطيع له، أقامه الله لبني إسرائيل من جملة عبيده، وغايته أن يكون نبياً يوحىٰ إليه بشرع، لا غاية فوقها.

والمسيح في زعم النصارىٰ ليس بنبي ولا عبد صالح، ولكنه إله معبود، أو ابن إله، وله استقلاله. وهو في اعتقادهم مكوّن من ناسوت بشري

(١) التوراة السامرية ص ٤٠٠ وص ٤٠٨.

(٢) تنقيح الأبحاث ص ٢٧.

ولاهـوت. وقد اتحـد اللاهـوت بالنـاسوت، فصـار إلهاً لـه إرادة مستقلة. وهو بنفس الـوقت الأقنـوم ـ أي الأصـل ـ الثـاني من الأقـانيم الثـلاثـة التي تشكـل بمجموعها إلهاً واحداً. فالثالوث الأقدس الواحد ذو قدرة على الانبثاق من ذات الله الواحد المثلث الأقانيم، دون أن يخسر وحدانيته. لأنه ليس شخصيـة ماديـة واحدة، لكنه كيـان روحي واحد مثلث الأقـانيم. والمسيح إلـه حق من إله حق من جوهر أبيه، وهو مساوٍ لأبيه في الجوهر[1].

جاء في إنجيل يوحنا ١/١ : «في البدء كان الكلمـة: والكلمة كـان عند الله. وكان الكلمة الله».

فـالله عندهم هـو المسيح نفسـه. لأنهم يريـدون بـالكلمـة يسـوع الـذي بزعمهم خلق الأرض والسماء.

قالوا: «وكلمة الله الأزلية هي ذات مميزة، وهي شخصية عـاقلة، وليست مادة مجردة من العقلانية[2].

ومعنى «والكلمة كان عند الله» أن جوهر المسيح كلمة الله، هو جوهر الله بـذاته. وكـان عند الله: أي في حضنـه وفي ذاته، وليس كـإلـه مفصـول عنـه. فالعرش السماوي يجلس عليه إله مثلث الأقانيم، وليس ثلاثة آلهة[3]

ومعنى «وكـان الكلمة الله» أي أن المسيـح هو جـوهر الـلاهـوت الأزلي، لكي يعبد من مخلوقاته. بحسب عظمة جوهره الأزلي.

فالله متساوٍ في جوهره، وهو يشترك في جـوهر واحـد لا نظير لـه في الحياة وفي الأزل. وكل أقنوم يتحلى بلقب اللاهـوت. وجوهـر الابن يخلق كل شيء، ويعمل كل عمل لاهوتي[4].

---

(١) أقنوم الحق الفريد للدكتور رأفت عماري ص ٤٩.
(٢) المرجع السابق ص ٧ وص ٩.
(٣) المرجع السابق ص ١٥.
(٤) المرجع السابق ص ١٧.

وإذا أردت إيضاحاً: فالمسيح عندهم إله معبود، ليس بمخلوق. بل هو رب خالق حي قيوم محيي مميت ديان.. وهو رب الأنبياء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم. ورب الملائكة ومسيرهم. وذلك الذي ولدته مريم وعاينه الناس، وكان بينهم هو الله، وهو ابن الله، وهو كلمة الله. وهو ابن آدم وربه وخالقه ورازقه. وابن مريم وربها وخالقها ورازقها. واليد التي سمرها اليهود في الخشبة هي اليد التي عجنت طينة آدم وخلقته، وهي اليد التي شبرت السماء، وهي اليد التي كتبت التوراة(١).

وقد تقرر التثليث في الديانة النصرانية، وأجمعت عليه طوائفهم الثلاث اليوم؛ فحقيقة الله عندهم أنه وحدة أزلية في ثلاثة أشخاص متحدين بصورة متكاملة في ذاته. وليس اتحاد ثلاثة آلهة معاً. فالله الواحد يتألف شخصه المبارك من أقانيمه الثلاثة المباركة منذ الأزل(٢). غير أنهم اختلفوا في طبيعة المسيح: أَلَهُ طبيعة واحدة، لأنه إله؟ أم له طبيعتان: إلهية وإنسية، لأنه ابن الله وابن الإنسان معاً؟

أخذ بالمذهب الأول ثلاث كنائس، سمت نفسها (الأرثوذكس)(٣) وهي الكنيسة الأرثوذكسية المرقسية في مصر والحبشة، والكنيسة الأرثوذكسية السريانية التي يرأسها بطريرك السريان، ويتبعها كثير من نصارى آسيا. والكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية.

والأرمن يختلفون عن الكنيستين السابقتين في التقاليد والطقوس. ولهم بطاركة يرأسونهم. وخلاصة مذهبهم أن الأقنوم الثاني تجسد من روح القدس ومن مريم العذراء، مصيراً هذا الجسد معه واحداً، وحدة ذاتية جوهرية منزهة

(١) هداية الحيارى ص ٥٣٦ و٦٢٠ و ٦٦٩، مواجهة صريحة ص ٢١٠.
(٢) أقنوم الحق الفريد ص ٩.
(٣) الأرثوذكس: كلمتان يونانيتان معناهما: الرأي الحق أو المستقيم. والكاثوليك كلمة يونانية أيضاً معناها: العام أو العالمي.

عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بـريئة من الانفصـال وبهذا الاتحـاد للابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة. وقد أقر هذا الرأي في مجمـع أفسس الثاني المنعقد في منتصف القرن الخامس الميلادي.

وأخـذ بالمـذهب الثاني سـائر الكنـائس. فللمسيح في اعتقـادهم طبيعتان التقتا فيه، فهو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الإنسان في الـطبيعة الإنسـانية. أي هو طبيعتان وأقنوم واحد ووجه واحد.

وانتصر لهـذا المذهب الامبـراطور الـروماني الـذي عمل عـلى جمع مجمـع خليكدونيه عام ٤٥١ م، فأقر هذا المذهب بشكل حـاسم، ولعن مجمع أفسس، وسماه مجمع اللصوص. ومن ثم يطلق على هذا المذهب اسم (المذهب الملكاني) نسبة إلى الملك امبراطور روما[١].

وصفوة القول: إن المسيح في زعمهم إله يـرسل الـرسل. والبشـارة إنما هي بنبي يشابه موسى. جاء في تفسير الكتاب المقـدس لجماعـة من اللاهـوتيين برئاسة الدكتور (دافيدسن)[٢] في تفسير هذه النبوءة ما يلي: «يعلن موسى إعلاناً مسيانياً عن النبي الذي سيخلفه في وظيفته كنبي..».

وقال الدكتور رأفت عماري في كتابه (أقنوم الحق الفريـد)[٣]: إن إحدى مزايا الإله المطلق في يسوع هو كشفه عن علاقته المطلقة بأبيه كابن مبـارك متحدٍ بـه، يعرف كـل تخطيـطه وينجز كـل أعمالـه. وليس كأنـه ملاك أو نبي يعمـل لحسـابه.. إنها ليست عـلاقة مؤقتـة، نسبة لتكليف إلهي يقـدم من الله لنبي أو ملاك، ولكن علاقة قوية أليفة ثابتة.

ثم قال شارحاً التثليث[٤]: الكمال والجـوهر سـائد في كـل أقنوم. ثـلاثة

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ١١٤ ـ ١١٦.

(٢) المجلة الأولى ص ٥٣٤ طبعة بيروت، انظر التوراة السامرية ص ٤١٠.

(٣) ص ٥٥.

(٤) ص ٥٧.

أقانيم متساوية في الجوهر. فالمسيح ذو جوهر إلهي كامل. فلو لم يكن المسيح أقنوماً في ذات الله المثلث الأقانيم، ولو كان الله فردي الذاتية، وليس مثلثاً، لكان يسوع هو ذاتها - أي الأقانيم - الفردي نفسه اهـ.

فكيف يرتضي النصارى حمل هذه البشارة على المسيح، وهي تقتضي أن يكون المبشر به بشراً نبياً مكلفاً؟! إلا أن يكابروا ويتعنتوا فيقولوا: هو إله بلاهوته، نبي مرسل بناسوته. وهذا تعسف لم يقله أحد منهم فيما أعلم، وآنئذٍ نعود إلى السؤال الذي فرق جمعهم: أَلَه طبيعة واحدة أم طبيعتان؟ فإن قالوا: له طبيعتان، نسألهم: هل له مشيئة واحدة أو مشيئتان؟.

فإن قالوا: له مشيئة واحدة وإرادة واحدة، فقد أوجبوا الحجة عليهم. وإن قالوا: له مشيئتان وإرادتان، فقد ناقضوا أنفسهم. ففي القرن السابع عشر ظهر يوحنا مارون، وذهب إلى أن المسيح مع أن له طبيعتين، له مشيئة واحدة، وإرادة واحدة. وهي المشيئة الإلهية والإرادة الإلهية، لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد. وشايعه في هذا الرأي بعض نصارى آسيا. فاجتمع مجمع القسطنطينية سنة ٦٨٠ م بتأييد الامبراطور، وكفروا الموارنة واضطهدوهم[(1)].

ومن ناحية ثانية لا يصح حمل هذه البشارة على المسيح أيضاً. لأنها بشرت بواحد من إخوة بني إسرائيل وبنو إسرائيل وإخوتهم كلهم عبيد لله. ليس فيهم إله أو ابن إله.

٢ - إن المهمة التي جاء من أجلها المسيح المسيح - عليه السلام - في عقيدة النصارى لا تشابه المهمة التي بعث موسى - عليه السلام - من أجلها البتة.

فالمسيح في زعمهم أقنوم الإنس الأزلي. لأن أقنوم الحكمة تجسد لكي يفدي الإنسان الذي شوهته الخطيئة البشرية، ويموت عنه على خشبة الصليب كإنسان كامل بدون خطيئة. ومع ذلك فالله واحد لأنه يتواجد دائماً في عرشه

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ١١٧ .

رغم تنازله عن مجده من أحد أقانيمه لمدة وجيزة من الزمن كي يبارك الإنسان ويخلصه[1].

والمسيح أيضاً في زعمهم صار ملعوناً من أجل هذه المهمة؛ فقد جاء في رسالة بولس إلى أهل غلاطية:

١٣/٣ ـ ١٤: «والمسيح حررنا من لعنة الشريعة، بأن صار لعنة من أجلنا. فالكتاب يقول: ملعون من مات معلقاً على خشبة. وهذا ما فعله المسيح لتصير فيه بركة إبراهيم إلى غير اليهود».

والمسيح في زعمهم دخل الجحيم بعد صلبه وأخرج الأنبياء والصالحين، ومكث هناك ثلاثة أيام كما سيأتي. لأن صلبه كان كفارة للخطيئة البشرية.

أما موسى ـ عليه السلام ـ فقد كانت مهمته تنحصر في أنه بشر رسول مبلغ عن الله. لم يصلب فداء عن أحد بل مات موتاً عادياً، ولم يكن ملعوناً لشفاعته لأحد، ولم يدخل الجحيم ليخلص أحداً. فبين المهمتين بون شاسع.

٣ ـ إن موسى ـ عليه السلام ـ كان صاحب شريعة كاملة شاملة مستقلة كما سلف، والمسيح كما تذكر أربعة الأناجيل لم يكن كذلك[2].

جاء في إنجيل متي ١٧/٥ ـ ١٨: لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ـ وفي ترجمة سنة ١٩٨٠ م: لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء ـ ما جئت لأنقض، بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.

ونقل ابن القيم[3] هذا النص عن الترجمات في زمانه كما يلي: «إنما جئت لأعمل بالتوراة، وبوصايا الأنبياء قبلي. وما جئت ناقضاً بل متمماً. ولأن تقع

---

(١) أقنوم الحق الفريد ص ١٥ وص ٥٦.

(٢) تحفة الأريب ص ١٣٥، إظهار الحق ٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٣) هداية الحيارى ص ٦٦٧.

السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى. ومن نقض شيئاً من ذلك يدعىٰ ناقصاً في ملكوت السماء».

والنصارى يأخذون معظم تشريعهم وأحكامهم من العهد القديم. وقد تضمنت الأناجيل بعض عبارات للمسيح تتصل بالتشريع، مع إقراره بالتشريع اليهودي القائم في ذلك الوقت. وبعد رفع المسيح أقام القسس على أساس تلك العبارات مع العهد القديم نظاماً قانونياً للكنيسة كما سيأتي في الكتاب الثاني.

٤ ـ إن موسى ـ عليه السلام ـ كان رئيساً مطاعاً في قومه، أمرهم بالجهاد وجاهد معهم، وانتصر على أعدائه. وهو متزوج وله أولاد.

أما المسيح ـ عليه السلام ـ فلم يكن كذلك. بل إن من تعاليمه كما يزعمون ما يلي:

جاء في إنجيل متي ٥/٣٨ ـ ٤٠: سمعتم أنه قيل: عين بعين وسن بسن. أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر ـ وفي طبعة ١٩٨٠ م: لا تنتقموا ممن يسيء إليكم ـ بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فاترك له الرداء أيضاً.

٥/٤٣ ـ ٤٤: سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.

وجاء في لوقا ٦/٢٧ ـ ٣٠: أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم. باركوا لاعنيكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون إليكم. من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضاً. ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضاً. وكل من سألك فأعطه. ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه.

٦/٣٥: بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا، وأنتم لا ترجون شيئاً[1]

---

(١) نحن المسلمين لا نجزم بأن عيسى ـ عليه السلام ـ قال هذا الكلام أو لم يقله. والأمر عندنا

٥ ـ لـو حملت هذه البشـارة علىٰ أي نبي من أنبيـاء بني إسرائيـل للزم منه تكذيب نصوص التوراة التي بين أيديهم . لأنها تنص على أن لا يكون في بني

قائم على الشك. لكنا نقول للنصارىٰ: هل الإيمان عندكم هو ترديد القول وحفظه وكتابته والاستشهاد به في المناسبات؟ أو هو عقيدة تتحكم في السلوك، ويأتي العمل على مقتضاها؟ ثم أين هذه التعاليم من فعل النصارى الذين استعمروا البلدان وظلموا أهلها، واستغلوا خيراتهم، وأوقعوا فيما بينهم؟ بل أين هي من محاكم التفتيش التي أحرقت البشر وهم أحياء باسم المسيح والمحبة؟ وأين هي من اقتحام القدس في أثناء الحروب الصليبية ونكث العهود مع أهلها ثم ذبحهم صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً في الشوارع؟ مع أن هذه الحروب أشرفت الكنيسة على معظمها. بل كانت هي المؤجج والباعث لها. وإنا لنسأل التاريخ الأوربي: ماذا فعل صلاح الدين ـ رحمه الله ـ بـالصليبيين بعـد أن أعاد القـدس إلى أهلها؟ هكـذا كان سلوكهم فيما مضى. وهذا هو سلوكهم اليوم كما أثبتت الوقائع.

ثم إن هذه التعاليم تكلف النفوس فوق طاقتها. بل ما ليس من طبعها أبداً. فمن الميسور على الإنسان أن يحسن إلى من أساء إليه، وأن يصنع المعروف مع عدوه ومبغضه. كما أمرت الشريعة الإسلامية؛ فجمعت بين المثالية والواقعية: حيث أمرت بالقصاص، وحضت وليَّ الدم على العفو. وأمرت بوفاء الـدين، وحضت صاحب الحق عـلى النظرة إلى ميسـرة أو التصدق والمسامحة. وأمرت بإعطاء كل نفس حقها، وحضت على الإيثار. ونحو ذلك كثير.

وكان هذا القول مقروناً بالفعل، فما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من المسلمين. كما قال غوستاف لوبون. أما تكليف النفس بحب أعدائها وتبريك لاعنيها، فهو تكليف بما لا يطاق، ومثالية بعيدة عن الواقع. والنادر كالأنبياء في حكم العدم. والتعويل على سواد الناس، إلا أن تكون التعاليم للزينة والمفاخرة.

أضف إلى ذلك أن في الإنجيل ما يناقض ذلك تماماً كما سيأتي في الكتاب الثاني (محبة وسلام أم سيف وخصام) ففي متى: ١٠/ ٣٤: لا تظنوا أني جئت لأحمل السلام إلى العالم. ما جئت لأحمل سلاماً. بل سيفاً.

١٠/ ٣٥ ـ ٣٦: جئت لأفرق بين الابن وأبيه، والبنت وأمها، والكنة وحماتها، ويكون أعداء الإنسان أهل بيته.

لوقا ١٢/ ٤٩: جئت لألقي ناراً على الأرض. وكم أتمنى أن تكون اشتعلت..

ومهما حاولوا تأويلها للجمع بين النصوص كما سلف، فإن فيها تعارضاً شديداً مع المثالية المفرطة التي نادت بها النصوص السابقة. ثم إنها نابية عن الذوق في حق الأرحـام وصلة الرحم.

إسرائيل نبي يماثل موسىٰ ـ عليه السلام ـ[1] .

جاء في سفر التثنية ٣٤/١٠ ـ ١٢ : ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسىٰ الذي عرفه الرب وجهاً لوجه، .

في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه. وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسىٰ أمام أعين جميع إسرائيل اهـ.

قال ابن كمونة اليهودي[2]: أريد به في كونه خوطب شفاهاً من غير وساطة في كل شيء اهـ.

وهذا النص يحتمل أن يكون معناه أن هذا النبي المنتظر لم يكن أتىٰ حتى زمن كتابة التوراة في بابل إبان السبي أو بعد العودة منه. لكن من الممكن أن يظهر بعد ذلك من بني إسرائيل أو من غيرهم.

فمن هو إذاً النبي المنتظر الذي يكلمه الله، ويشابه موسى في إجراء الآيات العجيبة التي أرسله الله بها، وفي الجهاد باليد الشديدة الذي أمره الله به، ولم يظهر حتى الآن؟! علماً بأن المسيح بن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل. وقد مضى على القوم أكثر من (١٩٥٠) سنة، ولم يقم فيهم نبي سواه وسوى يحيى بن زكريا ـ عليهم السلام ـ فلم قاطعهم الله هذه المقاطعة، وهجرهم هجراً غير جميل؟!

ومن الجدير بالذكر أن التوراة السامرية منعت أن يكون هذا النبي من بني إسرائيل البتة فقد جاء فيها:

٣٤/١٠ : ولا يقوم أيضاً نبي في بني إسرائيل كموسىٰ الذي ناجاه الله شفاهاً، في جميع الآيات والمعجزات التي أرسله الله للفعل. .

---

(١) هداية الحيارى ص ٥٢٧، إظهار الحق ٢/٢٤٠.

(٢) تنقيح الأبحاث ص ٩٦.

وبما أنه لا مثيل لموسى من بني إسرائيل، فلا بد أن يكون النبي المنتظر الذي بشرت به التوراة ووصفته بأنه مماثل لموسى وناسخ لشريعته من غيرهم. فتعين أن يكون من ولد إسماعيل أخي إسحاق للبركة الممنوحة له وللوعد بتكثير نسله ـ كما سلف ـ ولم يخرج من ولد إسماعيل إلا محمد ﷺ ولم يأت أحد غيره برسالة مستأنفة لا من بني إسرائيل ولا من غيرهم. فيكون هو الموعود به، لا شك في ذلك. لأنه من إخوة بني إسرائيل، وليس منهم (١) . **ولأنه يماثل موسى في أمور كثيرة أهمها ما يلي:**

أ ـ كلاهما عبدٌ لله ورسولٌ له؛ فهما نبيان، ومن أب وأم، وقد تزوجا، ولهما أولاد، وماتا على الفراش، ودفنا في القبر.

ب ـ كلاهما كَلَّمه الله؛ فمحمد ﷺ أسرىٰ به الله ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. ثم عرج به إلى السماوات العلىٰ، حيث تنقطع علوم الخلائق. وهناك كلمه ربه، وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات في اليوم والليلة.

جـ ـ كلاهما صاحب شريعة كاملة مشتملة على نظام كامل للحياة دينياً ودنيوياً. فيها أحكام الطهارة والعبادات والمعاملات المدنية، وأحكام الأطعمة والأشربة والألبسة والزواج وغير ذلك. كما فيها أحكام الحدود والقصاص والتعزير ونحو ذلك.

علماً بأن شريعة محمد ﷺ ناسخة في الأحكام لشريعة موسى ـ عليه السلام ـ ولو كان موسى حياً لما وسعه سوى اتباع خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

ومن الأحكام التشريعية المتماثلة بين الشريعتين ما يلي:

ـ اشتراط طهارة الثوب والبدن من النجاستين الحسية والمعنوية وقت

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٦٤، تقديم أحمد حجازي للتوراة السامرية ص ٢٥ و٣٩٣ و ٤٠٠ ـ ٤٠١، و٤٠٣، مواجهة صريحة ص ٢٠٩.

العبادة؛ فكلتا الشريعتين توجب الغسل على الحائض والنفساء والجنب، كما توجب تطهير البدن والثوب من البول والغائط وسائر النجاسات.

- تحريم الربا في المعاملات، وتحريم غير المذكى - المذبوح - وقرابين الأوثان وسائر ما أهل لغير الله في الأطعمة. وكذلك لحم الخنزير.

مع التفاوت بين الشريعتين. ففي تشريع محمد ﷺ فسحة، وقد بعث بحنيفية سمحة. أما اليهود فقد شددوا فشدد الله عليهم.

- كلاهما رئيس مطاع في قومه وأتباعه، قادر على إجراء الأحكام فيهم، وقد أمرا بالجهاد، فجاهدا مع أصحابهما، وحاربا أعداءهما، وكانت العاقبة لهما.

فالمماثلة حاصلة، والبشارة تصدق فيه أكمل صدق، وتنطبق عليه أتم انطباق، قال سبحانه: ﴿ **إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً** ﴾ - المزمل/ ١٥ - [١].

٣ - ورد في الفقرة (١٨)، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به.

وهذا يشير إلى أن هذا النبي المبشر به، سينزل الله عليه كتاباً، يظهر للناس من فمه. ومحمد ﷺ أنزل الله على قلبه كتاباً ظهر للناس من فمه. قال سبحانه: ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين* نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين* وإنه لفي زبر الأولين* أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل** ﴾.

فإنزال الكتاب عليه بهذه الطريقة من علامات نبوته التي أخبر عنها الأنبياء المتقدمون، كما يشير النص إلى أن هذا النبي يكون أمياً حافظاً للكلام. ومحمد ﷺ كان أمياً. بل لم يقم في الدنيا نبي أمي سواه. وكان حافظاً لما أنزل

---

(١) تحفة الأريب ص ١٣٥، إظهار الحق ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤.

عليه لا ينساه. قال سبحانه: ﴿ سنقرئك فلا تنسىٰ ﴾ ـ الأعلى/٦ ـ

وقوله: ﴿ فيكلمهم بكل ما أوصيه به ﴾ يدل على أنه لا يتكلم من تلقاء نفسه أو بحسب هواها. بل بوحي من الله. ومحمد ﷺ كان كذلك. قال سبحانه: ﴿ وما ينطق عن الهوىٰ إن هو إلا وحي يوحىٰ ﴾ ـ النجم/٤ ـ كما يشير إلى أنه أمين على الوحي لا يكتم منه شيئاً. ومحمد ﷺ كان كذلك. قال سبحانه: ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك* وإن لم تفعل فما بلغت رسالته* والله يعصمك من الناس ﴾ ـ المائدة/ ٦٧.

وقد بلغ الرسالة حتى ما كان فيه عتاب له ﷺ وأدىٰ الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده. فجزاه الله عن أمته خيراً(١).

٤ ـ ورد في الفقرة (١٩): «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه». وفي بعض الترجمات: فأنا أكون المنتقم منه.

وهذا يعني أن من يكفر بهذا النبي المبشر به، ولا يطيع كلام الله الذي يتكلم به، ولا يقبل الشريعة التي أوحىٰ الله بها إليه، فإن الله سيكون هو المنتقم منه.

وهذا يدل على تعظيم النبي المبشر به، وتعظيم الكتاب المنزل عليه، وتعظيم شريعته. لأن الله سبحانه، أضاف المطالبة والانتقام لنفسه. وعقب ذلك بالفاء التي تفيد الترتيب من غير تراخٍ زمني. فلا بد أن يمتاز هذا النبي بصفات دون غيره من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ (٢).

ولا يمكن أن يراد بالانتقام هنا محض العذاب في الآخرة، أو المحن والعقوبات الدنيوية التي تلحق بعض مخالفي الأنبياء. لأن هذا عام، لا يختص

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٤٢.

(٢) إظهار الحق ٢/٢٤٢.

به نبي دون آخر. كما أن العذاب في الآخرة متأخر إلى وقت لا يعلمه إلا الله. بل يظهر والله أعلم أن المراد بالانتقام هنا الانتقام التشريعي الذي يشمل الجهاد الذي يأمر الله به، وتكون العاقبة فيه لذلك النبي وللمتقين الذين معه. كما يشمل القصاص وإقامة حدود الله على من تعداها.

أما إهلاك الأمم السابقة بعذاب الاستئصال في الدنيا، فلم يكن انتقاماً منهم لمجرد كفرهم بالله وتكذيبهم أنبياءه. بل لأنهم سألوا الآيات وتحدوا بها. فلما جاءتهم لم يؤمنوا، بل أصروا واستكبروا استكباراً. فكان من الاعتبار أن الذين لا يهتدون إذا جاءتهم الآيات المقترحة أن يغلظ عليهم الأمر، وينزل بهم عذاب الاستئصال.

وكان من حكمة الله تعالى ورحمته أن لا يهلك قوم خاتم الأنبياء بعذاب الاستئصال. مع أن المشركين من أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ آيات كثيرة. وقد بين سبحانه أنه إنما منعه أن يرسل بها أن كذب بها الأولون الذين استحقوا بذلك الهلاك. فإذا كذب هؤلاء استحقوا ما استحقه من كذب قبلهم فاستؤصلوا. قال سبحانه: **﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون* وآتينا ثمود الناقة مبصرة، فظلموا بها* وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾** - الإسراء/٥٩ - .

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا. فقيل له: إن شئت أن نستأني بهم، وإن شئت أن يأتيهم الذي سألوا، فإن كفروا هلكوا كما هلك من كان قبلهم من الأمم. قال: لا بل أستأني بهم. فأنزل الله تعالىٰ: **﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات.. ﴾** الآية - أخرجه أحمد والنسائي - .

وعنه - رضي الله عنه - قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم: قال: فدعاه، فأتاه جبريل فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح

لهم الصفا ذهباً، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة؟ فقال: بل باب التوبة والرحمة ـ أخرجه أحمد ـ .

فلم يجبهم إلى طلب الآيات التي اقترحوها. لأن الآيات توجب إقامة الحجة عليهم. والحجة قائمة بغيرها، فإن ما أتى به النبي ﷺ حصل به كمال الهدي والبرهان. والله يعلم أن قلوب هؤلاء كقلوب أولئك. فلو أجابهم إلى ما اقترحوا ولم يؤمنوا أتاهم عذاب الاستئصال. واكتفى سبحانه بتعذيب بعضهم بأنواع من العذاب كما قال سبحانه: ﴿ **قل: هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين؟ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا** ﴾ ـ ٩/٥٢ ـ .

فأخبر جل جلاله أنه يعذب الكفار تارة بأيدي المؤمنين عن طريق الجهاد وما ينتج عنه من هزيمة وقتل وأسر وغير ذلك كما حدث يوم بدر وحنين. وتارة بغير ذلك كالمستهزئين الذين قال الله فيهم: ﴿ **إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر، فسوف يعلمون** ﴾ ـ ٩٥/٥ ـ .

وكان في ذلك الاستيناء، وعذابهم بمثل هذه الأسباب ما يوجب إيمان كثير منهم فيما بعد كأبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل، ووحشي قاتل حمزة ـ رضي الله عنهم ـ ثم إيمان ذريتهم من بعدهم. ولو أهلكهم كما أهلك من قبلهم لبادوا ولم يكن لهم ذرية تؤمن بالله من بعدهم. فكان في إرسال خاتم النبيين رحمة للعالمين[1].

وقد تبين مما تقدم أن النبي المبشر به والذي يتكلم بكلام الله، يكون مأموراً بالجهاد وبإقامة الحدود والقصاص والتعزير، ومؤيداً بنصر الله وتوفيقه. ومحمد ﷺ أمر بالجهاد هو وأصحابه بالمدينة المنورة، بعد أن كانوا بمكة مستضعفين مضطهدين: فلما أسلم الأنصار، أمر رسول الله ﷺ من كان بمكة

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٢٧٧ ـ ٢٧٨ و ٢٨٢ ـ ٢٨٤ .

من المسلمين أن يهاجروا إلى المدينة فراراً بدينهم. وفي ذلك يقول سبحانه: **﴿ واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض، تخافون أن يتخطفكم الناس. فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾** - ٨/٢٦ - .

فلما اجتمع المهاجرون والأنصار في المدينة، وأعزهم الله بعد تلك الذلة شرع الله لهم الجهاد وفرضه عليهم. وكانوا قبل ذلك قد نهوا عنه، وقيل لهم كما في الآية: **﴿ كفوا أيديكم ﴾** - ٤/٧٧ - وأنزل سبحانه: **﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾** - ٢/٢١٦ - .

فبذلوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، وحققوا أمر الله، فشكر الله لهم ذلك، ورضي عنهم، ونصرهم على عدوهم مع قلتهم وضعفهم. قال سبحانه: **﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾** - .

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر - وفي رواية: نصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر - وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل. وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة. وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة - رواه الشيخان والنسائي -.

وفي رواية لمسلم: وختم بي النبيون.

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت بين يدي الساعة مع السيف، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري. ومن تشبه بقوم فهو منهم - أخرجه أحمد وحسنه الحافظ، وأخرج البخاري بعضه تعليقاً. وله شاهد عند ابن أبي شيبة - .

وحيث يظهر الكفار ويغلِبون، فإنما ذلك لمعاصي المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم وضعفه. فإذا تابوا وعادوا إلى الله رد نصره إليهم. فقد وعدهم بذلك واشترطه عليهم. قال سبحانه: ﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا، وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**﴾ ـ ٣/ ١٣٩ ـ .

غير أنه لا تخلو الأرض من طائفة من المتقين تناجز العدو بأنواع الجهاد حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

عن سلمة بن نفيل الكندي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: ولا تزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويُزيغ الله، لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله ـ أخرجه أحمد والنسائي ـ .

ويتجلى ذلك عندما ينزل عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ إلى الأرض، فيحكم بشريعة محمد ﷺ ويجاهد الكفار والمشركين، ويقيم الحدود. فالعاقبة للمتقين.

وقد أقام النبي محمد ﷺ الحدود والقصاص ونهى عن تعطيلها. وحض صاحب الحق على العفو. وكذلك فعل خلفاؤه من بعده.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : حد يقام في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحاً ـ أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة ـ [1].

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب ـ أخرجه أبو داود والنسائي ـ .

٥ ـ ورد في الفقرة (٢٠): وأما النبي الذي يطغىٰ، فيتكلم باسمي كلاماً

---

(١) وفي سنده في الروايتين جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي. وهو ضعيف. وفي الرواية الأولىٰ أيضاً عيسى بن يزيد الأزرق لم يوثقه غير ابن حبان. انظر جامع الأصول بتعليق الأرناؤوط ٣/٥٩٦.

لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرىٰ، فيموت ذلك النبي. وفي بعض الترجمات الأخرىٰ، وفي السامرية أيضاً: فليقتل ذلك المتنبىء.

فقد صرح بأن المتنبىء الذي ينسب إلى الله ما لم يأمره به، نهايته القتل. والمسيح ـ عليه السلام ـ في زعم أهل الكتاب قتل وصلب. فلو كانت هذه البشارة في حقه كما يزعم النصارىٰ للزم أنْ يكون متنبئاً كاذباً كما يدعي اليهود والعياذ بالله من ذلك(١).

أما محمد ﷺ فلو لم يكن نبياً لله ومرسلاً من قبله حقاً وصدقاً لكان قد قتل. لكن لم يستطع أحد قتله رغم كثرة المحاولات من قريش ثم من يهود والمنافقين وسائر المشركين في مكة والمدينة وفي السفر والحضر. ومصداق هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: **﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين* فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾** ـ الحاقة / ٤٤ ـ وقوله تعالىٰ: **﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك* وإن لم تفعل فما بلغت رسالته* والله يعصمك من الناس ﴾** ـ المائدة/ ٦٧ ـ .

وقد أوفى الله بما وعد، فلم يقدر أحد على قتله حتى مرض ومات في بيته على فراشه ولحق بالرفيق الأعلى. واليهود يعلمون ذلك حق العلم. حتى إنه صرف حرسه حين نزلت عليه الآية قائلاً: إن الله قد عصمني(٢).

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سُمٌّ . فقال رسول الله ﷺ اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود. فجمعوا له. فقال رسول الله ﷺ : إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ : من أبوكم؟ قالوا: فلان. قال كذبتم. بل أبوكم فلان. قالوا:

---

(١) إظهار الحق ٤/٢٤٥.

(٢) عندما وصلت مفكرة أوروبية في قراءة سيرته ﷺ إلى هذا المكان قالت: لو خدع الناس جميعاً ما كان ليخدع نفسه.

صدقت وبَرَرْت. فقال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كما عرفته في أبينا. قال لهم: من أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفُونا فيها. قال رسول الله ﷺ: اخسؤوا فيها. والله لا نخلفُكم فيها أبداً. قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟ قالوا: نعم. قال: فما حملكم على هذا؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت صادقاً لم يضرك ـ أخرجه البخاري ـ .

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ : أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة. فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك. فقال: ما كان الله ليسلطك على ذلك ـ أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود ـ .

وفي رواية أبي داود عن جابر ـ رضي الله عنه ـ : قالت: قلت: إن كان نبياً فلن تضره، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه. فعفا عنها.

وقد ادعىٰ النبوة في زمنه وبعده ناس كثيرون. وكانت نهايتهم القتل. مثل مسيلمة الحنفي والأسود العنسي وسجاح وطليحة وغيرهم.

قال دوزي في كتابه (ملوك الطوائف)(١): لو صح ما قاله القساوسة من أن محمداً نبي منافق كذاب. فكيف نعلل انتصاراته؟ وما بال فتوحات أتباعه تترىٰ وتتلو إحداها الأخرىٰ؟ وما بال انتصاراتهم على الشعوب لا تقف عند حد؟ وكيف لا يدل ذلك على معجزة هذا الرسول؟ لقد كانوا يعتقدون أول الأمر أن خذلان المسلمين سيتم بمعجزة قريبة. فطالما سمعوا عن معجزات الكنيسة، وانتظروا هذه المعجزة التي تخلص البلاد النصرانية من غزوات المسلمين. ولكن انتظارهم لهذه المعجزة قد طال، وذهب أدراج الرياح. وأعجب من ذلك أن معجزة أعظم قد حدثت، وكانت معجزة أعظم مما كان

---

(١) عن كتاب آفاق جديدة في الدعوة لأنور الجندي ص ١١٨ .

يتوهمه القديسون أنفسهم. وأي معجزة أعظم وأروع من أن نرى شعباً كان إلى زمن قريب في غاية الخمول. ثم ظهر إلى الدنيا فجأة، وظل يتقدم بسرعة لا مثيل لها.

٦ ـ جاء في الفقرة (٢٢): فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب. بل بطغيان تكلم به النبي. فلا تخف منه.

هذه علامة تميز النبي الصادق من المتنبىء الكاذب. فالنبي المبشر به سيتحدث عن الغيب الحاضر والمستقبل. فإذا وقع الأمر كما أخبر فهو الصادق. وإلا فهو الكاذب.

ومحمد ﷺ تحدث عن الغيب الماضي والحاضر في زمنه والمستقبل، فكانت أخباره كلها صادقة، ولا سيما خبره عن الغيب المستقبل، فإننا لا نزال حتى اليوم نرى مصداق ما أخبر به كما سلف في القسم الثاني.

وقوله: «فلا تخف منه» يدل على أن المتنبىء الكذاب لن ينجح إلا يسيراً، ثم يخفق وتكون نهايته القتل كما سلف[1].

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٤٥.
وانظر هذه البشارة أيضاً في الملل والنحل للشهرستاني ١/٢١١، قصص الأنبياء للنجار ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤، محمد رسول الله لبشرى ص ٦٥ ـ ٧٠، محمد في الكتب المقدسة لمحمد رواس قلعة جي ص ٢٨.

٦ ـ استبدال العرب ببني إسرائيل

نص البشارة:

جاء في سفر التثنية ما يلي:

٣٢/٥: فَسَمِن يشـورون ورفس. سمنتَ وغلُظت واكتسبت شحماً. فرفضَ الإله الذي عمله، وغبي عن صخرة خلاصه.

١٦ ـ: أغاروه بالأجانب، وأغاظوه بالأرجاس.

١٧ ـ: ذبحوا لأوثانٍ ليست اللَّهَ. لآلهة لم يعرفوها أحداثٍ قد جاءت من قريب. لم يرهبها آباؤكم.

١٨ ـ: الصخر الذي ولدك تركتَه، ونسيتَ الله الذي أبدأك.

١٩ ـ: فرأى الرب، ورَذَلَ من الغيظ بنيه وبناته.

٢٠ ـ: وقال: أحجب وجهي عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتُهم: إنهم جيل متقلب وأولاد لا أمانة فيهم.

٢١ ـ: هم أغاروني بما ليس إلهاً، أغاظوني بأباطيلهم. فأنا أُغيرهم بما ليس شعباً. بأمة غبية أغيظهم.

وفي بعض الترجمات: هم أغاروني بغير إله، وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة. وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب. وبشعب جاهل أغضبهم.

ولعل ما في السامرية أوضح، فقد جاء فيها ما يلي:

٣٢/١٥: يأكل يعقوب ويشبع، يسمن إسرائيل ويمرح. سمنت عبلت

حسنت. وترك القادرَ صانعَه. وأسخط وليَّ مغوثته.

١٦ ـ يسخطونه بالأجانب، وبالكرائه يكيدونه.

١٧ ـ : يذبحون لمشيَّدات، لا للّه، آلهة لم يعرفها، محدثة من قرب أتت، ولم يتألهها آباؤكم.

١٨ ـ : القويَّ منشيك تطرح، وتنسى القادرَ ممدَّك.

١٩ ـ : فينظر الله ويرفض من كيد خواصه وخصيصاته.

٢٠ ـ : ويقول: أحجب رضواني عنهم لأنظر ما آخرتهم. إذ جيل منقلب هم. بنون ليس أمين فيهم.

٢١ ـ : هم أسخطوني بغير قادر. أكادوني بهبائهم. وأنا أغيرهم بغير قوم. بشعب ساقط أكيدهم.

توضيح البشارة وتحليلها:

لقد أنعم الله على بني إسرائيل، وفضلهم على عالمي زمانهم. لكن النعمة أفسدتهم فبطروا. وبدلاً من أن يشكروا الله على ذلك عبدوا المعبودات الباطلة من أصنام وأوثان، فقربوا لها القرابين، ونسوا الله خالقهم ومغيثهم، فأغاروه وأغضبوه. ولذلك فإن الله سبحانه سيغيرهم باصطفاء الشعب الآخر الذي هو جاهل، وساقط محتقر في أعينهم، وسيفضله عليهم.

فمن الشعب الآخر؟ لا شك أنهم العرب أولاد إسماعيل. لأنهم كانوا في غاية الجهل والضلال. ولم يكن عندهم اتجاه إلى العلم، سواء كان من العلوم الشرعية أو العلوم العقلية أو التجريبية، وكان معظمهم أمياً لا يقرأ ولا يكتب[١]. وكانوا يعبدون الأصنام، ويئدون البنات، ويغير بعضهم على بعض. . كما كانوا محتقرين من قبل اليهود. لكونهم أولاد هاجر جارية إبراهيم ـ عليه السلام ـ [٢].

---

(١) بعكس اليونانيين، فقد كانوا متفوقين في العلوم والفنون. وكان منهم الأئمة في الرياضيات والطبيعيات وفروعهما. كما كان منهم حكماء مشهورون قبل الميلاد وبعده.

(٢) إظهار الحق ٢/٢٤٩ ـ ٢٥٠، مواجهة صريحة ص ٤٠٣.

ووفَّى الله بما وعد، فاستبدل ببني إسرائيل العرب الأميين. فبعث فيهم رسولاً منهم، أمياً مثلهم. فهداهم من الضلال، وجمعهم من الشتات وألف الله بين قلوبهم، فأصبحوا بنعمته إخواناً. قال سبحانه: **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾** ـ الجمعة/٢ ـ.

وفضل الله أمة هذا النبي على سائر الأمم، فكان ذلك مدعاة لعجب بني إسرائيل. قال تعالىٰ: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس* تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** ـ آل عمران /١١٠ ـ.

وعن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال: إن الله عزّ وجلّ يقول: يا عيسىٰ إني باعث بعدك أمة، إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم. قال: يا ربّ كيف هذا لهم، ولا حلم ولا علم؟!، قال: أعطيهم من حلمي وعلمي ـ أخرجه أحمد في المسند، والبزار وقال: إسناده حسن، والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية ـ.

ما يشهد لهذه البشارة:

١ ـ جاء في المزامير ما يلي:

١١٨/٢٢: الحجر الذي رفضه ـ وفي بعض الترجمات: أخره ـ البناؤون، قد صار رأس الزاوية.

٢٣ ـ: من قِبل الرب كان هذا. وهو عجيب في أعيننا.

وسبب العجب أن اليهود كانوا يحتقرون العرب أولاد إسماعيل غاية الاحتقار. فكون أحدهم يصير رأس الزاوية، عجيب في أعينهم[1].

وجاء في إنجيل متي ٢١/١٠ ـ ١١ ولوقا ٢٠/١٧: قال لهم يسوع: أما

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٧٦، وانظر مزيداً من التفصيل في شواهد البشارة الأولى من بشارات الإنجيل.

قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رفضه البناؤون، هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا. وهو عجيب في أعيننا.

متي ٢١/٤٣: لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزَعُ منكم، ويعطىٰ لأمة تعمل أثماره.

وفي طبعة (١٩٨٠): سيأخذ الله ملكوته منكم، ويسلمه إلى شعب يجعله يثمر.

متي ٢١/٤٤ ولوقا ٢٠/١٨: ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه.

وفي طبعة (١٩٨٠): من وقع على هذا الحجر تهشم، ومن وقع هذا الحجر عليه سحقه.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين ـ رواه الشيخان ـ [(١)].

أي فكنت أنا اللبنة وختمت الأنبياء.

٢ ـ وجاء في سفر إشَعْياءَ ما يلي:

١/٦٥: أصغيت للذين لم يسألوا. وُجدت من الذين لم يطلبوني. قلت: ها أنذا لأمة لم تسم باسمي.

وفي بعض الترجمات: طلبني الذين لم يسألوني قبل، ووجدني الذين لم يطلبوني.

٢ ـ: بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره.

---

(١) وروىٰ البخاري ومسلم والترمذي عن جابر ـ رضي الله عنه ـ نحوه، وكذلك مسلم عن أبي سعيد والترمذي عن أبي بن كعب، وقال: حديث حسن صحيح.

٣ ـ شعب يغيظني بوجهي دائماً. يذبح في الجنات، وينجر على الآجر.

٤ ـ : يجلس في القبور، ويبيت في المدافن، يأكل لحم الخنزير. وفي آنيته مرقُ لحوم نجسة.

٥ ـ : يقول: قف عندك. لا تدن مني. لأني أقدس منك. هؤلاء دخان في أنفي نار متقدة كل النهار.

فالمراد بالذين لم يسألوني والذين لم يطلبوني: العرب. لأنهم كانوا غير واقفين على ذات الله وصفاته وشرائعه. فما كانوا سائلين حقيقة عن دين الله أو طالبين له. بل كانوا أمة أمية كما سلف. والوصف المذكور في الفقرتين الثانية والثالثة يصدق على كل من اليهود والنصارىٰ. أما الأوصاف المذكورة في الفقرة الرابعة، فهي ألصق بحال النصارى. لأنهم يأكلون لحم الخنزير ولا يتجنبون النجاسة. بل لا يرون بها بأساً. كما أن الوصف المذكور في الفقرة الخامسة ألصق بحال اليهود، لأنهم يرون لأنفسهم مزية على غيرهم. فردهم الله جميعاً، واختار أمة محمد ﷺ(١).

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٦٦ ـ ٢٦٧.

نص البشــارة:

جاء في سفر التثنية ما يلي:

١/٣٣: وهذه هي البركة التي بارك بها موسىٰ رجلُ الله بني إسرائيل قبل موته.

٢ ـ: فقـال: جاء الـرب من سيناء، وأشـرق لهم من سعير، وتـلألأ من جبل فاران. وأتىٰ من رِبْوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم.

٣ ـ: فـأحب الشعبَ. جميـع قـديسيـه في يـدك. وهم جـالســون عنـد قدمك. يتقبلون من أقوالك.

وفي بعض الترجمات، ومنها المطبوعة عام ١٨٢٢ وعام ١٨٤٤: جاء الرب من سينـاء، وأشرق لنـا من ساعـير، واستعلن من جبـل فـاران. ومعـه ألـوف الأطهار. في يمينه سنة نار.

أما في السامرية فالنص هكذا:

٢/٣٣: فقـال: الله من سينين أتى، وأشـرق من الشعـير. ولهم لمع من جبل فاران. ومعه من ربوات القدس. وعن يمينه شريعة لهم.

٣ ـ وأيضـاً محبٌ الشعوب. وكـل أقداس أقـداسه بيـدك. وهم يخضعون لرجليك. ويتحملون من أقوالك. .

توضيح البشارة وتحليلها:

هذه البشارة متضمنة للنبوات الثلاث: نبوة موسى، ونبوة عيسى، ونبوة محمد ﷺ: - فمجيء الله - أو إتيانه، أو إقباله - من سيناء - أو سينين -: ظهور دينه وتوحيده بما أوحىٰ به إلى عبده ورسوله موسىٰ هناك؛ فقد كلمه ربه في جبل الطور، وناداه من واديه الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة، فنبأه وأعطاه بعض المعجزات وأرسله. ثم أنزل عليه التوراة وأعطاه الشريعة. وهذا الأمر متفق عليه.

- وإشراقه - أو تجليه - من ساعير: ظهور فضله بإرسال عيسى - عليه السلام - وإنزال الإنجيل عليه. وساعير جبل ببلاد الشام في فلسطين، بجانب (بيت لحم) وهي القرية التي ولد فيها المسيح - عليه السلام - وبعضهم يطلق على أرض الجليل التي فيها مدينة (الناصرة) ساعير. ويسمي جبالها جبال ساعير[1]. وهذا أمر ينازع فيه اليهود.

- وتلألؤه - أو لمعانه، أو استعلانه - من جبل فاران: هو ظهور أمره إلى جميع الناس بإنزال القرآن على محمد ﷺ.

وفاران: أحد الجبال المحيطة بمكة التي ولد فيها محمد ﷺ وفيه غار حِراء، حيث كان النبي ﷺ يتعبد فيه، ثم نزل عليه الوحي لأول مرة[2] وهذا أمر ينازع فيه اليهود والنصارىٰ.

---

(١) وفي معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/١٧١ طبعة دار الاعتصام: ساعير: اسم لجبال فلسطين. وهو من حدود الروم. وهو قرية من الناصرة بين طبريا وعكا اهـ. وانظر مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي المتوفى عام ٧٣٩ هـ ٣/١٠١١ - ١٠١٢، والجواب الصحيح ٣/٣٠٠ - ٣٠١، وتحفة الأريب ص ١٣٥، وهداية الحيارى ص ٥٢٨ وص ٥٤٢، وإظهار الحق ٢/٢٥٠، ومواجهة صريحة ص ٢١٠، التوراة السامرية تقديم أحمد حجازي ص ٤٠٤ - ٤٠٥، بذل المجهود ص ٣٥.

(٢) المراجع السابقة بالإضافة إلى الأجوبة الفاخرة ص ١٦٥.

فهم أهل الكتاب لهذه البشارة:

أ ـ ذهب بعض اليهود إلى أن فاران هي أرض الشام، وليست أرض الحجاز[1]:

قال ابن كمونة اليهودي[2]: فالتوراة تنطق أن موسى وبني إسرائيل اجتازوا بفاران وأقاموا بها.

وخوطب موسىٰ هناك عدة مرار.. وأيضاً فإن من قرأ ما قبل المستشهد به وما بعده علم أن الكلام كله مختص ببني إسرائيل، لا بما يشاركهم فيه غيرهم. ثم إن الألفاظ كلها مخبرة عن أمر ماضٍ مثل أقبل وأشرق وطلع. لا عن أمر متوقع. وإن حمل على المتوقع فهو مجاز وخروج عن الظاهر اهـ.

ب ـ وذهب النصارىٰ إلى أن فاران هي إيلات من أعمال الشام، وليست مكة[3]. ومن ثم فقد حملوا البشارة على بعض أحوال المسيح ـ عليه السلام ـ.

مناقشة أهل الكتاب:

جاء في معجم البلدان لياقوت[4]: فاران: كلمة عبرانية معربة، وهي من أسماء مكة. وقيل: هو اسم لجبال مكة. قال ابن ماكولا: أبو نصر بن القاسم بن قضاعة القضاعي الفاراني الإسكندراني. سمعت أن ذلك نسبة إلى جبال فاران، وهي جبال الحجاز. وفاران أيضاً قرية من نواحي صُغُد من أعمال سمرقند.. وقال أبو عبد الله القضاعي: فاران والطور كورتان من كور مصر القبلية اهـ.

وجاء في معجم ما استعجم من البلدان، ومعجم معالم الحجاز[5] ما يلي:

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٢٩.

(٢) في تنقيح الأبحاث ص ٩٧.

(٣) كما في قاموس الكتاب المقدس انظر مواجهة صريحة ص ٢١٠.

(٤) ٤/٢٢٥ طبعة دار صادر.

(٥) معجم ما استعجم لأبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي تحقيق مصطفى

وقال البكري: فاران على وزن فاعال: معدن حديد بمنازل بني سليم ينزله بنو الأخثم بن عوف بن حبيب بن عُصية بن خِفاف بن امرىء القيس ابن بُهثة بن سُليم. ولذلك قيل لهم: القيون. قال خِفاف بن عُمير السلمي:

متى كان للقينين: قين طَمِيَّةٍ وقين بَلِيٍّ معدِن بفاران. اهـ

فهناك أكثر من موضع سمي بفاران. لكن إطلاق هذا الاسم على الحجاز أكثر وأشهر لما يلي:

١ - جاء في تحفة الأريب[١]: وفاران اسم رجل من ملوك العمالقة الذين اقتسموا الأرض، فكان الحجاز وتخومه لفاران. فتسمى القطر كله باسمه اهـ.

٢ - وذكر بعضهم أنه وجد هذا الاسم بالخط الكوفي في كتاب منازل مكة[٢].

٣ - بقي اسم فاران يطلق على الجبال المحيطة بمكة إلى ما بعد القرن الثامن الهجري. قال ابن تيمية[٣]: وعلىٰ هذا فيكون قد ذكر الجبال الثلاثة: حِراء الذي ليس حول مكة أعلى منه، وفيه ابتدىء برسول الله ﷺ نزول الوحي عليه. وحوله جبال كثيرة. وذلك المكان يسمىٰ فاران إلى هذا اليوم، والبرية التي بين مكة وطور سيناء تسمى برية فاران اهـ.

٤ - جاء في سفر التكوين ٢١/٢٠ - ٢١: وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية. وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر.

فلا يشك أهل الكتاب في أن فاران هي مسكن آل إسماعيل، وأن

= السقا ٣/١٠١٣، ومعجم معالم الحجاز للمقدم عاتق غيث البلادي ٧/١١.

(١) ص ١٣٥.

(٢) تنقيح الأبحاث ص ٩٤.

(٣) الجواب الصحيح ١/٣٠١.

إسماعيل هو جد النبي محمد ﷺ وقد علم بالتواتر واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما ربي في مكة بوادٍ غير ذي زرع، وأنه مع أبيه بنى البيت بذلك الواد. فعلم قطعاً أن فاران هي أرض مكة في الحجاز.

وقد اعترف اليهود بأن الوحي هو المراد في طور سيناء. فلا بد أن يكون الأمر كذلك في ساعير وفاران. ويكون في ذلك إشارة إلى أماكن الرسالات الثلاث. وإلا فأين الموضع الذي استعلن الله منه، واسمه فاران؟ وأين النبي الذي أنزل عليه كتاب بعد المسيح؟ وأية نبوة خرجت فاستعلت استعلاء ضياء الشمس وتلألأت وظهرت فوق ظهور النبوتين السابقتين قبلها؟ وأي دين ظهر بعدهما وفشا في مشارق الأرض ومغاربها غير الإسلام؟(1).

وأما قول ابن كمونة: «إن الكلام كله مختص ببني إسرائيل» فنعم. لأن الخطاب لهم كما أن البشارة والتنبيه لهم. ومثل هذا كثير في التوراة. لكن لا يعني أن البركة دائماً لهم، وأن النبوة أبداً فيهم. ومن ناحية ثانية فإن النبي الأخير مرسل إليهم وإلى غيرهم.

وأما الإخبار بلفظ الماضي (جاء،! أشرق، تلألأ) فلتحقق الوقوع وتأكيده. وهذا أمر متعارف عليه في مثل هذا المقام. ويشهد لذلك الانتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب في قوله: «جميع قديسيه في يدك، وهم جالسون عند قدمك..».

ويقال للنصارى: أي نبي جاء بعد المسيح من إيلات؟ أهو المسيح نفسه؟! فلم ذكر مرتين؟ وهل نزل عليه كتاب آخر هناك؟؟ وأية نبوة خرجت من بلاد الشام بعده؟

إنه لم ينزل بعد المسيح ـ عليه السلام ـ كتاب في برية فاران أو جبالها إلا على محمد بن عبد الله ﷺ وبذلك يكون الله سبحانه قد ذكر الجبال الثلاثة حقاً، وذكر

---

(1) الجواب الصحيح ٣/٣٠١، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٥، إظهار الحق ٢/٢٥٠، بذل المجهود ص ٣٥ ـ ٣٦.

الكتب المنزلة على الترتيب الزماني صدقاً. وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿الٓمٓ الله لا إله إلا هو الحي القيوم* نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه* وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس، وأنزل الفرقان﴾ ـ آل عمران/١ ـ .

وهذه الكتب نور الله وهداه. وقد قال في الأول: «جاء وأتى وأقبل» وفي الثاني: «أشرق». وفي الثالث: «استعلن وتلألأ ولمع». فشبه نبوة موسى ونزول التوراة عليه بطلوع الفجر، أو بما هو أظهر من ذلك، كإسفار الصبح وضيائه، ونبوة عيسى وإنزال الإنجيل عليه بإشراق الشمس الذي ازداد به النور والهدىٰ. ونبوة خاتم الأنبياء ونزول القرآن عليه باستعلان الشمس وظهور ضوئها في الآفاق. فإن النبي ﷺ ظهر به وبالقرآن الذي معه نور الله وهداه في مشارق الأرض ومغاربها أعظم مما ظهر بالنبيين السابقين له، وبالكتابين اللذين أنزلا عليهما[١].

قال الشهرستاني في الملل والنحل[٢]: ولما كانت الأسرار الإلهية والأنوار الربانية في الوحي والتنزيل على مراتب ثلاث: مبدأ ووسط وكمال. والمجيء أشبه بالمبدأ، والظهور أشبه بالوسط، والإعلان أشبه بالكمال، عبرت التوراة عن طلوع صبح الشريعة والتنزيل بالمجيء من طور سيناء، وعن طلوع الشمس بالظهور على ساعير، وعن البلوغ إلى درجة الكمال بالاستواء والإعلان على فاران اهـ.

وذكر هذه الأمكنة المباركة هنا هو نظير ذكر الله تعالىٰ لها في القرآن وإقسامه بها في أول سورة التين حيث قال سبحانه: ﴿والتين والزيتون وطور سينين* وهذا البلد الأمين* لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم..﴾.

فأقسم سبحانه بـ (التين والزيتون) والمراد منبتها. وهي الأرض المقدسة المباركة التي ولد فيها المسيح ـ عليه السلام ـ ثم بعث وأنزل عليه الإنجيل. فهي مظهر نبوته.

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٢٨، وص ٥٤٢ ـ ٥٤٣، الجواب الصحيح ٣/ ٣٠١.
(٢) ١/ ٢١٣.

وحول مدينة القدس كان الزيتون ولا زال يزرع بكثرة. كما أن بقربها جبلاً صغيراً اسمه جبل الزيتون ولذلك اتخذ كثير من الناس أغصان الزيتون شعاراً للسلام.

وأقسم بـ (طور سينين) وهو الجبل الذي كلم الله سبحانه عليه موسى تكليماً يليق بذاته وجلاله. وناداه من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة. وفيه أنزل عليه التوراة. فهو مظهر نبوته.

وأقسم بـ (البلد الأمين) وهو مكة المكرمة (فاران) حيث الوادي الذي أسكن فيه إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه هاجر. ثم أمر الله إبراهيم وإسماعيل ببناء البيت، وجعله حرماً آمناً. وفي مكة ولد محمد ﷺ ثم بعث وأنزل عليه القسم المكي من القرآن. فهي مظهر نبوته(١).

وقوله في البشارة: «ومعه من ربوات القدس». وفي بعض الترجمات: «ومعه ألوف الأطهار». يشير إلى أنه سيكون مع هذا النبي الثالث المنتظر الذي سيبعث من فاران، جماعات كثيرة من الصحابة الأطهار، يكون بينهم ولا يفارقونه. وكذلك كان محمد ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ.

وقوله: «وعن يمينه نار شريعة لهم» وفي ترجمة اليسوعيين: «قبس شريعة لهم» إشارة إلى أنه سيكون مع هذا النبي المنتظر شريعة يقتبس منها، كشريعة موسى، تأمر بالجهاد في سبيل الله وإقامة الحدود والتعزيرات.

وقوله: «فأحب الشعبَ» يدل على محبة الله وتأييده لأمة هذا النبي.

وقوله: «جميع قديسيه في يدك» أي إن جميع الصحابة والتابعين ومن تبعهم من الأمناء الطاهرين لا يخرجون عن أصول الشريعة التي يجيء بها ذلك النبي. وفي هذا إشارة إلى المجتهدين من علماء الأمة. فهم متبعون لا مبتدعون.

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٠٢، و٣٠٤، هداية الحيارى ص ٥٤٣.

وقوله: «ويتحملون من أقوالك» أي يستنبطون من القرآن والسنّة ما يحل مشكلات البشر[1].

واليهود بأسرهم مجمعون على أن في التوراة بشارات بصاحب شريعة يأتي في آخر الزمان. وهم يعلمون أنه يبعث في برية فاران في الحجاز. ولذلك ترك قسم كبير منهم بلاد الشام وهاجر إلى تلك البقاع في الجزيرة العربية. وأقاموا القلاع والحصون قرب الأرض ذات النخيل والواقعة بين حرتين. فإنها دار هجرته. فلما ظهر وأعلن الحق بفاران، ثم هاجر إلى دار هجرته هجروه وتركوا نصرته، ثم عادوه وكادوا له. فأظهره الله عليهم.

قال ابن إسحاق في سيرته: وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه: قال: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله وهداه لنا؛ ما كنا نسمع من رجال يهود؛ كنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم ليس عندنا. وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور. فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم. فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم. فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا. فبادرناهم إليه. فآمنا به وكفروا به وكذبوه. ففينا وفيهم نزلت هؤلاء الآيات من سورة البقرة: ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لما معهم* وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا * فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به * فلعنة الله على الكافرين** ﴾ ـ البقرة/٨٩ ـ

وقال سبحانه: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم * وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق، وهم يعلمون**﴾ ـ البقرة/١٤٦ ـ .

ما يشهد لهذه البشارة:

١ ـ جاء في سفر حَبَقُّوق الباب الثالث ما يلي:

---

(١) تحفة الأريب ص ١٣٥، التوراة السامرية ص ٤٠٥، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٥.

٣/٣ : الله جاء من تِيمان. والقدوس من جبل فاران. سِلاه جلاله غطى السماوات. والأرض امتلأت من تسبيحه.

ونص الفقرة هذه في تحفة الأريب[١] هكذا: «في آخر الزمان يجيء الرب من القبلة. والقدوس من جبل فاران». وذكرها ابن كمونة اليهودي[٢] هكذا: «إن القدوس جاء من فاران. وتبع ذلك الحروب والاستيلاء على الأرض».

٤ ـ ٥ : وكان لمعان كالنور. له من يده شُعاع. وهناك استتار قدرته. قدامه ذهب الوباء. وعند رجليه خرجت الحُمىٰ.

٦ ـ ٧ : وقف وقاس الأرض. نظر فرجَف الأممُ، ودكت الجبال الدهرية، وخَسَفَت آكام القِدَم. مسالك الأزل له. رأيت خيام كوشان تحت بليه. رجفت شقق أرض مِديان.

٨ ـ ٩ : هل على الأرض حِمىٰ يا رب. . حتى إنك رَكِبْتَ خيلك مركباتك مركباتِ الخلاص. عُريت قوسُك تعرية. سُباعيّات سهام كلمتك. .

١١ ـ ١٢ : الشمس والقمر وقفا في بروجهما لنور سهامك الطائرة، للمعان برق مجدك. بغضب خَطَرْتَ في الأرض. بِسُخْط دُست الأمم.

١٣ ـ خرجت لخلاص شعبك لخلاص مسيحك. سحقت رأس بيت الشرير معرياً الأساس حتى العنق.

١٤ ـ ١٥ : ثقبتَ بسهامه رأس قبائله. عصفوا لتشتيتي. . سلكتَ البحر بخيلك كومَ المياه الكثيرة.

ونقل ابن تيمية وابن القيم[٣] النص عن بعض الترجمات في زمانهما كما يلي: «جاء الله من التيمن. وظهر القدوس على جبل فاران. وامتلأت الأرض من

---

(١) انظر ص ١٣٨.

(٢) في تنقيح الأبحاث ص ٩٥.

(٣) الجواب الصحيح ٣/٣١٣، هداية الحيارىٰ ص ٥٤٤.

تحميد أحمد. وملك بيمينه رقاب الأمم. وأنارت الأرض لنوره. وحُملت خيله في البحر اهـ.

ونقلاه أيضاً عن ترجمات أخرىٰ لم تنلها يد التحريف. وكذا نقله القرافي كما يلي[1]: «إن الله جاء من التيمن ـ وعند ابن القيم: من اليمن ـ والقدوس من فاران. لقد أضاءت الشمس من بهاء محمد. وامتلأت الأرض من حمده. وشاع منظره مثل النور. يحوط بلاده بعزة. تسير المنايا أمامه، وتصحب سباع الطير أجناده. قام يَمسح الأرض، فتضعضعت له الجبال القديمة وانخفضت الروابي، فتزعزعت أسوار مدين. ولقد حاز المساعي القديمة.. زجرك في الأنهار، واحتدام صوتك في البحار. ركبت الخيول، وعلوت مراكب الأتقياء وسينزع في قسيّك إغراقاً، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواءً. لقد رأتك الجبال فارتاعت... وسارت العساكر في بريق سهام ولمعان نيازكك، تدوخ الأرض غصباً، وتدوس الأمم زجراً. لأنك ظهرت لخلاص أمتك، وإنقاذ تراث آبائك اهـ.

ومجيء الله من التيمن ـ أو من تيمان أو من اليمن ـ: هو مجيء وحيه من ناحية الحجاز. فإن أنبياء الله من بني إسرائيل كانوا يظهرون من ناحية الشام. أما محمد ﷺ فقد ظهر من ناحية الحجاز. والقدوس هو محمد ﷺ وقد ابتدأه الوحي في غار حراء الواقع في جبل فاران. فذكر أولاً جهة الوحي ثم حدد مكان نزوله أول مرة على النبي المبشر به[2].

ومكة والمدينة يمانيتان من حيث الجهة، وحجازيتان من حيث الموقع. والدليل على ذلك ما يلي:

أ ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ فرأينا ذا الحُليفة. فتعجل رجال إلى المدينة، وبات رسول الله ﷺ وبتنا معه. فلما أصبح

---

(١) الجواب ٣/ ٣٣٠ و٤/ ٣، هداية الحيارىٰ ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٨.
(٢) الجواب الصحيح ٣/ ٣٣١، تحفة الأريب ص ١٣٥.

سأل عنهم، فقيل: تعجلوا إلى المدينة. فقال: تعجلوا إلى المدينة والنساء؟ أما إنهم سيدعونها أحسن ما كانت. ثم قال: ليت شعري متى تخرج نار بأرض اليمن من جبل الوِراق، تضيء منها أعناق الإبل ببصرىٰ بروكاً كضوء النهار - أخرجه أحمد في المسند، قال السمهودي: برجال ثقات -.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرىٰ.

وقد خرجت هذه النار سنة ٦٥٤ هـ قرب المدينة المنورة - كما سلف في القسم الثاني في بحث دلائل النبوة - ورأى الناس في ضوئها أعناق الإبل ببصرىٰ.

ب - قال البيهقي في المعرفة: قال الشافعي: «ومكة والمدينة يمانيتان». وقد ذكر الشافعي في الأم حديث: «أتاكم أهل اليمن، هم ألين قلوباً.. الحديث» ثم روىٰ أن النبي ﷺ وقف على ثنية تبوك فقال: «ما ههنا شام» وأشار بيده إلى جهة الشام. «وما ههنا يمن» وأشار بيده إلى جهة اليمن. قال البيهقي: وهو في مسند الشافعي بلفظ « ما ههنا شام» وأشار بيده إلى الشام «ومن ههنا يمن» وأشار بيده إلى جهة المدينة.

قال ابن الأثير في شرحه: الغرض منه بيان حد الشام واليمن. وقد جعل المدينة من اليمن اهـ[1].

وقد أفصح أيضاً عن اسم المبشر به، ووصفه بصفات عينت شخصه. كما أخبر عن قوة أمته وسير المنايا أمامهم، واتباع جوارح الطير آثارهم، وامتلاء السماء من بهائه. وذلك بسبب أنوار الإيمان والقرآن التي ظهرت منه ومن أمته. وإن ادعوا غيره فمن الذي جاء من فاران، وامتلأت الأرض من حمده وحمد أمته

(١) وفاء الوفا للسمهودي ص ١٣٩ - ١٤١.

وخضعت له الأمم؟ إن الحمد أمر ظاهر في هذه الأمة. فلا بد لهم من حمد في كل صلاة وخطبة وبعد كل طعام وشراب، وعند كل نعمة ونقمة. ولذلك سماهم الله قبل ظهورهم بالحمادين.

فهذه البشارة لا تليق إلا بمحمد ﷺ ولا تصلح إلا له، ولا تدل إلا عليه. ومن حاول صرفها عنه، فقد حاول ممتنعاً(١).

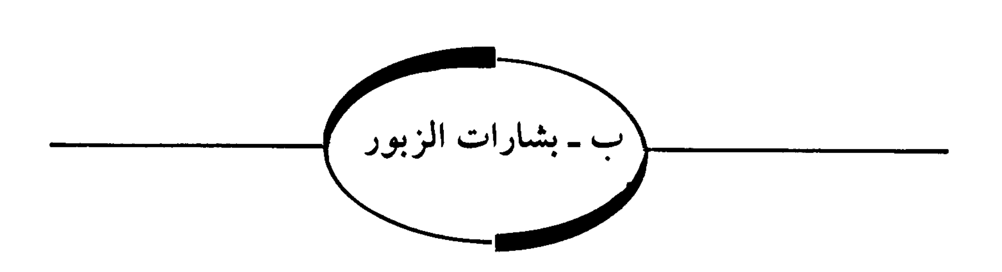
٢ ـ ونقل ابن تيمية وابن القيم عن سفر شمعون: «جاء الله [بالبينات] من جبال فاران، وامتلأت الأرض من تسبيحه وتسبيح أمتــه».

ولم يخرج أحد قط من جبال فاران، وامتلأت الأرض من تسبيحه وتسبيح أمته سوىٰ محمد ﷺ فإن المسيح لم يكن بأرض فاران البتة. وموسى إنما كلم من الطور، والطور ليست من أرض فاران. وإن كانت البرية التي بين مكة والطور تسمىٰ برية فاران. لكن لم تنزل فيها التوراة(٢).

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٣٠ ـ ٣٣١ و ٣/٤، هداية الحيارىٰ ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٨.

(٢) الجواب الصحيح ٣/٣١٢، هداية الحيارىٰ ص ٥٤٣.



تكررت البشارة في مزامير داود ـ عليه السلام ـ بنبي يأتي من بعده تخضع لدينه أمم وشعوب، غير أن اليهود يحملون النصوص على مسيحهم الذي لا زالوا ينتظرونه. أما النصارى، فيحملونها كلها على المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ متكلفين ومتعسفين[1]. وإليكم بعض البشارات:

(١) إظهار الحق ٢/٢٥٥.

١ ـ داود يصف محمداً وأمته

نص البشـــارة:

جاء في المزمور الخامس والأربعين من مزامير داود ما يلي:

٤٥/١ ـ: فاض قلبي بكلام صالح. متكلم أنا بإنشائي للملك. لساني قلم كاتب ماهر.

٢ ـ: أنت أبرع جمالاً من بني البشر ـ وفي بعض الترجمات: بهي في الحسن أفضل من بني البشر ـ انسكبت النعمة على شفتيك. لذلك باركك الله إلى الأبد.

٣ ـ: تقلد سيفـك على فخـذك أيها الجبـار جلالَـك وبهـاءَك ـ وفي بعض الترجمات: أيها القوي بحسنك وجمالك. وعند ابن تيمية وابن القيم: لأن البهاء لوجهك، والحمد الغالب عليك ـ

٤ ـ وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدَعة والبِر. فتريك يمينك مخاوف ـ وفي بعض التـرجمـات استلّه وانجـح واملك من أجـل الحق والـدعـة والصدق. وتهديك بالعجب يمينـك. وعند ابن تيميـة وابن القيم: اركب كلمة الحق وسمة التأله. فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك.

٥ ـ نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك. شعوب تحتك يسقطون ـ أي في قلب أعداء الله ـ.

٦ ـ كرسيك يا ألله إلى دهر الدهور. قضيبُ استقامةٍ قضيبُ ملكك ـ وفي بعض الترجمات: عصا الاستقامة عصا ملكك ـ .

٧ ـ أحببت البِر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رُفقائك.

٩ ـ بنات ملوك بين حظياتك. جعلت الملِكة عن يمينك بذهب أُوفير ـ وفي بعض الترجمات: بنات الملوك في كرامتك. قامت الملكة عن يمينك مشتملة بثوب مذهب موشىٰ ـ .

١٠ ـ اسمعي يا بنت وانظري، وأميلي أذنك وانسيْ شعبك وبيت أبيك.

١٢ ـ وبنت صور أغنى الشعوب تترضىٰ وجهك بهدية ـ وفي بعض الترجمات: بنات صور يأتينك بالهدايا، لوجهك يصلي كل أغنياء الشعب ـ .

١٦ ـ عوضاً عن آبائك يكون بنوك، تقيمهم رؤساء في كل الأرض.

١٧ ـ أذكُرُ اسمك في كل دَوْر فدور. من أجل ذلك تحمَدك الشعوب إلى الدهر والأبد ـ وفي بعض الترجمات: سأذكر اسمك في كل جيل وجيل. من أجل ذلك تعترف الشعوب لك إلى الدهر، وإلى دهر الداهرين ـ [1].

توضيح البشارة وتحليلها:

١ ـ ورد في الفقرة (٢) أنه أبرع جمالاً من بني البشر. وفي بعض الترجمات. بهي الحسن أفضل من بني البشر.

وهاتان الصفتان متحققتان في محمد ﷺ تمام التحقق وعلى أكمل وجه:

أما الأولىٰ، فقد سبق في القسم الثاني في بحث دلائل النبوة أن صورته ﷺ كانت توحي بالثقة والطمأنينة، وأن كثيراً ممن وصفه كان يقول: لم أر قبله ولا بعده مثله:

---

(١) أصل النص من الكتاب المقدس طبعة دار المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨٤ وهي ترجمة البروتستانت. والاستدراكات من إظهار الحق ٢/٢٥٥، والجواب الصحيح ٣/٣١٨، وهداية الحيارىٰ ص ٥٤٦.

ففي حديث علي ـ رضي الله عنه ـ السابق قال: لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل الممغَّط، ولا بالقصير المتردد. كان ربعة من القوم.. لم أر قبله ولا بعده مثله ـ رواه الترمذي ـ.

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ ربعة من القوم؛ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، أزهر اللون، ليس بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم. ليس بجعد قطِط، ولا سَبِط رَجل[1].. الحديث ـ أخرجه الشيخان ومالك في الموطأ والترمذي ـ.

وللبخاري عن أنس وأبي هريرة ـ رضي الله عنها ـ: كان رسول الله ﷺ ضخم القدمين حسن الوجه، لم أر بعده مثله. وفي أخرىٰ: لم أر بعده ولا قبله مثله. وكان سبِط الكفين.

وعن أبي الطفيل ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ مليح الوجه ـ أخرجه مسلم والترمذي ـ.

وعند أبي داود: كان أبيض مليحاً، إذا مشى كأنه يهوي من صَبوب.

وعن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خَلْقاً. ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير. أخرجه الشيخان وأصحاب السنن إلا ابن ماجة ـ.

وفي رواية للشيخين وأبي داود: كان مربوعاً بعيد ما بين المنكبين. له شعر يبلغ شحمة أذنيه. رأيته في حلة حمراء. لم أر شيئاً قط أحسن منه.

وأخرج البخاري والترمذي عنه أنه سئل: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر.

---

(١) الممغَّط: البائن الطول. المتردد: الذي تردد بعض خلقه على بعض، فهو مجتمع. رَبْعة: معتدل القامة، بين الطويل والقصير: أزهر: مستنير، وهو أحسن الألوان. أمهق: كريه البياض كلون الجص. آدم: شديد السمرة. جعد قطِط: شديد الجعودة. سَبِط رَجِل: أي بين بين.

ولا تصدُق هذه الصفة في حق المسيح ـ عليه السلام ـ لأنهم يزعمون أن ما جاء في سفر إشَعْياء ٥٣/١ ـ ٥ هو في حقـه: من صدَّق خبـرنا. ولمن استُعلنت ذراع الرب؟ نبت قُدامه كفرخ وكعِرق من أرض يابسـة، لا صورة لـه ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه. محتقـر ومخذول من النـاس. رجل أوجـاع ومختَبِر الحزَن، وكمستَّرٍ عنه وجوهُنا. محتقر فلم نعتد به. لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملهـا. ونحن حسبناه مصـاباً مضـروباً من الله ومـذلولاً. وهـو مجروح لأجـل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا. .(١).

أما الصفة الثانية، وهي كونه أفضـل البشر، فقد قـال سبحانـه في حقه: «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض. منهم من كلم الله، ورفع بعضهم فوق بعض درجات».

ولقد اختار الله سبحانه نبيه محمداً ﷺ من البشر ليكون صفوة خلقه وخاتم أنبيائه، وأحله بالمنزلة الرفيعة والمكانة العالية.

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قـال رسول الله ﷺ: أنـا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر. وبيدي لواء الحمد ولا فخر. ومـا من نبي يـومئذٍ [آدم فمن سـواه] إلا تحت لوائي. وأنـا أول من تنشق عنـه الأرض ولا فخر ـ أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن ـ.

وعن أنس ـ رضي الله عنـه ـ قال: قـال رسول الله ﷺ: أنـا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا. وأنا مبشرهـم إذا أيِسوا. ولواء الحمد يومئذٍ بيدي. وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ـ أخرجه الترمذي وحسنه ـ.

وعن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيـين وخطيبهم وصـاحب شفاعتهم غـير فخر ـ أخـرجه الترمذي وقال: حسن صحيح».

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٥٥.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع» أخرجه مسلم وأبو داود ـ.

وعند الترمذي: أنا أول من تنشق عنه الأرض، فأكسى الحلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش. فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري.

وهذا إخبار عما أكرمه الله تعالىٰ به من الفضل والسؤدد، وتحدث بنعمة الله تعالىٰ عليه، وإعلام لأمته بذلك. ليكون إيمانهم على حسب ذلك.

٢ ـ ورد أيضاً في الفقرة (٢) أن النعمة منسكبة على شفتيه. ولذلك باركه الله إلى الأبد.

ورسول الله ﷺ بالإضافة إلى ظهور القرآن الكريم بوساطة فمه دون كتابة مسبقة. فقد أقر بفصاحته الموافق والمخالف. بل هو من الفصاحة بالمحل الأفضل والموضع الأكمل. وكان أصدق الناس لهجة كما سلف في دلائل النبوة.

وأما مباركته إلى الأبد فقد أمرنا بالصلاة عليه. قال سبحانه: ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي * يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾ ـ الأحزاب/٥٦ ـ.

وصيغة الفعل المضارع (يصلون) تقتضي التجدد والاستمرار. والصلاة من الله على عبده رحمة وإخراج من الظلمات إلى النور. وثواب المؤمن إذا صلىٰ عليه مرة أن يصلي الله تعالى عليه عشر مرات، سواء كان في الصلاة أو في غيرها. فما أحسن هذه البركة!

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً ـ أخرجه مسلم ـ.

٣ ـ ورد في الفقرة (٣) أنه جبار أو قوي يتقلد سيفه. وورد في الفقرة (٤) أنه يستله ويحارب به وينجح ويملك..

وهذا ظاهر في رسول الله ﷺ فكم تقلد سيفه وسله وحارب به، وكان قوياً رحيماً:

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: بعثت بين يدي الساعة مع السيف، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري. ومن تشبه بقوم فهو منهم ـ أخرجه أحمد في المسند وحسنه الحافظ وأخرج البخاري بعضه تعليقاً، وله شاهد عن ابن أبي شيبة ـ .

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس. ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت ـ وفي رواية: وقد استبرأ الخبر ـ وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي، في عنقه السيف، وهو يقول: لن تُراعوا. قال: وجدناه بحراً. قال: وكان فرساً بطيئاً ـ أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي ـ.

وعن البراء ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به ـ أي برسول الله ﷺ ـ وإن الشجاع منا للذي يحاذي به ـ أخرجه الشيخان والترمذي ـ

وخاطبه بلفظ الجبار أو القوي. إشارة إلى قوته وقهره لأعدائه. فهو ﷺ نبي الرحمة ونبي الملحمة.

وأمته أشداء على الكفار رحماء بينهم، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل ولا يخافون لومة لائم. وما رحمة صلاح الدين الأيوبي التي عامل بها أعداءه إبان الحروب الصليبية والتي يشيد بها مؤرخة النصارى إلا فرع من ذلك النبع.

٤ ـ ورد في الفقرة (٤) أنه ذو حق ودعة وصدق، وأن هداية يمينه بالعجب.

ورسول الله ﷺ ـ كانت الأمانة والصدق من أجلّ صفاته كما سلف في القسم الثاني. وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً. وقد اهتدىٰ الناس بهديه حتى تعجب الكفار من ذلك. ولا سيما حين صاروا يدخلون في دين الله أفواجاً.

وفي النص الذي نقله ابن تيمية وابن القيم أن ناموسه وشرائعه مقرونة بهيبة يمينه. فأخبر أن له ناموساً وشرائع. وقد أسقطت قوة الحق الذي جاء به كل الممالك المجاورة كالفرس والروم.

٥ ـ ورد في الفقرة (٥) أن نبله مسنونة في قلب أعداء الله، وأن الشعوب تحته تسقط.

وإسماعيل وأولاده كانوا من الرماة المشهورين بنص التوراة التي بين أيديهم كما سلف. وكان رسول الله ﷺ يحض على الرمي ويرغب فيه ويحذر من تركه:

عن سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج رسول الله ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون بالسيوف. فقال: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً ـ أخرجه البخاري ـ.

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ستفتح عليكم أرَضون، ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهم ـ أخرجه مسلم والترمذي ـ.

وعن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عزّ وجلّ ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في عمله الخير، والراميَ به، والمُمِدَّ به ـ وفي رواية: ومُنْبِلَه ـ فارموا واركبوا. وأحب إلي أن ترموا من أن تركبوا. كل لهو باطل. ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونبله، فإنهن من الحق. ومن ترك الرمي بعدما عُلم، رغبة عنه، فإنها نعمة تركها ـ أو قال: كفرها ـ أخرجه أبو داود بتمامه والنسائي إلى قوله «ومنبله» والترمذي إلى قوله: «فإنهن» ـ.

وقد ينازع النصارى في بعض الصفات. ولا إخالهم ينازعون في هذه الصفة. وإلا فمن هو الذي تقلد سيفه، وحض على الرمي، وقاتل أعداء الله، وسقطت تحته شعوب كثيرة؟ أليس هو محمد بن عبد الله ﷺ الذي بعث بالجهاد وامتد دينه شرقاً وغرباً؟ إنه لم يتقلد السيف بعد داود من الأنبياء أحد سواه.

بعكس المسيح ـ عليه السلام ـ فإنه على زعم النصارى أخذه أعداؤه وأهانوه وضربوه واستهزؤوا به وبصقوا في وجهه ثم صلبوه. فلا يصدق عليه أنه قوي أو جبار تقلد السيف، ولا أن نبله مسنونة في قلب أعداء الله[1].

٦ ـ ورد في الفقرة (٦) أن قضيب الاستقامة قضيب ملكه.

وهذه صفة رسول الله ﷺ ولذلك خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿ **فاستقم كما أمرت ومن تاب معك** ﴾ ـ. هود/١١٢.

وكذلك كانت سيرة خلفائه الراشدين من بعده وسيرة من تبعهم بإحسان.

٧ ـ ورد في الفقرة (٧) أنه محب للبر ومبغض للإثم. وقد مسحه الله بدهن الابتهاج أكثر من رفقائه.

ورسول الله ﷺ كان كذلك. بل إنه كان لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله. وما انتقم لنفسه قط. وقد فضله الله على سائر الأنبياء، فهو أفضلهم وخاتمهم. ومن خالطه أحبه.

٨ ـ ورد في الفقرة (٩) أن بنات الملوك تخدمه..

وقد صارت بنات الملوك خدماً للمسلمين في القرن الأول من التاريخ الإسلامي. ومنهن شهربانو بنت يزدجرد كسرىٰ فارس، فقد كانت خادمة للإمام الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ وهو ابن بنت رسول الله ﷺ وأبوه ابن عمه.

٩ ـ ورد في الفقرة (١٢) إن الهدايا تأتي إليه، وتنقاد له أغنياء الشعوب.

ورسول الله ﷺ انقاد له النجاشي ملك الحبشة والمنذر بن ساوي ملك البحرين. وكذلك ملك عمان، فقد أسلموا جميعاً. أما هرقل والمقوقس فقد أرسلا إليه بهدايا.

١٠ ـ ورد في الفقرة (١٧) أن اسمه يذكر جيلاً بعد جيل، وأن الشعوب تمدحه إلى دهر الداهرين.

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٥ ـ ٢٥٩، الجواب الصحيح ٣١٨/٣، مواجهة صريحة ص ٢١١، هداية الحيارى ص ٢٤٦.

ورسول الله ﷺ ينادي ألوف المؤذنين كل يوم باسمه عشر مرات في الآذان والإقامة بصوت رفيع في جميع أنحاء الأرض، ويصلىٰ عليه كلما ذكر اسمه ﷺ .

وفي ذلك إشارة إلى خلود شريعته وعدم نسخها. لأنه خاتم الأنبياء. وإلا فمن الذي بهذه الصفات ودام ذكره إلى الأبد غيره.

بخلاف المسيح ـ عليه السلام ـ فإنه لم ينقد إليه أحدٌ من أغنياء العالم وعظمائه، ولم يرسل له أحدٌ منهم بهدية. وكذلك فإن المسيح لم يتزوج، وليس له أولاد. فلا يصدق في حقه دخول بنات الملوك في خدمته أو خدمة أحد أولاده. ولا كون أبنائه رؤوساء في الأرض بدلاً من آبائه كما جاء في الفقرة (١٦)[1].

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٥٦، ـ ٢٥٩، مواجهة صريحة ص ٢١١.

٢ ـ الراكب في عرفات

نص البشارة:

جاء في المزمور الثامن والستين ما يلي:

١/٦٨: يقوم الله، يتبدد أعداؤه، ويهرب مبغضوه من أمام وجهه.

٢ ـ كما يُذْرىٰ الدخان تُذْريهم. كما يذوب الشمع قُدام النار، يَبيد الأشرار قدام الله.

٣ ـ والصِدِّيقون يفرحون، يبتهجون أمام الله ويطفِرُون فرحاً.

٤ ـ غنوا لله، رنموا لاسمه. أعدوا طـريقاً للراكب في القفـار باسمـه ياه، واهتفوا أمامه.

٥ ـ أبو اليتامىٰ، وقاضي الأرامل، الله في مسكن قدسه.

٦ ـ الله مُسْكِنُ المتوحدين في بيت، مخرجُ الأسرى إلى فلاح، إنما المتمردون يسكنون الرمضاء.

١١ ـ الرب يعطي كلمة. المبشرات بها جند كثير.

١٢ ـ ملوكُ جيوش يهرُبون يهربون. المُلازِمةُ البيتَ تقسم الغنائم.

٢١ ـ ولكن الله يسحق رؤوس أعدائه، الهامةَ الشَّعْراء للسالك في ذنوبه.

توضيح البشـــارة:

لا شك في أن النصارى يحملون هذه البشارة على المسيح كعادتهم، واليهود على مسيحهم الذي طال انتظارهم له، ولم يظهر إلى اليوم. ولنـا أن نتساءل متى

قام أمر الله وظهر دينه وعلت كلمته؟؟ ومَنْ مِنَ الأنبياء أيده الله، فهرب مبغضوه من أمام وجهه، وذابوا كما يذوب الشمع أمام النار؟؟ ومن من الأنبيـاء ركب في القفار وجاهد فيها باسم الله، وأنصف المظلوم من الظالم، ونادى بتشريع يكفـل حقوق اليتامىٰ والأرامل؟

ومن من الأنبياء هربت الجيوش والملوك من أمامـه؟ ومن من الأنبياء قسم الغنائم حتى إن المرأة الملازمة لبيتها كان لها نصيب من الغنيمة؟

ومن من الأنبياء سحق الله رؤوس أعدائه حال حياته وبعد وفاته؟

إنه لم يظهر دين من البوادي والقفار سوى دين الإسلام. ولم يخرج نبي بهذه الصفة سوى محمد ﷺ أما المسيح ـ عليه السـلام ـ فهو بعيـد عن هذه الصفـات باعترافهم.

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن الفقرة الرابعة لعبت بها أيدي المحرفـين، فكانت «أعدوا طريقاً للراكب في عرفات باسمه، واهتفوا أمامه» ثم حولت إلى «القفار» لتضليل القارىء. وسيأتي مزيد إيضاح وشواهد لذلك في بشارات أشعياء إن شاء الله. علماً بأنه لم يظهر نبي من القفار بعد إشعياء سوى محمد ﷺ وفي حجة الوداع هتف المسلمون أمامه وخلفه وفي غيبته بالتلبيـة والتكبير، وهتف هـو معهم. ولا غرو في ذلك فالتلبية نشيد الحجاج والمعتمرين.

٣ ـ من أوصاف محمد وأمته

نص البشـــارة:

جاء في المزمور الثاني والسبعين ما يلي:

١/٧٢ ـ ٢: اللهم أعط أحكامك للملك وبرك لابن الملك. يَدين شعبك بالعدل، ومساكينك بالحق.

٣ ـ ٤: تحمل الجبال سلاماً للشعب، والأكامُ بالبِر. يقضي لمساكين الشعب، يخلص بني البائسين، ويسحق الظالم.

٥ ـ ٦: يخشونك ما دامت الشمس، وقدام القمر إلى دَوْر فدور. ينزل مثل المطر على الجُزار، ومثل الغيوث الزارفة على الأرض.

٧ ـ ٨: يشرق في أيامه الصدِّيق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر. ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض.

٩ ـ ١٠: أمامه تجثو أهل البرية، وأعداؤه يلحسون التراب. ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة. ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية.

١١ ـ ١٢: ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له. لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين.

١٣ ـ ١٤: يشفق على المسكين والبائس، ويخلص أنفس الفقراء. من الظلم والخطف يفدي أنفسهم. ويُكرَم دمهم في عينيه.

١٥ ـ ١٦ : ويعيش ويعطيه من ذهب شَبا. ويصلي لأجله دائماً. اليومَ كله يباركُه. . ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض.

١٧ ـ يكون اسمه إلى الدهر. قدام الشمس يمتد اسمه. ويتباركون به. كل أمم الأرض يطوبونه اهـ.

وقد روى القسْ أنسلم[1] بعض النص هكذا: ويملك من البحر إلى البحر، ومن أدنى الأنهار إلى منقطع الأرض. وتأتيه ملوك اليمن والجزائر بالهدايا. ويسجد له الملوك. وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد. ويُصلى عليه في كل وقت، ويبارك في كل يوم. وتنور أنواره المدينة. ويدوم إلى الأبد. واسمه موجود قبل وجود الشمس اهـ.

ونقله القرافي[2] عن الترجمات في زمنه هكذا: ويجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض. تخر أهل الجزائر بين يديه. ويَلْحس أعداؤه التراب. وتسجد له ملوك الفرس. وتذل له الأمم بالطاعة والانقياد. ويخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه. وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له. ويرأف بالمساكين والضعفاء. ونصلي عليه، ونبارك في كل حين اهـ.

أما ابن تيمية وابن القيم[3] فنقلاه هكذا: وإنه لتخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، ويلحس أعداؤه التراب. ويسجد له ملوك الفرس. وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد. ويخلص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه. وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له . ويرأف بالمساكين والضعفاء. ويصلى عليه في كل وقت ويبارك في كل حين اهـ.

توضيح البشارة وتحليلها:

إن تلك الروايات يوضح بعضها بعضاً. كما يظهر لنا من حلالها مدى

---

(١) تحفة الأريب ص ١٣٧ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٧١ .

(٣) الجواب الصحيح ٣/٣٢٢، هداية الحيارىٰ ص ٥٤٦ .

التشويه الذي فعله أهل الكتاب بالنصوص محاولة منهم لطمس الحقائق. ولا يشك عاقل منصف تدبر أمور الممالك والنبوات، وعرف سيرة محمد ﷺ وسيرة أمته من بعده أن هذه الأوصاف لا تنطبق إلا عليه وعلى أمته؛ فإن دينه امتد شرقاً وغرباً، وبلغ ملك أمته من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، ومن لدن الأنهار: سيحون وجيحون والنيل والفرات إلى غرب قارة إفريقية حيث تنقطع حدود هذه القارة.

وهذا مطابق لقوله ﷺ : إن الله زوىٰ لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ـ أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي ـ .

وهو الذي خرت الجزائر بين يديه وانقادت لشريعته: جزيرة العرب، وما بين دجلة والفرات، وجزيرة قبرص، ثم أهل جزائر الأندلس.

وهو الذي خضعت لدينه ملوك الفرس. فلم يبق فيهم إلا من أسلم أو أدى الجزية. بخلاف ملوك الروم فإن فيهم من لم يسلم ولم يؤد الجزية. وكان ﷺ قد دعا على ملك الفرس الذي مزق رسالته بأن يمزق الله ملكه. فكانت مملكة الفرس أسرع سقوطاً. ولهذا ذكر في البشارة ملوك الفرس خاصة.

وهو الذي دانت لدينه الأمم ما بين مؤمنة مصدقة أو مهادنة مصالحة، أو خائفة مذعورة. ومن تأمل نص البشارة وجده مطابقاً لقوله تعالىٰ: ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون* إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين * وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ـ الأنبياء/ ١٠٥ ـ ١٠٧ ـ.

وهو الذي أنقذ الضعفاء من الجبارين بإقامة الشرع وتطبيقه بعدل وحكمة. ولا سيما في عهد الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بأحسان. بخلاف المسيح ـ عليه السلام ـ فإنه لم يتمكن من شيء من ذلك حال وجوده في الأرض. وكذلك حواريوه من بعده، فإنهم مضطهدون خائفون.

ومحمد ﷺ هو الذي يصلى عليه ويبارك في كل حين كما سلف ولا سيما في

الصلوات الخمس. بخلاف المسيح، فإن النصارىٰ يزعمون أنه إله، فيصلون له لا عليه[1].

وصفوة القول: إن هذه الصفات لا تنطبق إلا على خاتم الأنبياء والواقع في التاريخ يشهد لذلك. ومن دفعها عنه، فلن يجد أحداً في العالم يستحقها. وإن ادعاها مُدَّعٍ لغيره من الأنبياء كان مجاهراً بالبهتان. ولذلك قال القس أنسلم[2]: «ولا أعلم أحداً من الأنبياء بعد داود نسبت إليه هذه الصفات الجليلة قبل محمد ﷺ».

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٢٢ ـ ٣٢٣، هداية الحيارىٰ ص ٥٤٦ ـ ٥٤٧، الأجوبة الفاخرة ص ١٧١ .

(٢) تحفة الأريب ص ١٣٧ .

٤ ـ أحمد وميراث الأمم

نص البشارة:

جاء في المزمور الحادي عشر بعد المائة ما يلي:

١١١/١: هللوا يا أحمدُ الربَّ. بكل قلبي في مجلس المستقيمين وجماعتهم.

٢ ـ ٣: عظيمة هي أعمال الرب. مطلوبة لكل المسرورين بها. جلال وبهاء عمله. وعدله قائم إلى الأبد.

٦ ـ ٧: أخبر شعبه بقوة أعماله، ليعطيهم ميراث الأمم. أعمال يديه أمانة وحق. كل وصاياه أمينة.

٨ ـ ثابتة مدى الدهر والأبد، مصنوعة بالحق والاستقامة.

٩ ـ أَرْسَلَ فداءً لشعبه. أقام إلى الأبد عهده. قدوس ومَهوب اسمه.

١٠ ـ رأس الحكمة مخافة الرب. فطنة جيدة لكل عامليها. تسبيحه قائم إلى الأبد.

توضيح البشارة وتحليلها:

من تأمل هذه البشارة وجد أن يد التحريف قد نالتها وجعلتها مشوشة. حتى إن الفقرة الأولىٰ يجعل أهل الكتاب جملها على الشكل التالي: «هللوا يا. أحمدُ الربَّ بكل قلبي» فيجعلون يا أداة نداء لمنادىٰ محذوف. وأحمد فعلاً مضارعاً. محاولة منهم لطمس اسم النبي المبشر به. ويغلب على ظني أنهم في

النسخ غير العربية قد ترجموا معنى اسم (أحمد) وجعلوه فعلاً، وكل شيء جائز ما دام الأصل الصحيح مفقوداً.

قال ابن تيمية[1]: وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد باسمه. ورأيت نسخة أخرىٰ، فلم أر ذلك فيها. وحينئذٍ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي ما ليس في أخرىٰ اهـ.

وإلا فمن النبي الذي عدلُ شرعِ الله الذي أنزله عليه قائم إلى الأبد لا ينسخ بشرع آخر؟ ومن الذي أعطاه الله ميراث الأمم، فخضعت لدينه وقسمت كنوز ملوكها على أصحابه؟

ومَن النبي الذي وصاياه الموحىٰ بها في كتاب سماوي أمينة وثابتة ومحفوظة أبد الدهر؟ إنه لم يسلم كتاب سماوي كما سلم القرآن وذلك لحفظ الله له كما سيأتي في الكتاب الثاني إن شاء الله.

ومن النبي الذي لاسمه هيبة، وتسبيحه وتسبيح أمته والصلاة عليه قائمة إلى الأبد؟.

ما يشهد لهذه البشارة:

١ ـ جاء في المزمور الثاني ما يلي:

٢/٧: إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني، وأنا اليوم ولدتك.

٨ ـ اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض ملكاً لك ـ وفي بعض الترجمات: سلني أعطك الشعوب ميراثك، وسلطانك إلى أقصى الأرض ـ

٩ ـ تحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزاف تكسرهم ـ وفي بعض الترجمات: ترعاهم بقضيب من حديد، ومثل آنية الفخار تسحقهم ـ

---

(١) الجواب الصحيح ٢/٢٧.

١٠ ـ ١١ : فالآن أيها الملوك تعقلوا، تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة.

١٢ ـ قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق. لأنه عن قليل يتّقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه.

ومحمد ﷺ هو الذي ورث الأمم، وبلغ سلطان دينه أقطار الأرض. كما ساس الناس بهديه وشرعه الذي فيه جهاد وحدود. ولم يتفق هذا لا لداود عليه السلام ـ ولا لأحد من بعده. فيكون هو المبشر به.

وسماه ابناً جرياً على العادة القديمة في تسمية المطيع أو النبي ابناً(١).

٢ ـ نقل ابن تيمية وابن القيم والقرافي عن ترجمات الزبور في أزمانهم ما يلي:

«إن ربنا عظم محموداً».

وفي مكانٍ آخر: «إلهنا قدوس، ومحمد قد عم الأرض كلها فرحاً».

فقد نص على اسمه، وأخبر أن كلمته تعم الأرض. وقد كان ذلك(٢).

وفي مزمور ثالث: أن الله قال لداود: سيولد لك ولد، أدعىٰ له أباً، ويدعىٰ لي ابناً. اللهم ابعث جاعل السنّة كي يعلم الناس أنه بشر.

وهذا إخبار عن المسيح وما يتقوله النصارى عليه. وعن محمد ﷺ وتبرئته للمسيح قبل ظهورهما بزمن طويل. والمعنى: اللهم ابعث محمداً ﷺ حتى يعلم الناس أن المسيح ـ عليه السلام ـ بشر وليس إلهاً. وكذلك كان(٣).

٣ ـ ذكر وهب بن منبه أن الله تعالىٰ أوحى إلى داود ـ عليه السلام ـ في الزبور: «يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد، صادقاً سيداً، لا أغضب عليه أبداً، ولا يغضبني أبداً. وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٧١ ـ ١٧٢.

(٢) الجواب الصحيح ٣/٣١٩، هداية الحيارىٰ ص ٥٤٧، الأجوبة الفاخرة ص ١٧١.

(٣) هداية الحيارىٰ ص ٥٤٧.

ذنبه وما تأخر. وأمته مرحومة! أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وفرضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء..

يا داود إني فضلت محمداً وأمته على الأمم كلها»[1].

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢/٣٢٦.

٥ ـ العبادة على النهج الجديد

نص البشـــارة:

جاء في المزمور التاسع والأربعين بعد المائة ما يلي:

١٤٩/١: هللوا يا. غنوا للرب ترنيمةً جديدة تسبيحتَه في جماعة الأتقياء.

٢ ـ ليفرح إسرائيل بخالقه، ليبتهج بنو صِهْيَون بمَلِكِهم.

٣ ـ ليسبحوا اسمه برقص، بدُفّ وعود ليرنموا له.

٤ ـ لأن الرب راضٍ عن شعبه. يُجمّل الودعاء بالخلاص.

٥ ـ ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم.

٦ ـ تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم ـ وفي بعض الترجمات: ترفيع الله في حلوقهم، وسيوف ذات فمين في أياديهم.

٧ ـ ليصنعوا نِقَمة في الأمم، وتأديبات في الشعوب ـ وفي بعض الترجمات: ليصنعوا انتقاماً في الأمم ـ

٨ ـ لأسْر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد.

٩ ـ لِيُجْروا بهم الحكم المكتوب. كرامةٌ هذا لجميع أتقيائه ـ وفي بعض الترجمات: ليضعوا بهم حكماً مكتوباً. هذا المجد يكون لجميع الأبرار ـ.

ونقل ابن تيمية وابن القيم[1] النص عن الترجمات في زمانهما هكذا: سبحوا لله تسبيحاً جديداً. وليفرح إسرائيل بخالقه وبيوت صِهْيَون من أجل أن

(١) الجواب الصحيح ٣/٣١٤، هداية الحيارى ص ٥٤٥.

الله اصطفى له أمته، وأعطاه النصر وسدد الصالحين بالكرامة. يسبحون الله على مضاجعهم، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة. بأيديهم سيوف ذات شفرتين. لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه. يوثقون ملوكهم بالقيود، وأشرافهم بالأغلال اهـ.

ونقله القرافي كما يلي(١): ليفرح الخالق ممن اصطفىٰ الله له أمته، وأعطاه النصر. وسدد الصالحين منهم بالكرامة. يسبحونه على مضاجعهم. ويكبرون الله تعالىٰ بأصوات مرتفعة. بأيديهم سيوف ذوات شفرتين. لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه اهـ.

توضيح البشارة وتحليلها:

يحمل بعض اليهود هذه البشارة على سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ وأكثرهم يحملها على نبيهم الذي لا يزالون ينتظرونه.

ويزعم النصارىٰ أن المبشر به إنما هو المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ.

والتمحيص والتحقيق يأبيان حملها على واحد منهما؛ أما سُليمان فلأن مملكته ما زادت على مملكة أبيه من ناحية.

ولأنه أيضاً في زعمهم ارتد في آخر عمره وعبد الأصنام وأقام لها المذابح وقرب القرابين كما سيأتي في الكتاب الثاني.

وأما المسيح فلأنه بعيد عن هذه الأوصاف كل البعد. فهو في زعمهم أسره أعداؤه، ثم أهانوه وصلبوه. وكذلك حواريوه من بعده، فقد أسر وقتل أكثرهم على أيدي ملوك الكفار وزعمائهم(٢).

ومن تأمل النص وكان عالماً بسيرة محمد ﷺ وحياة أصحابه ـ رضي الله

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٠.

(٢) إظهار الحق ٢/٢٦١.

عنهم ـ أدرك أن هذه الصفات إنما تنطبق عليه وعلى أمته لما يلي:

١ ـ إن المراد بالترنيمة الجديدة أو التسبيحة الجديدة كما في بعض الترجمات: العبادة على النهج الجديد الذي ستأتي به شريعة النبي المبشر به. ومحمد ﷺ وأمته شرع الله لهم عبادة على نهج جديد. منها الصلوات الخمس المشتملة على قيام فيه قراءة، وركوع وسجود فيهما تسبيح، وجلوس فيه مناجاة لله وصلاة على رسوله ﷺ ودعاء.

٢ ـ جاء في الفقرة (٥): ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم. وفي الترجمات القديمة: يسبحون الله على مضاجعهم. وهذا في الحقيقة نعت للمؤمنين الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم. ويصلي أحدهم ما فرضه الله عليه قائماً، فإن لم يستطع فقاعداً، ! فإن لم يستطع فعلى جنب يومىء إيماءاً. ولا يتركون الصلاة بحال[1].

٣ ـ ورد في الفقرة (٦): تنويهات الله في أفواههم. وفي بعض الترجمات ترفيع الله في حلوقهم. وفي الترجمات القديمة: ويكبرون الله بأصوات مرتفعة.

وهذا إشارة إلى هذه الأمة ورفع أصواتها بالأذان، فإنه لم يكن لغيرها من الأمم. فموسىٰ كان يجمع بني إسرائيل بالبوق، والنصارىٰ جعلوا شعارهم الناقوس والصليب. أما تكبير الله بأصوات مرتفعة فإنما هو شعار المسلمين.

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا إذا صعِدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا ـ أخرجه البخاري ـ

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شَرَف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. آيبون تائبون عابدون ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده،

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣١٧، هداية الحيارىٰ ص ٥٤٦.

وهزم الأحزاب وحده ـ رواه الشيخان ـ .

ولمسلم أيضاً وأخرجه مالـك في الموطـأ وأبو داود والتـرمذي : كـان رسول الله ﷺ إذا قفل من الجيوش أو السرايا أو الحج أو العمرة، إذا أوفى عـلى ثنية أو فَدْفَد كبر ثلاثاً.

وعن أبي هـريرة ﷺ أن رجـلاً قـال لـرسـول الله ﷺ : إني أريـد السفـر فأوصني. قال: عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف. فلما ولى الرجل قال: اللهم اطوِ له البعـد، وهون عليـه السفر ـ أخـرجه التـرمذي وحسنـه، والحاكم وصححه؛ ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن حبان ـ

وهم يكبرون الله بأصوات مرتفعة في عيدي الفطر والنحر في أثناء ذهابهم إلى المصلىٰ وقبل صلاة العيد وفي أثنائها ويكبر الخطيب في الخطبة، وفي أيام مني يكبر الحجاج وسائر المسلمين عقيب الصلوات المفروضة.

ذكر البخاري عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يكبر في قبة منى، فيسمعه أهل المسجد، فيكبرون بتكبيره، فيسمعهم أهل الأسواق، فيكبرون حتى ترتـج منىٰ تكبيـراً. قال: وكـان ابن عمر وابن عبـاس ـ رضي الله عنهما ـ يخـرجان إلى السوق أيام العشر فيكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما.

وهم يكبرون الله على قرابينهم وهديهم وضحاياهم «بـاسم الله والله أكبر» **قال سبحانه لما ذكر الهدي: «كذلك سخرناها لكم لتكبروا الله على ما هـداكم، وبشر المحسنين ﴾ ـ الحج / ٣٧.**

وهم يكبرون الله إذا رموا الجمرات وعلى الصفا والمروة وفي الـطواف عند محاذاة الركن. وهم يكبرون الله في مناسبات أخرى كثيرة. فما أكثر تكبيرهم وأكثر به.

٤ ـ ورد في الفقرة (٦) أيضاً: وسيف ذو حدين في أيديهم. وفي الترجمات القديمة وسيوف ذات شفرتين في أيديهم.

وهذا إشارة إلى السيوف العربية التي كانت بـأيدي الصحـابة ـ رضي الله عنه ـ وفتحوا بها البلدان. لأن السيوف ذات الشفرتين إنما هي السيوف العربية. وهذا أمر معروف. أما السيوف الأعجمية فلها شفرة واحدة.

٥ ـ ورد في الفقرة (٧) ليصنعوا نقمة الله في الأمم. وفي الترجمات القديمة: لينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه.

وقد انتقم الله بأمة محمد ﷺ من الأمم جمعاء. بخلاف أمة موسىٰ، فإنها لم تقاتل إلا أمة واحدة، هي جبابرة الشـام. أما أمـة محمد ـ ﷺ ـ فقـد تحقق انتقام الله الرحيم بهم.

ولا يمكن أن تكون هذه البشارة للنصارى لأنه لم يك بأيدي الحـواريين أو تابعيهم سيوف مطلقاً، لا ذات شفرتين ولا ذات شفرة واحدة. بل أخبارهم تدل على أنهم كانوا مغلوبين مضطهدين.

والنصارىٰ يجعلون الجهاد من معايب الإسلام. وهم يلفقون في ذلك أخباراً كاذبة لينفروا الناس عن دين الله. وذلك لجهلهم بما في كتابهم المقدس. فقد أمر الله موسى بالقتال. فقاتل الكفار بمن معه. وكذلك قاتل من بعده يوشع بن نون. ومن بعدهما داود وسليمان وغيرهم من الأنبياء. ومن قبلهم قاتل إبراهيم لـدفع الظلم عن أصحابه(١).

٦ ـ ورد في الفقرة (٨) لأسر ملوكهم بقيود وشرفائهم بكبول من حديد.

وقـد أسر المسلمون في معـاركهم بعض الملوك والعـظماء. حتى إنهم كبلوا الهرمزان بالحديد(٢).

ما يشهد لهذه البشارة:

نقل ابن تيمية وابن القيم عن الترجمات في زمانهما أنه جاء في سفر إشَعْياء في

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣١٥ ـ ٣١٨، هداية الحيارىٰ ص ٥٤٥ ـ ٥٤٦، الأجوبـة الفاخـرة ص ١٧٠، إظهار الحق ٢/٢٦١

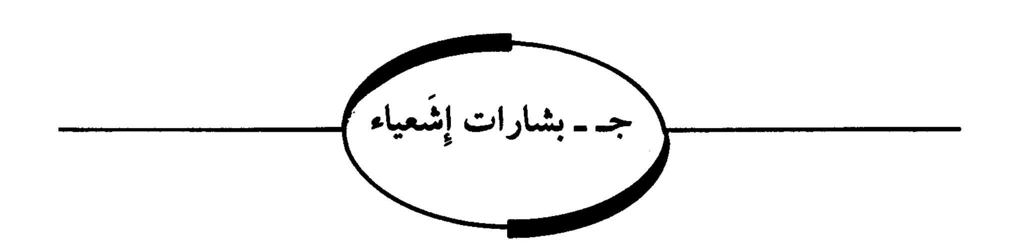
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٠.

قصة العرب ما يلي: «ويدوسون الأمم دياس البيادر. وينـزل البلاء بمشركي العرب، وينهزمون بين يدي سيوف مسلولة وقسيّ مؤترة من شدة الملحمة»[1].

وهذا إخبار بما حل بعبدة الأصنام يوم بدر وحنين وغيرهما من الوقائع، بالإضافة إلى الإخبار بفتوح البلدان وخضوع الأمم للمسلمين.

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٦، هداية الحيارى ص ٥٥٩



جـ ـ بشارات إشَعياء

إن البشارات المذكورة في سفر إشعياء أكثر منها في غيره. فقد أعلن بذكره ووصفه ووصف أمته، ونادىٰ بذلك في نبوتـه تصريحـاً وتلميحاً. لمعـرفته بقـدره ومنزلته عند الله. بل إنه ذكر اسمه ونشأته ومكان نزول الوحي عليه ودار هجرته. ومن ذلك ما يلي:

(١) الجواب الصحيح ٢/٢١٣.

نص البشارة:

جاء في الباب التاسع من سفر إشعياء ما يلي:

٩/٦: لأنه يولد لنا ولد، ونُعطىٰ ابناً، وتكون الرياسة على كتفيه. ويُدعىٰ اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام.

٧ ـ لنمو رياسته وللسلام لا نهاية، على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبرّ. من الآن إلى الأبد. غَيْرة رب الجنود تصنع هذا.

ونقل ابن تيمية النص عن بعض الترجمات في زمانه كما يلي[1]: «إن غلاماً ولد لنا، وإننا أعطيناه. الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه. ويدعى اسمه ملكاً عظيم المشية، مشيراً عجيباً، إلهاً قوياً مسلطاً. رئيس السلامة في كل الدهور. وسلطانه كامل ليس له فَناء».

ونقله عن ترجمات أخرى، وكذلك نقله القرافي كما يلي[1]: «ولد لنا غلام يكون عجباً وبشراً. والشامة على كتفيه، أركون السلام، إله جبار، وسلطانه سلطان السلام. وهو ابن عامله. يجلس على كرسي داود».

توضيح البشارة وتحليلها:

يحمل اليهود هذه البشارة وغيرها على مسيحهم الذي لا زالوا ينتظرونه.

(١) الجواب ٢/٣٢٧، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٧.

فلينتظروا الدجال مسيح الضلالة. أما النصارى، فيحملونها على المسيح بن مريم[1]، مع أنها لا يمكن أن تنطبق عليه لدى التحليل:

١ ـ جاء في الفقرة السادسة: «يولد لنا ولد.. وتكون الرياسة على كتفيه». وفي بعض الترجمات القديمة: «الذي رياسته على عاتقيه وبين منكبيه» وفي بعض آخر: «والشامة على كتفيه». وهذا إنما ينطبق على محمد ﷺ من جهتين:

أ ـ إنه هو الذي قد خصه الله سبحانه بعلامة من أعلام النبوة جعلها في بدنه زيادة في الإيضاح، ألا وهي خاتم النبوة الذي بين كتفيه ـ كما سلف في القسم الثاني ـ ويؤيد ذلك قوله في البشارة: «والشامة على كتفيه ـ أو كتفه». ولم تكن هذه الشامة لسليمان ولا للمسيح ـ عليهما السلام ـ بل إنما هي من علامات محمد ﷺ وخصائصه التي أخبرت عنها الأنبياء. قال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ:

أغرُّ عليه للنبوة خاتم　　من الله ميمون يلوح ويشهد

ب ـ إنه ﷺ قد بعث بالجهاد كما بعث به من قبل موسى وغيره. فهو نبي الرحمة ونبي الملحمة. وهو يتقلد بالسيف على عا[illegible]. وإذا ضرب به رفعه أيضاً على عاتقه فيكون في هذا إشارة إلى الجهاد الذي بعث به. وسماه ابناً أو ولداً جرياً على العادة القديمة في تسمية النبي أو المطيع ابناً.

٢ ـ وجاء في الفقرة نفسها: «ويدعىٰ اسمه عجيباً» أي غريباً لم يعهده الناس في الأسماء. وقد كان هذا، فقد عجبت قريش من جده عبد المطلب حين سماه محمداً ﷺ.

٣ ـ وجاء فيها أيضاً: «مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام» وفي القديمة: «مشيراً عجيباً، إلهاً قوياً مسلطاً رئيس السلامة في كل الدهور».

فقوله: ﴿مشيراً إلهاً قديراً﴾ أي مشاوراً ربَّه ومنتظراً أوامره، فلا ينطق عن الهوى. وكذلك يستشير أصحابه كما أمره الله سبحانه بقوله: «وشاورهم في الأمر».

وعليه يكون (إلهاً) مفعولاً به لقوله (مشيراً). وإذا جعلنا (إلهاً) صفة للنبي المبشر

(١) من هو المسيح لعبد المسيح ص ٢١.

به، كان معناه حاكماً قوياً مؤيداً بنصر الله . على عادة التوراة في بعض الأحيان . وقد ورد نظير ذلك فيها مثل : «إن الله جعل موسىٰ إلهاً لفرعون» أي حاكماً عليه ومتصرفاً فيه . ومثل قول داود للعظماء من قومه : «إنّكم آلهة» . ويدل على ذلك قوله في الترجمات القديمة (مسلطاً) أي سلطه الله على أعدائه .

ومحمد ﷺ كان حاكماً قوياً مسلطاً على أعدائه ومؤيداً بنصر الله . بخلاف المسيح ـ عليه السلام ـ فإنه لم يسلط على أعدائه كما سلط موسىٰ ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ بل كان أعداؤه بحيث يقدرون عليه . وقد صلب في زعم النصارىٰ فلا يصدق عليه هذا الوصف .

وقوله : «رئيس السلام» أو «رئيس السلامة في كل الدهور» أو «أركون السلام، إله جبار وسلطانه سلطان السلام» أي يقر السلام ويدعمه وينشره . والأركون : كلمة يونانية معناها : الكبير أو الرئيس(١) .

ومحمد ﷺ كان نبي السلام والإسلام الذي يجمع كل خير وبر . ومن تبعه سلم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . فهو أركون السلام كما أن إبليس أركون الشر .

وقد عاش النصارى واليهود أهل الذمة بين المسلمين في أمان وسلام . بل إن اليهود لم يجدوا مأمناً إلا في البلاد الإسلامية ، ولا سيما حين اضطهدهم النصارى ولاحقوهم . فهل عرفوا الجميل ؟؟ أما نصارىٰ الشام ومصر وغيرهما فقد فضلوا المسلمين على الروم كما هو معروف ، وقالوا للمسلمين : أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا . وكم كان خليفة المسلمين حَكَماً بين الفرق النصرانية ومصلحاً فساد بينهم . ولا أدل على ذلك من بقاء الكنائس القديمة حتى اليوم بما حوت من مكتبات وآثار ، مع أن دولة الإسلام كانت هي الدولة الوحيدة العظمى التي لا تُسأل عما فعلت وقتئذٍ .

٤ ـ جاء في الفقرة (٧) : «لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد» . وفي بعض الترجمات القديمة «يجلس على كرسي داود» .

---

(١) وتأتي بمعنى السيد والعظيم والمقدم ونحو ذلك . انظر الجواب ٤/٧ وهداية الحيارىٰ ص ٥٣٠ .

وهذا يعني أن دينه سينمو ويمتد حتى يرث بني إسرائيل في ملكهم ويبتزهم رياستهم، حتى تكون القدس جزءاً من دولة الإسلام. تنفذ فيها أحكـام الشرع الإسلامي بالحق والبر والعدل. وكذلك كان. وما سيطرة اليهود الآن على فلسطين إلا سيطرة مؤقتة كما كانت سيطرة الصليبيين. وسيقتل المسلمون اليهود كما أخبر النبي ﷺ وسبق ذكره في القسم الثاني.

ولا يمكن أن يراد بهذا المسيح ـ عليه السلام ـ لأنه لم يحكم على بني إسرائيل ولا لحظة كما سيأتي في الكتاب الثاني. ولم يحارب كمـا حارب داود ـ عليـه السلام ـ فهو نبي، وليس بملك أو قائد في الجهاد.

٥ ـ جاء في الفقرة (٦): «أباً أبدياً» وفي الترجمات القديمة: «وسلطانه كامل ليس له فناء» أي إن شرعه كامل شامل ثابت إلى آخر الدهر. لا يـأتي بعده من ينسخه. لأنه خاتم الأنبياء. بخلاف المسيح ـ عليه السلام ـ فإن شرعه ليس بكامل كما سلف. أما سليمان فقد كان تابعاً لموسى في التشريع. واليهود يعتقدون أن شرع موسى سينسخ على يد النبي الذي لا زالوا ينتظرونه[1].

٦ ـ جاء في الفقرة (٧) «غَيره رب الجنود تصنع هذا».

وفي هذا إشارة إلى ما جاء في سفر التثنية ٣٢/١٦ ـ ١٧: أغاروه بالأجانب، وأغاظوه بالأرجاس. ذبحوا لأوثانٍ، ليست لله. لآلهة لم يعرفوها..

و ٣٢/٢١: هم أغاروني بما ليس إلهاً، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً بأمة غبية أغيظهم اهـ.

ويكون المعنىٰ إن غيرة الله جعلت النبي المولود من صلب إسماعيل يرث بني إسرائيل في نبوتهم وملكهم، ويبتزهم رياستهم.

وصفوة القول: إن إشعياء قد شهد بنبوة محمد ﷺ ووصفه بأخص علاماته وأوضحها ألا وهي الشامة بين كتفيه ـ خاتم النبوة ـ وشريعته الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) الجواب الصحيح ٢/٢١٣ ـ ٢١٤ و٣/٣٢٧ ـ ٣٢٨و ٤/١٩.

٢ ـ إشعياء يبشر بالمسيح ومحمد ﷺ

نص البشـــارة:

جاء في الباب الحادي والعشرين من سفر إشعياء ما يلي:

٢١/٦: لأنه هكذا قال لي السيد. اذهب أقم الحارس، ليخبر بما يرىٰ.

٧ ـ فرأى ركاباً أزواج فرسان: ركاب حمير، ركاب جمال. فأصغىٰ إصغاءً شديداً.

٨ ـ ثم صرخ كأسد: أيها السيد أنا قائم على المرصد دائماً في النهار. وأنا واقف على المحرس كل الليالي.

٩ ـ وهوذا ركاب من الرجال، أزواج من الفرسان. فأجاب وقال: سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة، كسرها إلى الأرض.

١٠ ـ يا دِياستي وبني بيدري. ما سمعته من رب الجنود إله إسرائيل أخبرتكم به.

ونقل ابن تيمية وابن القيم والقرافي عن الترجمات القديمة في أزمانهم ما يلي: «فقيل لي: قم ناظراً فانظر ما ترى تخبر به. فقلت: أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جمل. يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها للمنحر».

١١ ـ وحي من جهة دُومَةَ. صرخ إلي صارخ من سَعير: يا حارس ما من الليل؟ يا حارس ما من الليل؟

١٢ ـ قال الحارس: أتى صباح وأيضاً ليل. إن كنتم تطلبون فاطلبوا. ارجعوا تعالَوا.

١٣ ـ وحي من جهة بلاد العرب. في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادانيّين.

١٤ ـ هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تَيْماء، وافوا الهارب بخبزه.

١٥ ـ فإنهم من أمام السيوف قد هربوا؛ من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدود، ومن أمام شدة الحرب.

١٦ ـ فإنه هكذا قال لي السيد: في مدة سنة كسنة الأجير يفنىٰ كل مجد قِيدار.

١٧ ـ وبقية عدد قِسيّ أبطال بني قيدار تقِل. لأن الرب إله إسرائيل قد تكلم.

توضيح البشارة وتحليلها:

بادىء ذي بدء أقول: لو لم يكن في العهد القديم إلا هذه البشارة لكفى بها حجة على أهل الكتاب. «ولكن تعمى القلوب التي في الصدور».

١ ـ أما راكب الحمار فمعروف عند المسلمين والنصارى إنه المسيح ـ عليه السلام ـ فقد ركب حماراً وتنقل في الجليل. كما تذكر أربعة الأناجيل أن المسيح ـ عليه السلام ـ دخل أورشليم راكباً على حمار. لكن بين الروايات تفاوت واختلاف يدلان على التحريف الذي لحق بالأناجيل[١].

---

(١) ولطرافة التحريف أحببت أن أذكر القصة موضحاً الفروق بين الروايات:

متى ٢١/١، مرقس ١١/١، لوقا ١٩/٢٩: ولما قَربُوا من أورشليم ووصلوا بيت فاجي ـ زاد =

وأما راكب الجمل ـ أو ركاب الجمال ـ فهو محمد ﷺ ، وأصحابه رضي الله عنهم ـ وهو بركوب الجمل أشهر من المسيح بركوب الحمار، فقد هاجر عليه من مكة إلى المدينة، وركبه في كثير من غزواته، وكانت له ناقة سريعة اسمها العضباء. أما المسيح ، فكان كثير السياحة على رجليه.

٢ ـ جاء في الفقرة (٩): هوذا ركاب من الرجال، أزواج من الفرسان.

= مرقس ولوقا: وبيت عنيا ـ عند جبل الزيتون: أرسل يسوع اثنين من تلاميذه.
مرقس ١١/٢، لوقا ١٩/٣٠: وقال لهما: اذهبا إلى القرية التي أمامكما وحالما تدخلانها تجدان جحشاً مربوطاً، ما ركب عليه أحد من قبل. فحلا رباطه، وجيئا به.
وفي متى ٢١/٢: اذهبا إلى القرية التي أمامكما تجدا أتاناً مربوطة وجحشها معها. فحلا رباطهما وجيئا بهما إليَّ.
متى ٢١/٣: وإن قال لكما أحد شيئاً فأجيبا: السيد محتاج إليهما، وسيعيدهما في الحال.
مرقس ١١/٣، لوقا ١٩/٣١: وإن سألكما أحد: لماذا تفعلان هذا فقولا: الرب محتاج إليه ـ أي إلى الجحش ـ وسيعيده إلى هنا في الحال. ـ ولا حاجة إلى الاستئذان قبل الأخذ لأن الذي سيركب هو الرب في زعمهم ـ.
متى ٢١/٤ ـ ٥: وكان هذا ليتم ما قال النبي: قولوا لابنة صهيون: ها هو ملكك قادم إليك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان. ـ أي راكب على كليهما، وهذا ما لا يقدر عليه بشر ـ.
متى ٢١/٦ ـ ٧: فذهب التلميذان، وفعلا ما أمرهما به يسوع. وجاءا بالأتان والجحش، ثم وضعا عليهما ثوبيهما، فركب يسوع ـ وفي طبعة ١٩٨١ و ١٩٨٤ م: فجلس عليهما. أي على الأتان والجحش معاً ـ.
مرقس ١١/٤ ـ ٦: لوقا ١٩/٣٣ ـ ٣٤: فذهب التلميذان فوجدا جحشاً مربوطاً عند باب الطريق، فحلا رباطه. فسألهما بعض الذين كانوا هناك: ما بالكما تحلان رباط الجحش؟ فقالا لهم كما أوصاهما يسوع فتركوهما.
مرقس ١١/٧، لوقا ١٩/٣٥: فجاء التلميذان بالجحش إلى يسوع، ووضعا ثوبيهما عليه فركب ـ وفي لوقا: فاركبا يسوع ـ ولا أدري مع من كان الروح القدس؟ ولذلك أراح يوحنا نفسه فلم يذكر هذه التفاصيل فقال في ١٢/١٤ ووجد يسوع جحشاً فركب عليه كما جاء في الكتاب: لا تخافي يا بنت صهيون..

فأجاب وقال: سقطت سقطت بابل وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة، كسرها إلى الأرض. وفي الترجمات القديمة: يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها للمنحر.

وبمحمد ﷺ سقطت أصنام بابل، لا بالمسيح ـ عليه السلام ـ ولم يزل في إقليم بابل من يعبد الأصنام، من عهد إبراهيم إلى أن فتحها أصحاب محمد ﷺ .

ولما كان المسيح ـ عليه السلام ـ ليس بينه وبين محمد ﷺ نبي، وهو نازل في أمته، صار بينهما من الاتصال ما لم يكن بين محمد ﷺ وغير المسيح من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ولذلك جمعهما إشعياء في هذه البشارة[1].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي. والأنبياء إخوة أبناء علّات[2]. أمهاتهم شتى، ودينهم واحد ـ أخرجه الشيخان وأبو داود ـ .

٣ ـ جاء في الفقرة (١١) أن الوحي قادم من جهة دُومة، أي شمال جزيرة العرب، وأن الصارخ صرخ من جبال ساعير مستفهماً: كم بقي من الليل ليظهر من سينزل عليه الوحي في تلك المنطقة؟ وساعير كما سلف في البشارة السابعة من بشارات التوراة؛ جبل ببلاد الشام في فلسطين بجانب (بيت لحم) وهي القرية التي ولد فيها المسيح ـ عليه السلام ـ وبعضهم يطلق على أرض الجليل التي فيها الناصرة ساعير، ويسمي جبالها جبال ساعير. وفي تلك المنطقة بعث المسيح ـ عليه السلام ـ وأنزل عليه الإنجيل.

وفي جواب الحارس في الفقرة (١٢) إشارة إلى قرب مبعث النبي الذي سيظهر من ساعير. وبعد فترة شَبَّهها بالليل لانطماس معالم الوحي فيها، يأتي الصباح حيث يظهر الراكب الثاني.

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٢٣ و ٣٢٥ ـ ٣٢٦، هداية الحيارى ص ٥٤٧ ـ ٥٤٨، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٢.

(٢) أي إخوة لأب. أما إذا كانوا إخوة لأم فهم أبناء أخياف. وإذا كانوا لأب وأم فهم أعيان.

٤ ـ جاء في الفقرة (١٣) أن وحياً آخر سيأتي من جهة بلاد العرب. أي من شبه الجزيرة. ثم حدد المكان منها، ووصفه بأنه وعر، وليس أرضاً سهلة. وفي هذا دليل واضح على البشارة بنبوة محمد ﷺ فإنه لم ينزل وحي بعد المسيح في جزيرة العرب إلا عليه.. وأول ما بدأه الوحي في غار حراء في جبل فاران قرب مكة المكرمة الواقعة في وادٍ غير ذي زرع، حيث ولد ﷺ.

٥ ـ جاء في الفقرة (١٤): هاتوا ماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء، وافوا الهارب بخبزه.

وفي هذا إشارة إلى هجرة النبي ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، واستقبال أهل المدينة الأنصار له وإضافتهم إياه وقيامهم بخدمته، في دار بني عمرو بن عوف أولاً، ثم في دار أبي أيوب ثانياً.

وتيماء منطقة في وادي القرىٰ من أعمال المدينة المنورة. وخص يهود تيماء بالذكر لأنهم صالحوا النبي ﷺ وذلك أنه لما بلغهم ما واطأ عليه رسول الله ﷺ أهل خيبر وفدك ووادي القرىٰ، صالحوا رسول الله ﷺ وأقاموا بأموالهم. فلما كان زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أخرج يهود خيبر وفدك ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرىٰ.

وقوله في الفقرة (١٥): «فإنهم من أمام السيوف قد هربوا؛ من أمام السيف المسلول، ومن أمام القوس المشدود، ومن أمام شدة الحرب» يشير إلى سبب الهجرة، وإلى ما أرادت قريش فعله برسول الله ﷺ فإن المسلمين هاجروا فراراً بدينهم، فقد اضطهدهم المشركون حتى مات بعضهم من شدة العذاب. ولما علم المشركون بهجرة المسلمين إلى المدينة المنورة حاولوا منعهم. فاجتمعوا في دار الندوة واتفقوا على أن يأخذوا من كل قبيلة شاباً جلداً بيده سيف صارم. ثم يقف الشباب أمام بيت النبي ﷺ فإذا خرج صباحاً ضربوه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل. فجاء جبريل ـ عليه السلام ـ فأخبر النبي ﷺ بذلك، وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة. ومضى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى غار ثور. وجدَّت قريش في طلبهما بعد أن علمت بخروجهما، وأخذوا معهم القافة. ومكثا في الغار ثلاثة أيام حتى

خمدت نار الطلب، فجاءهما ابن أريقط الذي استأجره أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بالراحلتين فارتحلا: ولما رأت قريش أنهما تفلتا من أسلحتها، جعلت لمن جاء بهما أو بأحدهما دية كل واحدٍ منهما، فجد الناس في الطلب. لكن الله غالب على أمره ولو كره المشركون. فتابعا طريقهما بحذر حتى وصلا المدينة. وخرج المسلمون للقائهما، وأحدقوا برسول الله ﷺ محيين إياه بتحية النبوة.

٦ ـ جاء في الفقرة (١٦): في مدة سنة كسنة الأجير يفنى كل مجد قِيدار. وفي الفقرة (١٧): وبقية عدد قِسي بني قيدار تقل ـ أي العرب ـ .

وهذا إشارة إلى غزوة بدر التي وقعت في السنة الثانية من الهجرة، أي بعد سنة وشهور من هجرة الرسول ﷺ وهي أكرم المشاهد. ويومها هو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وخذل الشرك، مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو، مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسومة والخيلاء الزائدة. لكن فني مجدهم واضمحل جبروتهم؛ فَقُتِل منهم سبعون، وأُسِر سبعون، وهرب الباقون. وتم ما أوحىٰ به الرب إله إسرائيل إلى إشعياء.

وقيدار هو ابن إسماعيل. جاء في سفر التكوين ٢٥/١٢ ـ ١٣: «وهذه مواليد إسماعيل بن إبراهيم الذي ولدته هاجر المصرية جارية سارة لإبراهيم. وهذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم: نبايوت بكر إسماعيل، وَقِيدار وأَدَبْئيل. .» وبنو قيدار هم العرب.

٣ ـ فتح بيت المقدس

نص البشــارة:

جاء في الباب السادس والعشرين من سفر إشعياء ما يلي:

١/٢٦: في ذلك اليوم يُغَنَّى بهذه الأغنية في أرض يهوذا: لنا مدينة قوية. يَجْعَلُ الخلاصَ أسواراً ومَتْرسة.

٢ ـ افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة.

٣ ـ ذو الرأي الممكَّن تحفظه سالماً سالماً. لأنه عليك متوكل.

٤ ـ توكلوا على الرب إلى الأبد لأن في ياهَ الرب صخرَ الدهور.

٥ ـ لأنه يخفض سُكان العُلاء، يضع القرية المرتفعة، يضعها إلى الأرض، يُلصقها بالتراب.

٦ ـ تدوسها رجلا البائس أقدام المساكين.

توضيح البشارة وتحليلها:

١ ـ بعد العودة من السبي بقي اليهود تحت سيطرة الفرس، ثم تحت سيطرة الرومان إلى أن اضطهدوا وأخرجوا من القدس وتشتتوا في البلاد. وظلت القدس، بأيدي الرومان إلى أن فتحها المسلمون وجاء عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بذاته، فأمن النصارى على أموالهم وكنـائسهم، وكتب لهم كتابـاً بذلـك. وفرح النصارى بهذا الأمان ولمسوا الصدق من جانب المسلمين، فصاروا يدخلون في دين الله أفواجاً. فمن هي الأمة البارة الحافظة التي دخلت أرض يهوذا؟

أهي أمة اليهود بعد العودة من السبي؟ إن هذا غير معقول. لأن اليهود كانوا تحت سيطرة الفرس.

وإنما عاد قسم منهم إلى القدس بعد موافقة الفرس وتحت إشرافهم. فلا يصدق في حقهم قوله: «افتحوا الأبواب، ثم إنهم ضيعوا الأمانة مرات كثيرة كما قال تعالىٰ: ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب، ويعفو عن كثير* قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ﴾ ـ المائدة/ ١٥ ـ .

فالأمة البارة إنما هي أمة محمد ﷺ وقد حفظت الأمانة باتباعها الكتاب والسنّة، وعدم كتمان شيء منهما، لا سيما وأن الله قد تكفل بحفظ القرآن. ثم إن الأبواب فتحت لها فدخلتها منصورة رحيمة لا يسيطر عليها أحد إلا التقيد بأحكام الشرع.

٢ ـ جاء في الفقرة الثالثة: «ذو الرأي الممكَّن تحفظه سالماً، لأنه عليك متوكل».

وهذا إنما ينطبق ـ والله أعلم ـ على أمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقد نزل القرآن موافقاً لرأيه في عدد من المسائل. فهو ملهم بفضل الله. وهو متوكل على الله حق التوكل. وكم شرح حقيقة التوكل وبينه للناس.

٣ ـ جاء في الفقرة الخامسة: «لأنه يخفض سكان العلاء يضع القرية المرتفعة..».

وفي عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ وسائر الخلفاء الراشدين صدع الحق الجبارين المتكبربن، وأرغمت أنوف على قبول الحق واحترامه من فرس ورومان وأقباط وغيرهم. ويظهر ذلك جلياً في مدينة القدس التي كان الرومان وغيرهم يخصونها بزيادة اعتزاز.

٤ ـ جاء في الفقرة السادسة: «تدوسها رجلا البائس أقدام المساكين».

فالبائس هو أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ لأنه كان فقيراً متواضعاً حمل همَّ المسلمين حتى اصفر لونه. والمساكين هم الصحابة والتابعون ـ رضي الله

عنهم ـ الذين فتحوا القدس وسائر بلاد الشام. وسموا بذلك لتواضعهم واكتفائهم بالقليل من حطام الدنيا أو لأنهم كانـوا مزدرَيْن في أعـين أهل الكتـاب من يهود ونصارىٰ ، حتى إن الفرس كانوا يحتقرونهم في الجاهليـة، وينصبون لهم حكـاماً وعظماء تحت إشرافهم.

٤ ـ حرم مكة الآمن

نص البشارة:

جاء في الباب الخامس والثلاثين من سفر إشعياء ما يلي:

١/٣٥ : تفرح البرية والأرض اليابسة، ويبتهج القفر ويُزهر كالنرجس.

٢ ـ يزهر إزهاراً، ويبتهج ابتهاجاً ويرنم. ويُدفع إليه مجد لبنان. بهاء كَرْمَل وشارون. هم يرون مجد الرب بهاءَ إلهنا.

٣ ـ شددوا الأيادي المسترخية والرُّكَب المرتعشة ثبتوها.

٤ ـ قولوا لخائفي القلوب: تشددوا لا تخافوا. هوذا إلهكم. الانتقامُ يـأتي جِزَاءُ الله. هو يأتي ويخلِّصكم.

٥ ـ حينئذٍ تتفتح عيون العُمي، وآذان الصُّمِّ تتفتح.

٨ ـ وتكون هناك سكة وطريق يقال لها: الـطريق المقدسـة. لا يعبر فيهـا نَجِس. بل هي لهم. من سلك في الطريق، حتى الجهالُ. لا يضل.

ونقل القرافي هذا النص عن الترجمات في زمنه كما يلي[١]: «لتفرح البادية العطشىٰ، ولتبتهج البراري والفلوات، ولتزهو. فإنها ستعطي بأحمد مجد لبنان، حتى يصير كالدعاء كَبِرٍ والرياض. وسيرون جلال الله تعالىٰ إلهنا».

ونقله ابن القيم كما يلي[٢]: «لتفرح أرض البادية العطشىٰ، ولتبتهج البراري والفلوات، لأنها ستعطي بأحمد محاسن لبنان، ومثل حسن الدساكر».

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٦.

(٢) هداية الحيارى ص ٥٦١.

توضيح البشارة وتحليلها:

جاء في سفر إشعياء نصوص تذكر عمارة البَرية والأرض اليابسة والبادية العطشىٰ، وكثرة المياه فيها لتشرب منها الأمة المصطفاة. وقد وضحت بعض النصوص أنها أرض قيدار وبرية فاران كما سيأتي. ولم يحدث هذا إلا بعد بعثة محمد ﷺ فيكون هو المقصود بالبشارة.

نقل القرافي(1) عن بعض الترجمات في زمنه أن إشعياء قال: «لتستحين تمجدي حيوانات البر، من بنات آوىٰ حتى الأنعام. لأني أجريت الماء في اليد، لتشرب منه الأمة التي اصطفيتها».

ونقل ابن القيم(2) أيضاً: «إني سأعطي البادية كرامة لبنان وبهاء الكترمال.. ويصير هناك محجة وطريق الحرم. لا يمر به أنجاس الأمم... ويكون هناك ممر المخلصين».

والكترمال: الشام وبيت المقدس. والمراد بذلك أنه سيجعل الكرامة التي هناك بالوحي وظهور الأنبياء للبادية بالنبي محمد ﷺ فتصبح براري مكة مقصودة للحج والعمرة من جميع الأقطار حتى يكثر فيها العمران وسعة المال.

وقوله: «لا يمر به أنجاس الأمم» موافق لقوله تعالىٰ: «إنما المشركون نجس، فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا»(3).

---

(1) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٧.

(2) هداية الحيارىٰ ص ٥٤٩.

(3) هداية الحيارىٰ ص ٥٤٩، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٦.

٥ - إشعيا يذكر صفات النبي المنتظر

نص البشارة:

جاء في الباب الثاني والأربعين من سفر إشعياء ما يلي:

٤٢/١: هوذا عبدي الذي أعضُده، مختاري الذي سُرَّت به نفسي. وضَعْتُ روحي عليه، فيخرج الحق للأمم.

٢ - لا يصيح ولا يرفع، ولا يُسمِع في الشارع صوتَه.

٣ - قصبةً مرضوضةً لا يقصِف، وفتيلة خامدة لا يطفىء. إلى الأمان يخرج الحق.

٤ - لا يكِل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض. وتنتظر الجزائر شريعتَه.

٥ - هكذا يقول الله الرب خالقُ السماوات وناشرُها، باسطُ الأرضِ، ونتائجِها، معطي الشعبِ عليها نسمة، والساكنين فيها رُوحاً:

٦ - أنا الربَّ قد دعوتك بالبر، فأمسِكُ بيدك وأحفظك، وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم.

٧ - لتفتح عيون العُمي، لتخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة.

ورواه القس إنسلم كما يلي[1]: الرب سبحانه يبعث في آخر الزمان عبده الذي اصطفاه لنفسه. يبعث له الروح الأمين يعلمه دينه. وهو يعلم الناس ما علمه الروح الأمين. ويحكم بين الناس بالحق، ويمشي بينهم بالعدل. وهو نور يخرجهم من الظلمات التي كانوا عليها رقوداً. وقد عرفتكم ما عرفني الرب سبحانه قبل أن يكون اهـ.

ونقله ابن القيم عن بعض الترجمات في زمنه كما يلي[2]: عبدي وخيرتي ورضا نفسي، أفيض عليه من روحي ـ وفي بعض الترجمات: أنزل عليه روحي ـ فيظهر في الأمم عدلي، ويوصي الأمم بالوصايا. لا يضحك ولا يسمِع صوته. يفتح العيون العمي ـ وفي بعضها: العور ـ ويسمع الآذان الصم، ويحيي القلوب الغلف. وما أعطيه لا أعطي غيره. لا يَضْعُف ولا يُغلَب، ولا يميل إلى اللهو، ولا يسمِع في الأسواق صوته. رِكن للمتواضعين. وهو نور الله الذي لا يطفأ، ولا يُخصَم حتى يثبت في الأرض حجتي، وتنقطع به المعذرة.

ونقله ابن تيمية وابن القيم أيضاً والقرافي عن بعض الترجمات في أزمانهم كما يلي[3]: عبدي ورسولي الذي سرت به نفسي. أنزل عليه وحيي ـ وعند القرافي: أعطيه كلامي ـ فيظهر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا. لا يضحك، ولا يسمع في الأسواق صوته ـ وعند القرافي: ولا يصخب ـ يفتح العيون العور، و[يسمع] الآذان الصم، ويحيي القلوب الغلف ـ وعند القرافي: الميتة ـ وما أعطيه لا أعطيه أحداً. يحمد الله حمداً جديداً ـ وعند القرافي: أحمد بحمد الله تعالىٰ حمداً جديداً ـ يأتي من أقصى الأرض ـ وعند القرافي: من أفضل الأرض ـ وتفرح به البرية وسكانها. يهللون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية ـ وعند القرافي: يوحدون الله على كل طرف، ويعظمونه على كل رابية ـ لا يضعف ولا يغلب، لا يميل إلى الهوى ـ وزاد الشيخان: مُشَفَّح ـ ولا يذل الصالحين الذين هم

---

(١) في تحفة الأريب ص ١٣٩.

(٢) هداية الحيارىٰ ص ٥٥٠.

(٣) الجواب الصحيح ٣/٢٨١، هداية الحيارىٰ ص ٥٥٤، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

كالقصبة الضعيفة ـ وعند القرافي كالقصب الضعيف ـ بل يقوي الصديقين، وهو ركن المتواضعين. وهو نور الله الذي لا يطفأ. أثر سلطانه بين كتفيه ـ وعند القرافي: على كتفه ـ.

وذكر الشيخ رحمة الله الهندي[1] أن القَس الأرمني أوسكان ترجم سفر إشعياء إلى اللغة الأرمنية سنة ١٦٦٦ م ثم طبعت هذه الترجمة سنة ١٧٣٣ م في مطبعة أنتوني بورتولي. وفي الباب الثاني والأربعين منها هذه الفقرة «سبحوا لله تسبيحاً جديداً. . وأثر سلطانه على ظهره، واسمه أحمد».

توضيح البشارة وتحليلها:

يحمل النصارى هذا النص على البشارة بالمسيح ـ عليه السلام ـ جاء في إنجيل متي ١٢/١٧ ـ ٢١: ليتم ما قال النبي إشعياء: هوذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي سرت به نفسي، أضع روحي عليه، فيخبر الأمم بالحق ـ وفي طبعة ١٩٨٠ م: حبيبي الذي به رضيت. سأفيض روحي عليه، فيعلن للشعوب إرادتي ـ لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف. وفتيلة مدخنة لا يطفىء ـ وفي طبعة ١٩٨٠ م: وشعلة ذابلة لا يطفىء ـ حتى يخرج الحق إلى النصرة. وعلى اسمه يكون رجاء الأمم ـ وفي طبعة ١٩٨٠ م: يثابر حتى تنتصر إرادتي. وعلى اسمه رجاء الشعوب ـ.

مع أن النص في سفر إشعياء يقول: «هوذا عبدي . .» والمسيح في زعمهم إله كامل من إله كامل. ولذلك حرفه كاتب الإنجيل إلى «هوذا فتاي . . .» ليكون اللفظ موهماً النبوة.

أما اليهود فيحملونها على مسيحهم المنتظر. فلينتظروا مسيح الضلالة الدجال. فهم أكثر أتباعه كما جاء في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ ولنحلل الآن النص ففيه علامات قوية جداً:

١ ـ جاء في الفقرة (١) هوذا عبدي الذي أعضده.

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٩٥.

وهذا موافق لما في القرآن من مخاطبة محمد ﷺ ووصفه بأنه عبد لله. قال تعالىٰ: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ ـ البقرة/٢٣ . ـ

وقال سبحانه: ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ﴾ ـ الكهف/١ .

وقوله: «أعضده». موافق لقوله تعالىٰ: ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله. هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ﴾ ـ الأنفال/٦٢ .

ولقوله سبحانه: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون ﴾ ـ التوبة/٢٣ ـ وقد حصل هذا بحمد الله وفضله.

٢ ـ وجاء فيها أيضاً: «مختاري الذي سرت به نفسي».

وفيه إشارة إلى كون المبشر به أفضل الرسل ومن أشرف الخلق. وهذا منطبق على محمد ﷺ فقد اختاره الله واصطفاه. وهو خيار من خيار ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾.

عن واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله اصطفىٰ كنانة من ولد إسماعيل، واصطفىٰ قريشاً من كنانة، واصطفىٰ من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم ـ أخرجه مسلم والترمذي ـ .

وعن المطلب بن وداعة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقة. ثم جعلهم قبائل، فجعلني في خير قبيلة. ثم جعلهم بيوتاً، فجعلني في خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً ـ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ـ .

٣ ـ وجاء فيها: «وضعت روحي عليه. فيخرج الحق للأمم». وفي رواية القس أنسلم: «يبعث له الروح الأمين يعلمه دينه. وهو يعلم الناس ما علمه الروح الأمين». وعند القرافي: أعطيه كلامي.

والمراد بذلك كله إنزال الوحي عليه، ثم إظهاره للناس عن طريق القرآن الكريم أو السنّة المشرفة. قال سبحانه: ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾.

وسمي الوحي، روحاً، لأن حياة القلوب متعلقة به، كما أن حياة الأبدان متعلقة بالأرواح.

وقوله: « فيخرج الحق للأمم » أي يبلغ الناس ما أوحيت إليه، ويطبق شريعتي، ويحكم بين الناس بالحق، ويمشي بينهم بالعدل. وهذا مطابق لقوله تعالىٰ: **﴿فلذلك فادع. واستقم كما أمرت، ولا تتبع أهواءهم. وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم﴾** - الشورىٰ/١٥ -.

ولقوله سبحانه: **﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله. ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾** - المائدة/٤٩ -.

ولقوله جلَّ جلاله: **﴿فإن جاءوك، فاحكم بينهم أو أعرض عنهم. وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط﴾** - المائدة/٤٢ -.

ويؤيد ذلك ما جاء في الترجمات القديمة: « فيظهر في الأمم عدلي » وفي رواية القس انسلم « ويحكم بين الناس بالحق، ويمشي بينهم بالعدل ».

وقد أجمع المنصفون من أصحاب العقول السليمة علىٰ أن كل ما أمر به محمد ﷺ ودعا إليه أو نهى عنه، حق وعدل وصواب. كما سلف في القسم الثاني في بحث الإعجاز التشريعي.

وقوله في النص الذي نقله ابن تيمية وابن القيم والقرافي: «يوصي الأمم بالوصايا» مطابق لقوله تعالىٰ: **﴿ شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحاً والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسىٰ: أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾** - الشورىٰ - ١٣ - .

ولقوله سبحانه :﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله. ذلكم وصاكم لعلكم تتقون﴾ - الأنعام/١٥٣ -.

ووصاياه ﷺ هي عهوده إلى الأمة بعبادة الله وحده لا شريك له، وتقواه في السر والعلن، والتمسك بما بعثه الله به من الهدى ودين الحق وغير ذلك.

٤ - جاء في الفقرة (٢): «لا يصيح ولا يرفع، ولا يسمع في الشارع صوته».

وفي الترجمات القديمة: «لا يضحك ولا يسمع في الأسواق صوته» وعند القرافي: «لا يصخب».

اي ليس بصخاب له فديد، كحال من ليس له حلم ولا وقار. وإذا لم يكن من الصاخبين في الأسواق مع أنها مكان طلب الدنيا والحرص عليها، ففي غيرها أولىٰ. وقد ورد في القرآن ذم من يرفع صوته. قال سبحانه: ﴿ **واقصد في مشيك واغضض من صوتك، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ ـ لقمان/ ١٩.

ومحمد ﷺ كان لا يرفع صوته في الكلام من غير حاجة. قال تعالىٰ: ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم* ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ ـ آل عمران/ ١٥٩.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ كان يحدث حديثاً، لوعده العاد لأحصاه ـ رواه الشيخان والترمذي ـ.

وقوله في بعض الترجمات: «لا يضحك» مطابق لما روت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً، حتى أرىٰ منه لهواته(١): إنما كان ضحكه التبسم ـ رواه البخاري ـ.

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء ـ رضي الله عنه ـ: ما ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً ـ أخرجه الترمذي ـ(٢).

وفي رواية قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ.

وعن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان في ساقي رسول الله ﷺ حُموشة. وكان لا يضحك إلا تبسماً. وكنت إذا نظرت إليه قلت: أكحل العينين. وليس بأكحل ـ أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب ـ(٣).

وذلك لأن كثرة الضحك وشدته من خفة الروح ونقصان العقل. بخلاف التبسم، فإنه من حسن الخلق وكمال الإدراك.

---

(١) أي أقصى الحلق. جمع لهاة. والفديد: الصوت الشديد.

(٢) وصححه عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول ١١/ ٢٥٢.

(٣) وحسنه عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على الجامع ١١/ ٢٣٣. وأحمش الساقين: دقيقهما. وكذلك حَمْش.

وقوله في الترجمات القديمة: «ولا يميل إلى اللهو» مطابق لوضعه ﷺ فأمره كله جد وحزم، ومجلسه مجلس حياء وكرم ووقار وسكينة. وثمرة ذلك علم وإيمان.

٥ ـ جاء في الفقرة (٣): «قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفىء إلى الأمان يخرج الحق» وفي بعض الترجمات القديمة: «ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة. بل يقوي الصديقين، وهو ركن المتواضعين».

وفي هذا إشارة إلى تواضعه وحيائه وإشفاقه على الضعفاء. وهذه هي أخلاق محمد ﷺ وسيرته، ولا سيما مع الفقراء والمساكين وأهل الصدق والدين.

عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: رأىٰ سعد أن له فضلاً على من دونه. فقال النبي ﷺ: هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟ ـ أخرجه البخاري وأحمد ـ.

وعن أبي الدرداء عويمر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أبغوني الضعفاء، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم ـ أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح. وجوده النووي في الرياض، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي ـ.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمن مثل النحلة، إذا أكلت أكلت طيباً، وإذا وضعت وضعت طيباً، وإذا وقعت على عود نخر لم تكسره ـ أخرجه أحمد في المسند والبيهقي في الشعب[1] ـ.

٦ ـ جاء في الفقرة (٤) «لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض». وفي بعض الترجمات القديمة: «لا يضعف ولا يُغلب.. وهو نور الله الذي لا يطفأ.. ولا يخصم حتى يثبت في الأرض حجتي، وتنقطع به المعذرة».

---

(١) رمز السيوطي في الجامع الصغير لضعفه. وذكر المناوي أن الهيثمي قال: رجاله رجال الصحيح غير أبي سبرة، وقد وثق اهـ فقد وثقه ابن حبان. وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط، والبخاري في التاريخ الكبير وابن عساكر في تاريخ دمشق وابن أبي شيبة موقوفاً.

والحجة إنما قامت على الخلق بالرسل، وبهم انقطعت المعذرة. ولا سيما خاتم النبيين ﷺ قال تعالىٰ: ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ ـ النساء/ ١٦٥.

وقد جاهد رسول الله ﷺ في الله حق جهاده، ولم يضعف ولم يكلّ ولم ينكسر حتى وضع الحق في الأرض، رغم ما اعتراه من الشدائد والمصائب. علماً بأنه ما أوذي أحد في الله كما أوذي رسول الله ﷺ قال سبحانه: ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، ولا تستعجل لهم** ﴾ ـ الأحقاف/ ٢٥ ـ أي داوم على الصبر واستمر عليه.

وفي الحروب لم يكل رسول الله ﷺ حتى حال انفراده وقلة أتباعه وكثرة أعدائه. بل هو أقوىٰ الخلق وأشجعهم قلباً، وأثبتهم جأشاً، ففي يوم بدر قاتل مع أصحابه رغم قلة عددهم وعدتهم.

عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا أصحابَ محمد ﷺ نتحدث: إن عِدة طالوت الذين جاوزوا معه النهر ـ ولم يجاوز معه إلا مؤمن ـ بضعة عشر وثلاثمائة ـ أخرجه البخاري والترمذي ـ.

وعن أبي أسيد ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر حين صففنا لقريش: إذا أكثبوكم ـ يعني غَشَوكم. وفي أخرى: يعني أكثروكم ـ فارموهم. واستبقُوا نبلكم ـ أخرجه البخاري وأبو داود ـ.

وفي رواية أخرى لأبي داود: إذا أكثبوكم فارموهم، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم.

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: لقد رأيتني يوم بدر، ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو. وكان أشد الناس بأساً ـ ذكره في شرح السنة وحسن سنده المحقق ـ.

وفي يوم أحد قتل بعض أصحابه وجرح آخرون. وما ضعف وما استكان. بل ثبت وانحاز نحو الجبل. ثم خرج من الغد في طلب عدوه على شدة القرح، حتى أرعب العدو منه، وكر خاسئاً على كثرة عدده.

ويوم حنين أفرد عن الناس في نفر يسير، وأحاط به العدو وهم ألوف، فجعل يثب في العدو. وكان أصحابه - رضي الله عنهم - مع أنهم من أشجع الناس، إذا حمي الوطيس واشتدت الحرب اتقوا به. فكان أقربهم إلى العدو وأشجعهم هو الذي يكون قريباً منه.

عن العباس - رضي الله عنه - قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه. ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء. فلما التقى المسلمون والكفار، ولىٰ المسلمون مدبرين. فطفق رسول الله ﷺ يركُض بغلته قبل الكفار. قال العباس: وأنا آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال: أي عباس، ناد أصحاب السُمرة.. الحديث - أخرجه مسلم - .

وعن أبي إسحاق السبيعي قال: جاء رجل إلى البراء فقال: كنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال: أشهد علىٰ نبي الله ﷺ ما ولىٰ. ولكنه انطلق أخِفّاءُ من الناس وحُسّرٌ(١) إلى هذا الحي من هوازن، وهم قوم رماة. فرموهم برشق من نبل كأنها رِجْلٌ من جراد، فانكشفوا. فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا واستنصر، وهو يقول: أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب. اللهم نزل نصرك. ثم صفهم.

قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به. وإن الشجاع منا للذي يحاذي به - أخرجه الشيخان والترمذي - .

بخلاف المسيح - عليه السلام - فإنه في زعم النصارى واليهود أُهين وقتل صلباً. وبقي أصحابه قرابة ثلاثة قرون مطاردين. فلا تصدق عليه هذه البشارة.

٧ - وجاء في الفقرة ذاتها: «وتنتظر الجزائر شريعته».

فهذا بالإضافة إلى ما سبق في الفقرة(١): «فيخرج الحق للأمم» إشارة إلى عموم رسالته. ومحمد ﷺ كان رسول الله إلى العالم أجمع كما سلف في القسم

---

(١) الإخفاء: جمع خفيف، وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم. حسَّر: جمع حاسر، وهو من لا درع عليه.

الثاني. وقد راسل الملوك والعظماء من كافة الأجناس ثم أكمل أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ من بعده ما بدأه هو من نشر دينه وشريعته في العالم أجمع. بخلاف المسيح ـ عليه السلام ـ فإنه ليس بصاحب شريعة عامة شاملة مستقلة كما سلف.

٨ ـ جاء في الفقرة (٦): «أنا الربُّ قد دعوتك بالبر، فأُمسِكُ بيدك وأحفظُك».

وهذا إشارة إلى أن الله قد تعهد بحفظه وعصمته من كيد أعدائه. فلن يسلطوا عليه. وهكذا حصل لرسول الله ﷺ فلم يتمكن أعداؤه منه رغم كثرة المحاولات كما سلف في البشارة الخامسة من بشارات التوراة.

عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى اليهود بعد وقعة بدر: إنكم أهل الحلقَة والحصون، فلتُقاتلُنَّ صاحبنا، أو ليكونن بيننا وبينكم أمر. فلما بلغ كتابهم إليهم. اجتمعت بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: أن اخرج إلينا في ثلاثين من أصحابك، ويخرج منا ثلاثون حَبْراً، فنلتقي بمكانٍ مَنصف، فيسمعون منك، فإن صدقوك وآمنوا بك، آمنا أجمعون. فأعلمه جبريل ـ عليه السلام ـ بكيدهم. فغدا عليهم بالكتائب فحصرهم، فقال: إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدونني عليه. فأبوا أن يعطوه عهداً، فقاتلهم يومهم ذلك، ثم غدا من الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم، وغدا على بني النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء. فجلت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها ـ أخرجه أبو داود ـ [1].

٩ ـ وجاء في الفقرة نفسها: «وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم». وفي الترجمات القديمة: وهو نور الله الذي لا يطفأ». أي يدوم إلى يوم القيامة.

---

(١) قال عبد القادر في تعليقه على الجامع ٨/ ٢٢٠: وهو حديث صحيح. ورواه ابن مردويه بمعناه وأخصر منه بإسناد صحيح. وأورده السيوطي في (الدر المنثور) وزاد نسبته إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل اهـ.

وهذا أيضاً مطابق لحال رسول الله ﷺ وشأنه؛ فقد أرسله الله ليضيء الطريق إلى الناس قال سبحانه: ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾ ـ الأحزاب/ ٤٥ ـ .

وأنزل عليه القرآن نوراً يخرج الناس به من الظلمات التي كانوا رقوداً عليها إلى النور. قال تعالىٰ: ﴿ **يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم، وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً** ﴾ ـ النساء/ ١٧٤ ـ.

وقال جل جلاله: ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم واللَّهُ متمُّ نوره ولو كره الكافرون** ﴾ ـ الصف/ ٨ ـ .

١٠ ـ جاء في الفقرة (٧): «لتفتح عيون العمي». وفي الترجمات القديمة: «يفتح العيون العمي ـ أو العور ـ ، ويسمع الآذان الصم، ويحيي القلوب الغلف».

وفي هذا إشارة إلى تكميل مراتب العلم والهدى الحاصلة بدعوته في القلوب والأبصار والأسماع. فإن الهدى يصل إلى الإنسان من هذه الأبواب الثلاثة، فيبصر بالله، ويسمع عن الله، ويعقل عن الله. ومن ثم ينقاد لطاعة الله عقلاً وروحاً وقولاً وعملاً. ولذلك عاب الله على المشركين فقال: ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها* أولئك كالأنعام، بل هم أضل* أولئك هم الغافلون** ﴾ ـ الأعراف/ ١٧٩ ـ

كما أن في الكلام إشارة إلى أن الله عزّ وجلّ يشرح صدر الناس لدينه وهديه، وييسر لهم إجابته وتصديقه، ويؤيده وأمته المخلصة في إزالة العقبات من أمام دعوتهم.

١١ ـ وجاء في الفقرة ذاتها: «لتخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة».

فمما خص الله به هذه الأمة أن رفع عنها الإصر الذي كان على من سبقها من الأمم، والأغلال التي كانت عليهم. وجعل دينها دين يسر وسماحة، ليس فيه عسر أو حرج أو مشقة. بل إنما هو على وفق الفطرة السليمة الصافية، ليواكب استمرارية

الدعوة والبقاء: قال سبحانه في صفة محمد ﷺ: ﴿ **ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** ﴾ ـ الأعراف/١٥٦ ـ.

وقال سبحانه: ﴿ **هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ ـ الحج/٧٨ ـ.

١٢ ـ جاء في الترجمات القديمة: «وما أعطيه لا أعطيه أحداً من العالمين».

وهذا تصريح بأنه أفضل الأنبياء، وأن كتابه أفضل الكتب، وشريعته أفضل الشرائع، وأمته أفضل الأمم وهوَ مطابق لحديث جابر ـ رضي الله عنه ـ السابق: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي..

وقوله: «يأتي من أقصى الأرض ـ وعند القرافي: من أفضل الأرض ـ وتفرح به البرية وسكانها ـ وعند القرافي: تفرح به البراري والقفار وسكانها ـ».

وهذه الصفة لم تكن لغير العرب، ولم يخرج في العرب هادياً سواه ﷺ وقد خرج من مكة، فدل على أن مكة أشرف بقعة في الأرض.

وقوله أيضاً في الترجمات القديمة: «مشفح» ـ بوزن مكرم ـ لفظة عبرانية مطابقة لاسم محمد ﷺ وزناً ومعنى. وهي بين الحاء والهاء. وفتحة الفاء بين الضمة والفتحة. قال ابن قتيبة: وهم يقولون: «شفحاً لاها» أي الحمد لله. وإذا كان الحمْد شفحاً، فمشفح محمد بغير شك اهـ[(١)].

أما قوله: «أثر سلطانه بين كتفيه» وعند القرافي على كتفه، فهو خاتم النبوة الذي رآه الناس عياناً مثل زر الحجلة كما سلف في القسم الثاني. ولم يكن على كتف أحد علامة نبوة إلا محمد ﷺ كما سلف في البشارة الأولى من بشارات إشعياء. فيكون هو المبشر به. لأنه قد صرح باسمه، ووصفه بصفات لا تنطبق إلا عليه. وإذا ضربنا صفحاً عن ذلك، فمن الذي تنطبق عليه وعلى أمته هذه الصفات؟![(٢)].

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٥٤.

(٢) انظر الجواب الصحيح ٣/٢٨١ و ٤/٥ ـ ٦، هداية الحيارىٰ ص ٥٥٠ ـ ٥٥٥ و ص ٥٥٩ و ص ٥٦٤ ـ ٥٦٥، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٥، تحفة الأريب ص ١٣٩.

ما يشهد لهذه البشارة:

عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة[1]؟ فقال: أجل والله، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿ **يا أيها النبي، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً** ﴾ وحرزاً للأميين. أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل. ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق. ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح. ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله. ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً ـ أخرجه البخاري وأحمد والطبري والبيهقي عن ابن سلام وعن عائشة مختصراً ـ.

وقال محمد بن سعد في الطبقات: حدثنا معن بن عيسىٰ: ثنا معاوية بن صالح عن أبي فروة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه سأل كعب الأحبار: كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: نجده محمد بن عبد الله. مولده بمكة، ومهاجره إلى طابة. ويكون ملكه بالشام. ليس بفحاش ولا صخاب بالأسواق. ولا يكافىء السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح.

وقال الدارمي: أخبرنا زيد بن عوف ثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ذكوان أبي صالح عن كعب أنه قال ـ وذكر صفة رسول الله ﷺ في التوراة: محمد ـ أو أحمد ـ عبدي المختار. لافظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ويعفو ويغفر. مولده بكا ـ أي مكة ـ وهجرته طابا، وملكه بالشام. وأمته الحامدون ـ أو الحمادون ـ يحمدون الله على كل خير، ويسبحونه في كل منزلة، ويوضئون أطرافهم، ويأتزرون على أنصافهم، وهم رعاة الشمس. ومؤذنهم في جو السماء. وصفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء. رهبان بالليل، أسد بالنهار، ولهم دوي كدوي النحل. يصلون الصلاة حيث ما أدركتهم، ولو على كناسة.

---

(١) المراد بلفظ التوراة هنا جنس الكتب المتقدمة التي يقرؤها أهل الكتاب أي ما يسمىٰ بالعهد القديم.

نص البشـــارة:

جاء في الباب الثامن والأربعين من سفر إشعياء ما يلي:

٤٢/٩: هو ذا الأوَّليَّات قد أتت. والحديثات أنا مخبر بها، قبل أن تَنبُت أعلمكم بها ـ وفي بعض الترجمات: وأنا مخبر أيضاً بأحداث قبل أن تحدث. وأسمعكم إياها ـ.

١٠ ـ غنوا للرب أغنية جديدة ـ وفي بعض الترجمات: سبحوا للرب تسبيحة جديدة ـ؛ تسبيحة من أقصىٰ الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه، والجزائر وسكانها.

١١ ـ لترفع البرية ومدنها صوتها. الديار التي سكنها قِيدار. لتترنم سكان سالع. من رؤوس الجبال ليهتفوا.

١٢ ـ ليعطوا الرب مجداً، ويخبرون بتسبيحه في الجزائر ـ وفي بعض الترجمات: يجعلون للرب كرامة. وحمده يخبرون به في الجزائر ـ.

وفي الترجمات القديمة: ستمتلىء البادية والمدن من أولاد قيدار يسبحون، من رؤوس الجبال ينادون. هم الذين يجعلون لله الكرامة، ويسبحونه في البر والبحر [١].

وفي النص القديم في البشارة السابقة[٢]: يَحمد اللَّهَ حمداً جديداً،

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٢٨، هداية الحيارىٰ ص ٤٤٩.

(٢) كما نقله ابن تيمية وابن القيم والقرافي.

وتفرح به البرية وسكانها. يهللون الله علىٰ كل شرف. ويكبرونه على كل رابية.

١٣ ـ الرب كالجبار يخرج، كرجل حروب يُنهض غَيْرَته، يهتف ويصرخ، ويقوىٰ على أعدائه.

توضيح البشارة وتحليلها:

بعد أن أخبر إشعياء قومه بأمور حدثت، نبههم إلى أنه سيحدثهم عن أمور تحدث في المستقبل. وذلك ليصغوا إليه ويحفظوا ما يقول. والمراد بالتسبيحة الجديدة الواردة في الفقرة العاشرة: العبادة على النهج الجديد الذي ستأتي به شريعة النبي المبشَّر به. فلنحلل النص لنرىٰ من هو؟

١ ـ جاء في الفقر الحادية عشرة: «لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قِيدار».

وفي هذا إشارة إلى بلاد العرب. فهي الديار التي سكنها قيدار بن إسماعيل باتفاق الأمم ـ كما سلف في البشارة الثانية من بشارات إشعياء ـ وربيعة ومضر الذين سكنوا في الجزيرة العربية من ولد قيدار كما هو معروف. ولم يظهر نبي من جزيرة العرب بعد هذه البشارة سوى محمد بن عبد الله ﷺ وهو من مضر. فهو من أولاد قِيدار بن إسماعيل ـ عليه السلام ـ وهو المبشر به[1].

٢ ـ وجاء في الفقرة ذاتها: «لتترنم سكان سالع».

وفي هذا إشارة إلى المدينة المنورة وسكانها الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ الذين هاجر إليهم رسول الله ﷺ فاحتضنوه وفرحوا به. لأن (سالع) هو جبل سَلْع ـ بفتح السين وسكون اللام ـ الذي يقع في الجانب الغربي للمدينة المنورة، قرب المسجد النبوي. يمر بأحد جانبيه شارع السيح، وبالآخر شارع سلطانة. ولا يزال اسمه كذلك إلى اليوم. ويظهر ـ والله أعلم ـ أن الألف حصلت من إشباع الفتحة. وخص المدينة بالذكر. لأنها دار هجرة النبي المبشر به ومستقره.

(١) الجواب ٣/٣٢٨، هداية الحيارىٰ ص ٥٤٠، إظهار الحق ٢/٢٦٢.

إذاً. فالتسبيحة الجديدة هي العبادة على النهج الجديد الذي أتت به الشريعة المحمدية. ومن ذلك الصلوات الخمس المشتملة على التسبيح وغيره، والحج المشتمل على التلبية والتكبير والتهليل وغير ذلك، وسائر ما شرع لهذه الأمة من العبادات.

قال تعالىٰ: ﴿ **فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون** ﴾ - الروم/١٧ - ١٨ -.

وقال سبحانه: ﴿**وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن الليل فسبحه وأدبار السجود**﴾ - ق/ ٣٩ - ٤٠ -.

٣ - جاء في الفقرة العاشرة: «تسبيحة من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه، والجزائر وسكانها».

وفي بعض الترجمات: من أقاصي الأرض، راكبين في البحر وملؤه. والجزائر وسكانها.

وهذا إشارة إلى مجيء الحجاج والمعتمرين من الأمكنة البعيدة، كما هي الحال الآن، حيث يأتي ملايين المسلمين لأداء الحج أو العمرة براً وبحراً وجواً. كما أن فيه إشارة إلى عموم رسالته.

قال سبحانه: ﴿**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر، يأتين من كل فج عميق**﴾ - الحج: ٢٧ - .

٤ - جاء في الفقرة الحادية عشرة: «لترفع البرية ومدنها صوتها. . من رؤوس الجبال ليهتفوا».

وفي هذا إشارة إلى العبادة المخصوصة التي تؤدىٰ في الحج والعمرة، حيث يرفع الناس أصواتهم بالتلبية: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». ومن المعلوم أنه تسن التلبية كلما صعدوا مرتفعاً، أو هبطوا وادياً، أو التقوا بركب، أو انعطفوا في طريق. ويستحب في ذلك رفع الصوت من غير إفراط. ومن المعلوم أيضاً أن الحجاج

يقفون في عرفة، ويبيتون في مِنىٰ ليالي وأياماً. ومنى كلها جبال ووديان.

والمسلمون أيضاً يكبرون الله بأصوات مرتفعة في عيديهم الفطر والنحر قبل صلاة العيد وفي خطبتها. وفي أيام منى يكبر الحجاج وسائر أهل الأمصار عقيب الصلوات المفروضة. كما يكبرون الله على هديهم، ويكبر سائر المسلمين على أضاحيهم.

وهذا مصداق ما جاء في الترجمات القديمة: «يحمد الله حمداً جديداً، وتفرح به البرية وسكانها. يهللون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية».

فهذه البشارة تقتضي عبادة الله على كل رابية وشرف. وهو من خصائص هذه الأمة، فإن الأمم التي قبلها لا يصلون إلا في بيعهم وكنائسهم. وهذه الأمة حيث أدركتها الصلاة أذنت وصلت وسبحت وهللت، براً وبحراً. لأن الأرض كلها قد جعلت لها مسجداً وطهوراً. ويتجلى ذلك في الأذان.

وصفوة القول: إن هذا الامتلاء والتسبيح في البر والبحر وعلى كل رابية وشرف لم يحصل إلا بمبعث محمد ﷺ فيكون هو النبي المبشر به، وتكون أمته هي الأمة الموعود بها[1].

٥ ـ جاء في الفقرة الثانية عشرة: «ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر» وفي بعض الترجمات: «يجعلون للرب كرامة، وحمده يخبرون به في الجزائر».

وهذا إشارة إلى توحيد الله وإفراده بالألوهية والربوبية، ونشر دينه والدعوة إليه في جميع أنحاء الأرض. والمسلمون هم الذين أظهروا أن العزة والكرامة والمجد جميعاً لله وحده، ولا سيما في جزيرة العرب حيث حطموا الأصنام والأوثان وأخزوا عابديها، فلم يبق أثر للشرك فيها. وكذلك أخزوا عابدي النار

(١) الجواب الصحيح ٣٢٨/٣، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٥، إظهار الحق ٢٦٢/٢.

وعابدي الصليب والصور، فزالت دولة كسرى نهائياً، وزالت حكومة الروم من الشام مطلقاً. أما في سائر الأقاليم، فقد انمحىٰ أثر الشرك من بعضها مطلقاً كبخارى وكابل وغيرهما، وقلّ من بعضها كالهند والسند وغيرها. وهكذا انتشر التوحيد شرقاً وغرباً. وكانت الكرامة كلها لله وحده[1].

٦ ـ جاء في الجملة الثالثة عشرة: «الرب كالجبار يخرج. كرجل حروب يُنهض غيرته. يهتف ويصرخ، ويقوىٰ على أعدائه».

وهذا إشارة إلى مضمون الجهاد. فجهاد النبي المبشر به ومن تبعه يكون خالصاً لإعلاء كلمة الله وبأمره، مجرداً عن الحظوظ النفسية والأغراض الدنيوية. ولذلك عبر عن خروج هذا النبي للجهاد مع أتباعه بخروج الله. ولفظ الجبار يشير إلى قوته وقهره لأعدائه. ومحمد ﷺ كان نبي الرحمة ونبي الملحمة. وكذلك أصحابه وسائر أمته من بعده[2].

وقوله: «يهتف ويصرخ» إشارة إلى التكبير عند بدء القتال وفي أثنائه وبعده. وهكذا كان المسلمون يقاتلون لله ويكبرونه عند لقائهم العدو، وقد اشتهروا بالتكبير. فهم جند الله، يقاتل بهم أعداءه، وينصرهم عليهم. وهذا هو معنى: «ويقوى على أعدائه».

ما يشهد لهذه البشارة:

١ ـ جاء في مزامير داود: «لترتاح البوادي وقراها، ولتصير أرض قِيدار مروجاً. ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بمحامد الرب، ويذيعوا تسبيحه في الجزائر».

فمن أهل البوادي من الأمم سوى أمة محمد ﷺ؟ ومن قيدار غير ولد إسماعيل جد رسول الله ﷺ؟ ومن سكان الكهوف وقلل الجبال سوى العرب؟

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٢٧، هداية الحيارىٰ ص ٤٥٠، إظهار الحق ٢/٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٢) إظهار الحق ٢/٢٦٢، وانظر هذه البشارة أيضاً في قصص الأنبياء للنجار ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨، ومحمد رسول الله لبشرى ص ٧٧.

فهذا تنصيص على محمد وأمته وأرضه[1].

٢ ـ وقال إشعياء: وشهد الله لهذه الأمة بالصلاح والديانة. سأرفع علماً لأهل الأرض بعيداً ـ وفي بعض الترجمات القديمة: لجميع الأمم من بعيد ـ فيصفر لهم من أقاصي الأرض، فيأتون سراعاً.

فالعلم الذي يرفع: هو النبوة. والصفير: هو الدعاء إلى حج بيت الله ومشاعره المقدسة، فيأتي الناس ملبين الأمر مطيعين لله من أقاصي الأرض، كما في الآية: **﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾**[2].

٣ ـ أخرج أبو نعيم في الحلية[3] عن سعيد بن أبي هلال أن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال لكعب الأحبار: أخبرني عن صفة محمد ﷺ وأمته؟ قال: أجدهم في كتاب الله تعالى: **(إن أحمد وأمته حمادون يحمدون الله عزّ وجلّ على كل خير وشر. يكبرون الله على كل شرف، ويسبحون الله في كل منزل. نداؤهم في جو السماء، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل على الصخر. يصفون في الصلاة كصفوف الملائكة، ويُصفُّون في القتال كصفوفهم في الصلاة. إذا غزوا في سبيل الله كانت الملائكة بين أيديهم ومن خلفهم برماح شداد. إذا حضروا الصف في سبيل الله كان الله عليهم مظلاً ـ وأشار بيده ـ كما تظل النسور على وكورها. لا يتأخرون زحفاً أبداً)**.

وأخرجه أيضاً بإسناد آخر عن كعب بنحوه، وفيه: وأمته الحمادون يحمدون الله على كل حال، ويكبرونه على كل شرف. رعاة الشمس. يصلون الصلوات الخمس لوقتهن، ولو على كناسة، يأتزرون على أوساطهم، ويوضئون أطرافهم.

---

(١) الجواب ٣/٣٢٢، الهداية ص ٥٤٧، الأجوبة الفاخرة ص ١٧١.
(٢) الجواب ٣/٣٢٧ ـ ٣٢٨، الهداية ص ٤٤٩ ـ ٤٥٠.
(٣) ٢/٣٢٦، انظر حياة الصحابة ١/١١ ـ ١٢.

٧ ـ إشعياء يتكلم باسم محمّد ﷺ

نص البشـــارة:

جاء في الباب التاسع والأربعين من سفر إشعياء ما يلي:

٤٩/١: اسمعي أيتها الجزائر، واصغَوا أيها الأمم من بعيد. الرب من البطن دعاني. من أحشاء أمي ذكر اسمي.

٢ ـ وجعل فمي كسيف حاد. في ظل يده خبأني وجعلني سهماً مبرياً. في كنانته أخفاني.

٣ ـ وقال لي: أنت عبدي [إسرائيل] الذي به أتمجد.

٦ ـ فقال: قليل أن تكون لي عبداً، لإقامة أسباط يعقوب، ورد محفوظي إسرائيل. فقد جعلتك نوراً للأمم، لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض.

٧ ـ هكذا قال الرب فادي إسرائيل قدوسه للمهان النفس لمكروه الأُمَّة لعبد المتسلطين. ينظر ملوك فيقومون، رؤساء فيسجدون. لأجل الربِّ الذي هو أمينٌ وقدوسِ إسرائيل الذي قد اختاركَ.

٨ ـ هكذا قال الرب: في وقت القبول استجبتك، وفي يوم الخلاص أعنتك. فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب، لإقامة الأرض لتمليك أملاك البراري.

٩ ـ قائلاً للأسرى: اخرجوا. للذين في الظلام: اظهروا. على الطريق يَرعَوْن. وفي كل الهضاب مرعاهم.

ونقل القرافي[1] النص عن الترجمات في زمنه كما يلي: «افهمي أيتها الأمم أن الرب أهاب من بعيد، وذكر اسمي وأنا في الرحم، وجعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن، وخاصني بِظلّ يمينه، وجعلني كالسهم المختار من كنانته، وحزنني لمسرة، وقال لي: أنت عبدي. فصرفي وعدلي حق قدام الرب، وأعمالي بين يدي إلهي. فصرتُ محمداً عبد الرب، وبإلهي حولي وقوتي.».

توضيح البشارة وتحليلها:

في هذا النص إشارات قوية إلى خاتم الأنبياء ﷺ منها ما يلي:

١ ـ جاء في الفقرة الأولىٰ: «اسمعي أيتها الجزائر، واصغَوا أيها الأمم من بعيد».

وفي هذا إشارة إلى أن رسالته عامة. لأنه خاطب جميع البُلدان والأمم حتى البعيدة منها. ولم يكن أحد من الأنبياء قد بعث للناس عامة إلا محمداً ﷺ

وقوله «من بعيد» وفي الترجمات القديمة: «أن الرب أهاب من بعيد» إشارة إلى أن النبي المبشر به لن يبعث من بني إسرائيل الذين كان الله قد جعل فيهم النبوة والكتاب. بل من غيرهم. وفي هذا إيماء إلى بركة إسماعيل، وإلى التسبيحة الجديدة من أقصى الأرض كما سلف.

٢ ـ جاء في الفقرة الثانية: «وجعل فمي كسيف حاد».

وهذه إشارة إلى عظيم فصاحة لسانه حتى صار كالسيف الصارم. ولم يؤت أحد من الأنبياء جوامع الكلم إلا خاتمهم ﷺ فضلاً عن القرآن.

٣ ـ وجاء فيها أيضاً: «في ظل يده خبأني، وجعلني سهماً مبرياً، في كنانته

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٣.

أخفاني» وفي الترجمات القديمة: «وجعلني كالسهم المختار من كنانته».

وفي هـذا إشارة إلى أنـه خير الـرسـل وأعـظمهم شـأنـاً. وكـذلـك كـان محمد ﷺ.

٤ ـ جاء في الفقرة الثالثة: «وقـال لي: أنت عبدي الـذي به أتمجـد» وفي الترجمات القديمة: «أنت عبدي».

ومحمـد ﷺ عبد الله ورسـوله كـما ذكر القـرآن في آيـات كثيـرة سبق ذكـر بعضها. وقد مجده الله سبحانه ورفع له ذكره، وباهى به وبأمته بني إسرائيل.

أمـا كلمة (إسـرائيل) الـواردة في هذه الفقـرة، فالـظاهر أنها من إضـافـة اليهـود، ليجعلوا النص بشارة بنبيهم المنتـظر. ولكن هيهـات. فـإن النص فيـه خطاب لمن سيأتي. وإسرائيل ـ عليـه السلام ـ كـان قد مـات وانتهى. وفيه أيضـاً خـطاب لجميـع الأمم والبلدان، وطلب لإصغـائهـا واهتمـامهـا بمـا سيـأتي. وإسرائيل ـ عليه السلام ـ لم يكن رسولاً للعالمين. بل رسالته خاصة.

ولا شـك أن النص قد لعب بـه كل من اليهـود والنصارى لجعله ينـطبق عـلى ما قـرره كل منهم. مـع أنه لا ينـطبق أيضاً عـلى المسيح بن مـريم ـ عليـه السلام ـ لأنه في زعـم النصارى إله حق من إله حق. وهنا يخاطبه بالعبودية.

٥ ـ جاء في الفقرة السادسة: «فقد جعلتك نوراً للأمم، لتكـون خلاصي إلى أقصى الأرض». وفي التـرجمات القـديمـة: «حـزنني لمسـرة، وقـال لي: أنت عبدي، فصرفي وعدلي حق قدام الرب، وأعمالي بين يدي إلهي».

وفي هـذا إشارة إلى أن شـريعته أعـظم الشـرائـع. وقـد حـازت من درء المفاسد وجلب المصالح ما لم تحزه شريعة من قبل. والحكمة الإلهيـة قد ظهـرت في شريعة محمد ﷺ حتى أشاد بها أساطين علماء القانون في عصرنا هذا.

وقوله في أول الفقـرة: «لإقامـة أسباط يعقـوب، ورد محفوظي إسـرائيل» إشارة إلى أن خلاص بني إسرائيل وحفظهم إنما يكون باتباع شريعة هذا النبي.

٦ ـ جاء في الفقرة السابعة: «هكذا قال الرب للمهان النفس لمكروه الأمة لعبد المتسلطين».

وفي هذا إشارة إلى أن النبي المبشر به سيكون من أمة كانت محتقرة في أعين بني إسرائيل، ألا وهم بنو إسماعيل أبناء الأَمَة هاجر.

٧ ـ وجاء فيها أيضاً: «ينظر ملوك فيقومون، رؤوساء فيسجدون».

وهذا إخبار عن احترام الملوك والعظماء له ولشرعه. وقد حدث هذا لخاتم الأنبياء محمد ﷺ فقد بكى النجاشي لما سمع القرآن الذي أنزل عليه ثم أسلم. وراسل النبي ﷺ الملوك والعظماء، فمنهم من دخل في دينه، ومنهم من رد رداً جميلاً وأرسل بهدايا، حتى إن هرقل ملك الروم قال: ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ـ كما سيأتي في آخر الكتاب ـ أما كسرى ملك الفرس، فقد مزق الرسالة، فلما بلغ الخبر رسول الله ﷺ دعا عليه فقال: مزق الله ملكه. فكانت مملكة فارس أسرع سقوطاً من مملكة الروم. بل قضي عليها نهائياً. بعكس مملكة الروم فإنها زالت عن بلاد الشام. لكنها بقيت في القسطنطينية إلى أن فتحها محمد الثاني رحمه الله.

٨ ـ جاء في الفقرة الثامنة: «في وقت القبول استجبتك، وفي يوم الخلاص أعنتك. فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب».

وفي هذا إشارة إلى إجابة دعائه وتأييده من قبل ربه بالنصر والرعاية والحفظ. وكذلك كان رسول الله ﷺ محفوظاً بحفظ الله له مؤيداً بنصره مجاب الدعاء كما سلف في البشارات السابقة.

٩ ـ جاء في الفقرة التاسعة: «قائلاً للأسرى اخرجوا، للذين في الظلام اظهروا».

وهذا إشارة إلى وضع الإصر والأغلال التي كانت على بني إسرائيل كما جاء في البشارة الخامسة من بشارات إشعياء ٤٢/٧، لأن في دين هذا النبي فسحة، وقد بُعث بحنيفية سمحة.

١٠ ـ جاء في الترجمة القديمة «فصرت محمداً عبد الرب، وبإلهي حولي وقوتي».

فصرح باسمه ولم يعجم بعد أن أعرب عنه بصفاته. وكان مما علمه لأمته ﷺ الإكثار من قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

إشعياء يصرح باسم محمد ﷺ:

١ ـ نقل ابن تيمية وابن القيم(٢) عن الترجمات في زمانهما أنه جاء في سفر إشعياء ما يلي: «أمرك يا محمد بالحمد. يا قدوس الرب. اسمك موجود من الأبد».

وفيما نقله القرافي(٣): «إني جعلت اسمك محمداً يا قدوس الرب..».

فقوله: «يا قدوس الرب» معناه: يا من طهره الرب وخلصه من الشوائب واصطفاه.

وقوله: «اسمك موجود من الأبد» مطابق لقول داود في المزامير: «اسمك موجود قبل الشمس»(٤).

٢ ـ ونقلا أيضاً أن الله قال لإشعياء: «اشكر حبيبي وابني محمداً. وعند القرافي: أحمد ـ (٥)

فسماه الله حبيباً وسماه ابناً، وأمر إشعياء بشكره. فوجب عليه وعلى قومه إجلاله(٦).

٣ ـ ونقلوا أيضاً: «إنا سمعنا من أطراف الأرض ـ وعند القرافي: من

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) الجواب الصحيح ٣/٣٢٦ ـ ٣٢٧، هداية الحيارىٰ ص ٥٤٩.

(٣) الأجوبة ص ١٧٦.

(٤) الجواب والهداية الصفحات ذاتها.

(٥) الجواب ٣/٣٢٩ ـ ٣٣٠، هداية الحيارىٰ ص ٥٥٦، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٧.

(٦) المصادر السابقة.

أطراف الجبال ـ صوت محمد»[1] وهذا إفصاح باسمه ومكانه.

٤ ـ ونقل القرافي أيضاً عن سفر إشعياء[2]: «أنا الرب لا إله غيري أنا الذي لا تخفى عليه خافية. بل أخبر العباد ما لم يكن قبل أن يكون، وأكشف لهم الحادث والغيوب، وأتم مشيئتي كلها. إني سأدعو طائراً من البدو واجداً الشاسع».

فالطائر هو محمد ﷺ لأنه من البدو حيث المكان الشاسع عن إقليم إسرائيل الضيق.

(١) الجواب ٣/ ٣٣٠، الهداية ص ٥٥٦، الأجوبة ص ١٧٧

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٨٢

٨ ـ إشعياء يصف الكعبة

نص البشـارة:

جاء في الباب التاسع والأربعين من سفر إشعياء ما يلي:

٤٥/١٨: ارفعي عينيـك حواليـك وانظري. كلهم قـد اجتمعـوا، أتـوا إليـك. حي أنـا، يقـول الـرب: إنـك تَلْبَسـين كلَّهم كحـلي، وتتنـطقـين بهم كعروس.

١٩ ـ إن خِرَبك وبراريك وأرض خرابك، إنك تكونـين الآن ضيقة عـلى السكان، ويتباعد مبتلعوك.

٢٠ ـ يقـول أيضـاً في أذنيـك بنـو ثكلك: ضيّقٌ عـلي المكـان، وسِّعي لي لأسكن.

٢١ ـ فتقـولين في قلبـك: من وَلَـد لي هؤلاء، وأنـا ثكـلىٰ وعـاقـر منفيـة ومطرودة؟ وهؤلاء من رباهم؟

ها أنذا كنت متروكة وحدي. هؤلاء أين كانوا؟

٢٢ ـ هكـذا قـال السيـد الـرب: هـا إني أرفـع إلى الأمم يـدي، وإلى الشعـوب أقيم رايتي، فيأتـون بـأولادك في الأحضـان، وبنـاتُـك عـلى الأكتـاف يحملن.

٢٣ ـ ويكـون الملوك حاضنيـك، وسيداتهم مـرضعـاتـك. بـالـوجـوه إلى الأرض يسجدون لك، ويلحسون غبار رجليك، فتعلمين أني أنـا الرب الـذي لا يخزىٰ منتظروه.

٢٤ ـ هل تُسلب من الجبار غنيمة؟ وهل يُفلِت سبيُ المنصور؟

٢٥ ـ فإنه هكذا قال الرب: حتى سبيُ الجبار يُسلب، وغنيمة العاتي تُفلت، وأنا أخاصم مخاصمك، وأخلص أولادك.

ونقل ابن تيمية هذا النص عن الترجمات في زمنه كما يلي[1]: «أنا رسمتك على كفي، وسيأتيك أولادك سراعاً، ويخرج عنك من أراد أن يخيفك ويخزيك. فارفعي بصرك إلى ما حولك، فإنهم سيأتونك، ويجتمعون إليك. فتسمي باسمي، إني أنا الحي، لتلبسي الحلل، وتزيني بالإكليل مثل العروس. ولتضيقن خراباتك من كثرة سكانك والداعين فيك. وليهابنَّ كلُّ من يناويك، وليكثرن أولادك، حتى تقولي: من رزق هؤلاء كلهم، وأنا وحيدة فريدة؟ فمن ربىٰ لي هؤلاء؟ ومن تكفل ليّ بهم؟

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٢٩.

توضيح البشارة وتحليلها:

هـذا إيضاح من إشعيـاء لحال الكعبـة في زمنه، وبشـارة بما ستؤول إليـه بعده:

١ ـ فمكـة هي التي يـأتي إليهـا النـاس، ويجتمعـون حـول الكعبـة فيهـا ويطوفون حولها، ويحيـطون بها إحـاطة السـوار بالمعصم، فَتَلْبسهم كلهم كـأنهم حلي في يد المرأة، أو نطاق حول العروس.

وأقسم بربي أني طُفت بالكعبة كثيراً، لكني لم أستطع وصفها، ولم أسمـع أحداً وصفها بمثل هذه الصورة البديعة التي يعجز عنها من رآها.

أمـا قولـه في الترجمـات القديمـة: «لتلبسي الحلل، وتُزيني بـالإكليل مثـل العروس» فالكعبة هي التي تكسىٰ بحلل الديباج الفاخرة، ويحيط بها إكليـل من الناس وإكليل من الزينة.

٢ ـ جـاء في الفقـرة التـاسعـة عشـرة: «إن خِـرَبـك وبـراريـك وأرض خرابك، ؛ إنك تكونين الآن ضيقة على السكان».

وفي الفقـرة العشرين: «يقـول بنـو ثكلك: ضيق عـليَّ المكـان وسعي لي لأسكن».

وفي الترجمات القديمة: «ولتضيقن خراباتـك من كثرة سكـانك والـداعين فيك».

ومكـة هي التي بـارك الله لهـا الأولاد من حجـاج ومعتمـرين وداعـين ومقيمين. ولم تزل عامرة محجوجة حتى إن المشاعر المقدسة لتغص بالحجيج يـوم عرفة وأيام منى. بل إن الناس ليحارون كيف يبيتون في منى وليس ثمة مكـان، فيضطر بعضهم إلىٰ قضاء سويعات من الليل فيها تحقيقاً للمبيت، ويقولـون لمن سبقهم: وسّع لي لأجلس، فضلاً عن أن يقولوا: وسع لي لأسكن.

٣ ـ جـاء في الفقرة الحـادية والعشـرين: «فتقولـين في قلبك: من ولـد لي

هؤلاء وأنا ثكلى وعاقر منفية ومطرودة؟ وهؤلاء من رباهم؟ ها أنذا كنت متروكة وحدي هؤلاء أين كانوا؟.

مبيت الحجاج في منى

لم تزل الكعبة مقصودة تزار من لدن إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى يومنا هذا. لكنها مرت بفترة طويلة قبل بعثة محمد ﷺ لم تأخذ حقها من الاحترام والتعظيم الحقيقين، فقد وضعت فيها الأصنام، وعبد فيها غير الله. ولم يكن لها ذكر إلا بين العرب. وببعثة محمد ﷺ كثر أولادها الذين يحجونها أو يستقبلونها في صلاتهم حتى صاروا أضعاف أضعاف أولاد بيت المقدس.

٤ ـ جاء في الفقرة الثانية والعشرين: «ها إني أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم يدي، فيأتون..».

والمراد بذلك النبوة والأذان في الناس بالحج. فمنذ أن منّ الله على الناس ببعثة محمد ﷺ وعدد الحجيج والمعتمرين في ازدياد مستمر، حتى إن الواقفين بعرفة ليجاوزون ثلاثة ملايين في بعض الأعوام.

٥ ـ جاء في الفقرة الثالثة والعشرين: «ويكون الملوك حاضنيك، وسيداتهم مرضعاتك. بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك، ويلحسون غبار رجليك».

والكعبة هي التي وكل الله بخدمتها الخلفاء والملوك، ولا سيما وقت غسلها وإلباسها الكسوة، حيث يتسابق العظماء إلى سكب الماء على أرضها ثم سلته. وبعد ذلك يطوفون حولها سبعة أشواط، ثم يصلون ركعتين مستقبليها وواضعين جباههم وأنوفهم سجوداً لله في سفحها.

٦ ـ جاء في الفقرة الخامسة والعشرين: «وأنا أخاصم مخاصمك، وأخلص أولادك». وفي الترجمات القديمة: «وليهابن كل من يناويك».

وهذا مطابق لقوله تعالىٰ: ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ ـ الحج/٢٥ ـ.

وقوله سبحانه: ﴿ **أو لم نمكن لهم حرماً آمناً، ويتخطف الناس من حولهم؟** ﴾ ـ القصص/٥٧ ـ.

أما قوله في الترجمات القديمة: «فتسمى باسمي» فالمراد تسميتها ببيت الله الحرام ونحو ذلك[1].

وأهل الكتاب يحرفون النص مبنى ومعنى، ويقولون: إن المراد بذلك القدس. مع أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن تنطبق هذه الأوصاف على بيت المقدس كما هو واضح لكل ذي لب فانظر البشارة التالية.

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٢٩.

٩ ـ إشعياء يثني على مكة

نص البشـارة:

جاء في الباب الرابع والخمسين من سفر إشعياء ما يلي:

١/٥٤: تـرنمي أيتها العـاقـر التي لم تلد، أشيـدي بـالتـرنم أيتهـا التي لم تمخض، لأن بني المستـوحشة أكـثر من بني ذات البعل. قـال الرب ـ وفي بعض الترجمات: انشدي بالحمد وهللي.

٢ ـ أوسعي مكان خيمتك، ولتبسط شقق مسـاكنك. لا تمسكي، أطيـلي أطنابك، وشددي أوتادك.

٣ ـ لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أمماً، ويعمر مدنـاً خربة.

ونقـل ابن تيميـة وابن القيم والقـرافي عن التـرجمـات في أزمـانهم هـذه الفقرات كما يلي[١]: «سري واهتزي أيتها العاقر التي لم تلد، وانطقي بالتسبيح وافرحي. إذ لم تحبلي. فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي».

ونقلها القرافي أيضاً عن ترجمات أخرى كما يلي[٢]: «لقد زاد ولد الفـارغة المجفوة على ولد المشغولة المحظيـة. قال لهـا الرب: أوسعي مـواضع جنـاحك،

(١) الجواب الصحيح ٣٢٧/٣، هداية الحيارى ص ٥٤٨، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٦.
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٤.

ومدي وطولي أطنابك، واستوثقي من أوتادك، فإنك ستنبسطين وتنتشرين في الأرض يميناً وشمالاً، وترث ذريتك الأمم، ويسكنون القرى المعطلة البنيان».

٤ ـ لا تخافي، لأنك لا تَخْزين. ولا تخجلي لأنك لا تستحين، فإنك تنسين خزي صباك، وعار ترملك لا تذكرينه بعد.

٥ ـ لأن بعلك هو صانعك، ربُّ الجنود اسمه، ووليك قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يدعىٰ.

٦ ـ ٧: لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب، وكزوجة الصبا إذا رُذِلَت. قال إلهك: لحيظة تركتك، وبمراحم عظيمة سأجمعك.

٨ ـ ٩: بفيضان الغضب حجبت وجهي عنك لحظة. وبإحسان أبدي أرحمك. قال وليك الرب: لأنه كمياه نوح هذه لي. كما حلفت أن لا تعبُر بعد مياه نوح على الأرض. هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك.

١٠ ـ فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع. أما إحساني فلا يزول عنك. وعهد سلامي لا يتزعزع. قال راحمك الرب.

١١ ـ أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية، ها أنا أبني بالإثمِد حجارتك. وبالياقوت الأزرق أؤسسك.

١٢ ـ وأجعل شُرَفك ياقوتاً، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكلَّ تخومك حجارة كريمة.

١٣ ـ وكلَّ بنيك تلاميذَ الرب، وسلامَ بنيك كثيراً.

١٤ ـ وبالبر تثبتين، بعيدة عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك.

١٥ ـ ها إنهم مجتمعون اجتماعاً ليس من عندي. من اجتمع عليك فإليك يسقط.

١٦ ـ ها أنذا قد خلقت الحداد الذي ينفخ الفحم في النار، ويخرج آلة

لعمله. وأنا خلقت المهلك ليَخرب.

١٧ ـ كل آلة صُورت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب وبِرهم من عندي. يقول الرب.

ونقل ابن القيم هذه الفقرات كما يلي[1]: «يا مسكينة يا مضطهدة، ها أنذا بانٍ بالحسن حجارتك.. وتبعدين من الظلم فلا تخافي، ومن الضعف فلا تضعفي. وكل سلاح يصنعه صانع فلا يعمل فيك. وكل لسان ولغة تقوم معك بالخصومة تفلحين معها. ويسميك الله اسماً جديداً».

ونقلها القرافي كما يلي[2]: «أيتها المتعلقة في الهموم، إني جاعل فخرك بكوراً، وموثق أساسك بالحجر الأسمىٰ، ومزين حيطانك باللازورد، ومزخرف خدودك بالأحجار النفيسة. وأعم أبناءَك بالسلم، وأزينك بالصلاح والبر، وأبعد عنك الأذى والمكاره، وأجعلك آمنة. ومن انبعثَ إليَّ، فإليك قصده، وفيك حلوله. وتصيرين ملجأ لقاصديك وسكانك».

توضيح البشارة وتحليلها:

١ ـ المراد بالعاقر مكة المكرمة. لأنه لم يظهر فيها نبي بعد إسماعيل ـ عليه السلام ـ إلى زمن إشعياء، ولم ينزل فيها وحي. وأول نبي ظهر فيها بعد إسماعيل هو محمد ﷺ قال سبحانه: ﴿ **لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم، فهم غافلون** ﴾ ـ يسٓ/٦ ـ.

وقال تعالىٰ: ﴿ **لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون** ﴾ ـ القصص/٤٦ ـ.

فسميت عاقراً، لأنها لم تلد بعد إسماعيل وقبل محمد ﷺ نبياً. بخلاف بيت المقدس، فإنه بيت الأنبياء ومعدِن الوحي.

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٤٨.

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٣.

ولا يجوز أن يراد بالعاقر القدس كما يدعي أهل الكتاب. لأنه ظهر فيها أنبياء كثيرون، وكثر فيها نزول الوحي، فلم تزل تلك البقعة ولادة[1].

٢ ـ جاء في الفقرة الأولىٰ: «لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل». وفي بعض الترجمات: «من أجل أن الكثيرين من بني الوحشة أفضل من بني ذات رجل».

وبنو المستوحشة هم أولاد هاجر. لأنها كانت بمنزلة المطلقة أو المهجورة. فقد خرجت من بيت إبراهيم ـ عليه السلام ـ وسكنت مع طفلها في البر بوادٍ غير ذي زرع. وقد ورد في سفر التكوين ١٦/١٢ في بشارة هاجر بإسماعيل: «وولدك يكون وحش الناس». أما بنو ذات البعل فهم أولاد سارة.

وقوله: «لأن بني المستوحشةِ أكثر من بني ذات البعل» فالمراد أهل الحق من الجميع دون أهل الضلال. فيخرجٍ أهل التثليث واليهود، ويبقىٰ من كان على حقيقة التوراة. وهم قليلون جداً بالنسبة إلى المسلمين أما قوله في بعض الترجمات: من أجل أن الكثيرين من بني الوحشة أفضل من بني ذات رجل» فالمراد به أن الكثيرين من أولاد هاجر يصيرون أفضل من أولاد سارة. فحصلت الفضيلة لها بسبب حصولها لأولادها. ولذلك خاطب مكة آمراً إياها بالتسبيح والتهليل والإنشاد بالحمد.

وقوله في الترجمات القديمة: «فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي» أي إن أهل مكة يكونون أكثر من أهل بيت المقدس.

ووفى الله بما وعد، فبعث من أولاد هاجر من العرب محمداً ﷺ وهو من قبيلة قريش التي كانت تسكن مكة المكرمة. وأرسله إلى العالمين، وجعله أفضل النبيين وخاتمهم[2].

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٢٧، هداية الحيارىٰ ص ٥٨٤، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٦، إظهار الحق ٢/٢٦٤.

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٦، إظهار الحق ٢/٢٦٤ ـ ٢٦٦.

٣ ـ جاء في الفقرة الثانية: «أوسعي مكان خيمتك..».

وقد حصل لمكة من السعة بسبب دعوة هذا النبي ﷺ ما لم يحصل لغيرها من أماكن العبادة في الدنيا منذ ظهور الإسلام إلى هذا الحين. والتعظيم الذي يحصل من ذبح الهدي كل عام من مدة أربعمائة سنة وألف لم يحصل مثله لبيت المقدس إلا مرتين، مرة في عهد سليمان ـ عليه السلام ـ لما فرغ من بنائه، ومرة في عهد يوشيا في السنة الثامنة عشرة من حكمه. وسيبقى هذا التعظيم لمكة إلى آخر الدهر إن شاء الله.

٤ ـ جاء في الفقرة الثالثة: «لأنك تمتدين.. ويرث نسلك أمماً ويعمر مدناً».

أي إن أبناءك أولاد إسماعيل الذين عاشوا فيك سيملكون الأمم، ويمتدون شرقاً وغرباً، ويعمرون المدن. وقد حدث هذا عندما خرج العرب برسالة الإسلام، فورثوا الأمم وعمروا المدن في مدة قليلة لا تتجاوز اثنين وعشرين عاماً بعد الهجرة. ومثل هذه الفتوحات المبنية على العدل والرحمة في هذه المدة القليلة لم يُسمع بها من عهد آدم ـ عليه السلام ـ إلى يومنا هذا. وبخاصة اعتناق الأمم لهذا الدين الجديد، حتى إن حرصهم على الدعوة إليه ليس بأقل من حرص العرب. بل ربما فاق حرص العرب في بعض الأحيان. وذلك لأنهم اندمجوا سوية وأصبحوا إخوة متحابين في الله.

٥ ـ جاء في الفقرة الرابعة: «لا تخافي لأنك لا تخزين..».

وهذا إشارة إلى أن هذا التعظيم لمكة سيبقىٰ إن شاء الله إلى آخر الدهر.

٦ ـ جاء في الفقرة الخامسة: «لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه» وفي بعض الترجمات: «فإنه يتولىٰ عليك الذي صنعك، رب الجنود اسمه».

وفي هذا إشارة إلى أن الله سبحانه سيتولى حمايتها كما هو ظاهر في الفقرات الآتية.

أما قوله: «ووليك قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يدعىٰ» فمعناه أن الله سبحانه سيدعىٰ رب العالمين وليس إلهاً لشعب معين، كما في التوراة «إله

إسرائيل». وهكذا حصل، فقد جاء في القرآن قوله تعالىٰ: ﴿ **الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين** ﴾ ـ الفاتحة ـ .

٧ ـ جاء في الفقرة العاشرة: «فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع. أما إحساني فلا يزول عنك، وعهد سلامي لا يتزعزع».

وهذا إشارة إلى أن رسالة الإسلام خالدة، ومحمداً خاتم الأنبياء، وكتابه آخر الكتب، وشريعته خاتمة الشرائع. وتعظيم الكعبة من شعائر دين الإسلام. فهو باقٍ إلى قيام الساعة.

٨ ـ جاء في الفقرة الحادية عشرة: «ها أنا أبني بالأثمد حجارتك، وبالياقوت الأزرق. أؤسسك» وفي الفقرة الثانية عشرة: «وأجعل شرفك ياقوتاً، وأبوابك حجارة بهرمانية، وكل تخومك حجارة كريمة». وفي بعض الترجمات: ها أنا أبلط بالرتبة حجارتك. . وأبوابك حجارة منقوشة.

وهذه الصفات لم توجد إلا في الكعبة، فحكام المسلمين سلفاً وخلفاً اجتهدوا اجتهاداً تاماً في بناء المسجد الحرام وتعظيم الكعبة وكسوتها وتزيينها وحفر الآبار في مكة وضواحيها وإيصال الماء إلى جميع أنحائها، ولا سيما المشاعر المقدسة. والخلفاء منذ عهد الأمويين قد تأنقوا وتفننوا في بناء المسجد الحرام بالأحجار النفيسة، بل إن تيجان الملوك وحليهم وذخائرهم كانت تحمل إلى الكعبة لتزين بها. حتى إن باب الكعبة صار آية في الإبداع. ولا يزال الملوك حتى يومنا هذا يسعون في تعظيمها، حتى إن لقب خادم الحرمين الشريفين صار من أعزّ الألقاب وأشرفها.

٩ ـ جاء في الفقرة الثالثة عشرة: «وكلّ بنيك تلاميذ الرب. وسلامَ بنيك كثيراً» وفي بعض الترجمات: «جميعَ بنيك متعلمين من الرب، وكثرة السلام لبنيك».

وفي هذا إشارة إلى كثرة طلب العلم الشرعي في هذه الأمة، وأنه لا يوجد فيها رجال دين بالمعنى المفهوم لدى أهل الكتاب. بل فيها علماء. لأن

العلوم الشرعية قسمان: منها ما هو فرض عين كمعرفة أساس العقيدة وكيفية الطهارة والصلاة ونحو ذلك. فهذه لا يسع المسلم جهلها. ومنها ما هو فرض كفاية إذا قام به بعض الأمة سقط عن الباقين. وذلك كعلم الفرائض وعلم أصول الفقه وسائر الأحكام الشرعية. وبناء عليه. فجميع أبناء الكعبة، أي الذين يستقبلونها في صلاتهم ويعظمونها في حجهم وعمرتهم تلاميذ الرب ومتعلمون من كتابه وسنة نبيه ﷺ.

أما قوله: «وسلام بنيك كثيراً» أو كثرة السلام لبنيك» ففيه إشارة إلى ما حضنا عليه النبي ﷺ من إفشاء السلام بيننا. وتحية المسلمين هي «السلام عليكم ورحمة الله». بل إن إلقاء السلام مستحب على من عرفت ومن لم تعرف.

١٠ ـ جاء في الفقرة الرابعة عشرة: «وبالبر تُثبّتين، بعيدة عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك» وهذا إشارة إلى الأمن الكائن في حرم مكة. وذلك ببركة دعوة إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال سبحانه. ﴿ **وإذ قال إبراهيم: رب اجعل هذا البلد آمناً، وارزق أهله من الثمرات لعلهم يشكرون** ﴾ ـ البقرة/١٢٦.

وكان الرجل في الجاهلية يرى قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له. قال سبحانه: ﴿ **ومن دخله كان آمناً** ﴾ ـ آل عمران/٩٧ ـ.

ولذلك امتن الله على قريش بقوله: ﴿ **أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً، ويتخطف الناس من حولهم؟ أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله** ﴾.

وبقوله أيضاً: ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ ولم يكن مكان أمن لمن قصده إلا مكة.

١١ ـ جاء في الفقرة الخامسة عشرة: «من اجتمع عليك فإليك يسقط». وفي الفقرة السابعة عشرة: «كل آلة صورت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم

عليك في القضاء تحكمين عليه». وفي بعض الترجمات: «كل إناء مجبول ضدك لا ينجح». وفي الترجمات القديمة: «وكل سلاح يصنعه صانع فلا يعمل فيك، وكل لسان ولغة تقوم معك بالخصومة تفلحين معها».

أي كل من أراد الكعبة بسوء لا ينجح مقصده، ويقع كيده في نحره، كما فعل الله بأصحاب الفيل عند ما هم ملكهم أبرهة الأشرم بهدم الكعبة. وذلك في العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ فأهلكهم الله وأبطل كيدهم. وكذلك بحسب الوعد المذكور فإن المسيح الدجال الذي حذرت الأنبياء أممها منه لا يدخل مكة ولا المدينة. بل يرجع خائباً وهو حسير كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

وقوله: «وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه». إشارة إلى قوله تعالىٰ: **﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق* ولكم الويل مما تصفون ﴾** ـ الأنبياء/١٨ ـ.

فما من مناظرة أو استعراض للأدلة والبراهين كانت خالصة لوجه الله إلا وظهر فيها الحق وبطل ما كان يعمل المشركون.

١٢ ـ أما قوله في الترجمات القديمة: «ويسميك الله اسماً جديداً». فهو إشارة إلى ما سميت به من بيت الله الحرام أو المسجد الحرام[1]

(١) هداية الحيارى ص ٥٤٨، إظهار الحق ٢/٢٦٤ ـ ٢٦٦.

١٠ ـ إشعيا يصف مكة والحجيج

نص البشــارة:

جاء في الباب الستين من سفر إشعياء ما يلي:

٦٠/١ : قومي استنيري، لأنه قد جاء نورك. ومجد الرب أشرق عليك.

٢ ـ لأنـه ها هي الـظلمة تغـطي الأرضَ، والظلامُ الـدامس الأممَ. أمـا عليك، فيُشرق الرب، ومجدُه عليك يُرىٰ.

٣ ـ فتسير الأمم في نورك، والملوك في ضياء إشراقك.

٤ ـ ارفعي عينيك حواليك وانظري. قد اجتمعوا كلهم. جـاؤوا إليك. يأتي بنوك من بعيد، وتُحمل بناتك على الأيدي.

٥ ـ حينئذٍ تنظرين وتُنيرين ويخفِقُ قلبك ويتسع. لأنه تتحـول إليك ثـروة البحر، ويأتي إليك غِنى الأمم.

٦ ـ تُغطيك كثرة الجمال بُكْران مِديان وعيفة، كلها تأتي من شبـا، تحمل ذهباً ولُباناً، وتبشر بتسابيح الرب.

٧ ـ كل غنم قِيدار تجتمع إليك. كباش نَبايـوت تخدمـك. تصعد مقبـولة على مذبحي، وأزين بيت جمالي.

٨ ـ من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها؟

٩ ـ إن الجزائر تنتظرني، وسفن ترشيش في الأول لتـأتي ببنيك من بعيـد، وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الرب إلهك وقدوسِ إسرائيل، لأنه قد مجدك.

١٠ ـ وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك. لأني بغضبي ضربتك وبرضواني رحمتك.

١١ ـ وتنفتح أبوابك دائماً، نهاراً وليلاً لا تغلق. ليؤتى إليك بغنى الأمم، وتُقادَ ملوكهم.

١٢ ـ لأن الأمة والمملكة التي لا تخدِمُك تبيد، وخراباً تُخرب الأمم.

١٣ ـ مجد لبنان يأتي إليك، ويأتي السَرْو والسِنديان والشربين معاً لزينة مكان مقدسي. وأمجد موضع رجلي.

١٤ ـ [وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين، وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك، ويدعونك مدينة الرب صِهيون قدسِ إسرائيل].

١٥ ـ عوضاً عن كونك مهجورة ومُبغَضَة بلا عابر بك أجعلك فخراً أبدياً، فَرَحَ دورٍ فدور.

١٦ ـ وترضعين لبن الأمم، وترضعين ثُديَّ ملوك..

١٨ ـ لا يسمع بعد ظلم في أرضك، ولا خراب أو سَحْق في تخومك. بل تسمين أسوارك خلاصاً، وأبوابك تسبيحاً.

١٩ ـ لا تكون لك بعد الشمس نوراً في النهار، ولا القمر ينير لك مضيئاً. بل الرب يكون لك نوراً أبدياً. وإلهُك زينك.

٢١ ـ وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد، يرثون الأرض، غصنُ غرسي عمل يديّ لأتمجد.

٢٢ ـ الصغير يصير ألفاً، والحقير أمة قوية. أنا الرب في وقته أسرع به.

ونقل ابن القيم[1] بعض هذا النص عن بعض الترجمات في زمنه كما يلي: «قومي فأشرقي، فإنه قد دنا نورك. وقار الله عليك. انظري بعينيك حولك، فإنهم مجتمعون. يأتيك بنوك وبناتك عدواً، فحينئذٍ تسرين وتزهوين ويخاف عدوك. وليتسع قلبك. وكل غنم قيدار تجتمع إليك. وسادات نَباوت

---

(١) هداية الحيارى ص ٥٤٨.

يخدمونك. وتفتح أبوابك الليل والنهار لا تغلق، ويتخذونك قبلة، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب».

ونقل هو وابن تيمية عن ترجمات أخرىٰ ما يلي[1]: «ارفعي إلى ما حولك بصرك، فستبتهجين وتفرحين. من أجل أن الله يصير إليك ذخائر البحرين، وتحج إليك عساكر الأمم، حتى يعم بك قطر الإبل المؤبلة. وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك. وتساق إليك أكباش مدين، ويأتيك أهل سبأ، وتسير إليك أغنام فاران، ويخدمك رجال مأرب [نباوت]».

ونقل القرافي أيضاً بعضه عن الترجمات في زمنه كما يلي[2]: «قومي وأزهري مصابيحك، فقد دنا وقتك، وكرامة الله طالعة عليك، فقد حل في الأرض الظلام، وغطى على الأمم كلها الضباب. والرب يشرق عليك إشراقاً، ويظهر عليك كرامته. فتصير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك. سيأتونك ويحجون إليك من البلد البعيد. ويتربى بنوك وبناتك على السرر والأرائك.

توضيح البشارة وتحليلها:

١ ـ جاء في الفقرة الأولىٰ: «قومي فاستنيري، لأنه قد جاء نورك..».

وجاء في الفقرة الثانية: «لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرضَ، والظلامُ الدامس الأممَ». وفي الترجمات القديمة: «فقد حل في الأرض الظلام، وغطى على الأمم كلها الضباب».

وهذا وصف لحال أهل الأرض قبل مبعث النبي ﷺ وإشراق نور الإسلام، فقد كانت الأمم كلها إلا من رحم الله من أفراد، في جاهلية وفساد.

عن عياض المجاشي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: إن الله

(١) المصدر السابق، والجواب الصحيح ٣/٣٢٦.

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٧.

نـظر إلى أهـل الأرض فمقتهم، عـربهم وعجمـهم، إلا بـقـايـا من أهـل الكتاب ـ أخرجه مسلم ـ .

٢ ـ جاء في الفقرة الثالثة: «فتسير الأمم في نورك، والملوك في ضياء إشراقك».

أي إن الأمم والملوك يسيرون مهتدين بنور الوحي الذي ينزل على النبي الذي يبعث فيك. وقد حدث هذا ولا يزال.

٣ ـ جاء في الفقرة الرابعة: «قد اجتمعوا كلهم، جاؤوا إليك، يأتي بنوك من بعيد، وتحمل بناتك على الأيدي وفي الترجمات القديمة عند ابن القيم: «فإنهم مجتمعون، يأتيك بنوك وبناتك عدواً». وعند القرافي «سيأتونك ويحجون إليك من البلد البعيد. ويتربى بنوك وبناتك على السرر والأرائك».

وهذا وصف للحجاج والمعتمرين الذين يأتون من أبعد الأصقاع ويجتمعون في مكة والمشاعر المقدسة.

ولم يكن على وجه الأرض في ذلك الوقت مكان لم يكن مزاراً من قبل جميع الأمم إلا مكة المكرمة.

بخلاف بيت المقدس، فإنه كان معظماً من قبل بني إسرائيل قبل إشعياء وبعده، وإن اعتور ذلك ما اعتوره. أما مكة فلم يحج الناس إليها من جميع الأمم ومن كافة أقطار الأرض إلا بعد بعثة محمد ﷺ فيكون هو المبشر به[1].

وقوله: «وتحمل بناتك على الأيدي» إشارة إلى شدة اعتناء الرجال بالنساء، بسبب وصية الرسول ﷺ بهن، ولا سيما في السفر، فإنهن لا يسافرن بدون محرم، حرصاً عليهن وإكراماً لهن.

أما قوله في الترجمات القديمة: «ويتربى بنوك وبناتك على السرر والأرائك» فإشارة إلى النعمة التي سينعم الله بها على المسلمين. وقد حدث هذا

---

(١) المصدر السابق.

٤ ـ جاء في الفقرة الخامسة: «لأنه تتحول إليك ثروة البحر، ويأتي إليك غِنى الأمم» وفي الترجمات القديمة: «من أجل أن الله يصير إليك ذخائر البحرين».

وجاء في الفقرة التاسعة: «إن الجزائر تنتظرني، وسفن ترشيش في الأول لتأتي ببنيك من بعيد، وفضتهم وذهبهم معهم لاسم الرب إلهك وقدوس إسرائيل. لأنه قد مجدك.

وقد حدث هذا، فحملت إليها الثروات في البر والبحر لتزيينها وللإنفاق فيها وشراء الهدي وغيره. وكانت أمنية الحجاج والمعتمرين أن يكرموا أهل الحرمين، وأمنية أهل الحرمين أن يكرموا ضيوف الرحمن.

٥ ـ جاء في الفقرة السادسة: تغطيك كثرة الجمال، بُكران مدين وعيفة كلها تأتي من شبا، تحمل ذهباً ولباناً، وتبشر بتسابيح الرب». وفي بعض الترجمات القديمة: «ويأتيك أهل سبأ» وفي بعض آخر: «وتحج إليك عساكر الأمم، حتى يعم بك قطر الإبل المؤبلة، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك».

وقد حدث هذا كله، فحج إليها عساكر الأمم مع ملوكها وعظمائها، وضاقت الأرض عن قوافل الإبل المتتابعة التي تحمل الناس وأزوادهم، وأتاها أهل سبأ أهل اليمن يحملون الثروة والمتاع. فغطتها كثرة الجمال. أما الآن فتغطيها كثرة السيارات، لكن لا يزال بعض الناس يغدون إليها على الجمال حتى يومنا هذا. وقد روى الترمذي: «مِني مُناخ مَن سَبَق» لكثرة الإبل وشدة الزحام.

وقوله: «وتبشر بتسابيح الرب». فيه إشارة إلى التلبية التي ينادي بها زوار الكعبة من حجاج ومعتمرين منذ إحرامهم ويستمر الحجاج في التلبية إلى أن يرموا جمرة العقبة، حيث يبدأ التكبير.

٦ ـ جاء في الفقرة السابعة: «كل غنم قيدار تجتمع إليك، كباش نبايوت

تخدمك». وفي الترجمات القديمة: «وكل غنم قيدار تجتمع إليك، وسادات نباوت يخدمونك». وفي بعض آخر: «وتساق إليك أكباش مدين، ويأتيك أهل سبأ، وتسير إليك أغنام فاران، ويخدمك رجال مأرب نباوت».

وهذا وصف لسوق الهدى وذبحه في منىٰ. ولو رأيت منظر الحجيج وسوقهم للهدي، وذبحهم له لقلت: كأنما الوصف لمن رآه مرة بعد مرة.

وقيدار: هو ابن إسماعيل جد النبي ﷺ بإجماع الناس كما سلف وقد سكن برية فاران. أما نباوت - أونبايوت - فهي بنت إسماعيل - عليه السلام - والمراد بقوله «يخدمك رجال مأرب» أولاد مأرب بن إسماعيل[1]. وقد حصل هذا كله لمكة المكرمة بعد بعثة محمد ﷺ فسيقت إليها أغنام فاران، واجتمعت فيها أغنام قيدار وكباش اليمن، وقام بخدمة الكعبة رجال مأرب.

ولا يمكن أن تنطبق هذه الأوصاف على بيت المقدس البتة. وإلا فليخبرونا متى أتى أهل سبأ إلى القدس بجمالهم وبُكرانهم وأموالهم وأمتعتهم؟ ومتى غطت قوافل الإبل المتتالية مدينة القدس وما حولها من الجليل؟ وهل كان زوار بيت المقدس من بني إسرائيل يركبون الجمال؟ ومتى سيقت إلى القدس أغنام فاران وأغنام قيدار وكباش اليمن؟ ومتى قام بخدمة بيت المقدس رجال مأرب؟.

٧ - جاء في الفقرة العاشرة «وبنو الغريب يبنون أسوارك، وملوكهم يخدمونك».

---

١) الجواب الصحيح ٣/٣٢٦، هداية الحيارىٰ ص ٥٤٨.

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن المراد ببني الغريب: الناس الذين ليسوا من بني إسرائيل ولا من العرب، أو ليسوا من أولاد إبراهيم ـ عليه السلام ـ ويدخلون في دين النبي المبشر به والذي سيظهر ببعثته تعظيم الكعبة بين كافة الأمم. وقد حصل هذا ببعثة محمد ﷺ فمن عقيدة المسلم تعظيم الكعبة، ومن مقتضيات ذلك خدمتها والاعتناء بها. وهذا ما حصل من الملوك الأعاجم، ولا سيما ملوك بني عثمان ـ رحمهم الله تعالىٰ ـ فقد بنوا الحرمين بناءً رائعاً لا يزال قائماً حتى الآن، وقام عدد منهم بخدمة الكعبة، وأوصوا بذلك عمالهم على الحجاز.

٨ ـ جاء في الفقرة الحادية عشرة: «وتفتح أبوابك دائماً، نهاراً وليلاً لا تغلق».

وهذا يدل على كثرة الزائرين في كل يوم ليلاً ونهاراً. وهذا الوصف لا ينطبق إلا على المسجد الحرام، فإن أبوابه مفتوحة دائماً لا تغلق لا في الليل ولا في النهار، لكثرة آمّيه. بل إن الطواف حول الكعبة لا ينقطع ساعة من ليلٍ أو نهار، ولا سيما بعد تطور وسائل المواصلات وتوفرها.

عن جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: يا بني عبد مناف، لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلىٰ، أية ساعة شاء من ليل أو نهار ـ أخرجه أصحاب السنن إلا ابن ماجة وقال الترمذي: حسن صحيح[1] ـ

---

(١) وفي الباب عن ابن عباس وأبي ذر. انظر جامع الأصول ٣/١٩٨.

٩ ـ جاء في الفقرة الرابعة عشرة: «وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين، وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك، ويدعونك مدينة الرب صِهيون قدس إسرائيل».

يغلب على ظني أن هذه الفقرة قد لعب بها أهل الكتاب لعباً شديداً، فحذفوا وأضافوا ليجعلوها تدل على ما يريدون. ومع ذلك فإن قوله: ﴿ **وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك** ﴾ لا ينطبق على بيت المقدس. بل إنما ينطبق على الكعبة. فالمشركون من أهل مكة ومن سائر العرب الذين وضعوا الأصنام والصور في الكعبة وجعلوها شركاء مع الله في العبادة دخل أكثرهم في الإسلام، وعبدوا الله وحده مخلصين له الدين، واتجهوا في صلاتهم إلى الكعبة كما أمرهم الله، حتى إن بعضهم ليقترب من جدار الكعبة، بحيث يضع وجهه في البقعة الملاصقة للجدار. وقد صلى كثير منهم في جوفها. وهذا هو مصداق قوله في الترجمات القديمة: «ويتخذونك قبلة».

١٠ ـ جاء في الفقرة الحادية والعشرين: «وشعبك كلهم أبرار إلى الأبد، يرثون الأرض».

وهذا إشارة إلى أن هذا الدين لن يضمحل من نفوس أتباعه قاطبة، بل تبقى في هذه الأمة طائفة قائمة على الحق لا يضرها من خالفها. وذلك لأن هذا النبي هو خاتم الأنبياء وأمته خاتمة الأمم فلا نبي بعد نبيها ولا كتاب بعد الكتاب الذي أنزل عليها. وهذا مطابق لقوله تعالىٰ: ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ ـ ص ٢٧٤ ـ

١١ ـ جاء في الفقرة الثانية والعشرين: «الصغير يصير ألفاً، والحقير أمة قوية».

وهذا إشارة إلى إسماعيل الذي أسكنه أبوه وهو طفل صغير مع أمه هاجر في وادٍ غير ذي زرع. وكان محتقراً في أعين بني إسرائيل هو وأولاده، لأنهم أبناء الجارية هاجر. فالألف تدل على كثرة نسله كما ورد في بشارات التوراة. وقد جاء من أولاده من كان نبياً لأمة قوية، ألا وهو محمد ﷺ.

١١ - من يسير النصر عند قدميه

نص البشارة:

جاء في الباب الحادي والأربعين من سفر إشعياء ما يلي:

١/٤١ : انصُتي إلي أيتها الجزائر. ولتجدد القبائل قوة. ليقتربوا ثم يتكلموا. لنتقدم معاً إلى المحاكمة.

٢ - : من أَنْهَضَ من المشرق الذي يلاقيه النصرُ عند رجليه؟ دفع أمامه أمماً، وعلى ملوك سلطه، جعلهم كالتراب بسيفه، وكالقَش المنذري بقوسه.

٣ - طردهم. مر سالماً في طريق لم يسلكه برِجليه.

٤ - من فعل وصنع داعياً الأجيال من البَدء؟ أنا الرب الأول، ومع الآخِرين أنا هو.

ونقل القرافي عن الترجمات في زمنه ما يلي[١]: «الذي قويته ودعوته من أقاصي الأرض، لا يخاف ولا يرهب. فأنا معك، ويدي الغزيرة مهَّدَتْ لك. جعلتك مثل الجرجر الحديد، يدق ما يأتي عليه دقاً، ويسحقه سحقاً، حتى يجعله هشيماً يلوي به هوج الرياح. وأنت تنبهج وترتاح ويكون محمد».

ونقل ابن تيمية وابن القيم عن الترجمات في زمانيهما ما يلي[٢]: «ويدوسون الأمم دياس البيادر، وينزل البلاء بمشركي العرب، وينهزمون بين

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٦.

(٢) الجواب الصحيح ٦/٤، هداية الحيارى ص ٥٥٩.

يدي سيوف مسلولة وقسي مؤثرة من شدة الملحمة».

توضيح البشارة وتحليلها:

ففي النص الأول وصف لمحمد ﷺ الذي أنهضه الله من المشرق، وجعل النصر يسير في ركابه حيث سار، ووصف لأمته العظيمة:

وفي الثاني صرح باسمه وذكر بعض أوصافه وإعانة الله له على تذليل الصعاب والعقبات التي تعترضه.

أما في الثالث فأخبر بما حل بعبدة الأوثان يوم بدر وحنين وغيرهما.

١٢ ـ الأمة الجديـــدة

نص البشارة:

جاء في الباب الثالث والأربعين من سفر إشعياء ما يلي:

٤٣/ ٩: اجتمعوا يأكل الأمم معاً، ولتلتئم القبـائل. من منهم يخبـر بهذا ويُعلمنا بالأوليات. ليقدموا شهودهم ويتبرروا. أو ليسمعوا فيقولوا: صدقٌ.

١٠ ـ أنتم شهـودي يقول الـرب. وعبدي الـذي اخترتـه لكي تعـرفـوا، وتؤمنوا بي وتفهموا أني أنا هو. قبلي لم يُصوَّر إله، وبعدي لا يكون.

١٨ ـ لا تذكروا الأوليات، والقديمات لا تتأملوا بها.

١٩ ـ ها أنذا صانع أمراً جـديـــداً. الآن ينبت. ألا تعرفـونه؟ أجعـل في البرية طريقاً في القفر أنهاراً.

٢١ ـ هذا الشعب جبلته لنفسي، يحدث بتسبيحي.

وجاء في الباب الخامس والخمسين من سفر إشعياء ما يلي:

٥٥/ ٤: هوذا قد جعلته شارعاً للشعوب، رئيساً وموصياً للشعوب.

٥ ـ ها أمة لا تعرفها تدعوهـا، وأمة لم تعـرفك تـركض إليك. من أجـل الرب إلهك وقدوس إسرائيل. لأنه قد مجدك.

٦ ـ اطلبوا الرب ما دام يوجد، ادعوه وهو قريب.

٧ ـ ليترك الشرير طريقه، ورجل الإثم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران.

١٣ ـ عوضاً عن الشوك ينبت سَرْوٌ، وعوضاً عن القَريس يطلع آسٌ، ويكون للرب اسماً، علامة أبدية لا تنقطع.

ما يشهد لهذه البشارة:

جاء في الباب السادس من سفر إرميا ما يلي:

١٩/٦: اسمعي أيتها الأرض، ها أنذا جالب شراً على هذا الشعب، ثَمرَ أفكارهم. لأنهم لم يصغَوا لكلامي، وشريعتي رفضوها.

٢١ ـ لذلك هكذا قال الرب: ها أنذا جاعل لهذا الشعب مَعْثَرات، فيعثر بها الآباء والأبناء معاً. الجار وصاحبه يبيدان.

٢٢ ـ هكذا قال الرب: هوذا شعب قادم من أرض الشمال. وأمة عظيمة تقوم من أقاصي الأرض.

٢٣ ـ تمسك القوس والرمح. هي قاسية لا ترحم. صوتها كالبحر يعج، وعلى خيل تركب، مصطفة كإنسان لمحاربتك يا ابنة صهيون.

٢٤ ـ سمعنا خبرها، ارتخت أيدينا، أمسكنا ضيق، ووجع كالماخض.

٢٥ ـ لا تخرجوا إلى الحقل، وفي الطريق لا تمشوا، لأن سيف العدو خوف من كل جهة.

ونقله القرافي عن الترجمات في زمنه كما يلي[1]: «إني مهيج عليكم يا بني إسرائيل من البعد أمة عزيزة، أمة قديمة، أمة لا تفهمون بلسانها. وكلها مجرب جبار».

توضيح البشارة:

فالشعب القادم من الشمال هم الآشوريون والبابليون الذين سبوهم وأذلوهم. والأمة العظيمة التي تقوم من أقاصي الأرض هم العرب ـ والله أعلم ـ وهم أهل القوس والرمح وركوب الخيل.

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٨٢.

وهي أمة عزيزة لاعتمادها على الحق بعد أن منَّ الله عليها ببعثة محمد ﷺ وهي مجربة في الحروب والصلابة.

وقوله «صوتها، كالبحر يعج» إشارة إلى رفع الصوت بالتكبير قبل الجهاد وفي أثنائه وبعده.

وقوله «مصطفة كإنسان» مطابق لقوله تعالىٰ: «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص» - .

ولقوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاظمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ - مسلم -.

وقوله: «سمعنا خبرها ارتخت أيدينا، أمسكنا ضيق، ووجع كالماخص» وصف لما ضرب على اليهود من ذلة ومسكنة وخوف بسبب معاصيهم.

وهذا مطابق أيضاً لقوله ﷺ: نصرت بالرعب مسيرة شهر. . الحديث.

أما قوله: «قاسية لا ترحم» فإن سلم النقل يكون معناه: شديدة على عدوها إبان المعركة، كما قال تعالىٰ: ﴿ **محمد رسول الله* والذين معه أشِداء على الكفار رحماء بينهم تراهم رُكَّعاً سُجَّداً، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً** ﴾ - الفتح/ ١٩ -.

١٣ ـ الشريعة المنتظرة

نص البشــارة:

جاء في الباب الحادي والخمسين من سفر إشعياء ما يلي:

٥١/٤: انصتوا إلي يا شعبي، ويا أمتي أصغي إلي. لأن شريعة من عندي تخرج، وحقي أثبته نوراً للشعوب..

٥ ـ قريب بِري. قد برز خلاصي، وذراعاي يقضيان للشعوب. إياي نرجو الجزائر، وتنتظر ذراعي.

١٧ ـ انهضي قومي يا أورشليم التي شربت من يد الرب كأس غضبه.

١٨ ـ ليس لها من يقودها من جميع البنين الذين ولدتهم. وليس من يمسك بيدها من جميع البنين الذين ربتهم.

وجاء في الباب التاسع والخمسين من سفر إشعياء ما يلي:

٥٩/١٥: وصار الصدق معدوماً، والحائد على الشر يسلب. فرأى الرب، وساء في عينيه أنه ليس عدل.

١٦ ـ فرأى أنه ليس إنسان، وتحير من أنه ليس شفيع. فَخَلَّصت ذراعه لنفسه. وبره هو عضده.

١٧ ـ فلبس البر كدرع، وخوذةُ الخلاص على رأسه. ولبس ثياب الانتقام كلباس. واكتسىٰ بالغيرة كرداء.

١٨ ـ حسب الأعمال هكذا يجازي مبغضيه سخطا، وأعداءه عقابا. جزاء يجازي الجزائر.

١٩ ـ فيخافون من المغرب اسمَ الرب، ومن مشرق الشمس مجده. عندما يأتي العدو كنهر، فنفخة الرب تدفعه.

٢٠ ـ ويأتي الفادي إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية، في يعقوب يقول الرب.

٢١ ـ أما أنا فهذا عهدي معهم قال الرب. روحي الذي عليك، وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك ولا من فم نسلك، ولا من فم نسل نسلك. قال الرب. من الآن وإلى الأبد.

د ـ بشارات سائر أسفار العهد القديم

١ ـ حَزْ قِيال يهدد اليهود بأمة محمد ﷺ

نص البشارة:

جاء في الباب التاسع عشر من سفر حَزْ قِيال ما يلي:

١٩/١٠: أمكَ ككرمة مثلك، غُرِست على المياه. كانت مثمرةً مُفْرِخـةً من كثرة المياه

١١ ـ وكان لها فروع قوية لقضبان المتسلطين، وارتفع ساقها بين الأغصان الغبياء، وظهرت في ارتفاعها بكثرة زراجينها.

١٢ ـ لكنها اقتُلعت بغيظ، وطرحت على الأرض، وقد يَبَّست ريح شرقية ثمرها. قُصِفت ويبست فروعها القوية. أكلتها النار.

١٣ ـ والآن غُرِسَت في القفر في أرض يابسة عطشانة.

١٤ ـ وخـرجت نار من فـرع عُصِيِّها أكلت ثمـرها. وليس لهـا الآن فرع قوي لقضيبِ تَسَلُّط. هي رثاء، وتكون لمرثاة.

ونقل ابن القيم والقرافي الفقرتين الأخيرتين عن الترجمات في زمانيهما كـما يـلي[1]: «فعنـد ذلـك غُـرِس غَـرْسٌ في البـاديـة ـ وفي بعض التـرجمـات: في

(١) هداية الحيارى ص ٥٦٢، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

البدو ـ وفي الأرض المهملة العطشى، وخرجت من أغصانه نار أكلت تلك الكرمة، حتى لم يوجد فيها غصن قوي ولا قضيب ينهض».

ونقلا أيضاً ونقل ابن تيمية ما يلي[1]: «وإن الله مظهرهم عليكم، وباعث فيهم نبياً، ومنزل عليهم كتاباً، ومملكهم رقابكم، فيقهرونكم ويذلونكم بالحق. ويخرج رجال بني قيدار في جماعات الشعوب. معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين، فيوقعون بكم ـ وفي بعض الترجمات ـ فيحيطون بكم. وتكون عاقبتكم إلى النار».

توضيح البشارة وتحليلها:

يريد الفَرْس الأول شرع بني إسرائيل وملكهم. ولذلك شبههم بكرمة غرسها وغذاها. والغرس الثاني يكون بعد السخط عليهم، ومكانه في البادية في الأرض المهملة العطشى.

وهذا شبه تصريح بمحمد ﷺ وببلدة مكة المكرمة والتي كانت مهملة من النبوة ونزول الوحي فيها بالتشريع قبل بعثته. وهي بالفعل أرض قفر ويابسة عطشى.

وقوله في الفقرة الرابعة عشرة: «وخرجت نار من فرع عصيها أكلت ثمرها». وفي الترجمات القديمة: «وخرجت من أغصانها نار أكلت تلك الكرمة، حتى لم يوجد فيها غصن قوي ولا قضيب». إشارة إلىٰ إظهار هذا النبي ﷺ وأمته على بني إسرائيل، وتسليطهم عليهم بحيث لا يبقىٰ فيهم ذو شوكة.

وقد وَضَّح ذلك أيضاً النص الثاني الذي نقلوه عن الترجمات القديمة؛ لأن قيدار هو ابن إسماعيل جد العرب كما سلف. ورجال بني قيدار هم ربيعة ومضر وأنمار أبناء عدنان. ولم يخرج من هؤلاء من له الحرب والغلبة على بني إسرائيل سوى محمد ﷺ ثم خرج المسلمون من أبناء قيدار بن إسماعيل ومعهم

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٥٧، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٩، الجواب الصحيح ٣/٣٣١.

جماعات الشعوب. فانتشروا في الأرض، وفتحوا بلاد الشام ومصر والعراق وغير ذلك.

وقوله: «معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين، فيوقعون أو يحيطون بكم» متطابق مع ما تواتر من أن الملائكة نزلت على الخيل البيض يوم بدر والأحزاب، وأحاطت ببني قريظة، ونزلت يوم حنين. قال سبحانه: ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم، فثبتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب، فاضربوا فوق الأعناق، واضربوا منهم كل بنان** ﴾ - الأنفال/١٢ -

وإلا فليخبرونا من هم الغرسة التي غرسها الله في الأرض المعطلة العطشىٰ، فتمكنوا من بني إسرائيل، وأوقعوا فيهم بحق وعدل ورحمة غير أبناء إسماعيل بعد بعثة محمد ﷺ [1]

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٣١ - ٣٣٢، هداية الحيارىٰ ص ٥٥٧ وص ٥٦٢، الأجوبة الفاخرة ١٧٩، تنقيح الأبحاث ص ٩٥.

٢ ـ دانيال يعبر رؤيا بختنصر

نص البشارة:

جاء في الباب الثاني من سفر دانيال أن الملك بختنصّر رأى رؤيا ثم نسيها. فبين له دانيال بوساطة الوحي تلك الرؤيا ثم عبرها له. فقال:

٢/٣١ ـ ٣٦: أنت أيها الملك كنت تنظر، وإذا بتمثال عظيم وقف قبالتك، ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب جيد، صدره وذراعاه من فضة، بطنه وفخذاه من نحاس، ساقاه من حديد، قدماه بعضهما من حديد، والبعض من خزف. كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. فانسحق حينئذٍ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً، وصارت كعصافة البيدر في الصيف، فحملتهما الريح، فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرب التمثال، فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها. هذا هو الحلم. فنخبر بتعبيره قدام الملك:

٣٧ ـ ٤٣: أنت أيها الملك ملك ملوك. لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتداراً. . فأنت هذا الرأس من ذهب. وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة أخرى من نحاس، فتتسلط على كل الأرض. وتكون مملكة رابعة صَلبة كالحديد، لأن الحديد يدق ويسحق كل شيء، وكالحديد الذي

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٣١ ـ ٣٣٢، هداية الحيارى ص ٥٥٧ و ص ٥٦٢، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٩، تنقيح الأبحاث ص ٩٥.

يُكسّر، تسحق وتكسر كـل هؤلاء، وبما رأيت القـدمين والأصـابـع بعضهـا من خزف والبعض من حديد، فالمملكة تكون منقسمة، ويكون فيها قوة الحديد من حيث إنـك رأيت الحديـد مختلطاً بخزف الـطين. وأصابـع القدمـين بعضها من حديد، والبعض من خزف، فبعض المملكة يكـون قويـاً، والبعض قصِماً، وبما رأيت الحـديد مختلطاً بخـزف الـطين، فـإنهم يختلطون بنسـل النـاس، ولكن لا يتلاصق هذا بذاك، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف.

٤٤ ـ وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السمـاوات مملكة لن تنقـرض أبداً، وَمِلْكُها لا يُترك لشعب آخر، وتسحق وتُفني كل هذه الممالـك. وهي تثبت إلى الأبد.

٤٥ ـ لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيـدين، فسحق الحديـد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عـرف الملك ما سيـأتي بعد هذا. الحلمُ حقٌ وتعبيره يقين.

ونقل ابن تيمية وابن القيم والقرافي الفقرتين الأخيرتـين عن الترجمـات في أزمانهم كما يلي[1]: «وأما الحجر العظيم الذي رأيته دق الصنم ففتتـه، فهو نبي يقيمه إله السماء من قبيلة بشريعة قويـة، فيدق جميـع ملوك الأرض وأممها، حتى تمتلىء الأرض منه ومن أمته. ويدوم سلطان ذلك النبي إلى انقضاء الدنيا».

توضيح البشارة وتحليلها:

يحمل النصارى هذه البشارة على المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ مع أنها لا تنطبق عليه البتة. لأنه لم يـدق ملوكاً ولم يسحق ممـالك، ولم يفن أحـداً. بل كان خائفاً من أعدائه متستراً منهم. وفي زعم النصارى أهانـه أعداؤه وصلبـوه. وقد بقي أتباعه قرابة ثلاثة قرون يسامون سوء العذاب. ثم إنـه لم يكن صاحب شريعة. ولا يمكن حملهـا على المملكـة المعنويـة الروحيـة. لأن السباق والسيـاق يأبيان ذلك.

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٣، هداية الحيارى ص ٥٥٧، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

أما اليهود، فيقولون: لم يظهر صاحبها بعد. فلينتظروا الدجال مسيح الضلالة. فهم أكثر أتباعه.

وهذه البشارة إنما تنطبق على محمد ﷺ حذو القذة بالقذة، فهو الذي بعث بشريعة قوية، ودق ملوك الأرض، وأممها حتى امتلأت الأرض منه ومن أمته. وسلطانهم دائم إلى آخر الدهر. ولم يوجد من زمن دانيال حتى اليوم من جعل الله ذلك له إلا محمداً ﷺ ففي عهد الساسانيين ـ وهي المملكة الأخيرة، وكانت تارة قوية وتارة ضعيفة ـ وفي زمن أنو شروان ولد محمد بن عبد الله ﷺ وهو من ذرية إسماعيل. ولما بلغ الأربعين من العمر بعثه الله رسولاً للعالمين، وأعطاه السلطة الظاهرة والباطنة، فجاهد في الله مع أتباعه حق جهاده. ثم أعطى الله سبحانه السلطة لأمته من بعده، فساروا على نهجه، وقضوا بتمسكهم بكتاب ربهم وسنّة رسوله على الدولتين العظميين في ذلك الوقت، ألا وهما فارس والروم، ثم تقدموا نحو أوربة عن طريق الأندلس (اسبانيا) تارة حتىٰ وصلوا إلى بواتيه في قلب فرنسا، وأخرى عن تركيا شمالاً حتى توغلوا في هذه القارة. وهكذا انتشر الإسلام بسلطتيه في أكثر أنحاء الأرض.

وهذه السلطة لا تفنىٰ بفضل الله أبداً، وإن اعتراها الوهن. بل تبقى مرهوبة الجانب. قال سبحانه: ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون* هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ ـ الصف/٨ ـ ٩ ـ .

وعن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال ناس من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون » ـ أخرجه البخاري ومسلم ـ .

وعن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك** ـ أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود ـ .

فهذه هي السلطة الأبدية التي لا تمحق، وملكها لا يعطي لشعب آخر، وسيظهر كمالها عن قريب بإذن الله في زمن المهدي ونزول المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ لكن الوهن والضعف يقع قبل ظهورهما بمدة قليلة، ثم يزول بظهورهما، ويكون الدين كله لله.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لن تهلك أمة أنا أولها، ومهديها أوسطها، والمسيح آخرها ـ» أخرجه أبو نُعيم ـ.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد. ثم يقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته* ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾ ـ أخرجه الشيخان والترمذي ـ.

والمسلمون اليوم بلغ بهم الأمر من الضعف ما بلغ. ومع ذلك تجد رهبتهم قائمة في قلوب أعدائهم على اختلاف أنواعهم. فهم يخافون من أي تحرك باسم الإسلام، ويتكاتفون لاحتوائه والقضاء عليه رغم ما بينهم من خلاف وإحن. والدعوة إلى النصرانية المخادعة باسم المسيح والرحمة والمحبة والإنسانية قائمة على قدم وساق في إفريقية وآسيا، تموِّلها الدول الغربية، وتحرسها بجيوشها وأساطيلها سابقاً، وبعملائها من الحكام حالياً. ومع ذلك يخافون من امتداد الإسلام وانتشاره، مع أنه يقوم على جهود فردية. وهم يعترفون بأن الإسلام يغلبهم، فيجتمعون ويكيدون تاركين خرافهم التي ضلت كلها في أوروبة حتى أصبحت الكنائس خاوية تماماً. والله من ورائهم محيط[1].

---

(١) انظر كتاب التبشير والاستعمار للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدي وكتاب الاستعمار الفرنسي في إفريقية لفيليب فوندونسي رئيس الاستخبارات الفرنسية في إفريقية سابقاً.
وانظر هذه البشارة في الجواب الصحيح ٤/٤ ـ ٥، هداية الحيارى ص ٥٥٨، الأجوبة الفاخرة ص ١٨٠، إظهار الحق ٢/٢٦٧ ـ ٢٦٩.

٣ ـ دانيال يبشر بالبر الأبدي

نص البشارة:

جاء في الباب التاسع من سفر دانيال أنه سأل الله وتضرع إليه ليبين له ما يكون من بني إسرائيل، وهل يتوب عليهم، ويرد إليهم ملكهم، ويبعث فيهم الأنبياء، أو يجعل ذلك في غيرهم؟

٩/ ٢٠ ـ ٢٢ : وبينما أنا أتكلم وأصلي واعترف بخطيّتي وخطيَّة شعبي إسرائيل. . إذا بالرجل جبرائيل لمسني عند وقت تقدمة الماء، وفهمني وتكلم معي. وقال: يا دانيال إني خرجت الآن لأعلمك الفهم. .

٢٤ ـ سبعون أسبوعاً قُضِيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليُؤتى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين.

ونقل ابن تيمية وابن القيم والقرافي هذا النص عن الترجمات في أزمانهم كما يلي[1]: «فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه فقال: السلام عليك يا دنيال. إن الله يقول لك: إن بني إسرائيل أغضبوني، وتمردوا علي، وعبدوا من

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٤ ـ ٥، هداية الحيارى ص ٥٥٨، الأجوبة الفاخرة ص ١٨١.

دوني آلهة أخرىٰ. . فسلطت عليهم بختنصر، قتل رجالهم وسبى ذراريهم، وهدم بيت مقدسهم، وحرق كتبهم. . فلا يزالون في سَخَطي حتى أبعث عليهم مسيحي ابن العذراء البتول، فأختم عليهم عند ذلك باللعن والسخط. فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبيَّ بني إسماعيل ـ وفي بعض النقول: إسرائيل ـ الذي بشرت به هاجر، وأرسلت إليها ملاكي يبشرونها. فأوحي إلى ذلك النبي وأزينه بالتقوىٰ، وأجعل البر شعاره والرشد سنته. أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب، وناسخ لبعض ما فيها. . يدعو إلى توحيدي وعبادتي، ويخبرهم بما رأىٰ من آياتي، فيكذبونه ويؤذونه. .

توضيح البشارة وتحليلها:

إن القارىء ليلحظ الفارق الكبير بين النص الحديث الذي نقلته عن الكتاب المقدس الصادر عام ١٩٨٤ م عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، وهي تابعة للبروتستانت، وبين النص القديم الذي نقله ابن تيمية وابن القيم، وهما من بلاد الشام، وشهاب الدين القرافي، وهو من المغرب العربي. وبينه وبينهما أيضاً بعد زمني شاسع. ولقد استعرضت سفر دانيال بأبوابه الإثني عشر مرتين فوجدت هذا الباب وما بعده مشوشاً مضطرباً بعيداً عن شبه الانسجام، مما يدل على أن الأيدي قد لعبت فيه. وهذا أمر مألوف معتاد لدى أهل الكتاب بشقيهما كما سيأتي في الكتاب الثاني، ولا سيما في البشارات. وقد ختم كل من ابن تيمية وابن القيم النص بقوله: «ولا تخفىٰ قوة هذا النص. واليهود والنصارىٰ يقرون بهذه البشارة، غير أنهم يقولون: إنه لم يظهر صاحبها» مما يدل على أن هذا النص بهذا الشكل كان شائعاً في ذلك الزمن بين أهل الكتاب. أما القرافي فختمه بقوله: «ودلائل نبوته كثيرة موجودة في أيدي اليهود والنصارىٰ يقرؤونها ويكتمونها. يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره، ولو كره الكافرون».

وكل من اليهود والنصارى يحمل البشارة على مسيحه. وهذا غلط

وباطل. لأنه لم يظهر ضمن هذا الوقت أحد المسيحَين. بل إن مسيح اليهود لم يظهر حتى الآن. ووفاة دانيال كانت قبل ميلاد المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ بثلاثة وخمسين وأربعمائة عام. فكيف يصح هذا؟

بل قد جاء في آخر السفر ١٢/١٢: «طوبىٰ لمن ينتظر ويبلُغ إلى الألف والثلاثمائة والخمسة والثلاثين يوماً».

والتكلفات التي صدرت عن علماء النصارىٰ مردودة لما يلي:

١ ـ إن حمل اليوم أو الأسبوع على المعنى المجازي في بيان تعداد المدة بدون قرينة غير مسلم به.

٢ ـ لو صح هذا الكلام لزم منه ختم النبوة بالمسيح، فلا يكون الحواريون أنبياء. والأمر ليس كذلك عند النصارىٰ. فإن الحواريين أفضل من موسى وسائر أنبياء بني إسرائيل في اعتقادهم.

٣ ـ لو صح لزم منه ختم الرؤيا الصادقة. وليس الأمر كذلك، فالرؤيا الصالحة باقية إلى اليوم.

٤ ـ نقل (واتسن) رسالة الدكتور (كريب) في المجلد الثالث من كتابه حيث صرح فيها بأن اليهود حرفوا هذا الخبر بزيادة الوقت تحريفاً لا يمكن أن يصدق على عيسىٰ.

فثبت أن هذا الخبر على وفق كتاب دانيال الأصلي الموجود عند اليهود لا يصدق على عيسى باعتراف عالمهم الشهير. وإذا كان حال هذا الكتاب هكذا، فلا يصح التمسك بالتراجم التي هي من تأليف النصارىٰ[1].

وقوله: «ليؤتى بالبر الأبدي» إشارة إلى الشريعة العامة الشاملة التي لا ناسخ لها. ولم يأت بعد موسىٰ من هو صاحب شريعة كاملة شاملة سوى محمد ﷺ أما المسيح ـ عليه السلام ـ فليس بصاحب شريعة مستقلة كما سلف.

---

(١) إظهار الحق ١/١٣٥ ـ ١٣٧.

وقـوله: «قدوس القدوسين» فيـه إشـارة قـويـة إلى خـاتم الـرسـل وأفضلهم ﷺ .

أما قوله في بعض النقول: «حتى أبعث نبيًّ بني إسرائيل الذي بُشرت به هاجر» فهو دليل صريح على عموم رسالة المبشر به ﷺ حيث أضافه إلى بني إسرائيل وذكر اسم أمه هاجر. ويظهر أنهم خُصّـوا بالـذكر دون غيـرهم حتى لا يقولوا إنه خاص بالعرب.

٤ ـ ميخا يصف جبل عرفات

نص البشارة:

جاء في الباب الرابع من سفر ميخا ما يلي:

٤/١: ويكـون في آخر الأيـام أن جبل بيت الـرب يكون ثـابتـاً في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه شعوب.

٢ ـ وتسير أمم كثيرة، ويقولون: هلم نصعـد إلى جبل الرب، وإلى بيت إلـه يعقوب، فيعلمنـا من طرقـه، ونسلك في سبله. لأنـه من صهيـون تخـرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب.

٣ ـ فيقضي بين شعوب كثيرين، ينصف لأمم قوية بعيدة..

ورواه القس إنسلم كما يلي[1]: «في آخر الزمان تقوم أمة مرحومة، وتختار الجبـل المبارك، ليعبـدوا الله فيه. ويجتمعـون من كل الأقـاليم فيـه ليعبـدوا الله الواحد، ولا يشركوا به شيئاً».

توضيح البشارة وتحليل النص:

وهذا هو جبل عرفات بلا شك لما يلي:

١ ـ جاء في الفقرة الـرابعة: «ويكـون في آخر الأيـام أن جبل بيت الـرب يكون ثابتاً» وجبل صهيون وجبل جرزيم كانا ثابتين لبني إسرائيل من قبل. فلا

(١) تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص ١٣٨.

داعي لأن يقول في حق أحدهما: «ويكون في آخر الزمان».

٢ ـ جاء في آخر الفقرة الرابعة وأول الفقرة الخامسة: «وتجري إليه شعوب. وتسير أمم كثيرة» وهذا دليل على اجتماع الناس حوله من جميع الأجناس والأقاليم. ولم يحدث هذا لأحد الجبلين اللذين يقدسهما اليهود. لأن ذلك التقديس خاص ببني إسرائيل دون غيرهم. وهم معترفون بأن رسالة موسىٰ ـ عليه السلام ـ خاصة ببني إسرائيل. وليس في الأنبياء من أرسل إلى الناس أجمعين سوى محمد ﷺ خاتم الأنبياء. فيكون الوصف منطبقاً تمام الانطباق على اجتماع آلاف الآلاف من الحجيج حول جبل عرفات في اليوم التاسع من ذي الحجة. وهم من أجناس مختلفة وألوان مختلفة. وكثيراً ما يقول بعضهم لبعض: هلم نصعد. والنبي ﷺ إنما رقىٰ على بعض الصخرات.

أما قوله: «وإلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه» فيه إشارة إلى عموم رسالة محمد ﷺ فإن البيت الحرام هو بيت الله إله يعقوب والعالمين. وإذا أتى الناس إلى بيت الله الحرام تعلموا طريقة أداء الحج والعمرة وغير ذلك. وهذا إن سلمت هذه الكلمات.

٣ ـ جاء في الفقرة الثانية: «لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب» وهذا الكلام إن كان ثابتاً فلا يستقيم معناه حتى نحمله علىٰ أن الشريعة وكلمة الرب تخرجان من بني إسرائيل وصهيون في آخر الزمان، وتكونان في بني إسماعيل. ولا يجوز أن يراد به الاستمرار. لأن الشريعة العامة الشاملة الأولى نزلت على موسى ـ عليه السلام ـ منذ زمن طويل. ومن بعده من الأنبياء إنما كانوا تابعين لهذه الشريعة وحاكمين بها، ومصححين ما اعتراها ومحذرين من التحريف والتلاعب بها في بعض الأحيان. ولذلك نبه ميخا إلى أن الشريعة تخرج من صهيون وأورشليم. وأشار إلى الشريعة الثانية العامة الشاملة بقوله في الفقرة الثالثة: «فيقضي بين شعوب كثيرين، ينصف لأمم قوية بعيدة».

واليهود يحملون هذا الكلام على مسيحهم المنتظر. فلينتظروا مسيح الضلالة الدجال. فهم أكثر أتباعه.

٥ ـ مشتهىٰ كل الأمم

نص البشارة:

جاء في الباب الثاني من سفر حجّي ما يلي:

٦/٢: لأنه هكذا قال رب الجنود: هي مرةٌ بعد قليل، فأزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة.

٧ ـ وأزلزل كل الأمم، ويأتي مشتهىٰ كل الأمم، فأملأ هذا البيت مجداً، قال رب الجنود.

٨ ـ لي الفضة ولي الذهب. يقول رب الجنود.

٩ ـ مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. قال رب الجنود. وفي هذا المكان أعطي السلام. يقول رب الجنود.

توضيح البشارة وتحليلها:

نكص بنو إسرائيل على أعقابهم فارتدوا عن دينهم وعبدوا الأصنام في عهد زَرُبّابل بن شَأَلتِئيل والي يهوذا، فهددهم الله سبحانه وتوعدهم على لسان الرسول حجي. ولذلك كان التعبير برب الجنود.

ويتضح من النص ما يلي:

١ ـ إن الله سيزلزل كل الأمم على يد الذي تشتهيه كل الأمم وتنتظره.

٢ ـ عود المجد إلى بيت المقدس على يد مشتهي كل الأمم.

٣ ـ إن مجد البيت الثاني ـ وهو الكعبة المشرفة في مكة المكرمة ـ يكون

أعظم من مجد البيت الأول ـ وهو بيت المقدس.

٤ ـ في هذا المكان ـ أي في البيت الثاني الذي هو بيت الله الحرام ـ يعطي الله السلام والأمان. أي ينزل دين الإسلام. وهذا مطابق لقوله تعالىٰ: ﴿ **ومن دخله كان آمناً** ﴾.

وإذا كانت الأمم كلها ستزلزل زلزلة رحمة على يد مشتهي كل الأمم، فإن بني إسرائيل الذين ارتدوا عن دين الله أحق بالزلزلة. ومن ثم، فإن السلام سيُعطىٰ أيضاً لبيت المقدس، وكذلك المجد والأمان. وقد حدث هذا في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

ولا يمكن أن يكون المراد بالبيت الأخير: بيت المقدس. على أن كلمة الأخير في الفقرة التاسعة صفة لمجد. فيكون لبيت المقدس مجدان، أول وأخير كما يقول أهل الكتاب. ولو كان الأمر كذلك لقال: مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجده الأول. أي لأضاف كلمة مجد إلى ضمير عائد إلى البيت المذكور سابقاً. فيكون البيت واحداً، والمجد هو المتعدد. ولكنه قال: «من مجد الأول» فيكون التقدير: من مجد البيت الأول.

٥ ـ إن مشتهي كل الأمم ستكون رسالته عامة وشريعته شاملة، ويحدث برسالته ودعوته وشريعته وجهاده تغييراً جذرياً في الأرض.. فمن هو؟

النصارى يحملون هذه البشارة على أن المراد بها المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ وهذا غير صحيح لأمرين: الأول: إن عيسى ـ عليه السلام ـ وحوارييه لم يحدثوا شيئاً في الأمم. بل ظلوا مضطهدين مدة ثلاثة قرون..

الثاني: إن عيسى ـ عليه السلام ـ إنما أرسل إلى خراف بني إسرائيل الضالة، وليس إلى كل الأمم.

أما اليهود فيحملونه على مسيحهم المنتظر. فلينتظروا مسيح الضلالة الدجال، فهم أكثر أتباعه. فمن هو إذاً مشتهىٰ كل الأمم الذي أحدث تغييراً جذرياً في العالم؟.

قال الدكتور محمد رواس قلعه جي[1]: إن كلمة مشتهى كل الأمم المذكورة هي (حمدوت) باللغة العبرية، أي محمود كل الأمم. وقد جاء في حاشية الأصل العبري: «مشتهي كل الأمم حمدوت» أي الذي تحمده كل الأمم. ولا شك أن هذا يعني محمداً أو أحمد أو محموداً. فالتوراة - أي العهد القديم - صرحت باسم محمد ﷺ (حمدوت) لكن الترجمة أبعدت لفظ محمد لتضع مكانه مرادفاً يصرف الذهن عن اسم محمد ﷺ اهـ.

عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدميّ، وأنا العاقب» - أخرجه البخاري ومسلم والترمذي ومالك في الموطأ - .

والعاقب: الذي ليس بعده شيء. وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً.

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا المقفّي، ونبي التوبة، ونبي الرحمة» - أخرجه مسلم - .

وقد تزلزلت الأمم وعاد المجد إلى بيت المقدس وعم السلام والأمان والمجد في البيتين وفي كثير من أنحاء العالم على يد مشتهى كل الأمم محمد ﷺ وعلى يد أمته من بعده بتأييد رب الجنود.

قال سبحانه: ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ - التوبة/٣٣ - .

وقال تعالىٰ: ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون. إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين* وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ - الأنبياء/١٠٥ - ١٠٧ - .

---

(١) في كتابه محمد في الكتب المقدسة ص ١٥ وص ٣٧.

٦ ـ زكريا يبشر بالغصن

نص البشارة:

جاء في الباب الثالث من سفر زكريا ما يلي:

٨/٣: فاسمع يا يهوشع الكاهن العظيم أنت ورفقاؤك الجالسون أمامك. لأنهم رجال آية. لأني ها أنذا آتي بعبدي الغصن.

٩ ـ فهوذا الحجر الذي وضعته قدام يهوشع. على حجر واحد سبع أعين. ها أنذا ناقش نقشَه يقول رب الجنود. وأزيل إثم تلك الأرض في يوم.

توضيح البشارة وتحليلها:

١ ـ جاء في الفقرة الثامنة: «لأني ها أنذا آتي بعبدي الغصن».

وفي هذا إشارة إلى أن النبي المبشر به غصن من شجرة زرعت من قبل، وقد بعث بشريعة فيها جهاد متصف بالرحمة.

وهذه الأوصاف إنما تنطبق على محمد بن عبد الله ﷺ: فهو من شجرة مباركة زرعت من قبل في برية فاران، ألا وهي شجرة إسماعيل الذي باركه الله وبارك نسله. وهو عبد الله ورسوله وقد بعث بجهاد مملوء بالرحمة. بل هو نبي الرحمة ونبي الملحمة ـ كما سلف ـ وقد نهى عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ والرهبان وعن قطع الأشجار ونحو ذلك مما ليس في فعله مصلحة حربية.

٢ ـ جاء في الفقرة التاسعة: «ها أنذا أناقش نقشه».

وهذا إشارة إلى الشريعة التي سينزلها عليه، فيحكم بها ويطهر النـاس من الإثم، سواء أكان ذلك بوازع التقوى الذي يغرسه في قلوبهم، أم بوازع الحدود والتعزيرات التي يقيمها عليهم بمقتضى تلك الشريعة العادلة الرحيمة.

٧ ـ تمحيص بني إسرائيل

نص البشارة:

جاء في الباب الثالث من سفر ملاخي ما يلي:

١/٣: ها أنذا أرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي. ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه..

٢ ـ ومن يحتمل يوم مجيئه؟ ومن يثبت عند ظهوره؟ لأنه مثل نار الممحِّص، ومثل أُشنان القصار.

٣ ـ فيجلس مُمحِّصاً ومنقياً للفضة. فينقي بني لاوي، ويصفيهم كالذهب والفضة، ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر.

٤ ـ فتكون تقدمة يهوذا وأورشليم مرضيَّة للرب كما في أيام القدم، وكما في السنين القديمة.

٥ ـ واقترب إليكم للحكم، وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زوراً وعلى السالبين أجرة الأجير، الأرملةِ واليتيمِ، ومن يصدُّ الغريب ولا يخشاني. قال رب الجنود.

٦ ـ لأني أنا الرب لا أتغير، فأنتم يا بني يعقوب لم تفنوا.

توضيح البشارة وتحليلها:

يحمل اليهود هذه البشارة على مسيحهم الموعود الذي يزعمون أنه يعيد مجدهم المهدود. فلينتظروا مسيح الضلالة الدجال. فهم جنده وأكثر أتباعه، كما صح في الأخبار عن سيد الأبرار ﷺ

ويحملها النصارى على المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ ويستشهدون بها على ادعائهم أنه إله تام من إلـه تام من جـوهر أبيـه. ويفسرون المهيء للطريق بـأنه يحيـىٰ ـ عليه السلام ـ.

جاء في متى ١١/ ١٠ ولوقا ٧/ ٢٧: «فَإن هذا هو الذي كُتب عنه: ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك».

وفي طبعة ١٩٨٠ م: «فهو الذي يقول فيه الكتاب: ها أنا أرسـل رسولي قدامك ليهيء الطريق أمامك».

وفي مرقس ١/ ٢: كما هو مكتوب في الأنبياء: ها أنـا أرسل أمـام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قُدامك».

وفي طبعة ١٩٨٠: «كما كتب النبي إشعيا: ها أنا أرسل رسولي قدامك ليهيء طريقك».

وبين المنقول والمنقول عنه اختلاف من وجهين:

١ ـ إن لفظ «أمام وجهك» زائد في الأناجيل الثلاثة.

٢ ـ إن كلام ملاخي بضمير المتكلم، ونقله الثلاثة بضمير الخطاب.

قال هورن في المجلد الثاني من تفسيره، ناقلاً عن الدكتور ريدلف: «لا يمكن أن يبين سبب المخالفة بسهولة غير أن النسخ القديمة وقع فيها تحريف ما»(١).

أضف إلى ذلك أنهم في طبعة ١٩٨٠ أبدلوا كلمة (رسول) بـ (ملاك) ونسبوا هذا الكلام في مرقس لإشعياء وإني أكاد أجزم أن هذا النص في ملاخي قد لعبت به يد التحريف. فإلى تحليله:

١ ـ جاء في الفقرة الأولىٰ: «ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه».

لا أدري ما أصل هذه الفقرة قبل التحريف. لكن سيد ولد آدم الذي تنتظره الأمم هـو رسول الله محمـد بن عبد الله ﷺ.

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: أنـا

---

(١) إظهار الحق ص ١٢١ طبعة قطر.

سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر. وما من نبي يومئذٍ إلا تحت لوائي. وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ـ أخرجه الترمذي وحسنه ـ .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع، وأول مشفع ـ أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي ـ .

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد ـ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح[1] ـ .

وهذا إنما هو إخبار عما أكرمه الله تعالىٰ به من الفضل والسؤدُد، وتحدث بنعمة الله عليه، وإعلام لأمته بذلك، ليكون إيمانهم به علىٰ حسب ذلك.

٢ ـ جاء في الفقرة الثانية: «ومن يحتمل يوم مجيئه؟ . . .».

لقد علم الله سبحانه أن اليهود سوف تناصب رسوله محمداً ﷺ العداء يوم ظهوره وتحسده. لأنه من بني إسماعيل. ولذلك جاء في النص: ومن يحتمل يوم مجيئه؟ ومن يثبت عند ظهوره؟ لأنه مثل نار المَّحص ومثل أَشنان القصار.

٣ ـ وجاء في الفقرة الثالثة: «فيجلس مُمَحَّصاً ومنقياً للفضة».

وقد تَمَّ هذا. فقد مَحّصَ بني إسرائيل كما تمحص النار الشوائب في الفضة. فآمن به أكرمهم كعبد الله ابن سلام، وصدَّ عنه كثيرمنهم حسداً وبغياً. ولذلك قال تعالى في حقهم: **﴿ أم يحسدون الناس ـ أي محمداً ـ على ما آتاهم الله من فضله؟ فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً * فمنهم من آمن به، ومنهم من صدَّ عنه* وكفىٰ بجهنَّم سعيراً ﴾** ـ النساء/ ٥٤ ـ ٥٥ .

٤ ـ وجاء في الفقرة نفسها: «فَيُنَقّي بني لاوي، ويُصَفِّيهم كالذهب والفضة، ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر».

---

(١) قال المعلق على جامع الأصول ٨/٥٤٤: ورواه أيضاً أحمد في المسند من حديث عبد الله بن شقيق عن صحابي، ومن حديث عبد الله بن شقيق عن ميسرة. ورواه أيضاً من حديث ميسرة الطبراني. وقال الهيثمي: رجالها رجال الصحيح.

وإنما خص بني لاوي بالذكر. لأن موسىٰ ـ عليه السلام ـ إنما سلم التوراة إلى هذا السبط وجعلهم أوصياء عليها. فهم أحبار بني إسرائيل، وعندهم العلم والشريعة. وكان النبي ﷺ إذا أتى إلى اليهود أو اجتمع بهم يقول لهم: أخرجوا إليَّ أعلمكم. فإذا برزوا إليه استحلفهم وناشدهم: هل يرونه مكتوباً عندهم في التوراة باسمه ونعته؟ فهذا هو التمحيص، وهذه هي التنقية.

٥ ـ جاء في الفقرة الرابعة: «فتكون تقدمة يهوذا وأورشليم مرضية للرب، كما في أيام القدم..».

وفي هذا إشارة إلى دخول هذه البلاد في دين هذا النبي. ومعنى هذه الفقرة: يهوذا وأورشليم سينزع منهما الكفر والشرك وتدخل في دين التوحيد الذي يبعث الله به هذا النبي. وآنئذٍ تكون عباداتها التي تقدمها لله مقبولة من قبل الله مرضية كما كانت في السنين القديمة أيام داود وسليمان.

٦ ـ جاء في الفقرة الخامسة: «وأقترب إليكم للحكم، وأكون شاهداً سريعاً على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زوراً وعلى السالبين أجرة الأجير، الأرملةَ واليتيمَ».

وفي هذا تهديد لهم بأن الله سيكون قريباً منهم عند بعثة هذا النبي، فإذا لم يتبعوه فضحهم وعاقبهم بتسليطه عليهم. وقد تم هذا. فطفق الوحي ينزل بالآيات التي تفضحهم وتكشف كذبهم ومكرهم، ثم سلط الله رسوله عليهم فأبطل كيدهم.

وقوله: «وعلى الحالفين زوراً وعلى السالبين أجرة الأجير، الأرملةِ واليتيمِ» اخبار بوضعهم وذكر لبعض معاصيهم.

٧ ـ جاء في الفقرة ذاتها: «ومن يصد الغريب ولا يخشاني».

فيمكن أن تحمل على ظاهرها وتكون ذكراً لظلم بني إسرائيل واعتدائهم. ويحتمل أن تكون إشارة إلى عدم الإيمان بهذا النبي. لأنه غريب عن بني إسرائيل، فهو من بني إخوتهم أولاد إسماعيل، وليس منهم.

٨ - نبي البرّ والرحمة

نص البشارة:

جاء في الباب الرابع من سفر ملاخي ما يلي:.

٤/٥: ها أنذا أرسل إليكم إيليّا النبيَّ قبل مجيء يوم الرب، اليومِ العظيم والمخُوف.

٦ ـ فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم. لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن.

توضيح البشارة وتحليلها:

يحمل اليهود هذه البشارة على نبيهم أو مسيحهم المنتظر. فلينتظروا مسيح الضلالة الدجال. أما النصارىٰ فيحملونها على يوحنا المعمدان، أي يحيـىٰ ـ عليه السلام ـ .

جاء في لوقا ١/١٣: فقال لـه الملاك: لا تخف يـا زكريـا لأن طِلْبتك قـد سمعت. وامرأتك أليصابات ستلد لك ابناً، وتسميه يوحنا.

١/١٥ ـ ١٦: لأنه يكون عظيماً أمام الرب. وخمراً ومسكراً لا يشرب. ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس. ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم.

١/١٧: ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار. لكي يهيء للرب شعباً مستعداً.

وفي طبعة ١٩٨٠ م: ويسير أمام الله بروح إيليا وقوته ليصالـح الآباء مـع الأبناء، ويرجع العصاة إلى حكمة الأبرار.

وإنك لتلحظ التفاوت بين النصين. ويظهر ـ والله أعلم ـ أن كلمة (إيليا) إن كانت من أصل النص في سفر ملاخي، وليست مضافة، يظهر أنها ليست علماً على شخص معين. بل هي رمز ولقب، مثل كلمة (المسيح) ويؤيد ذلك الفقرة ١/١٧ من إنجيل لوقا. وسيأتي مزيد من الكلام عنها في البشارة الثانية من بشارات الإنجيل إن شاء الله. فإلى تحليل النص:

ـ جاء في الفقرة الخامسة: «ها أنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب». فيوم الرب هو يوم القيامة، يوم الفزع الأكبر، يوم يقوم الناس ليوم عظيم. ويحيىٰ ـ عليه السلام ـ لم يكن في آخر الزمان. بل كان معاصراً لعيسى ـ عليه السلام ـ وهو ابن خالته. فلم يبق. إلا محمد ﷺ الذي بعث بين يدي الساعة.

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين، كفضل إحداهما علىٰ الأخرىٰ. وضم السبابة والوسطىٰ ـ أخرجه الشيخان والترمذي ـ.

وفي رواية للترمذي: بعثت في نَفَس الساعة، فسبقتها كفضل هذه على الأخرىٰ.

وجاء في إنجيل مرقس ١/٧: وكان يوحنا يكرِز قائلاً: يأتي بعدي من هو أقوىٰ مني، الذي لستُ أهلاً أن أنحني وأُحل سيور حذائه.

٢ ـ جاء في الفقرة السادسة: «فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم».

وهذه صفة بارزة من صفات نبينا ﷺ فقد كان العرب في الجاهلية يئدون البنات خوف العار أو الفقر أو كليهما معاً. قال تعالىٰ واصفاً حالهم: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم. يتوارى من القوم من سوء ما بشر به. أيمسكه على هون، أم يدسه في التراب؟ ألا ساء ما يحكمون﴾ ـ النحل/٥٨ ـ.

فأنزل الله على نبيه ﷺ: **﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم * إن قتلهم كان خطْئاً كبيراً ﴾** ـ الإسراء/٣١ ـ.

وأنزل أيضاً: ﴿وإذا الموؤودة سئلت: بأي ذنب قتلت﴾ ـ التكوير/٨ ـ

وهكذا رد قلوب الآباء على الأبناء، فأمر بحسن تربيتهم وتعليمهم. وذكر الآباء بأنهم مسؤولون عن رعيتهم. وأن الولد الصالح من الأعمال التي لا تنقطع بالموت.

وكذلك رد قلب الأبناء على الآباء. قال تعالى: ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما، فلا تقل لهما أفٍ، ولا تنهرهما، وقل لهما قولاً كريماً* واخفض لهما جناح الذل من الرحمة* وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً** ﴾ ـ الإسراء/٢٣ ـ ٢٤.

فجعل طاعتهما بعد طاعته سبحانه. بل أمر بالإحسان إليهما ولو كانا كافرين يدعوانه إلى الشرك. قال تعالىٰ: ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه* حملته أمه وهناً على وهن * وفصاله في عامين* أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير* وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما * وصاحبهما في الدنيا معروفاً* واتبع سبيل من أناب إلي * ثم إليَّ مرجعكم، فأنبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ ـ لقمان/ ١٤ ـ ١٥ ـ.

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالىٰ؟ قال الصلاة على وقتها. قلت: ثم أيٌّ؟ قال: برّ الوالدين. قلت: ثم أيٌّ؟ قال: الجهاد في سبيل الله ـ رواه الشيخان ـ.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمُّك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك. ـ رواه الشيخان.

حتى إن الرسول ﷺ أمر بالإحسان إلى أصدقائهما وأهل محبتهما.

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «إن أبز البر أن يصل الرجل ودَّ أبيه. وفي رواية: أهل ود أبيه» ـ رواه مسلم والترمذي ـ.

وعن أبي أسيد ـ رضي الله عنه ـ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبَرُّهما به بعد موتهما؟ فقال: نعم: الصلاة عليهما ـ أي الدعاء ـ والاستغفار لهما، وإنفاذ

عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما - أبو داود وابن ماجة[1] - .

ولذلك جعل عقوقهما من أكبر الكبائر.

٣ - جاء في الفقرة نفسها: «لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن».

وهذا إشارة إلى كثرة الفساد والطغيان والقسوة قبل مبعث هذا النبي. وهكذا كان الحال قبل بعثة محمد ﷺ من وأد البنات كما سلف إلى الكفر والشرك.

عن عياض المشاجعي - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» - أخرجه مسلم - .

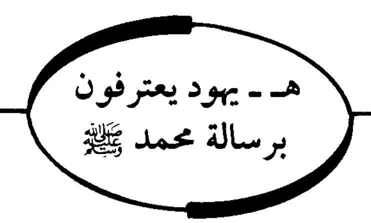
٤ - إنه لم يؤثر عن يحيىٰ دور بارز في رد قلوب الآباء على الأبناء، وقلوب الأبناء على الآباء. صحيح أن جميع الأنبياء أمرت ببر الوالدين. لكن الوصف بصفة ما يقتضي سبباً وشهرة ومزية على غيره فيها. وإلا فيكون الكلام لغواً.

٥ - ثم إن هذا الرد يقتضي طاعة الناس له وانصياعهم لأمره. ويحيى لم يكن كذلك بل إنهم لم يؤمنوا به وقتلوه.

جاء في متى ٢١ / ٣٢: لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به.

---

(١) وأخرجه أيضاً ابن خبان. وفي مسنده علي بن عبيد الساعدي لم يوثقه غير ابن حبان. وباقي رجاله ثقات انظر رياض الصالحين ص ١٦٨ طبعة دار المأمون.



اعترف كثير من علماء اليهود قديماً وحديثاً بنبوة محمد ﷺ لأنهم وجدوه مكتوباً عندهم في التوراة وسائر أسفار العهد القديم باسمه ووصفه:

ففي القديم أقر بنبوته وشهد له وصدقه عبد الله بن سلام ومخيريق وكعب الأحبار وغيرهم.

وفي عهد السلطان (بيازيد خان) اعتنق حبر من أحبار اليهود الإسلام، وتسمى بعبد السلام، وألف رسالة سماها «الهادية». وذكر فيها كثيراً من بشارات التوراة بالنبي الأمي[١].

ومن اليهود السامريين الذين اعترفوا بنبوة محمد ﷺ ولم يدخلوا في دين الله الكاهن أبو الفتح بن أبي الحسن السامري الدنفي مؤلف كتاب (التاريخ مما تقدم عن الآباء» فقد كتب فيه عن محمد ﷺ ما هو عدل وإنصاف. ومن ذلك ما يلي:

«ومحمد ما أساء إلى أحدٍ من أصحاب الشرائع. . وأقام في المملكة عشر سنين، وكل العالم طائعون له. ومنه انتقلت مملكته إلى أقاربه بني أمية على ما أوصاهم. ولم يزيدوا، ولم ينقصوا، ولا أساؤوا إلى أحد قط»[٢].

غير أن أبا الفتح أخطأ النجعة. فإن محمداً ﷺ ليس بملك، لكنه نبي مجاهد مطاع في أصحابه. ثم إن الحكم لم ينتقل من بعده إلى أقاربه بني أمية. بل صار أولاً إلى خلفائه الراشدين: أبي بكر، فعمر فعثمان، فعلي ـ رضي الله عنهم ـ وهم كلهم من قريش. وليس فيهم أموياً سوى عثمان ـ رضي الله عنه ـ وبعد مقتل

---

(١) إظهار الحق ص ٥٢٨ طبعة قطر.

(٢) تقديم التوراة السامرية ص ١٩ ـ ٢٠.

علي ـ رضي الله عنه ـ بايع الناس ابنه الحسن ـ رضي الله عنه ـ فتنازل لمعاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ وهو من بني أمية. وبذلك بدأ العصر الأموي. أما قبل ذلك فهو عصر الراشدين المهديين بما فيهم عثمان ـ رضي الله عنهم ـ.

وممن اعتنق الإسلام السموءل ـ شموئيل ـ بن يهوذا بن أيوب، المغربي الأندلسي، الطبيب الماهر والحكيم العالم، الحبر اليهودي أولاً والمسلم المدافع آخراً.

كان أبوه من أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة، فشغل ابنه من صغره بالكتابة العبرية ثم بعلوم التوراة وتفاسيرها حتى صار من كبار الأحبار. قدم مع أبيه إلى بلاد المشرق. وكان أبوه ينشد المال والجاه شأن كل يهودي. أما هو فكان يحب العلم ويطلبه بشغف ومثابرة، حتى إنه ألف مصنفات كثيرة في فنون مختلفة، أشهرها الحكمة والرياضيات والطب الذي كان يتكسب منه.

مالت نفسه إلى قراءة التاريخ، فطالع (تجارب الأمم) لعلي بن مسكويه وتاريخ الطبري وغيرهما. وكانت تمر به في أثناء ذلك أخبار النبي ـ ﷺ ـ ولادة ونشأة ثم بعثة وجهاداً. فاطلع على غزواته وما حباه الله به من النصر والتأييد، وما أظهره على يديه من معجزات. وكان قد اكتسب أيضاً معرفة بالبلاغة وقوة في الفصاحة. فشاهد المعجزة التي لا تباريها فصاحة الآدميين، ألا وهي القرآن الكريم.

وقد علم بثاقب فكرة أن اليهود ليس بأيديهم حجة صحيحة على نبوة موسى إلا شهادة التواتر. وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ كوجوده لموسى. فإن كان التواتر يفيد تصديقاً فالثلاثة صادقون، ونبوتهم معاً صحيحة. وهكذا أسلم الرجل عن خبرة ويقين.

ألف رسالة سماها (بذل المجهود في إفحام اليهود) رد فيها على أبناء طائفته من اليهود العبرانيين في إنكارهم للإسلام. وذكر فيها نصوصاً من التوراة تدل على صدق هذا النبي وعموم رسالته. وقد دل ما في الرسالة من تحليل وتوضيح على واسع علمه وكثرة خبرته[1].

---

(١) بذل المجهود ص ٤ ـ ١٠.

بشارات العهد الجديد

ويحتوي على الأبواب التالية :

أ ـ بشارات الإنجيل

ب ـ بشارات الرسائل

جـ ـ نصارى يعتنقون الإسلام عن علم ومعرفة .

د ـ بشارات الأديان الأخرىٰ



أ ـ بشارات الإنجيل

قال الله سبحانه : ﴿ **وإذ قال عيسىٰ ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ، ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين** ﴾ ـ الصف / ٦ ـ .

من الأغراض التي أرسل عيسى ـ عليه السلام ـ لتقريرها ما يلي :

١ ـ تصديق التوراة التي أنزلت على موسى ـ عليه السلام ـ وعدم نسخ أحكامها .

٢ ـ تفسير ما اختلف فيه العلماء من مدلول آيات التوراة .

٣ ـ تحليل بعض ما حرم الله على بني إسرائيل عقوبة لهم ، أو حرمة علماؤهم من تلقاء أنفسهم .

٤ ـ البشارة باقتراب ملكوت السماوات . أي الشريعة الإلهية التي ينزلها الله على النبي الأمي .

وقد خاطب بني إسرائيل بقوله لهم : « إني رسول الله إليكم » أي قد بشرت التوراة بي ، وأنا مصداق ما أخبرت عنه . ثم قال : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » أي وأنا بدوري أيضاً أبشركم بمن بعدي ، ألا وهو الرسول النبي الأمي المكي العربي أحمد .

فعيسى ـ عليه السلام ـ خاتم أنبياء بني إسرائيل ، وقد أقام في ملئهم

مبشراً بأحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا نبوة بعده ولا رسالة . فلما جاءهم اتهموه باطلاً بالسحر وغيره .

وكان المسيح ـ عليه السلام ـ يعبر عن المبشر به تارة بلفظ (النبي) وأخرىٰ باسمه أحمد (فارقليط) وأحياناً بلفظ (مسيّا ـ MESSIAH) أي المسيح[1] .

---

(١) أصل هذه الكلمة في العبرانية (هاما شيح) . وفي الآرامية والسريانية (ماشيح) . وفي اليونانية (مسيح) . ودخلت إلى اللغة العربية عن طريق اليونانية . وحرفت لهجة (ماشيح) عند اليهود في زمن عيسى ـ عليه السلام ـ إلى (مِسِيّا) وهي تعني الرسول أو النبي ، كما تطلق على الملك والعالم .
وكان من عادة اليهود مسح الملوك ورؤساء الكهنة بالزيت المقدس عند تقليدهم مناصبهم . وذلك بسكبه على رؤوسهم إشارة إلى أن الله قد اختارهم واصطفاهم . ومن ثم يطلقون على الممسوح لقب مسيّا أو مسيح الله . وكان يطلق هذا اللفظ أيضاً على كل ملك من اليهود سواء أكان صالحاً أم فاجراً . كما في مزامير داود ١٧ و ١٣١ ، وفي سفر صموئيل الأول ١١/١٢٦ و ٧١ ، وكذلك في الباب الأول من سفره الثاني . بل لم يكن هذا اللفظ يختص بملوك اليهود أيضاً ، وجاء إطلاقه على كورش كما في إشعياء ١/٤٥ .
فعلىٰ عادتهم هذه كان موسىٰ ـ عليه السلام ـ مسيحاً . لأنه كان نبياً وعالماً وملكاً . وكان هارون مسيحاً . لأنه كان نبياً وعالماً ، كما في سفر الخروج ١٣/٤٠ ـ ١٥ . وكان داود مسيحاً لأنه كان نبياً وملكاً ، وقد مسح مرتين . ولم يكن عالماً بحسب شريعتهم ، لأنه ليس من نسل هارون (العلماء الكبار) وليس من سبط لاوي (العلماء العاديين) . وكذلك سليمان . وكل حَبْر في بني إسرائيل أو رباني يلقب مسيحاً للعلم دون الملك أو النبوة . وعلى هذا الأساس فعيسى ـ عليه السلام ـ كان مسيحاً . لأن نبي وعالم . وإن لم يكن ملكاً . فهذه الكلمة لقب وصفة له . أما اسمه الشخصي فعيسىٰ ، وبالعبرية يشوع المصغر من الأصل يهوشوع ، ونصارى العرب يقولون يسوع . ومعناه المخلص . لأنه يخلص شعبه من ضلالهم ـ انظر العهد الجديد طبعة ١٩٨٠ ص ٦٦٤ ، من هو المسيح ص ١٧ ـ ٢١ ، إظهار الحق ١٣٧/١ ـ ١٣٨ ، قصص الأنبياء للنجار ص ٣٧٦ و ٣٩٧ ـ ٣٩٨ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢١٨ ـ ٢٢٠ ، التوراة السامرية تقديم وتعليق أحمد حجازي ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ، الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ١٢٤ ، تقديم شفاء الغليل لأحمد حجازي ص ١٤ ـ ١٥ ولما كان لقب (مسيا) أو (مَسيح الله) معظماً في بني إسرائيل ، يتفاخر بحمله الملوك والعلماء

وأناجيل العهد الجديد ورسائله حافلة بعشرات البشائر بنبي يـأتي من بعد

والأنبياء . وكانوا ينتظرون نبياً بشرت به التوراة وسائرُ كتب الأنبياء ، أرادوا أن يوهموا الناس أنه سيكون منهم ، فقالوا : إننا ننتظر نبياً ، ولقبوه (مسيّا) أي المسيح ـ التوراة السامرية ص ٤٠٩ وتقديم شفاء الغليل ص ١٥ ـ وظهر عيسى ـ عليه السلام ـ في مملكة العبرانيين . لكنه كان يبشر بينهم وبين السامرين على حد سواء . فآمن به ناس من الطائفتين .

ولما تأكد اليهود العبرانيون من أن عيسى بن مريم آخر أنبيائهم ، وأن نبوة بني إسمـاعيل أوشكت على الظهور ائتمروا فيما بينهم على لبس الحق بالباطل :

ففريق منهم رأى أن يضرب نبيين ويحطم دينين معاً ، وذلك بالتظاهر في الدخول في دين عيسى ـ عليه السلام ـ وابتداع بدع فيه ، لتشويهه وقلب حقائقه وتحطيمه ، ثم الإدعاء بأن نصوص نبوءات التوراة وغيرهـا عن النبي المنتظر تـدل على عيسى بن مـريم ، فهو النبي المنتظر . وتزعم هؤلاء بولس (شاؤل) وسيـأتي الكلام عنه في الكتاب الثاني . والنصارى اليوم على مذهبه .

وانطلت الحيلة على كثير مّن الناس . جاء في إنجيل يوحنا ٤/٢٥ ـ ٢٦ أن عيسى ـ عليه السلام ـ مَرَّ بمدينة من مدن السامرية فقالت له امرأة : أنا أعلم أن مسيّا الذي يقال له المسيح يأتي . فمتى جاء ذلك يخبرنا بكل شيء : قال لها يسوع : أنا الذي أكلمك هو .

وجاء في أعمال الرسل / ٢٢ : وأما شاول فكان يزداد قوة ، ويحير اليهود الساكنين في دمشق محققاً أن هذا هو المسيح .

ـ وفريق آخر رأىٰ أن يقول : إن نبوءات التوراة لا تتحقق في عيسى ـ عليه السلام ـ وإذا ما ظهر نبي بني إسماعيل أمكنهم أن يقولوا : ليس هو المراد ـ وما زلنا في انتظار المسيح الذي لم يأت . وعلى هذا سوادهم .

وإنما أرادوا بذلك قفل النبوة في وجه بني إسماعيل ـ عليه السلام ـ وقصر النبوة والكتاب في بني إسرائيل بن إسحاق إلى يوم القيامة . والله متم نوره ولو كره الكافرون ـ التوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٤١١ ـ ٤١٢ ـ وسيأتي في الكتاب الثاني عند الكلام عن الأناجيل أنه قد اكتشف فوق هضبة بجوار الميت منذ عشرين سنة تقريباً مخطوطات قديمة في أوان فخارية ، اتضح بعد الدراسات والتحاليل أنها جزء من مكتوبات الإبسينيين القدماء . ومما تقرره هذه المخطوطات أن المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ كان مسيّا المسيحيين ، وأن هناك مسيّا آخر .

قال بشرى ميخائيل زخاري في كتابه (محمد رسول الله هكذا بشرت الأناجيل) : « وقد يكون المقصود بالمسيّا الثاني هو نفسه ـ أي المسيح ـ عند عودته بالروح ، أو يكون المقصود به =

المسيح ـ عليه السلام ـ ولا شك أن هذه العبارات التي تضمنت معنى البشارات من بقايا الحق والوحي الذي أنزل على المسيح في الإنجيل قبل أن يتسرب إليه التحريف والتبديل ، وقبل أن تتنازعه روايات الكُتّاب .

ظهور محمد بن عبد الله ﷺ لأنه كان يتكلم للحق منصفاً روح المسيح ومدافعاً عنه وعن العقيدة الأصلية التي جاء بها » .

١ ـ ملكوت السماوات

نص البشارة :

جاء في إنجيل متى ما يلي :

١/٣ : وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان ـ أي يحيىٰ ـ يَكْرِز في برية اليهودية .

٢ ـ قائلاً : توبوا . لأنه قد اقترب ملكوت السموات .

١٢/٤ : ولما علم يسوع أن يوحنا أُسلِمَ انصرف إلى الجليل .

١٧ ـ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات .

٢٣ ـ وكان يسوع يطوف كل الجليل ، يعلم ما في مجامعهم ، ويَكْرِز ببشارة الملكوت .

وفي مرقس ١٤/١ : وبعدما أسلم يوحنا ، جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله .

١٥ ـ ويقول : قد كَمَل الزمان ، واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالإنجيل .

وفي متى ٩/٦ ولوقا ٢/١١ : فَصَلّوا أنتم هكذا : أبانا الذي في لسموات . ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك .

متى ٧/١٠ : وفيما أنتم ذاهبون اكرِزوا قائلين : إنه قد اقترب ملكوت لسماوات .

لـوقا ٩/٢ : وأرسلهم ـ أي الإثني عشر ـ ليكـرِزوا بملكوت الله ويشفـوا المرضىٰ .

١٠/٨ ـ ٩ : وأيـة مدينـة دخلتموهـا وقبلوكـم ، فكلوا ممـا يقـدم لكم . واشفوا المرضى الذين فيها وقولوا لهم : قد اقترب منكم ملكوت الله .

١٠/١٠ ـ ١١ : وأيـة مدينـة دخلتمـوهـا ولم يقبلوكم ، فـاخـرُجـوا إلى شوارعها وقولوا : حتى الغبـار الذي لصق بنـا من مدينتكم ننفضـه لكم . ولكن اعلموا هذا ، إنه قد اقترب منكم ملكوت الله .

متى ٢٤/١٣ ـ ١٤ : ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يَخْلُص . ويُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة ، شهادة لجميع الأمم . ثم يأتي المنتهى .

وفي العهد الجديد طبعة ١٩٨٠ م هكذا : ومن يثبت إلى النهاية يخلص . وتجيء النهاية بعدما تعلق بشارة ملكوت الله هذه في العالم كله . شهـادة لي عند جميع الأمم .

معنى الملكوت عند النصارى :

يحمل النصارى (ملكوت الله) على أنه طريقة النجاة التي ظهرت بنـزول المسيـح ، وشيوع الـديانـة النصرانيـة في جميع أنحـاء العالم ، وإحـاطتهـا بكـل الدنيا(١) .

ومنهم من يقـول : معناه : الكنيسـة وانتشارهـا في العـالم وهيمنتهـا عـلى القلوب والنفوس(٢) وهذا مردود للأمور التالية :

١ ـ إن المسيـح ـ عليه السـلام ـ بشر بالألفـاظ التي بشر بها يحيى ـ عليـه السلام ـ نفسها ، فهذا يقول : « قد اقترب » والآخر يقول : « قد اقترب » فلو كان المراد المسيح ـ عليه السلام ـ أو الديانة التي بعث بهـا لما سـاق المسيح نفس العبـارة التي سـاقهـا يحيىٰ والتي بشـرت بـه . لأنـه قـد بعث فعـلاً . فعلم أن

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٧٢ .

(٢) الإنجيل والصليب ص ٧٦ .

الملكوت كما لم يظهر في عهد يحيىٰ كذلك لم يظهر في عهد المسيح ـ عليهما السلام ـ بل كل منهما مبشر به ، مخبر عن فضله ، مترجٍ لمجيئه[1] .

٢ ـ إن المسيح ـ عليه السلام ـ طلب من تلاميذه أن يذهبوا ويبشروا باقتراب مجيئه ، وعلمهم أن يقولوا في صلاتهم ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك » . ولا يزال النصارى حتى اليوم يرددون هذا الدعاء . وبخاصة قبل الطعام . ولو كان المراد به طريقة النجاة التي ظهرت بنزول المسيح كما يقولون ، لم يكن لهذا الدعاء معنى . ولكان عليهم أن يعدلوا عن ذلك إلى الشكر . لأنه ظهر وابتدأ .

٣ ـ جاء في متى ١٤/٢٤ : « وتجيء النهاية بعدما تعلق بشارة ملكوت الله هذه في العالم كله » . إذاً . فهو لم يجيء بعد ، ولم يعلن عن البشارة به . وإنما سيكون ذلك قبيل نهاية العالم ، حيث يشيع أمره في العالم كله .

فعلم أن الملكوت كما لم يظهر في زمن يحيىٰ ولا في زمن عيسى ـ عليهما السلام ـ كذلك لم يظهر في عهد الحواريين من بعده . وقولهم : « وقد اقترب » يمنع ذلك ، ويدل على أن كل واحد منهم مبشر به مخبر عن فضله ، مترج لمجيئه .

أما قولهم : « معناه الكنيسة وانتشارها في العالم » فغير صحيح أيضاً . لأن التساؤل يتراءىٰ لنا : هل تشكل الملكوت في زمن المسيح ـ عليه السلام ـ أولا ؟

فإن كان قد تشكل في عصره أو بعده . فما بال الكنيسة تكرر هذا الدعاء كل يوم ! ؟

وإن كان لم يتشكل . فهل الكنيسة كانت نتيجة إحداث مذهب جديد أو جماعة جديدة ؟[2]

---

(١) المرجع والمصدر السابقان ، مواجهة صريحة ص ٢١٢

(٢) الإنجيل والصليب ص ٧٦ ـ ٧٧ .

٤ ـ جاء في ٢١/ ٤٣ من إنجيل متىٰ : « لـذلك أقـول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطىٰ لأمة تعمل أثمـاره » . وإذا كان معنـاه الكنيسة . فـما معنى أن الكنيسة تنزع منكم ، وتعطىٰ لأمة تعمل أثمارها ؟! فالحقيقـة والواقـع أن الله قـد نزع ملكـوته منهم ، وأعـطاه لأمـة أخـرى عملت أثمـاره كـما أخبـر المسيح ـ عليه السلام ـ ألا وهي أمة محمـد ﷺ فإلى تحليـل البشارة لمعـرفة معنى الملكوت .

توضيح البشارة وتحليلها :

الملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبة . وهو الملك الذي فيه عز وقـوة وتمكن . ولفظ ملكوت السماوات يـدل على أن هـذا المبشر به يكـون في صورة القـوة والجهـاد والحكم ، لا في صـورة المسكنـة والضعف ، وأن مبنى قـوانينـه وأنظمته يكون كتابـاً سماويـاً ، لا حكماً علمـانياً تبعـد الكنيسة عنـه . كما هي الحال في أوروبا وأمريكا وسائر العالم .

فـالصـواب أن ملكـوت السمـاوات الـذي بشر بـاقتـرابـه يحيى وعيسى والحواريّون هو طريقة النجاة التي ظهرت بشريعـة محمد ﷺ المشتملة عـلى القوة والعـدل والرحمـة ، ففيها الجهـاد وإقامـة الحدود والتعـزيـزات ، وفيهـا العـدل والنظام ، وفيها الرحمة والإيثار . وقد تضمن ذلك كله الكتاب والسنة اللذان لا يزيغ عنهما إلا هالك[١] .

ومن المحال أن يقال : إن الملكوت هو ظهور المسيح ـ عليه السلام ـ لأنه في زعم النصـارى رب . ثم إنـه في زعم اليهـود والنصـارى لم يقـدر عـلى الانتصار ، ولم تظهر له صـورة الاقتدار عـلى أحد من الأشـرار . فكيف يصدق عليه إنه ملكوت السماوات ؟! [٢] ويدل على ذلك ما يلي :

---

(١) إظهار الحق ٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٧٠ .

جاء في الفقرة ١٢/٤ : ولما علم يسوع أن يوحنا أُسلم ـ أي قتل ـ انصرف إلى الجليل .

١٧ ـ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا . لأنه قد اقترب ملكوت السماوات .

إن البشارة بخاتم الأنبياء من مهمة كل نبي . وكان الأنبياء يتوارثونها، ويوصون بها أممهم. وكان يحيى عليه ـ عليه السلام ـ يقوم بهذه المهمة، ويبشر باقتراب ملكوت السماوات. ولذلك لما علم المسيح ـ عليه السلام ـ بمقتله ابتدأ نشاطه الحثيث، فكان يطوف كل الجليل، ويعلم في المجامع مبشراً باقتراب الملكوت .

٢ ـ جاء في متى ١٠/٧ : وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : إنه قد اقترب ملكوت السماوات .

وفي لوقا ٩/٢ : وأرسلهم ـ أي الإثني عشر ـ ليكرزوا بملكوت الله .

إنه لما كان عيسى ـ عليه السلام ـ خاتم أنبياء بني إسرائيل ، وليس بينه وبين خاتم الأنبياء الذي سيظهر ملكوت الله فيه نبي ، لما كان الأمر كذلك ، كلف تلاميذه الاثني عشر أيضاً بهذه المهمة ، فأرسلهم إلى المدن ، وأمرهم بتبليغها . حتى إنه علمهم أن يدعوا بها في صلاتهم .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة . ليس بيني وبينه نبي . والأنبياء أولاد علّات ؛ أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ـ أخرجه الشيخان وأحمد وأبو داود .

٣ ـ جاء في مرقس ١/١٥ : ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله .

وفي متى ٢٤/١٤ : وتجيء النهاية بعدما تعلن بشارة ملكوت الله هذه في العالم كله .

وفي هذا دليل على أن المبشّر به خاتم الأنبياء ، ويبعث قرب قيام الساعة أي في آخر الزمان قبل نهاية العالم . ومحمد ﷺ كذلك .

عن سهل بن سعد - رضي الله عنه قال: - قال رسول الله ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين. ويشير بأصبعيه يمدهما - أخرجه البخاري ومسلم - [1] .

وفي رواية : قال : رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا ، الوسطى والتي تلي الإبهام وقال : بعثت أنا والساعة كهاتين .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : بعثت بين يدي الساعة مع السيف ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم - أخرجه أحمد في المسند وحسنه الحافظ وأخرج البخاري بعضه تعليقاً ، وله شاهد عن ابن أبي شيبة .

وقوله : « شهادة لي عند جميع الأمم » معناه : أن ظهور ملكوت الله في آخر الزمان بمبعث خاتم الأنبياء يكون شهادة لصدق المسيح - عليه السلام - فيما بَلّغ .

ما يشهد لهذه البشارة :

١ - جاء في إنجيل متى ١٣/ ٢٤ : يشبه ملكوت السماوات إنساناً زرع زرعاً جيداً في حقله .

٢٥ - وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زِواناً في وسط الحنطة ومضىٰ .

٢٦ - فلما طلع النبات ، وصنع ثمراً ، حينئذ ظهر الزِوان أيضاً .

فشبه ملكوت السماوات بإنسان زارع زَرَعَ زرعاً ، ولم يشبهه بنمو الزراعة وحصادها .

---

(١) وقد ورد نحوه عن أبن هريرة عند البخاري ، وعن أنس عند الشيخين ، والترمذي ، وعن المستورد بن شداد عند الترمذي وقال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه لكن له شواهد بمعناه يقوى بها . انظر جامع الأصول ١٠/ ٣٨٥ .

٢ ـ وجاء في متى ١٣ / ٣١ ـ ٣٢ : يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان ، وزرعها في حقله . وهي أصغر جميع البذور . ولكن متى نمت فهي أكبر البقول . وتصير شجرة ، حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوىٰ في أغصانها .

وقد ورد نحو ذلك في مرقس ٤ / ٣٠ ـ ٣٢ ولوقا ١٣ / ١٨ ـ ١٩ .

فملكوت السموات : طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد ﷺ لأنه نشأ في قوم كانوا محتقرين لدى جيرانهم من الفرس والرومان واليهود وغيرهم . لكون أكثرهم من أهل البوادي . وكانوا غير واقفين على العلوم والصناعات وغير ذلك من أمور الدنيا . ولا سيما لدى اليهود ، لكونهم من أولاد الأَمَة هاجر . فبعث الله سبحانه منهم محمداً ﷺ بشريعة عامة شاملة . فكانت شريعته في ابتداء الأمر بمنزلة حبة الخردل . لأنها بحسب الظاهر أصغر الشرائع . لكنها لعمومها وشمولها نمت في مدة قليلة ، وصارت أكبر من غيرها ، وامتدت وأحاطت . حتى إن الذين لم يكونوا مطيعين لشريعة ما أووا إلى هذه الشريعة[1] .

ومن تأمل هذا التشبيه وجده متطابقاً مع قوله تعالى : ﴿ **محمد رسول الله . والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . سيماهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة . ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه . يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار** ﴾ ـ الفتح / ٢٩ ـ.

٣ ـ وجاء في متى ٢١ / ٣٣ ـ ٤٤ : اسمعوا مثلاً آخر : كان إنسان رب بيت غرس كرماً ، وأحاطه بسياج ، وحفر فيه معصرة ، وبنى برجاً ، وسلمه إلى كرامين وسافر . ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره . فأخذ الكرامون عبيده ، وجلدوا بعضاً ، وقتلوا بعضاً ، ورجموا

---

(١) إظهار الحق ٢ / ٢٧٣ .

بعضاً . ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثرمن الأولين . ففعلوا بهم كذلك . فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً يهابون ابني . وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث ، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه ، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له : أولئك الأردياء يُهلكم هلاكاً رَدِيّاً ، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها .

قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البناؤون ، هو قد صار رأسَ الزاوية ؟ من قِبل الرب كان هذا ، وهو عجيب في أعيننا . لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطىٰ لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه .

وقد ورد نحو ذلك في مرقس ١٢/١ ـ ١٢ ولوقا ٢٠/٩ ـ ١٩ .

فهذا مثل للدنيا وما فيها ، ضربه المسيح ـ عليه السلام ـ لليهود . فرب البيت كناية عن الله رب العالمين ، والكرم كناية عن الشريعة التي أنزلها الله . وإحاطة الكرم بسياج وجعل المعصرة فيه ، وتشييد القصر أو البرج فيه كناية عن بيان المحرمات والمباحات والأوامر والنواهي في الشرائع والمناهج المنزلة على الأنبياء . والكرامون الطاغون هم اليهود بنو إسرائيل .

ثم ضرب مثلاً آخر للأنبياء ولنفسه . فالعبيد المرسلون هم الأنبياء . والابن كناية عن المسيح ، وقد قتله اليهود في زعمهم . ولا شك في أن هذا من الدسائس والتحريف .

ثم ضرب مثلاً للنبي الموكل آخراً بالكرم وأمته : فالحجر الذي أخره البناؤون هو محمد ﷺ والأمة التي تعمل أثماره ، أو تأكل أثماره ، هي أمة محمد ﷺ ثم أفصح عن ذلك فقال : لذلك أقول لكم : « إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل ثماره » وفي بعض الترجمات تأكل ثماره .

وقد نزع منهم بالفعل وأعطي لأمة محمد ﷺ كما هو واضح ظاهر . تحقيقاً

لبركة إسماعيل، وزجراً لقتلة الأنبياء ومُحَـرّفي كتب الله . وإلا فمن هي الأمة التي دفع إليها بعد نزعة من اليهود والنصارىٰ .

ثم ضـرب مثـلاً لنبي هـذه الأمـة بحجـر ، من سقط من النـاس عليـه ينكسر ، ومن سقط عليـه الحجر يُسحق ويُمحق . فهـذه صفة محمـد ﷺ وصفة أمته وحال من ناوأهم أو حاربهم ، لا تنطبق على أحد بعد المسيـح سواهم[1] . وأما ادعاء النصارىٰ بأن المراد بالحجر هو المسيح ، فغير صحيح لما يلي :

١ ـ ورد في مـزامير داود ١١٨ /٢٢ ـ ٢٣ : « الحجـر الـذي رفضـه ـ وفي بعض التـرجمات : رذلـه . وفي غيـرهـا : أخـره ـ البنـاؤون ، هـو صـار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا . وهو عجيب في أعيننا » .

فأي عجب يكون في أعين اليهود ، لو كان المسيح هو المراد بالحجر ؟ فهو من آل داود كـما يقـولـون . ثم إن داود عليـه السـلام ـ يعـظم عيسىٰ ـ عليـه السـلام ـ تعظيـماً بليغاً في مـزاميره . ويعتقـد النصارى أنـه يعتقد الألـوهية فيـه بخلاف آل إسماعيل ـ عليه السلام ـ فإنهم كانوا محتقرين غاية الاحتقار في أعين اليهود . فكون أحدهم يصير رأساً للزاوية ، عجيب غـاية العجب في أعينهم . ويؤيد ذلك ما ورد في بعض الترجمات : « الحجر الذي رذله البناؤون » .

٢ ـ ورد في النص : أن من سقط على هذا الحجـر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه . ولا يصدق هذا الكلام على المسيح ـ عليه السلام ـ إطلاقاً . فإن المسيح لم يجاهد البتة . بل كان مستضعفاً بحيث يتوارى عن أعدائـه . وفي زعمهم أنـه قتل وصلب . فهـو الـذي تهشم وسُحق بنـاء عـلى اعتقـادهم ، لا غيره ، فكيف يصدق عليه النص ؟!

جاء في يوحنا ١٢ /٤٧ : « ومن سمع أقـوالي وما آمن بهـا لا أدينه . لأني ما جئت لأدين العالم . بل لأخلص العالم » .

---

(١) الجـواب الصحيح ٤ /٧ ، هـداية الحيـارى ص ٥٣٧ وص ٥٦١ ، الأجـوبـة الفـاخـرة ص ١٧٠ .

بخلاف محمد ﷺ فإن انطباقه عليه غير محتاج إلى بيان . لأنه كان مأموراً بإنذار الفجار والأشرار وتحذيرهم ومجاهدتهم . فإن سقطوا عليه ترضضوا ، وإن سقط عليهم سحقهم . ومن قرأ سيرة هذا النبي ﷺ وضح له الأمر تماماً .

٣ ـ إن المتبادر إلى الذهن من كلام المسيح ـ عليه السلام ـ أن هذا الحجر غير الابن . فقد ضرب لنفسه مثلاً بالابن على حد زعمهم ، ثم ضرب مثلاً آخر لآخر بالحجر . فكيف يكون هو المراد بالحجر ؟(١) .

وصفوة القول : إن المسيح ـ عليه السلام ـ شبه ملكوت السماوات بإنسان زارع ، لا بنمو الزراعة وحصادها وشبهه بحبة خردل ، لا بصيرورتها شجرة عظيمة. وشبهه أيضاً في متى ١٣/٣١ ـ ٣٢ ومرقس ٤/٣٠ ـ ٣٢ ولوقا ١٣/١٨ ـ ١٩ بخميرة ، لا باختمار الدقيق جميعه . ثم قال في متى ٢١/٤٣ بعد بيان التمثيل : « إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره » . فهذا يدل على أن المراد بالملكوت طريقة النجاة نفسها ، لا شيوعها وانتشارها في جميع أنحاء العالم . وإلا لما كان ثمة معنى لنزع شيوعها من قوم وإعطائها لآخرين(٢) .

قال تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ـ الأنبياء/١٠٥ ـ ١٠٧ ـ.

وقال سبحانه : **﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ﴾** ـ النور/٥٥ ـ.

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٧٥ ـ ٢٢٦ ، الأجوبة الفاخرة ص ١٧٠

(٢) المصدر السابق ٢/٢٧٢ ـ ٢٧٣ .

٢ ـ استبدال بني إسرائيل بأمة محمد ﷺ

نص البشارة :

جاء في الباب الثامن من إنجيل متى ما يلي :

١١/٨ : وأقول لكم : إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ، ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات .

١٢ ـ وأما بنو الملكوت ـ وفي طبعة ١٩٨٠ م : وأما من كان لهم الملكوت ـ فيطرحون إلى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان .

توضيح البشارة وتحليلها :

كان المسيح ـ عليه السلام ـ رسولاً إلى بني إسرائيل خاصة ، ولظلمهم وضلالهم وتولّيهم عنه بيّن لهم أن الله سبحانه سيستبدل قوماً غيرهم .

وقد أشار المسيح ـ عليه السلام ـ إلى هذه الأمة بقوله : « إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب » لأن دعوة عيسى ـ عليه السلام ـ كانت خاصة ببني إسرائيل . ودعوة محمد ﷺ عامة إلى أهل الأرض ، فآمن به أهل المشرق والمغرب . وكان منهم العلماء والصديقون والشهداء . فكانوا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات .

أما بنو إسرائيل فقد أخرجهم من ذلك المقام ، وبين أنهم يُطرحون في

ظلمات الجهالات ودركات العقوبات . وذلك لكفر اليهود والنصارى بخاتم الأنبياء صاحب الرسالة العامة .

وسماهم (بني الملكوت) لكثرة الأنبياء فيهم . وكان الله عز وجل قد فضلهم على عالمي زمانهم . ثم غضب عليهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة ، ثم ضلت النصارى من بعدهم ضلالات شتىٰ . وهناك يوم القيامة يكون الندم والبكاء وصريف الأسنان ، ولات ساعة مندم[1] .

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٦٩ . وارجع إلى البشارة الثالثة من بشارات التوراة تجد أن هذه البشارة شاهد لتلك .

٣ ـ إيليّا ويحيىٰ والمسيح

نص البشارة وتحليلها :

جاء في متى ٣/١ : وفي تلك الأيام ـ أي بعدما رجع المسيح من مصر وسكن في الناصرة ـ جاء يوحنا المعمدان ـ أي يحيىٰ ـ يكرز في برية اليهودية قائلاً : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات .

متى ٣/٧ ـ ٨ ولوقا ٣/٧ ـ ٨ : فلما رأىٰ كثيرين من الفرّيسيين والصَدُّوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم : يا أولاد الأفاعي من أراكم ـ أي علمكم ـ أن تهرُبوا من الغضب الآتي ؟ فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة .

متى ٣/١٠ ولوقا ٣/٩ : والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر . فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقىٰ في النار .

لوقا ٣/١٥ : وإذا كان الشعب ينتظر ـ أي المسيح ـ والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح ؟!

لوقا ٣/١٦ : أجاب يوحنا الجميع قائلاً : أنا أعمدكم بماء ، ولكن يأتي من هو أقوىٰ مني الذي لست أهلاً أن أحُل سيور حذائه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار .

وفي متى ٣/١١ : أنا أعمدكم بماء التوبة . ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار .

وفي مرقس ١/٧ ـ ٨ : وكان يكرِز قائلاً : يأتي بعدي من هو أقوى مني ، الذي لست أهلاً أن أنحني وأحُل سيور حذائه . أنا عمدتكم بالماء ، وأما هو فسيعمدكم بالروح القدس .

متى ١٢/٣ ولوقا ١٧/٣ : الذي رفشه ـ أي مذراته ـ في يده ، وسينقي بيدره ، ويجمع قمحه إلى المخزن . وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ .

والنصارى يحملون بشارة يحيىٰ هنا على المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ ولكن النقاط التالية تدفعنا للتساؤل وتلح في طلب الجواب :

١ ـ هل المراد من الغضب الآتي مجيء المسيح ـ عليه السلام ـ؟ ولم عبّر عنه بهذا اللفظ ؟

وإذا كان المراد به غضب الله على من يخالفه ، فإن كلمة (الغضب) توحي بالشدة والانتقام أو العقوبة . فهل عاقب الله من كفر بالمسيح ـ عليه السلام ـ على يده أو على يد حوارييه من بعده ؟؟

٢ ـ إن يحيىٰ ـ عليه السلام ـ كان يقول : « يأتي بعدي من هو أقوى مني » ويحيىٰ والمسيح ـ عليهما السلام ـ كانا متعاصرين ، وهما أبناء خالة ، ولما أُسلم يحيى قام المسيح يبشر بما كان يبشر بن يحىٰ ، ألا وهو اقتراب ملكوت السماوات فكيف يقول : « يأتي بعدي » ؟ وكان الأولى أن يقول : هو معي وسيبقى بعدي . لأن عبارة « يأتي من بعدي » في مفهوم البشارات تقتضي أن المبشر به لم يجيء بعد. وعلى أقل تقدير فإنه يأتي بعد موت المبشر بسنين مع أنه في كثير من الأحيان يُقصد بها مئات السنين. بل أكثر.

٣ ـ وصف يحيى ـ عليه السلام ـ المبشَّر به الآتي بأنه يحمل رفشه أو مذراته في يده ، ويُنَقّي بَيْدره . فهل ينطبق هذا الكلام على المسيح ـ عليه السلام ـ؟ إن مجيء المسيح ـ عليه السلام ـ مَحَّصَ اليهود وأظهر من يؤمن بالله حقيقة ممن يتظاهر بذلك، ليس غير. أما حمل المذارة فإنه يدل على عمل قوي

يقـوم به هـو كصاحب الفـأس الذي يقـطع الشجرة التي لا تعـطي أثمـاراً، ثم يرميها في النار .

ولنتابع الآن مقدمة البشارة :

جاء في متى ١٣/٣ : حينئذ جاء يسوع من الجليـل إلى الأردن إلى يوحنـا ليعتمد ـ أي يتعمد ـ منه .

١٤/٣ : ولكن يوحنا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك ، وأنت تأتي إلي ؟

١٥/٣ : فأجاب يسوع وقال لـه : اسمح الآن . لأنه هكـذا يليق بنا أن نكمل كل بر . حينئذ سمح له . هكذا

وفي طبعة ١٩٨٠ م :ـ« فمانعه يوحنا وقال له : أنا أحتاج أن أتعمد عـلى يدك .فكيف تجيء أنت إلي ؟ فأجـاب يسوع : ليكن هـذا الآن ، لأننا بـه نتم مشيئة الله . فوافقه يوحنا »

إذاً فيحيى كان يعرف من هو المسيح حق المعـرفة. وازداد معـرفةً بمـا سيذكره الآن. :

١٦/٣ : فلما اعتمـد يسوع صعِـد للوقت من الماء . وإذا السمـاوات قد انفتحت له ، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة ، وآتيـاً عليه .

وجـاء في مرقس ٩/١ : وفي تلك الأيـام جاء يسـوع من ناصـرة الجليـل واعتمد من يوحنا في الأردن .

١٠/١ : وللوقت وهـو صاعـد من الماء ، رأى السمـاوات قد انشقت ، والروحَ مثلَ حمامة نازلاً عليه .

إذاً. فهو لم يعرفه، وعمده كما يعمد غيره. لكن لا بد أنه عرفـه بعد انشقاق السماء ونزول الروح عليه.

وجاء في لوقا ٢١/٣ : ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضـاً . وإذ

كان يصلي انفتحت السماء .

٢٢/٣ : ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة .

إذاً . فهو لم يعرفه كما قال مرقس . لكن المخالفة وقعت في وقت انشقاق السماء ونزول الروح عليه : فمتّى ذكر أن هذا حدث مباشرة بعيد صعوده من الماء . ومرقس ذكر أنه حدث وهو صاعد . أي حال صعوده . وهما قريبان . لكن لوقا ذكر أنه حدث بعد صعوده وفي أثناء صلاته . فمتى حدث هذا ؟

وإذا صرفنا النظر عن هذا السؤال ، فإن السؤال الملح الذي يطرح نفسه : **هل كان يوحنا يعرف المسيح** قبل أن يعمده أَوْلاً؟ وإذا كان لا يعرفه كما ذكر مرقس ولوقا خلافاً لمتى ، فهل عرفه بعد أن انشقت السماء ونزل عليه الروح ـ كما يقولون ـ أولا ؟؟

جاء في إنجيل يوحنا ٢٩/١ : وفي الغد نظر يوحنا يسوعَ مقبلاً إليه ، فقال : هو ذا حمل الله الذي يرفع خطيّة العالم .

٣٠/١ : هذا هو الذي قلت عنه : يأتي بعدي رجل قد صار قدامي ـ وفي طبعة ١٩٨٠ م : صار أعظم مني ـ لأنه كان قبلي .

٣١/١ : وأنا لم أكن أعرفه . لكن لِيُظْهَرَ لإسرائيل ، لذلك جئت أعمد بالماء .

٣٢/١ : وشهد يوحنا قائلاً : إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه .

٣٣/١ : وأنا لم أكن أعرفه ، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي : الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه ، فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس .

إذاً . فهو قد عرفه بعد نزول الروح عليه وانشقاق السماء . وكأن من

وضع إنجيل يوحنا أراد إصلاح الخلل الواقع بين الأناجيل الثلاثة . لكن هيهات ، فثمة ما يمنع من ذلك :

جاء في إنجيل متى ١١/٢ ـ ٣ : أما يوحنا ، فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له : أنت هو الآتي أم ننتظر آخر ؟

وفي لوقا ٧/١٩ ـ ١٩ : فأخبر يوحنا تلاميذهُ بهذا كله . فدعا اثنين من تلاميذه ، وأرسل إلى يسوع قائلاً : أنت هو الآتي أم ننتظر آخر ؟

٧/٢١ : وفي تلك الساعة شفىٰ كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة ، ووهب البصر لعميان كثيرين .

متى ١١/٤ ـ ٥ ولوقا ٧/٢٢ : فأجاب يسوع وقال لهما : اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران . العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يُطَهرّون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشّرون .

إذاً . ماكان يعرفه ، ولذلك أرسل اثنين من تلاميذه يسأله عن حقيقته . أما المسيح ـ عليه السلام ـ فيبدو أنه كان يعرف يحيىٰ . فَلْننعم النظر فيما يلي :

جاء في متى ١١/٧ . ولوقا ٧/٤٧ : وبينما ذهب هذان ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا : ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا ؟ قصبة تحركها الريح ؟

متى ١١/٩ ، لوقا ٧/٢٦ : لكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبياً ؟ نعم أقول لكم ، وأفضل من نبي .

متى ١١/١٠ ، لوقا ٧/٢٧ : فإن هذا هو الذي كُتب عنه : ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك .

وفي طبعة ١٩٨٠ م : « فهو الذي يقول فيه الكتاب : ها أنا أرسل رسولي قدامك ليهيء الطريق أمامك » . فلماذا بدلوا كلمة (رسول) بكلمة (ملاك) ؟ بل لماذا خالفوا أصل النص ؟ ففي سفر ملاخي ٣/١ : « ها أنذا أرسل ملاكي ، فيهيء الطريق أمامي » وليس أمامك . ولنتابع النص الآن :

متى ١١/١١ ، لوقا ٢٨/٧ : الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان - وفي لوقا : ليس نبي أعظمَ من يوحنا المعمدان .

متى ١٤/١١ : وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي .

وفي طبعة ١٩٨٠ م : « فإذا شئتم أن تصدقوا ، فاعلموا أن يوحنا هو إيليا المنتظر » .

وجاء في متى ١٠/١٧ : وسأله تلاميذه قائلين : فلماذا يقول الكتبة : إن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً ؟

١١/١٧ : فأجاب يسوع وقال لهم : إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء - وفي طبعة ١٩٨٠ م : ويصلح كل شيء .

١٢/١٧ : ولكني أقول لكم إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه . بل عملوا به كل ما أرادوا . .

١٣/١٧ : حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان .

وجاء في مرقس ٢/٩ : وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصَعِد بهم إلى جبل عال منفردِين وحدهم .

وفي لوقا ٢٨/٩ : وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب ، وصعِد إلى جبل عال ليصلي .

مرقس ٤/٩ ، لوقا ٣٠/٩ : وظهر لهم إيليّا مع موسىٰ ، وكانا يتكلمان مع يسوع .

مرقس ٥/٩ ، لوقا ٣٣/٩ : فجعل بطرس يقول ليسوع : يا سيدي جيد أن نكون ههنا . فلنصنع ثلاث مظالّ ، لك واحدة ، ولموسى واحدة ، ولإيليا واحدة .

مرقس ١١/٩ : فسألوه قائلين : لماذا يقول الكتبة : إن إيليا ينبغي أن يأتي أولاً؟

١٢/٩ : فأجاب وقال لهم : إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء . . .

١٣/٩ : لكن أقول لكم إن إيليا أيضاً قد أتى وعملوا بـه كل مـا أرادوا كما هو مكتوب عنه .

فهل يوحنا هو إيليّا ؟

إن الفقرة ١٤/١١ من إنجيل متى لا تدل دلالة واضحة على ذلك . وقد أحسّ بعض النصارى بذلـك فتداركـوا الأمر وغَيَّـروا صيغة الفقـرة وزادوا فيها اسم يوحنا ـ كما في طبعة ١٩٨٠ م ـ فصـارت : « فاعلمـوا أن يوحنـا هو إيليـا المنتـظر » . والفقرتـان ١٢/١٧ من متى و ١٣/٩ من مرقس لا تـدلان عـلى أن يوحنا هو إيليا البتـة . والذي يـدل عليه إنمـا هو الفقـرة ١٣/١٧ التي تفرد بهـا متى . وهي مجـرد استنبـاط من الكـاتب . وقـد ورد في الأنـاجيـل مـا يـدحض ذلك . ومنه ما يلي :

١ ـ لو سلمنا بصحة ذلك ، فمقتضـاه أن التلاميـذ ما كـانوا يعـرفون أن يوحنا هو إيليا إلا بعد أن نزلـوا مع المسيـح من الجبل ، وسـألوه : « لمـاذا يقول الكتبـة إن إيليا ينبغي أن يـأتي أولاً ؟ » . وهنا يـظهر الإشكـال ويطرح السؤال نفسه : فكيف عرفوه لما رأوه فـوق الجبل يتحـدث مع المسيـح وموسىٰ ـ عليهـما السلام ـ؟ لا شك أنهم كانوا يعرفون يحيىٰ . فلو كان هو إيليـا الذي رأوه عـلى الجبل ، لما كانوا سألوه عن مجيئـه . لأنهم يعرفـون أنه جـاء . ولَمَّا كـان قال لهم « إن إيليا جاء ولم يعرفوه » . ولما كان ثمة داع للفقرة ١٣/١٧ التي تفرد بها متى إطلاقاً .

٢ ـ جـاء في متى ١٣/١٦ : ولما جـاء يسوع إلى نـواحي قيصريـة فيلبس سـأل تـلاميـذه قـائـلاً : من يقـول النـاس إني أنـا ابن الإنسـان ؟ ـ وفي طبعـة ١٩٨٠ : من هو ابن الإنسان في رأي النــاس؟ .

١٤/١٦ : فقالوا : قوم : يوحنا المعمدان ـ وفي طبعـة ١٩٨٠ : بعضهم يقـول : يـوحنـا المعمـدان ـ وآخـرون : إيليـا ، وآخـرون إرميـا أو واحـد من الأنبياء .

١٥/١٦ : قال لهم : وأنتم من تقولون إني أنا ؟

٦/١٦ : فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت هو المسيح ابن الله الحي .

وفي مرقس ٢٧/٨ : ثم خرج يسوع وتلاميذه إلى قرى قيصرية فيلبس . وفي الطريق سأل تلاميذه قائلاً لهم : من يقول الناس أني أنا ؟

وفي لوقا ١٨/٩ : وفيما هو يصلي على انفراد كان التلاميذ معه . فسألهم قائلاً : من تقول الجموع : أني أنا ؟

مرقس ٢٨/٨ ، لوقا ١٩/٩ : فأجابوا : يوحنا المعمدان ، وآخرون إيليا ، وآخرون واحد من الأنبياء ـ وفي لوقا : إن نبياً من القدماء قام ـ

مرقس ٢٩/٨ ، لوقا ٢٠/٩ : فقال لهم : وأنتم من تقولون إني أنا ؟ فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح .

وفي لوقا : مسيح الله .

فهذه النصوص تمنع أن يكون يوحنا هو إيليا . لأنه قد عطف عليه ، والعطف يقتضي المغايرة . والمسيح ـ عليه السلام ـ لم يصحح لهم ويخبرهم أن إيليا هو يوحنا حين رآهم يغايرون بينهما .

٣ ـ جاء في إنجيل يوحنا ١٩/١ : وهذه شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟

٢٠/١ : فاعترف ولم ينكر ، وأقر أني لست أنا المسيح .

٢١/١ : إذاً . ماذا ؟ إيليا أنت ؟ فقال : لست أنا . النبي أنت ؟ فأجاب : لا .

٢٤/١ ـ ٢٥ : وكان المرسلون من الفريسيين . فسألوه وقالوا له : فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي ؟

فنفى عن نفسه أن يكون هو إيليا . والأنبياء منزهون عن الكذب . فهل كان لا يعرف نفسه حقيقة ؟ وهل يتصور أن يكون نبياً مرسلاً من قبل الله ذا وحي وإلهام ، ولا يعرف نفسه ؟ أو تراه كتم ذلك عنهم ؟ ولم كتم حقيقته أمام العلماء وهو يُعَمِّد ؟ ألخوف منهم ؟ كلا . فإنه لم يخف عندما أنكر على الملك

زواجه من امرأة لا تحل له ، مما أدى إلى قتله .

٤ ـ جاء في ٤/٥ من سفر ملاخي : ها أنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب ، اليوم العظيم المخُوف .

٤/٦ : فيرد قلب الآباء على الأبناء ، وقلب الأبناء على آبائهم . لئلا آتي وأضرب الأرض بلعن .

وسبق في البشارة الثامنة من بشارات سائر العهد القديم أن هذا لا ينطبق على يحيىٰ ـ عليه السلام ـ لأمور كثيرة منها ما يلي :

أ ـ إن يحيىٰ لم يجيء قبل يوم الرب أي في آخر الزمان . بل كان معاصراً لعيسىٰ ـ عليه السلام ـ وهو ابن خالته . ويعتقد النصارى أن الحواريين رسل بل هم أفضل منه عندهم ، وقد كانوا من بعده . فلا يصدق عليه أنه أرسل قبل مجيء يوم الرب .

ب ـ إنه لم يؤثَر عن يحيى ـ عليه السلام ـ دورٌ بارز في رد قلوب الآباء على الأبناء والأبناء على الآباء . والمبشر به الموصوف بهذه الصفة ، لا بد له من دور بارز فيها ومزية على غيره . ولا تكفي العمومات .

ج ـ إن هذا الوصف يقتضي استقرار الأمر له واجتماع الناس عليه وطاعتهم له . ولم يكن الحال كذلك مع يحيىٰ ـ عليه السلام ـ بل كذبوه وسجنوه ثم قتلوه .

وصفوة الكلام : إن الأمور السابقة كلها تدل على أن كلمة (إيليّا) ليست علماً على شخص معين . بل هي ـ والله أعلم ـ رمز أو لقب لشخص معظم مصلح . وقد تطلق بكثرة على شخص ما ، فيصبح مشهوراً بها . مثل لفظ (المسيح) ويظهر أن المراد بها هنا وفي سفر ملاخي إنما هو خاتم الأنبياء محمد ﷺ فإن الأوصاف والشروط لا تنطبق إلا عليه، ولا تتحقق إلا فيه. والاضطرابات في النصوص إنما هي بسبب التحريفات المتنوعة . وفقدان الأصل الصحيح الموثوق به . والله أعلم بحقيقة الحال .

٥ ـ جاء في متى ١١/١٧ : « إن إيليا يأتي أولاً ويرد كل شيء » . وفي طبعة ١٩٨٠ م : « ويصلح كل شيءٍ » . ويحيىٰ ـ عليه السلام ـ ليس له دور بارز في إصلاح بني إسرائيل ، فضلاً عن أن يصلح كل شيء في العالم . ثم إنه ليس بصاحب شريعة ، فكيف يصلح كل شيء ، ويبين فيه وجه الحق والصواب ؟ فهذا ما لا يتأتى إلا لنبي صاحب شريعة عامة شاملة . وليس ذلك إلا في خاتم الأنبياء محمد ﷺ .

٤ ـ يحيى يبشر بالنبي المنتظر

نص البشارة :

جاء في الباب الأول من إنجيل يوحنا ما يلي :

١ / ١٩ : وهـذه شهـادة يـوحنـا حـين أرسـل اليهـود من أورشليم كهنـة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟ .

٢٠ ـ فاعترف ولم ينكر ، وأقر أني لست أنا المسيح .

٢١ ـ إذاً مـاذا ؟ إيليا أنت ؟ فقـال : لست أنـا . النبي أنت ؟ فـأجـاب لا .

٢٢ ـ فقالوا له : من أنت لنعطي جواباً للذين أرسلونـا ؟ ماذا تقـول عن نفسك ؟ .

٢٣ ـ قال : أنا صوت صارخ في البرية : قـوّموا طـريق الرب . كـما قال إشعياء النبي .

٢٤ ـ ٢٥ وكان المرسلون من الفرّيسيين . فسـألوه وقـالوا لـه : فما بـالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي ؟

٢٦ ـ أجابهم يوحنا قائلاً : أنا أعمد بماء . ولكن في وسطكم قائم الـذي لستم تعرفون .

٢٧ ـ هو الذي يأتي بعدي ، الـذي صار قـدامى ـ وفي طبعة ١٩٨٠ م :

هو الذي يجيء بعدي ويكون أعظم مني ، الذي لست بمستحق أن أحُل سيور حذائه .

توضيح البشارة وتحليلها :

يظهر من هذا النص أن اليهود كانوا ينتظرون ثلاثة أنبياء مبشرٍ بهم . وهم المسيح وإيليا والنبي . فلما ظهر يحيىٰ عليه ـ عليه السلام ـ يعظ ويعلم ، ويبشر وينذر ، بادر اليهود فأرسلوا جماعة ممن يثقون بعلمهم ليسألوه عن حقيقته ؟ فأنكر أن يكون أحد الثلاثة . وإنما قال لهم : أنا صوت من الله ينذر العصاة ، ويحذر المخالفين الذين ابتعدوا عن الحق من عذاب شديد[1] . فمن الثلاثة الذين كانوا ينتظرونهم ؟

أما المسيح ، فَيدَّعي النصارى أنه المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ ونحن المسلمين لا نمنع أن يكون يحيى قد بشر بعيسى ـ عليهما السلام ـ بل يغلب على ظننا ذلك . وكل ما في الأمر أننا نريد أن يكون ذلك ثابتاً بنصوص صحيحة النقل موثوق بها .

وأما إيليا ، فيزعم النصارى أنه يحيىٰ ـ عليه السلام ـ وذلك لأن مجيء المسيح مشروط بمجيء إيليا قبله . وكان من إنكار اليهود على المسيح عدم مجيء إيليا قبله . وقد سلم المسيح لهم بهذا الشرط ـ كما سلف في البشارة السابقة لكنه قال : إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه . مع أن يحيى أنكر أن يكون هو إيليا . وهذا غريب عجيب . فهل كان يحيى ـ وهو نبي مرسل يوحىٰ إليه ـ لا يعرف نفسه حتى شهد له المسيح بأنه إيليا ؟ أو تراه كتم ذلك عن الناس ؟ ولمَ كتمه ؟ خوفاً من بني إسرائيل ؟ لا قطعاً . لأنه كان يُعمِّد الناس جهاراً . إذاً فلم كتم ذلك إن كان هو إيليا ؟؟[2] .

---

(١) مباحث بريئة ص ١٧٠ .

(٢) إظهار الحق ١٠٣/١ و٢١٧/٢ ـ ٢١٨ ، مباحث بريئة ص ١٧٠ ـ ١٧١ ، التوراة السامرية ص ٤٠٨ .

والحقيقة والواقع أن النصوص مضطربة هنا . بل متعارضة ومتناقضة . وقد شعر بعض النصارى قديماً بذلك فادعوا أن إيليا هو إلياس ـ عليه السلام ـ وهذا غلط أيضاً . لأن الياس كان متقدماً على المسيح ـ عليه السلام ـ بدهور ، فلا يَصُدق أنه هو[1] .

ويغلب على الظن أن (إيليا) لقب تعظيم لنبي يرجىٰ منه الإصلاح . وقد يطلق بكثرة على نبي ما فيصبح مشهوراً بهذا اللقب كما سلف . والله أعلم بمن هو مراد في هذا النص إن كان ثابتاً وخالياً من التحريف بالزيادة والنقصان.

وإذا سايرنا النصارى في دعواهم أن إيليا هو يوحنا المعمدان ـ أي يحيى عليه السلام ـ فإن ثلثي البشارة يكونان قد تحققا، وبقي الثلث. فمن النبي الثالث المنتظر؟

يدعي النصارى أن اليهود ما كانوا ينتظرون نبياً آخر سوى المسيح وإيليا . وأن المسيح خاتم الأنبياء . ولا نبي بعده . وهذا ادعاء باطل يرده ظاهر هذا النص . فإن علماء اليهود المعاصرين لعيسى ويحيى ـ عليهما السلام ـ عرفوا أن يحيى نبي ، ولكنهم شكوا في كونه المسيح أو إيليا أو النبي . فسألوه عن ثلاثة منفصلين وهم أعلم بتوراتهم وسؤالهم من النصارىٰ . ثم إن يحيى ـ عليه السلام ـ لم ينكر عليهم ذكر ثلاثة أشخاص . وإنما أنكر أن يكون هو أحدهم . ولو كان الأمر كما قال النصارى لأنكر عليهم ذكر الثالث وقال لهم : إنما بَشَّرَتِ الأنبياء باثنين ليس غير ، ولا وجود لنبي ثالث .

و (ألـ) التعريف في لفظ النبي للعهد الذهني . والمراد به النبي المعهود في أذهان اليهود ، وهو الذي بشر به موسى ـ عليه السلام ـ في سفر التثنية ١٨ / ١٥ ووصفه بأنه مثله . وهذا هو السر في عدم ذكر اسمه وعدم إطلاق هذا اللفظ على غيره . فإنه كان مشهوراً منتظراً بحيث تكون الإشارة إليه كافية .

---

(١) هداية الحيارى ص ٥٦١ .

وقوله : « الـذي يأتي بعـدي » أي في الزمن . أمـا قولـه : « الذي صـار قـدامي » أي في الدرجـة والتعظيم . ولـذلك قـال : « الذي لست بمستحق أن أحُل سيور حذائه » .

فمن هـو النبي المنتظر الذي يشبه موسى في الرسالة والتشريع والجهـاد ، والـذي يأتي من بعـد يحيىٰ في الزمن ، وهـو من الفضـل والـرفعـة بحيث يـرى يحيىٰ ـ عليه السلام ـ نفسه أنه ليس أهلاً لأن يحُل سيور حذائه ؟

لا ريب في أنه خاتم الأنبياء ﷺ عنـد كل بـاحث منصف متجـرد . لأن علماء اليهــود أخبــروا يحيىٰ أن الكتب تقتضي ورود نبي آخــر غــير المسيــح فصدقهم . ولم يقل المسيح آخرهم . وإنما أنكر أن يكـون هو النبي الـذي أخبر عنـه موسى ـ عليـه السلام ـ وكـان معاصـراً للمسيح ، بـل كان تمهيـداً لـه كـما يقـولون . فعـلى شهادتـه هذه يكـون هذا النبي آت من بعـدهما . ولم يؤثـر عن المسيح الاعتراف بـأنه هـو النبي . فلم يبق سوى محمـد ﷺ وهو يشبـه موسى ـ عليه السلام ـ في الرسالة والتشريع والجهاد(١).

ما يشهد لهذه البشارة :

١ ـ جاء في إنجيل يـوحنا ٧/ ٤٠ : فكثيـرون من الجمع لمـا سمعوا هـذا الكلام ـ أي كلام المسيح ـ عليه السلام ـ قالوا : هذا بالحقيقة هو النبي .

٧/ ٤١ : آخرون قالوا : هذا هو المسيح . وآخرون قالوا : ألعل المسيح من الجليل يأتي ؟

٧/ ٤٢ : ألم يقل الكتاب : إنه من نسـل داود ، ومن بيت لحم ـ القريـة التى كان داود فيها ـ يأتي المسيح ؟

٧/ ٤٣ : فحدث انشقاق في الجمع لسببه .

فـظهر من هـذا النص أن النبي المعهود عنـد اليهود غـير المسيـح ـ عليـه

(١) إظهار الحق ١/ ١٠٢ و٢/ ٢١٧ و ٢٢٠ ـ ٢٢١ و ٢٤ ، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ، مباحث بريئة ص ١٧١ ـ ١٧٢ ، التوراة السامرية ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .

السلام ـ ولذلك قابلوه بالمسيح ، وحدث انشقاق في الجمع بسبب ذلك[1] .

فادعاء النصارى أن المسيح خاتم النبيين ، ولا نبي بعده باطل لما عرفت من أن اليهود كانوا منتظرين للنبي الثالث المعهود في أذهانهم . وهو غير المسيح وإيليا كما في نص البشارة . وغير المسيح كما هو في شاهدها ولم يثبت بالبرهان مجيئه قبل المسيح . فهو بعده ، ولأنهم يعترفون بنبوة الحواريين وبولس . بل بنبوة غيرهم أيضاً . وهم عندهم أفضل من موسى وغيره[2] .

وادعاء بعضهم أن إيليا هو يوحنا المعمدان ، وهو النبي باطل يرده ما تقدم في البشارة الثانية ونص البشارة الثالثة أيضاً .

٢ ـ جاء في إنجيل متى ٧/١٥ : احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحُملان . ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة .

٧/١٦ : من ثمارهم تعرفونهم . هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً ؟

وقد تمسك النصارى بهذا النص للدلالة على كون عيسى خاتم النبيين وبطلان نبوة محمد ﷺ وتمسكهم به عجيب . لأن المسيح ـ عليه السلام ـ أمر بالاحتراز من الأنبياء الكذبة ، لا من الأنبياء الصادقين . ولو كان كما ادعوا لقال : احترزوا من كل نبي يأتي من بعدي .

وقد ظهر أنبياء كذبة كثيرون في الطبقة الأولى بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ كما يظهر من إنجيل متى الباب الرابع والعشرين وسفر الأعمال ورسائل أخرى من العهد الجديد .

فهذا النص يدل على أن ثمة نبوة صادقة بعد المسيح ـ عليه السلام ـ ولذلك حذر من الكذبة المتنبئين . ومحمد ﷺ من الأنبياء الصادقين كما تدل

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٢٠ ـ ٢٢١ .

(٢) إظهار الحق ٢/٢٢١ .

عليه ثماره الطيبة . ولا التفات إلى مطاعن المنكرين . فإن اليهـود ينكرون نبـوة عيسى ـ عليه السلام ـ بل لا رجل في اعتقادهم أشد شراً وأكذب منه من ابتداء العـالم إلى زمن ظهوره . فكـما أن إنكـار اليهـود نبـوة عيسى لم يضر ولم يؤثـر في حقه . فكذلك إنكار أهل الكتاب لنبوة محمد ﷺ لا يؤثر[1] .

٣ ـ لو تدبر أحـدُ كتبهم لما قبل قـولهم إن عيسى هو المسيـح الموعـود أو النبي الموعود لما يلي :

أ ـ جـاء في سفر إرْميـا ٢٧/٣٦ : ثم صارت كلمـة الرب إلى إرميـا بعد إحراق الملك الدَرْجَ والكلام الذي يكتبه باروخ عن فم إرْميا قائلة :

٢٨/٣٦ : عـد فخذ لنفسـك دَرْجاً آخـر واكتـب فيه كـل الكلام الأول الذي كان في الدرج الأول الذي أحرقه يَهُويا قيم ملك يهوذا .

٣٠/٣٦ : لذلك هكذا قال الرب عن يهويـا قيم ملك يهوذا : لا يكـون له جالس على كرسي داود ، وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً .

والمسيـح ولد يهـويـا قيم عـلى حسب النسب الـوارد في البـاب الأول من إنجيل متى . فلا يمكن أن يجلس على كرسي داود بنـاء على الفقـرة ٣٦/ ٣٠ من سفر إرميا . والمسيح عندهم لا بد أن يكون جالساً على كرسي داود .

جاء في لوقا ١/ ٣٢ ـ ٣٣ : ويعطيه الرب الإله كرسي أبيـه داود . ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية .

ب ـ إن ظهور المعجزات وخوارق العادات لا يـدل وحده عـلى الإيمان ، فضلاً عن النبوة ، ثم فضلاً عن الألوهية .

جاء في إنجيل متى ٢٤/٢٤ : لأنه سيقوم مسحـاء كذبـة وأنبياء كـذبة ، ويُعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يُضِلوا ـ لو أمكن ـ المختارين أيضاً .

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

وجاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي ٢/ ٩ في حق المسيح الدجال : الذي مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة .

ج ـ إن من يدعو إلى عبادة غير الله واجب القتل بحكم التوراة ـ كما سلف في البشرة الخامسة ـ وإن كان ذا معجزات عظيمة . ومدعي الألوهية أشنع من مدعي النبوة .

والمسيح ـ عليه السلام ـ في زعمهم قتل صلباً . فهل كان ذلك جزاء وفاقاً لادعائه النبوة كما يقول اليهود ؟![1] .

(١) إظهار الحق ١/ ١٠٢ ـ ١٠٣ .

٥ ـ القبلة الجديدة

نص البشارة :

جاء في الباب الرابع من إنجيل يوحنا ما يلي :

٤/١٩ : قالت له المرأة ـ أي السامرية ـ : يا سيدُ أرى أنك نبي .

٢٠ ـ آباؤنا سجدوا ـ وفي طبعة ١٩٨٠ : عبدوا الله ـ في هذا الجبل . وأنتم تقولون : إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه ؟

٢١ ـ فقال لها يسوع : يا امرأة صدقيني . إنه تأتي ساعة ، لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب ـ وفي طبعة ١٩٨٠ : يحين وقت لا يعبد الناس فيه الآب لا في هذا الجبل ولا في أورشليم .

٢٣ ـ ولكن تأتي ساعة ، وهي الآن ، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لأن الأب طالب مثل هؤلاء الساجدين له .

٢٤ ـ الله روح . والذين يسجدون له ، فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا .

٢٥ ـ قالت له المرأة : أنا أعلم أن مسيّا الذي يقال له المسيح يأتي . فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء .

٢٦ ـ قال لها يسوع : أنا الذي أكلمك هو .

توضيح البشارة وتحليلها :

كان العداء مستفحلاً بين العبرانيين والسامريين في زمن المسيح ـ عليه السلام ـ حتى إن اليهود العبرانيين كانوا لا يعاملون السامريين ، ويلقبون الخارج على تقاليدهم بالسامري للدلالة على أنه منبوذ من قومه . وولد المسيح ـ عليه السلام ـ في منطقة العبرانيين . لكنه لما كان نبياً يدعو إلى الله ، لم يبال بهذا العداء . فذهب إلى منطقة السامريين ليبشر بدعوته . فسألته امرأة بعدما علمت من إخباره إياها ببعض المغيبات أنه نبي . أينا على الحق ، نحن أم أنتم ؟ نحن نقدس جبل جرزيم ، ونتجه إليه في الصلاة والحج ، وأنتم تقدسون جبل صِهْيَوْن ، فتصلون ناحيته ؟

أجاب المسيح ـ عليه السلام ـ بأن القبلة ستنزع من هذا المكان كله ، وتتحول إلى مكان آخر « صدقيني يا امرأة ، إنه يحين وقت لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب »[1] .

وهذا إشارة منه ـ عليه السلام ـ إلى تغيير الاتجاه في أثناء الصلاة والدعاء من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة في المسجد الحرام .

وكان رسول الله ﷺ قد أُمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس في أول الأمر . فكان بمكة يصلي بين الركنين ، فتكون الكعبة بين يديه ، وهو مستقبل صخرة بيت المقدس . فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما . فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس . واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهراً وكان ﷺ يحب قبلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ فجعل يقلب وجهه في السماء ويدعو . فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق . وكان في ذلك حكمة عظيمة ومحنة للناس مسلمهم وكافرهم[2] .

عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان أول ما قدم

---

(١) تقديم التوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٧ ـ ٨ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ١ / ١٣٥ .

المدينة نزل على أجداده ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً . وكان يحب أن يُوجه إلى الكعبة . فأنزل الله « قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك قبلة ترضاها » فتوجه نحو الكعبة . فقال السفهاء ـ وهم اليهود ـ : « ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ قل : لله المشرق والمغرب . يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » ـ أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمر أن يستقبل بيت المقدس . ففرحت اليهود . فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهراً . وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم ، فكان يدعو وينظر إلى السماء . فأنزل الله : ﴿ **فولوا وجوهكم شطره** ﴾ أي نحوه . فارتاب من ذلك اليهود وقالوا : « ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها » فأنزل الله : ﴿ **قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ ـ أخرجه أبو حاتم .

وكان مما أنزله الله على رسوله ﷺ بصدد ذلك ما يلي :﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء . فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره . وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم . وما الله بغافل عما يعملون﴾ . البقرة / ١٤٤ .

أي واليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون أن الله تعالى سيوجهك إليها بما في كتبهم عن أنبيائهم من النعت والصفة لرسول الله ﷺ وأمته ، وما خصه الله به وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة . ولكن أهل الكتاب يتكاتمون ذلك بينهم حسداً وكفراً وعناداً . ولهذا تهددهم الله تعالى في آخر الآية[١] .

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ يعني أهل الكتاب : إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ١ / ١٣٩ ، وانظر الأجوبة الفاخرة ص ١٦٨ .

الله لها وضلوا عنها ، وعن القبلة التي هدانا لها وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين ـ أخرجه أحمد في المسند ـ

وقوله في الفقرة الثالثة والعشرين : « تأتي ساعة حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للأب بالروح والحق » إشارة واضحة إلى إخلاص أمة محمد ﷺ وانصياعها لأمر ربها . أما قوله : « وهي الآن » فيظهر أن هذه العبارة مدسوسة للتعمية . لأن السباق والسياق يأبيانها . وإلا فكيف يقول تأتي ساعة ، أي في المستقبل ، ثم يقول : « وهي الآن » فيناقض نفسه ؟ فلا بد أن تكون الساعة الآتية في الفقرة الحادية والعشرين هي نفسها في الفقرة الثالثة والعشرين حتى يستقيم الكلام ويكون له معنى مقبول .

أما تفسير مسيّا بالمسيح في الفقرة الخامسة والعشرين فيظهر أنه مما أُدخل على النص . لأن الذي يعلمهم ويخبرهم بكل شيء إنما هو الفارقليط الآخر الذي سيأتي من بعد المسيح ـ عليه السلام ـ كما سيأتي في البشارة التالية إن شاء الله .

وكذلك الفقرة السادسة والعشرين ، فإنها مقحمة في النص لتأكيد ما أدخل في الفقرة السابقة من تفسير مسيّا بالمسيح . ونحن لا نشك في نبوة المسيح ـ عليه السلام ـ لكن ثمة مسيّا آخر يُعلِّم الناس كل شيء . والله أعلم .

٦ ـ المسيح يبشر بأحمد

نص البشارة :

جاء في الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا ما يلي :

١٤/ ١٥ : إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي .

١٦ ـ وأنا أطلب من الآب ـ أي الله ـ فيعطيكم (فارقليط) آخر ليمكث معكم إلى الأبد .

وفي الترجمة المسكونية : «وسأصلي للآب الذي سيعطيكم باراكليت آخر»[١] .

١٧ ـ روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله . لأنه لا يراه ولا يعرفه . أما أنتم فتعرفونه . لأنه ماكث معكم ويكون فيكم .

١٤/ ٢٤ : الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي . والكلام الذي تسمعونه ليس لي . بل للآب الذي أرسلني .

٢٥ ـ بهذا كلمتكم وأنا عندكم .

٢٦ ـ وأما الفارقليط الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي ، فهو يعلمكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم .

١٤/ ٢٩ : وقلت لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون .

٣٠ ـ لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً . لأن رئيس هذا العالم يأتي . وليس له فيّ شيء .

---

(١) دراسة لموريس ص ١٢٥ .

وفي طبعة ١٩٨٠ م : لن أخاطبكم بعد طويلاً . لأن سيد هذا العالم سيجيء . لا سلطان له علي .

ونقلها القرافي وابن تيمية وابن القيم كما يلي [١] : « إن أركون العالم سيأتي . وليس لي شيء » .

وجاء في الباب الخامس عشر منه ما يلي :

١٥/٢٦ : ومتى جاء الفارقليط الذي سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لي .

٢٧ ـ وتشهدون أنتم أيضاً . لأنكم معي من الابتداء .

وجاء في الباب السادس عشر منه ما يلي :

١٦/٧ : لكنني أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق . لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط . ولكن إن ذهبت أرسله إليكم .

٨ ـ ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة .

وفي الترجمة المسكونية : [٢] « وهو بمجيئه سيذهل العالم فيما يخص الخطيئة والعدل والحكم » .

٩ ـ ١٠ : أما على خطية ، فلأنهم لا يؤمنون بي . وأما على بر ، فلأني ذاهب إلى أبي ، ولا ترونني أيضاً .

١١ ـ وأما على دينونة ، فلأن رئيس هذا العالم قد دين .

١٢ ـ إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن .

١٣ ـ وأما متى جاء ذاك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق. لأنه لا يتكلم من نفسه . بل كل ما يسمع يتكلم به ، ويخبركم بأمور آتية ـ وفي الترجمة المسكونية : [٣] « سيعرفكم بكل ما سيأتي » .

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٦٩ ، الجواب ٤/٧ ، الهداية ص ٥٣٠ .

(٢) دراسة لموريس ص ١٢٦ .

(٣) دراسة لموريس ص ١٢٦ .

١٤ ـ ذاك يمجدني. لأنه يأخذ مما لي ويخبركم ـ وفي طبعة ١٩٨٠ م : لأنه سيأخذ كلامي ويقوله لكم .

توضيح البشارة :

بعد أن عرف المسيح ـ عليه السلام ـ انتهاء رسالته وانقضاء مهمته أخذ يودع تلاميذه ، ويبين لهم بعض ما هم عرضة له ، ويوصيهم بالصبر . ولما أراد أن يحدد لهم المرشد الذي يجب على الإنسانية أن تتبعه بعد رفعه ، لفت انتباههم إلى أن ما سيلقيه عليهم بالغ الأهمية ، وواجب الحفظ والرعاية ، فشوقهم إلى ذلك بقوله : « إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي » . وذلك لما علم بالتجربة ونور النبوة أن الكثيرين من بني إسرائيل ينكرون النبي المبشر به ، ويناصبونه العداء إذا جاء . ثم أكد ذلك بقوله : « وقلت لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون ». وقد حمّل المسيح ـ عليه السلام ـ أصحابه هذه الأمانة ، ليؤدوها إلى من بعدهم كما هي سنة الأنبياء . وعبّر عن المبشر به بكلمة (فارقليط) فما أصل هذه الكلمة؟ وما معناها؟

حقيقة كلمة فارقليط :

إن من عادة أهل الكتاب سلفاً وخلفاً أن يترجموا الأسماء في كتبهم ، ولا يبقوها على لفظها . بل يوردون بدلاً منها معانيها . وهذا خبط عظيم ومنشأ للفساد . حتى إنهم ليضيفون إلى النصوص التي هي أصلية في زعمهم شيئاً من التفسير ، ولا يشيرون إلى ذلك ولا يميزون ، وهذان الأمران بمنزلة الأمور العادية عندهم[1] . فشمعون الصفا (بطرس) كان اسمه الأصلي سمعان . دعاه المسيح لمتابعته فآمن به ، وسماه ـ على حد زعمهم ـ (كيفا) . وهي كلمة آرامية معناها الحجر أو الصخرة . وقال له : أنت الصخرة التي سأبني

(١) إظهار الحق ٢ / ٢٧٩ و ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ثم أورد نحو أربعة وعشرين شاهداً على ذلك من العهد القديم والجديد من ص ٢٢٩ ـ ٢٣٦ ، وقال ص ٢٣١ : فلو بدلوا في البشارات المحمدية لفظ رسول الله بلفظ آخر فلا استبعاد لذلك منهم . وقال ص ٢٣٧ : فبعض الأخبار التي نقلها العلماء الأسلاف من المسلمين مثل القرطبي وغيره ، لا تجدها موافقة في بعض الألفاظ .

عليهـا كنيستي . ثم تـرجم هـذا الاسم إلى اللغـة الـلاتينيـة في كلمـة معنـاهـا الصخرة ، ألا وهي (بطرس)[1] .

جـاء في إنجيـل متى ١٦/١٦ : فـأجـاب سمعــان بـطرس : أنت هــو المسيح . .

١٧ ـ فأجاب يسوع وقال له : طوبىٰ لك يا سمعان بن يونا . . .

١٨ ـ وأنا أقول لك أنت صخر ، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي .

وعيسى ـ عليه السلام ـ كان يتكلم اللغة الآراميـة المشتقة من العبـرانية . واللفظ العبراني لهذه الكلمة مفقود . فلم يبق شك في أن كاتب الإنجيل الرابع ترجم اسم المبشر به إلى اللغة اليونـانية التي كتب بهـا هذا الإنجيـل على حسب عادتـهم . ثم إن المترجمين إلى العربيـة عربـوا اللفظ اليونـاني (PARAKLE-TOS) بـ (فارقليط)[2] . ويكتب في اللغة الفرنسية (PARACLET)[3] .

ففي الأنـاجيل المتـرجمة إلى اللغـة العـربيـة قبـل أكـثر من قـرن ، ومنهـا الأنـاجيل المـطبوعـة في لندن في السنـوات ١٨٢١ م و ١٨٣١ و ١٨٤٤ م وردت البشارة بلفظ (الفارقليط) كما أثبته في النص . ثم خلت الترجمات العربية فيـما بعد من هذه الكلمة ، ووضع بـدلاً منها لفظ (المعـزي) كما في العهـد الجديـد الصـادر عن جمعيات الكتب المقـدس في الشـرق الأدنى عـام ١٩٦٣ م وعن دار الكتـاب المقـدس في العـالم العـربي عـام ١٩٨٠ . وعن جمعيـات الكتـاب المقدس في الشرق الأدنى عام ١٩٨١ وفي الكتاب المقدس بعهديه الصادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨٤ م . والمعـزي اسم فاعـل مشتق من العزاء بمعنى الصبر ونحوه .

= للتراجم المشهورة الآن ، وسببه غالباً هذا التغيير . لأن الأسلاف نقلوا عن الترجمة التي كانت رائجة في عهدهم . وبعد ذلك وقع التحريف القصدي بالتبديل والزيادة والنقصان .

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ١٧٤ ، تاريخ الأمة القبطية ٥٦/٢ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٦٨ .

(٢) إظهار الحق ٢٧٩/٢ و ٢٨٢

(٣) دراسة لموريس ص ١٢٥ .

ومن الملاحظ أن الترجمات إلى العربية لتختلف اختلافاً بيناً ، ليس من ترجمة إلى ترجمة فحسب بل من طبعة إلى طبعة في الترجمة الواحدة . وقد قال بعض المتتبعين لكتبهم : إن الطبعات التي تنشر في البلاد العربية فيها كثير من الاحتياط والحذر لدى مترجميها وطابعيها . بينما ترسل على سجيتها في البلاد التي لا ينتشر فيها الإسلام . كما كان الحال في الطبعات العربية القديمة أو النسخ الخطية[1] .

ويشهد لذلك ما جاء في مقدمة العهد الجديد الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي عام ١٩٨٠ في بيروت وهو أول ترجمة جديدة استغرق وضعها نحو ست سنوات ، ووضعتها لجنة مؤلفة من علماء لاهوتيين ينتمون إلى مختلف الطوائف النصرانية من إنجيلية وكاثوليكية وأرثوذكسية . جاء في المقدمة : « وأما الغاية من هذه الترجمة الجديدة ، فهي إعادة النظر في الترجمات العربية القديمة على هدى المعرفة المستجدة خلال المائة السنة الأخيرة في تفسير النصوص والإفادة منها ، مع اعتماد أسلوب عربي بليغ ، يكون في الوقت ذاته مبسطاً واضحاً . وعلى أن تلك الترجمات العربية القديمة اعتمدت النصوص اليونانية البيزنطية ، بحيث أصبحت جزءاً من تراث الكنيسة في العالم العربي . فالترجمة الجديدة احتفظت إلى حد بعيد بمضمون تلك النصوص . ولكننا رأينا أن لا نشير إلى ذلك إلا في الطبعة العلمية التي ستصدر فيما بعد » .

وسيراً على هذا المنهاج فإن الطبعات العربية الحديثة خلت من كلمة (فارقليط) لقوة دلالتها على البشارة بمحمد ﷺ ووضعت كلمة (المعزي) ونحوها عوضاً عنها سداً للباب . لكن من الطريف في ذلك ما جاء في كتاب العهد الجديد الصادر عن المطبعة البولسية في حريصا بلبنان عام ١٩٦٤ م ، والذي يذكرون في مقدمته أنه نقله عن اليونانية وعلق عليه القَس جورج فاخوري ، وقدمه إلى البطريرك مكسيموس الرابع . فقد وجدتُ فيه كلمة

---

(١) مواجهة صريحة ص ٢١٤ .

(المحامي) بدلاً من الفارقليطِ أو المعزي . ويعلق القس على ذلك فيقول في الحاشية : « وهذا المحامي المعزي الذي يقيم في الكنيسة إلى الأبد ، ويكون شِبْهَ روح لها ، هو الروح القدس ، الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس » .

ومن المعلوم لدى المحققين من المترجمين أن الكلمة في أي لسان من الألسن لها معنى حرفي ، ولها جو يحيط بذلك المعنى . وعلى المترجم أن يراعي كليهما عند الترجمة ، وإلا وقع في خطأ فاحش . ولا أدري أي المعنيين راعى القس جورج ، وهو يترجم أقدس كتاب لديهم ؟ وقد أقره عليه البطريرك . وإذا كانوا يترجمون بلغة العصر ، فإن كلمة (محامي) تعني في سورية ولبنان وسائر البلاد العربية ، ذلك الرجل الذي درس القانون في كلية الحقوق ، ثم تدرب مدة سنتين لدى محام قديم ، بعد أن سجل اسمه في نقابة المحامين ، وبعد ذلك أصبح يدافع عن كل من يوكله ويدفع له أجراً ، سواء أكان على حق أم على باطل ، إلا من رحم الله . فإن تعجب فعجب قولهم : « المحامي الروح القدس » .

موقف النصارى من هذه الكلمة :

لما لم يستطع النصارى إنكار هذه النصوص حرفوها أنواعاً من التحريف . واختلفوا في ذلك :

أ ـ ذهب بعضهم إلى أنها كلمة سريانية معناها : المخلص . وأصلها (فاروق) ثم جعل (فارُق) بضم الراء وحذف الواو . أما (ليط) فكلمة تزاد ، ويراد بها التثبيت والتقدير . كما يقال بالعربية : رجل هو ، وفرس هو ، فكذلك في السريانية .

ومن النصارى من يزعم أن هذا المخلص هو المسيح نفسه . لكونه قام من قبره بعد ثلاثة أيام ـ في زعمهم ـ وجاء إلى تلاميذه ، ومكث فيهم أربعين يوماً[1] .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/٨ ـ ٩ ، هداية الحيارى ص ٥٣١ ، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٦ .

ولعلهم يحتجون بما جاء في يوحنا ١٤/١٨ : لن أترككم يتامى . بل أرجع إليكم . و١٤/٢٨ : قلت لكم : أنا ذاهب وسأرجع إليكم .

ب ـ وذهب أكثرهم إلى أنها كلمة يونانية معناها المعزي ونحوه .

قالوا : وهو الروح القدس الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس ، الذي وعد المسيح تلاميذه بأن ينزل عليهم ، ويحل فيهم ، ويقيم معهم في الكنيسة إلى الأبد ، ويكون شبه روح لها[1] .

---

(١) المصادر السابقة بالإضافة إلى تعليق القس جورج فاخوري على هذه الكلمة في العهد الجديد المطبوع عام ١٩٦٤ بلبنان .

ويزعم النصارى أن الله الواحد ذو قدرة على الانبثاق من غير أن يخسر وحدانيته . لأنه ليس شخصية مادية واحدة، لكنه كيان روحي واحد مثلث الأقانيم ـ أي الأصول ـ فالثالوث الأقدس واحد في زعمهم ـ انظر أقنوم الحق الفريد للدكتور رأفت عماري ص ٤٩ ـ.

لكن اختلف النصارى في مصدر انبثاق الروح القدس .

أ ـ ذهب بعض الطوائف إلى أن انبثاقه كان من الأب وحده . وعلى رأسهم بطريرك القسطنطينية .

ب ـ وذهب آخرون إلى أن انبثاقه كان من الأب والابن معاً . وعلى رأسهم بابا روما .

وكان ذلك سبباً في الانقسام إلى فئتين :

ـ الأولى وهي الكنيسة الشرقية اليونانية ـ ويقال لها : الشرقية ـ ومعها كنيسة الروم الأثوذوكس . ومشايعوها أكثرهم في الشرق واليونان وتركيا وروسيا والصرب . ولهم أربعة بطاركة : بطريرك القسطنطينية، وبطريرك الإسكندرية للروم الأرثوذوكس، وبطريرك أنطاكية، وبطريرك أورشليم . وهناك أسقفيات تابعة لهم، كالمجمع الروسي وأسقفية قبرص وأسقفية آسيا .

ـ الثانية الكنيسة الغربية اللاتينية . ويقال لها : الغربية والكاثوليك ـ الأسفار المقدسة لعلي ص ١١٨ ـ

ومن الطريف اعتقادهم أنه لم يسبق لله أن ناقض قراره في أحد أقانيمه المستقلة أو ندم على موقفه المتخذ في أقانيمه . كما أن ثلاثة الأقانيم تجلس على عرش واحد في صورة دائمة وفي ملك واحد وسلطة واحدة . وهو لا يفقد وحدانيته عندما يتواجد أقنوم من أقانيمه في نشاط خارج العرش الذي يجلس عليه ـ أقنوم الحق الفريد ص ٥٠ ـ

جاء في إنجيل متى ١٠/١٩ ـ ٢٠ ومرقس ١٣/٩ ـ ١١ ولوقا ١٢/١١ ـ ١٢ : أن المسيح طلب من تلاميذه ألا يخافوا عندما يساقون إلى الحكام ، ولا يهتموا من ناحية الدفاع عن أنفسهم ، لأن الروح القدس سيلهمهم في تلك الساعة ما يجب أن يقولوا . فليس هم المتكلمين . بل روح القدس هو المتكلم فيهم .

فمتى حل الروح القدس في التلاميذ وكيف؟

النصوص هنا متعارضة : فقد جاء في إنجيل يوحنا ٢٠/١٩ ـ ٢١ أن المسيح ظهر لتلاميذه بعد الصلب وأراهم يديه وجنبيه ففرحوا ، ثم قال لهم : سلام عليكم كما أرسلني الأب أرسلكم أنا .

٢٠/٢٢ : قال هذا ونفخ عليهم وقال : خذوا الروح القدس ـ وفي بعض الترجمات : اقبلوا الروح القدس .

لكن في سفر الأعمال ما يدل على خلاف هذا في الوقت وفي الكيفية : ففي ١/٣ أن المسيح ظهر حياً،وتراءى لتلاميذه مدة أربعين يوماً بعد آلامه ، وكلمهم على ملكوت الله . وقال لهم ـ كما في ١/٨ ـ: ولكن الروح القدس يحل عليكم ويهبكم القوة ، وتكونون لي شهوداً .

١/٩ : ولما قال يسوع هذا الكلام ارتفع إلى السماء وهم يشاهدونه ، ثم حجبته سحابة عن أنظارهم .

٢/١ ـ ٤ : ولما جاء اليوم الخمسون كان التلاميذ مجتمعين كلهم في مكان واحد ، فخرج من السماء فجأة دوي كريح عاصفة ، فملأت البيت الذي كانوا فيه ، وظهرت ألسنة كأنها من نار فانقسمت ، ووقف على كل واحد منهم لسان ، فامتلؤوا كلهم من الروح القدس ، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم على قدر ما منحهم الروح القدس أن ينطقوا .

٢/٤٣ : وتمت عجائب وآيات كثيرة على أيدي الرسل .

قال الأب تريكو في المعجم الصغير للعهد الجديد : هذا الاسم ـ أو هـذه الصفة ـ المنقول من اليونانية إلى الفرنسية غير مستخـدم في العهد الجـديد إلا في إنجيل يوحنا. . . ثم قال: إن الكلمة في إنجيل يوحنا تنطبق على الروح القدس. أما في الرسالة فهي تنـطبق على المسيـح . لقد كـانت كلمة (PARAKLET) سائدة لدى اليهود الهللنستيين في القرن الأول بمعنى الوسيط والمدافع . فالمسيـح يعلن أن الروح سيُرسَـل بالأب والابن في دورة الإنقـاذي الذي يؤديـه. . . إن الروح يتدخل ويعمل بديلاً للمسيح بوصفـه باراكليت أو وسيط قـادر على كل شيء اهـ[١].

فهـذا الكلام يجعـل روح القدس مـرشداً أسمىٰ للبشـريـة بعـد اختفـاء المسيح . لكن هل يتفق مع مقتضى النص في إنجيل يـوحنا ؟ هـذا ما سنـراه في أثناء التحليل إن شاء الله .

جـ ـ وذهبت طائفة ثالثة إلى أنها كلمة يونانية معناها الحامد أو الحماد أو الحمد.

ورجـح بعضهم هذا القـول . لأنـه هـو الـذي يقـوم عليـه البـرهـان في لغتهم. واستدلوا بقول يوشع : « من عمل حسنـة له فـارقليط جيد » أي حمـد جيد. ومن أقوالهم المشهورة في تخاطبهم : « فـارقليط وفارقليـطان وما زاد عـلى الجميع » أي حمد واحد وحمدان [٢] .

مدلول هذه الكلمة :

ذكر العلامة رحمة الله الهندي في إظهار الحق[٣] : أنه وجد رسالة صغيـرة باللغة الأردية لأحد القسس طبعت في كلكتا ، يـدعي مؤلفهـا أنه يحقق في لفظ (فارقليط)وملخص كلامه : أن هذا اللفظ معرب من اليونـاني ، وأن الصحيح

---

(١) دراسة لموريس ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٨ ، هداية الحيارىٰ ص ٥٣١ ، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٦ .

(٣) انظر ٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

فيه (باراكليت ـ PARACLETE) وهو بمعنى المعزي والمعين والوكيل والشافع . ويدعي أن علماء المسلمين التبس عليهم الأمر ، ففهموا أن اللفظ في الأصل (PERACLYTE) ومعناه قريب من محمد أو أحمد . فقالوا : إن عيسى بشر بمحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ .

ويرد العلامة على ذلك فيقول : إن التفاوت بين اللفظين يسير جداً ، والحروف اليونانية كانت متشابهة . فتبديل بيراكلوت بباراكليت قريب القياس . ثم رجح أهل التثليث النسخة التي فيها (باراكليت) على النسخ الأخرى التي فيها (بيراكلوت) . ومثل هذا منهم ليس ببعيد اهـ .

وعلى كل ، لو سلمنا لهم بأن هذه الكلمة بمعنى المعزي والمعين والوكيل والمدافع والشافع والمخلص ، فإن المسيح ـ عليه السلام ـ يكون قد كنّىٰ عن محمد ﷺ لأن هذه المعاني كلها تصدق عليه[1] .

قال ابن تيمية :[2] « أما من فسره بالمعز ، فلم يُعرَف نبي أعز أهل التوحيد والإيمان بالله ، كما أعزهم محمد ﷺ فهو أحق باسم المعز من كل إنسان » .

وقال أيضاً :[3] « وأما من قال إنه المخلص ، فهو أيضاً ظاهر فيه . فإن المسيح ـ عليه السلام ـ هو المخلص الأول أي الفارقليط الأول . وقد بشر بفارقليط آخر أي مخلص آخر ، يثبت معهم شرعه إلى الأبد ولا ينسخ وهو محمد ﷺ أما ما ينزل في القلوب ، فلم يسمه أحد مخلصاً ، ولا يجوز أن يفسر كلام المسيح به » .

وقال ابن القيم :[4] « ومن تأمل ألفاظ الإنجيل وسياقها ، علم أن

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٨٢ ، الرسالة السبيعية ص ٧٥.
(٢) الجواب الصحيح ٤/١٦ .
(٣) الجواب الصحيح ٤/١٧ ، وانظر الأجوبة الفاخرة ص ١٦٦ .
(٤) هداية الحيارىٰ ص ٥٣٢ .

تفسيره بالروح باطل . وأبطل منه تفسيره بالمسيح » . وذلك لأن يخالف قوله : « فارقليط آخر » .

وقد ذكر بعض من خبر أحوال النصارى أنه لم ير أحداً منهم يحسن تحقيق معنى الفارقليط الموعود به[1] .

وأما إن كانت هذه الكلمة (بيراكلوت) ومعناها يدور حول الحمد ومشتقاته ، فيكون عيسى ـ عليه السلام ـ قد بشر بمحمد ﷺ وصرح به . كما هو الحال في إنجيل برنابا ، وكما هو صريح الآية القرآنية :﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾.

ثم إن كان الفارقليط بمعنى الحمد ، فهو تسمية بالمصدر ، للمبالغة في كثرة الحمد . كما يقال : رجل عدل ورضى ونظائر ذلك . وإن كان بمعنى الحامد أو الحماد أو أحمد أو محمود ، فإن هذا الوصف ظاهر في محمد ﷺ فإنه وأمته الحمادون لله على كل حال . ولفظ الحمد مفتاح خطبته وصلاته . ولما كان حماداً لله جوزي بوصفه ، فكان اسمه محمداً ـ بوزن مكرم ومعظم ـ أي يُحمد أكثر مما يحمد غيره ، ويستحق ذلك ، فهو محمود . أما أحمد ، فهو أفعل تفضيل ، أي هو أحمد من غيره ، أو أحق أن يكون محموداً من غيره . فلفظ (محمد) يقتضي زيادة في الكمية ، ولفظ (أحمد) يقتضي زيادة في الكيفية .

ومن الناس من يقول : معنى أحمد : أكثر حمداً لله من غيره . وعليه فيكون بمعنى الحامد أو الحماد ؟[2] .

عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ: أن الله سبحانه قال لعيسى بن مريم :﴿ **يا عيسىٰ إني باعث بعدل أمة، إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا**

---

(١) الجواب ٤/٩ ، هداية الحيارى ص ٥٣١ .

(٢) الجواب الصحيح ٤/١٦ ، هداية الحيارى ص ٥٣٦ .

علم. قال: يا رب كيف هذا ولا حلم ولا علم؟ قال: أعطيهم من حلمي وعلمي ﴾ -أخرجه البزار وقال: إسناده حسن وأخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية -.

ومما يرجح أن هذه الكلمة يونانية ، وقد وردت بمعنى الحمد ومشتقاته ما يلي :

١ - نقل ابن القيم عن ترجمات الأناجيل في زمنه أن المسيح قال للحواريين[1] : « من أبغضني فقد أبغض الرب . ولولا أني صنعت لهم صنائع لم يصنعها أحد ، لم يكن لهم ذنب . ولكن من الآن بطروا . فلا بد أن تتم الكلمة التي في الناموس . لأنهم أبغضوني مجاناً . فلو قد جاء (المنحمنّا) هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب ، روح القسط ، فهو شهيد علي ، وأنتم أيضاً . لأنكم قديماً كنتم معي . هذا قولي لكم لكي لا تشكوا إذا جاء » . قال : (والمنحمنا) باللغة السريانية هو الحماد أو الحمد أو المحمود .

٢ - قال ابن قتيبة : الفارقليط بلغتهم : لفظ من ألفاظ الحمد ، إما أحمد أو محمد أو محمود أو نحو ذلك . وهو في الإنجيل الحبشي (برنقطيس)[2] .

فصار باليونانية (بيراكلوت) ، وبالسريانية (المنحمنّا) ، وبالحبشية (برنقطيس) ، وبالرومية (البرقليطس) كما ذكر بعضهم .

٣ - لو كانت كلمة فارقليط بمعنى المعزي كما يقولون ، وليست اسماً لشخص ، فلمَ لم يترجمها القدامىٰ إلىٰ اللغة العربية وغيرها من اللغات الأخرىٰ ، ويضعوا معناها بدلاً من هذه الكلمة الثقيلة الغامضة ، كما ترجموا غيرها من الصفات ؟ فلا بد أنهم أثبتوها ، لأنها تدل على شخص ما ، لا على صفة لشخص ولو طابقت بين معنى الفارقليط ومعنى (مؤذ مؤذ) الوارد في سفر

---

(١) هداية الحيارى ص ٥٥٩ - ٥٦٠

(٢) المصدر السابق .

التكوين، وبين محمد وأحمد تيقنت أنه الفارقليط بالاعتبارات كلها[1].

٤ ـ ذكر القَس الأسباني الكبير إنسلم تورميدا أن سبب إسلامه وقدومه إلى تونس زمن أبي العباس أحمد بن المستنصر الحفصي الذي حكم بين عامي ٧٧٢ ـ ٧٩٦ هـ ، هو تحققه من معنى فارقليط . فقد تلقى دراسته في الكتاب المقدس منذ نعومة أظفاره ، ثم انقطع لطلب العلم فترة طويلة استطاع أن يصحب فيها أساطين العلم بالديانة النصرانية، أمثال (نقلادمارتيل) الذي كانت له منزلة في العلم والدين عند النصارى رفيعة جداً ، ويأخذ عنهم . وقد قرأ على هذا الرجل علم أصول دين النصرانية وأحكامه ، ولم يزل يتقرب إليه بخدمته حتى صار أخص خواصه . ومكث على ذلك عشر سنين . ثم أصاب القس الكبير مرض ، فتخلف عن مجلسه ، وتذاكر أهل المجلس في مسائل من العلم إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول عيسى ـ عليه السلام ـ : « يأتي من بعدي البارقليط » فبحثوا في تعيين هذا النبي ، وقال كل منهم بحسب علمه وفهمه .

يقول انسلم : فأتيت مسكن صاحب الدرس ، فأخبرته باختلاف القوم فقال : إن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا الراسخون في العلم ، وأنتم لم يحصل لكم من العلم إلا القليل ، فبادرت إلى قدميه أقبلهما ، وقلت له : يا سيدي قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيد ، ولي في خدمتك عشر سنين ، حصّلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها . فلعل من جميل إحسانكم أن تكمل علمي بمعرفة هذا الاسم الشريف . فبكى وقال : يا ولدي ، والله إنك لتعز علي كثيراً من أجل خدمتك وانقطاعك إلي ، وإن في معرفة هذا الاسم فائدة عظيمة، لكن أخاف أن يظهر ذلك عليك فتقتلك النصارى. فقلت له: والله العظيم ، وحق الإنجيل ومن جاء به ، لا أتكلم بشيء مما تسره لي إلا عن أمرك . فقال : اعلم يا ولدي أن البارقليط اسم من أسماء نبي المسلمين محمد ﷺ وعليه أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال . فقد أخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه ، وأن دينه دين الحق ، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في

(١) مواجهة صريحة ص ٢١٧ .

الإنجيل . قلت : يا سيدي ، وما تقول في دين النصارىٰ ؟ قال : لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله . لأن عيسى وجميع الأنبياء ، دينهم دين الله تعالى[1] .

٥ ـ وذكر الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه (قصص الأنبياء)[2] أنه كان في سنة ١٨٩٤ م طالباً في دار العلوم . وكان يجلس بجانبه في درس اللغة العربية العلامة الكبير الدكتور (كارلونيلنو) المستشرق الإيطالي . وكان يحضر اللغة العربية بتوصية من الحكومة الإيطالية . فانعقدت بينهما أواصر الصحبة المتينة .

يقول : وفي ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة ١٣١١ هـ خرجنا بعد المحاضرة وسرنا ـ ثم قلت له : ما معنى (بيراكلوتس ـ PARAKLETOS) ؟ فأجابني بقوله : القسس يقولون معناها المعزي . قلت : إني أسأل الدكتور (كارلونلينو) الحاصل على الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية القديمة . ولست أسأل قَساً . فقال : إن معناها : الذي له حمد كثير . فقلت : هل يوافق ذلك أفعل التفضيل من فعل حمد ؟ فقال : نعم . فقلت : إن رسول الله ﷺ من أسمائه أحمد . فقال : يا أخي أنت تحفظ كثيراً . ثم افترقنا . وقد ازددت بذلك تثبتاً في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح : **﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾** .

٦ ـ ذكر الأستاذ عبد الحميد جودة السحار في كتابه (المسيح بن مريم) أن فارقليط لفظة يونانية ترجمتها جمعية التوراة الأمريكية بالمعزي ، وترجمها المسلمون بأحمد . ثم قال : ووضح القَس عبد الأحد داود الآشوري العراقي في كتابه (الإنجيل والصليب) الكلمات اليونانية التي في التوراة والإنجيل بمعنى أحمد وإسلام اهـ .

قلت : حتى إنه برهن على أن الفقرة ١٣/٢ من إنجيل لوقا : « المجد لله

---

(١) تحفة الأريب ص ٣٣ ـ ٣٤ و ٣٧ ـ ٣٩ . وسأذكر قصة إسلامه في الباب ج ـ نصارى يعتنقون الإسلام عن علم ومعرفة . بعد الانتهاء من بشارات العهد الجديد .

(٢) ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة» أصلها هكذا: «المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض إسلام ، وللناس أحمد » في الترجمة اليونانية . لكن يد التحريف لعبت بها في أثناء الترجمة إلى السريانية ، فلم يعد يدرك أحد ما تحتويه[1] .

تحليل النص :

١ ـ جاء في الفقرة السادسة عشرة : « وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليمكث معكم إلى الأبد » .

فمن هذا الفارقليط الآخر أو المعزي الآخر ؟

يدعي النصارى أنه (الروح القدس) الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس . قالوا : وقد منحه المسيح لتلاميذه فأرسله إليهم معزياً ، وحل فيهم فعلاً يوم الدار بعد خمسين يوماً من قيامة المسيح من قبره . وهم يحتفلون في مثل هذا اليوم ، ويسمونه (عيد العنصرة) . وقالوا أيضاً : وقد سماه المسيح (روح القدس) وسماه (روح الحق) فدل على أن المرسل روح ، وليس جسداً[2] .

ومن تأمل ألفاظ الأناجيل وسياقها علم أن تفسيره بالروح باطل لما يلي :

أ ـ إن كان المراد به (روح القدس) الذي كان ينزل على الأنبياء والصالحين بأمر الله لتأييدهم قبل المسيح وبعده ، فهذا شيء لم يختص به أتباع المسيح وحدهم من دون الناس . لكن هذا الروح غير متصف بتلك الصفات ، ولم يسمه أحد (فارقليط) . فلا بد أن يكون الفارقليط غير هذا، وأن ما بشر به المسيح ووعد به أمر أعظم من هذا يأتي من بعده[3].

وإن كان المراد به روحاً غير (روح القدس) الذي كان ينزل بالوحي على الأنبياء . بل هو الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس كما قالوا . فلا صحة

---

(١) انظر الإنجيل والصليب ص ٣٤ ـ ٥٣ .

(٢) الجواب الصحيح ٤/ ٢٠ ، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٦ ، مواجهة صريحة ص ٢١٧ ، إظهار الحق ٢/ ٢٨٢ .

(٣) الجواب الصحيح ٤/ ٩ ، هداية الحيارى ص ٥٣٢ .

لادعائهم أيضاً. لأن هذا الروح متحد بالأب مطلقاً، وبالابن. والتعبير يدل على أنه ثان لأول كان قبله، وأنه لم يكن في حياة المسيح . بل إنما يكون بعد ذهابه وتوليه عنهم . وهم يزعمون أن الثلاثة تُشَكِّل واحداً منذ الأزل . بخلاف ما لو حملناه على نبي يبشر به من بعده ، فإن القول يصدق في حقه بلا تكلف[1] .

ب ـ إنهم يقولون : « وقد منحه المسيح لتلاميذه ، وحل فيهم فعلاً . . » فهل روح القدس الذي يزعمون واحد أو متعدد بتعدد التلاميذ؟ فإن كان واحداً، ففيمن حل من التلاميذ؟ فمن حل فيه كان هو خليفة المسيح ناسوتاً ولاهوتاً، وكان الآخرون أدعياء. وإن كان متعدداً، فقد خرجت عقيدتهم من التثليث إلى ما هو أضعاف التثليث. وكان ينبغي أن يقول: فارقليطات آخرين. لا فارقليط آخر.

ج ـ جاء في الفقرة ذاتها : « ليمكث معكم إلى الأبد » . وهذا إنما يكون لما يدوم ويبقىٰ ويتوارثه الناسّ إلى آخر الدهر . وإذا سلمنا بأنه حل في التلاميذ . فأين هم تلاميذ المسيح الآن ؟ هل بقي أحد منهم مع النصارى في الكنيسة حتى اليوم ؟ أو أنهم ماتوا كلهم وحل في غيرهم من القساوسة ؟

إنهم يفسرون الفارقليط بالروح القدس . ويقولون « هو الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس الذي وعد المسيح تلاميذه بأن ينزل عليهم ، ويقيم معهم في الكنيسة إلى الأبد ، ويكون شبه روح لها » فإذا كان باقياً معهم في الكنيسة إلىٰ الأبد ، فماذا عمل تجاه خلاف النصارىٰ بعضهم مع بعض ؟ وتجاه تعدد أناجيلهم وتناقضها واضطرابها واختلافها الكبير فيما بينها ومع نفسها كما سيأتي . ولماذا احتجب عن بعض المجامع ، فلم يقبلوا بعض الكتب والرسائل ، ثم ظهر لمن بعدهم فقبلوها ؟ بل ماذا فعل تجاه خلافهم في الأقانيم وانبثاقها وتميزها عن بعضها وتعدد إرادة كل منها ومشيئته ، وكونها متساوية تماماً أو بعضها أرجح من بعض؟ وغير ذلك مما كَفَّر به بعضهم بعضاً ولعنه إبَّان مجامعهم المقدسة

---

(١) هداية الحيارى ص ٥٣٢ ، إظهار الحق ٢ /٢٨٣ .

وبعدها؟؟! فقوله «يثبت إلى الأبد» يبطل كونه روحاً محضة[1].

أما قولهم « قد سماه المسيح روح القدس وروح الحق . فدل على أنه روح ، وليس جسداً » فقد رجَّح بعض الباحثين ـ ومنهم الطبيب والمفكر الفرنسي موريس بوكاي ـ أن هذه العبارة مدسوسة للتعمية كما سيأتي قريباً . وعلى فرض صحتها ، فإن جسدية المبشر به ليست بمانعة من وصفه بالروح القدس ونحوه . لأن المراد بهذا الوصف النبوة والهداية على سبيل المجاز اللغوي . وهو غاية المدح والتعظيم . ويدل على ذلك ما جاء في رسالة يوحنا الأولى من التفرقة بين روح الحق وروح الضلال :

٤/١ : أيها الأحباء ، لا تصدقوا كل روح ، بل امتحنوا الأرواح لتروا : هل هي من الله ؟ لأن كثيراً من الأنبياء الكذابين جاؤوا إلى العالم .

٢ ـ وأنتم تعرفون روح الله بهذا : كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد يكون من الله .

٣ ـ وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح . . لا يكون من الله بل يكون المسيح الدجال الذي سمعتم أنه يجيء .

٦ ـ نحن من الله . فمن يعرف الله يسمع لنا ، ومن لا يكون من الله لا يسمع لنا ، بذلك نعرف روح الحق من روح الضلال .

فعلم أن الروح عندهم يطلق على النبي المرسل من البشر ، كما يطلق على الملك الذي ينزل بالوحي . وعلم أيضاً أنه سيأتي بعد المسيح أنبياء صادقون ومتنبئون كاذبون . ولذلك أمر بالتمييز بين النوعين . ولم يقل : لا يأتي بعد المسيح نبي .

وبهذا يتبين أن عبارة روح الله أو الروح القدس أو روح الحق ، يراد بها المرشد والواعظ والهادي . وليست بمعنى الأقنوم الثالث كما يدعي النصارى . ومن ثم يصح إطلاقها على نبي مبشر به .

---

(١) مواجهة صريحة ص ١٣٢ وص ٢١٨ .

أما قوله : « ليمكث معكم إلى الأبد » فالمراد بقاء شرعه وأمره ببقاء الكتاب الذي أنزل صحيحاً سليماً، يعمل به وبسائر الوحي الذي أنزل عليه طائفة من أمته على الأقل . فالذي يثبت إلى الأبد هو رسالة الرسول المبشر به ، لا ذاته المخلوقة. وهذا يدل على أن الفارقليط الآخر المبشر به صاحب شرع لا ينسخ إلى الأبد . وهذا إنما ينطبق على محمد ﷺ فرسالته باقية على مر الأيام والدهور ، ومستمرة إلى يوم البعث والنشور . فيكون هو الموعود به . لا سيما وقد تكفل الله بحفظ كتابه دون غيره من الكتب فقال : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون** ﴾ ـ الحجر / ٩[١] .

د ـ إن الأوصاف المذكورة لهذا الفارقليط في النص لا تناسب الروح التي يدعون . بل إنما تناسب شخصاً يأتي من بعد المسيح ، ويكون له نظيراً . فإن الوكالة والشفاعة والتعزية والتخليص ونحو ذلك من خواص النبوة ، لا من خواص الروح المتحد بالله والمنبثق عنه كما يزعمون[٢] .

وكذلك سائر الأوصاف مثل الشهادة للفارقليط الأول ، وتذكير الناس بكل ما قاله ، وتعليمهم كل شيء ، وتوبيخ العالم على الخطيئة ونحو ذلك . فهذه الأمور والصفات لا تنطبق على أمر معنوي يكون في قلب بعض الناس من روح أو إلهام أو علم أو هدى أو نور ، ولا يراه أحد ولا يسمع كلامه . بل إنما تنطبق على شخص يراه الناس ويسمعون كلامه ، فيشهد للمسيح ، ويذكرهم بكل ما قاله ، ويعلمهم كل شيء ، ويوبخ العالم على الخطيئة ، فيخاطبهم كما خاطبهم المسيح[٣] .

ولنستمع الآن إلى تحقيق الطبيب والمفكر الفرنسي موريس بوكاي وشهادته في هذا الأمر . فقد قال : من الغريب أن ننسب إلى الروح القدس الفقرة التي

(١) الجواب الصحيح ٤/٨ و ٢٠ ، هداية الحيارى ص ٥٣٢ ، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٦ - ١٦٧ ، إظار الحق ٢/٢٨٩ ، مواجهة صريحة ص ٢١٨ .

(٢) إظهار الحق ٢/٢٨٣ .

(٣) الجواب ٤/١٠ ـ ١١ ، هداية الحيارى ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣ ، تحفة الأريب ص ١٣٦ .

تقول : « لن يتكلم بإرادته ، وإنما سيقول ما يسمع ، وسيعرفكم بكل ما سيأتي » . إذ من غير المعقول أن ننسب إلى الروح القدس سلطان التحدث ، وأن يقول ما يسمع . .

ثم يقول : وإن أي نقد جاء للنصوص يبدأ بالبحث عن الاختلافات النصيّة . والنص اليوناني كما يلي :

Nouum Testamentum Graece

Nestleet Aland 1971

وهذه الترجمة ليست بأولى بالتحريف في الفقرة ٢٦/١٤ من المخطوطة السريانية المسماة « Palimpseste » وهي مخطوطة كتبت في القرن الرابع أو الخامس . واكتشفها أنيس . س لويس . عام ١٨١٢ م في دير سيناء . لأن النص الأول كان مغطى بنصّ آخر ، فلما مسح الأخير ظهر الأول .

إن فعل (يسمع) في جميع اللغات معناه : استقبال الأصوات . أما فعل (يتحدث) فمعناه : يصدر الأصوات . ويتكرر هذا الفعل كثيراً في النص اليوناني ، للإشارة إلى التصريح الجليل للمسيح في أثناء تبشيره .

فيبدو أن الاتصال بالناس هو المقصود هنا ، ولا يمكن مطلقاً أن يكمن في إلهام من عمل الروح القدس . بل إنما هو اتصال ذو طابع مادي واضح . وذلك بسبب مفهوم إصدار الصوت . وهو المفهوم المرتبط بالكلمة المادية التي تعرفه . فالفعلان اليونانيان يتحدث LALEO، ويسمع AKOUO يعنيان فعلين ماديين لا يمكن أن يخصا إلا كائناً يتمتع بجهاز للسمع وآخر للكلام . وبالتالي . فإن تطبيق هذين الفعلين على الروح القدس أمر غير ممكن .

والجملة الوحيدة التي تثبت تطابقاً بين (البراكليت) و (الروح القدس) هي ١٦/١٤ ، فإذا حذفنا كلمتي الروح القدس من هذه الجملة ، فإن نص يوحنا كله عندئذ يقدم دلالة شديدة الوضوح .

يضاف إلى ذلك أن هذه الدلالة تتخذ شكلاً مادياً ، وذلك من خلال نص

آخـر ليوحنـا ، وهو نص الـرسالـة الأولى ، حيث يستخدم نفس هـذه الكلمـة (باراكليت) للإشارة إلى المسيح بصفته الوسيط لدى الله[1] .

فعندما يقول المسيح : « سأصلي لله وسيرسل لكم (باراكليت) آخر ، فهو يريد بالفعل أن يقول : إنه سيرسل إلى البشر وسيطاً آخر كما كان هو وسيطاً لدى الله ، وفي صالح البشر .

وهذا يؤدي بنا إلى أن نرى في (الباراكليت) عند يوحنا كائناً بشريـاً مثل المسيح ، يتمتع بحاستي السمع والكلام . إذاً . فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بشرياً على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي عرفه يوحنا ، ألا وهـو دور نبي يسمع وحي الله ، ويكرر على مسامع البشر رسالته .

إن وجود كلتي الروح القدس في النص الذي بين أيدينا اليوم ، قد يكون نابعاً من إضافة لاحقة إرادية تماماً ، تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض بإعلانها بمجيء نبي بعد المسيح ـ عليـه السلام ـ مـع تعاليم الكنـائس المسيحية الوليدة التي أرادت أن يكون المسيح خاتم الأنبياء[2] اهـ بتصرف .

هـ ـ إن المسيـح ـ عليه السـلام ـ نبههم إلى أن مـا سيلقيـه عليهم واجب الرعاية والحفظ . ولو كان الفارقليط هو الروح النازل على التلاميذ يوم الدار ، لما كان ثمة حاجة إلى هذا التنبيه ، لأنه ليس من المظنون أن يستبعد الحواريون نزول الروح عليهم مرة أخـرى ، فإنهم كـانوا مستفيضـين به من قبـل . بل لا مجـال للاستبعاد مطلقاً. لأن الروح إذا نزل على قلب أحد وحل فيه، فإن أثره يظهر فيه ظهوراً بيناً لا محالة ، فلا يتصور إنكار المتأثر به . فدل على أن المراد بالفارقليط إنما هو النبي المبشر به[3] .

و ـ إن بعض النصـارى ادعوا قبـل ظهـور محمـد ﷺ أنهم مصـاديق لفظ

---

(١) يظهر أن هذا في ٢ / ١ من الرسالة .

(٢) دراسة لموريس ص ١٢٧ ـ ١٢٩ .

(٣) إظهار الحق ٢ / ٢٨٢ .

فارقليط الذي بشر به المسيح . وقبل الناس قولهم واتبعوهم . مثل منتس الذي ظهر في القرن الثاني الميلادي عام ١٧٧ م تقريباً في آسيا الصغرى . وكان مرتاضاً تقياً. فادعى أنه هو الفارقليط الذي وعد المسيح بمجيئه، وتبعه ناس كثيرون . فعلم أن انتظار الفارقليط كان معروفاً في القرون الأولى للنصارى (١) .

٢ ـ جاء في الفقرة ١٤/١٧ : « روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله . لأنه لا يراه ولا يعرفه » .

في هذا إشارة إلى أن النبي المبشر به سيبعث بالتوحيد الخالص كغيره من الأنبياء ، لكن في زمن غلب فيه الجهل والشرك ، مثل عبادة الأوثان وبيوت النيران والقول بالتثليث وغير ذلك . وهي غاية المنافاة والبعد عما جاء به . ولذلك قالوا : ﴿ **أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن هذا الشيء عُجاب**﴾ ـ ص / أما التلاميذ فإن أكثر حديثهم كان مع اليهود ، وهم موحّدون بشكل عام ، غير أنهم بدلوا الشريعة . ثم إن التلاميذ جماعة ، وهم المتكلمون مع الناس ، وإن كان ذلك بإلهام الروح كما يزعمون ، والنص يشير إلى واحد عظيم منفرد . فتعين أن يكون محمد ﷺ هو الموعود به(٢) .

٣ ـ جاء في الفقرة ١٤/٢٦ : « فهو يعلمكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم » . وجاء في ١٥/١٣ : « فهو يرشدكم إلى جميع الحق » .

فهذا يدل على أن المبشر به سيكون صاحب شريعة عامة شاملة ، تقرر كل ما جاءت به الرسل من أصول ، وتنسخ من الفروع ما تنسخ ، تبشر المؤمن وتنذر الكافر ، ترفع لواء الحق ، وتضع حلولاً لكل شيء .

وهذا إنما ينطبق على محمد ﷺ فإنه لم يترك سبيلاً من سبل الخير إلا دل عليه ، ولا سبيلاً من سبل الشر إلا وحذر منه . فشريعته عامة تشتمل على جميع نواحي الحياة من علاقة الفرد بالفرد إلى علاقة الأمة بغيرها سلماً وحرباً . وذلك

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٨٠ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٦٦ .

لأن رسالته خاتمة الرسالات . قال سبحانه : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾ ، النحل / ٨٩ .

وقال تعالى : ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾ الأنعام / ٣٨ .

وعن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ وقال له المشركون : إنه قد علمكم نبيكم كل شيء ، حتى الخِراءة ! قال : أجل . لقد نهانا أن يستنجي أحدنا بيمينه ، أو يستقبل القبلة بغائط أو بول . ونهى عن الروثة والعظام وقال: لا يستنجي أحدكم بدون ثلاثة أحجار ـ أخرجه الخمسة إلا البخاري واللفظ لمسلم ـ

وقوله : « فهو يرشدكم إلى جميع الحق » . دل على أن النبي المبشر به يقول ما لم يقله المسيح ـ عليه السلام ـ لأنه جعل الحوالة عليه . ومحمد ﷺ قد أتى بجميع الآداب الربانية والأخلاق المرضية ، وتحصيل جميع مصالح الدنيا والآخرة . ولم يأت مَن هذه صفاته من بعد عيسى ـ عليه السلام ـ غيره . فيكون هو الموعود به جزماً[1] .

أما قوله : « ويذكركم بكل ما قلته لكم » فيبُعد كل البعد قول النصارى . لأنه لم يثبت من رسائل العهد الجديد أن الحواريين كانوا قد نسوا شيئاً مما قاله المسيح ـ عليه السلام ـ لهم ، ثم أتى هذا الروح الذي نزل عليهم يوم الدار ، فذكرهم به[2] .

أما محمد ﷺ فقد ذكر النصارىٰ بكل ما قاله عيسى ـ عليه السلام ـ وما جاء به من التوحيد الخالص وتنزيه الله عن النقائص وكل ما لا يليق به . ونهاهم عن التثليث والغلو في الدين . وذلك بما أوحاه الله إليه في القرآن العظيم . قال تعالى: ﴿ **وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد**

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٦٨ ، تحفة الأريب ص ١٣٦ ، مواجهة صريحة ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(٢) إظهار الحق ٢ /٢٨٣

علمته . تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به : أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد ﴾ المائدة / ١١٦ ـ ١١٧ .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أنا أولى الناس بابن مريم في الدنيا والآخرة ، ليس بيني وبينه نبي . والأنبياء إخوة ، أبناء علات . أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد » ـ أخرجه الشيخان وأبو داود ـ

قال ابن القيم[1] ـ رحمه الله ـ ناقلاً عن الترجمات في زمنه : وتأمل قول المسيح في الفارقليط المبشر به : « يفشي لكم الأسرار ، ويفسر لكم كل شيء . فإني أجيئكم بالأمثال ، وهو يأتيكم بالتأويل » تجده مطابقاً للواقع من كل وجه ، ولقوله تعالى : **﴿ ما كان حديثاً يفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾** ـ يوسف/١١١ ـ.

٤ ـ جاء في الفقرة ١٤/٢٩ : «وقد قلت لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون » .

وهذا يدل على أن المراد بالفارقليط غير الروح القدس الأقنوم الثالث كما يزعمون . لأن الروح القدس كان موجوداً بينهم في ذلك الوقت ومتحداً بالأب كما يقولون . أضف إلى ذلك أن عدم إيمان الحواريين به ما كان مظنوناً . بل هو مستبعد كل الاستبعاد . فلا حاجة إلى هذا القول . وليس من شأن العاقل الحكيم أن يتكلم بفضول الكلام . ولا سيما إذا كان نبياً معظماً . بخلاف ما لو حملنا النص على نبي يبشر به عيسى أصحابه ، ويحملهم هذه الأمانة ليؤدوها إلى من بعدهم كما هي سنة الأنبياء ، فإن الكلام يكون في محله . بل في غاية الاستحسان[2] .

---

(١) هداية الحيارى ص ٥٣٨ .

(٢) إظهار الحق ٢/٢٨٣ .

٥ ـ جاء في ١٤/٣٠ : لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً . لأن رئيس هذا العالم يأتي . وليس له في شيء ، وفي طبعة ١٩٨٠ : « لن أخاطبكم بعد طويلاً . لأن سيد هذا العالم سيجيء . لا سلطان له علي » .

وفي الترجمات القديمة كما نقلها القرافي وابن تيمية وابن القيم : « إن أركون العالم سيأتي ، وليس لي شيء » . والأركون : السيد في اللغة اليونانية القديمة كما سلف . لكن التحريف واضح . فالنص القديم يقول « وليس لي شيء » والنص الجديد يقول : « وليس له في شيء » .

وقد أخبر المسيح ـ عليه السلام ـ أن سيد العالم وعظيمه سيأتي من بعده ، وأخبر أيضاً أنه ـ أي المسيح ـ ليس له من الأمر شيء . وقوله هذا يتضمن إثبات التوحيد ، وأن الأمر كله لله من قبل ومن بعد . كما أن فيه تنزيهاً للمسيح ـ عليه السلام ـ مما نُسِب إليه من الربوبية غلواً . وما نفاه المسيح عن نفسه يشترك فيه جميع الخلق . قال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ آل عمران / ١٢٨ ـ كما أن المسيح ـ عليه السلام ـ يشير إلى أنه إذا جاء هذا العظيم الذي يبشر به لم يبق على وجه الأرض لنبي من الأنبياء كلمة . فمن سيد هذا العالم وعظيمه الذي يأتي من بعد المسيح ؟

لقد أخبر أنه سيأتي فامتنع أن يكون هو الروح القدس . لأنه كان ماكثاً فيهم بنص الفقرة ١٤/١٧ كما يزعمون . وامتنع كذلك أن يكون أحد تلاميذ المسيح ـ عليه السلام ـ أضف إلى ذلك أن المسيح أو الروح القدس في اعتقادهم رب العالمين وإلههم . وليس عظيمهم . لأن الأركون ـ أي السيد والعظيم والشريف والرئيس ـ لا بد أن يكون من جنس المرؤوسين. أي مخلوقاً مثلهم ليكون أكرمهم وأشرفهم .

فالحقيقة والواقع أنه لم يأت من بعد المسيح من ساد العالم برسالته وشريعته سوى محمد ﷺ فإنه لما بعث صار الأمر له في النبوة من دون المسيح وغيره . لأنه آخر الأنبياء ، وكتابه آخر الكتب ، أنزله الله عليه مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليه ، وشريعته خاتمة الشرائع ، فهي ناسخة لما سبقها . ودين المسيح ـ

عليه السلام ـ إن كان بقي منه شيء ، فقد نسخ بشريعة محمد ﷺ فصار له الأمر حقيقة . ولذلك وجب على العالم طاعته والانقياد لأمره .

فهذه بشارة من المسيح ـ عليه السلام ـ بسيد العالمين الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة ، ألا وهو محمد ﷺ (١) .

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر . وما من نبي يومئذ ، آدم فمن سواه ، إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر » ـ أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ـ .

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، ولواء الحمد يومئذ بيدي . وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ـ أخرجه الترمذي وحسنه ـ .

وقد تضمن الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا ما يلي :

أ ـ الفارقليط المبشر به مرسل من عند الله .

ب ـ وهو يعلم أمته كل شيء ، ويذكرهم بكل ما قاله المسيح ـ عليه السلام ـ .

ج ـ إنه سيد الأولين والآخرين ، وشرعه ثابت إلى الأبد . فيجب اتباعه عند مبعثه .

د ـ المسيح ـ عليه السلام ـ لا يتكلم بهذا الكلام من تلقاء نفسه . بل بوحي من الله .

ولا شك أن أهل الكتاب من يهود ونصارىٰ كانوا ينتظرون ظهور نبي قبل بعثة محمد ﷺ هذه بعض أوصافه . ولم يظهر بعد المسيح مرسل بهذه الصفات غيره . فهو المراد بالبشارة ، وهو صاحب الرسالة العظمى الخالدة .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/١٧ ـ ١٩ ، هداية الحيارى ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧ وص ٥٣٩ ، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٩ .

٦ ـ جاء في الفقرة ١٥/٢٦ : « ومتى جاء الفارقليط الذي سأرسله أنا إليكم من الأب ، روح الحق الذي من عند الأب ينبثق ، فهو يشهد لي » .

فوصفه بأنه يشهد له ويصدقه ، ومن المعلوم أن هذا لا يكون إلا إذا شهد شهادة يسمعها الناس . ولا يتأتى هذا إلا من بشر يسمع ويرى ويتكلم . ولا يمكن بل يستحيل أن يكون هذا شعوراً أو وحياً يقذف به في قلب طائفة من الناس .

ولم يشهد أحد للمسيح ـ عليه السلام ـ شهادة سمعها عامة الناس إلا محمد ﷺ فإنه أظهر أمر المسيح على حقيقته : فشهد له بالحق والنبوة ، وأمر المسلمين بالإيمان له ، وبرأه مما نسبه النصارى إليه من الألوهية مغالاة ، ومن الصلب كذباً . وبرأ ه من تهمة الزنى التي ألصقها بها يهود فقالوا : إنه من زنى أمه ، وبين أنها حملت بالقدرة الربانية من غير بشر ، ونصره عليهم في تكذيبهم له وقولهم : إن به شيطاناً . فشهد ببراءته وصدقه ، وأخبر اليهود أنه جاءهم بالبينات من ربهم . وقد سمع هذه الشهادة عامة أهل الأرض[1] .

قال تعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم . * وقال المسيح : يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم * إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة * ومأواه النار * وما للظالمين من أنصار** ﴾ . ﴿ **لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، وما من إله إلا إله واحد * وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم** ﴾ .

﴿ **أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ؟! والله غفور رحيم** ﴾ .

﴿ **ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل * وأمه صديقة * كانا يأكلان الطعام * انظر كيف نبين لهم الآيات * ثم انظر أنى يؤفكون** ﴾ المائدة / ٧٢ ـ ٧٥ .

وقال سبحانه : ﴿ **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾ ـ النساء/ ١٧١ ـ.

---

(١) الجواب الصحيح ٤/١٣ و ١٥ ، هداية الحيارى ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥ ، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٧ ، إظهار الحق ٢/ ٨٤ .

أما ما يزعمون أنه الروح ، فلم يشهد بشيء بين يدي أحد ، لأن التلاميذ الذين نزل عليهم وحل فيهم ـ كما يدعون ـ ما كانوا محتاجين إلى الشهادة . لأنهم كانوا يعرفون المسيح ـ عليه السلام ـ حق المعرفة[1] . أما من أتى بعدهم ، فقد التبس الأمر على كثير منهم ، ولعبت الأصابع الخفية ، فلفقت عقيدة التثليث والصلب والتخليص ، ثم دعمت هذه الفكرة بسيف الأمبراطور . ولذلك كانوا محتاجين إلى فارقليط آخر ليصحح الخطأ ويقوم الاعوجاج ، ويعيد الحق إلى نصابه ، فيشهد للمسيح .

وقوله : « الذي سأرسله إليكم من الأب » يدل على أن مجيء هذا النبي متوقف على ذهاب المسيح ـ عليه السلام ـ فبذهابه يتحقق إرساله ، كما صرحت بذلك الفقرة ١٦/ ٧ ، وهو إرسال مجازي ، وليس بالحقيقي . ويحتمل أيضاً أن يكون معناه : أرسله بدعائي لربي وطلبي منه أن يرسله ويبعثه، كما صرحت بذلك الفقرة ١٤/ ١٦ . وعليه يكون إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد سأل ربه وهو في الأرض أن يبعث محمداً ﷺ ويكون المسيح ـ عليه السلام ـ قد سأل ربه بعد رفعه إلى السماء أن يرسل أخاه محمداً ﷺ إلى العالم[2] .

وقوله : « روح الحق الذي من عند الأب ينبثق » يدل على تأييد هذا النبي بالوحي الإلهي والعناية الربانية ، كما قال سبحانه في خطابه إياه : « فإنك بأعيننا » ـ الطور/٤٨ ـ.

وهذا كله إن سلمنا بصحة هذا النص وخلوه من الدس والتحريف . ففي النفس منه أشياء .

جاء في الفقرة ١٥/ ٢٧ : «وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم كنتم معي من الابتداء».

أي وأنتم أيها الحواريون تشهدون الآن وبعد رفعي إلى السماء أني عبد الله ورسوله . لأنكم كنتم معي من الابتداء ، وتعرفون حقيقتي . خلافاً لمن سيأتي

---

(١) إظهار الحق ٢/ ٢٨٣ ، مواجهة صريحة ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٦٨ ، هداية الحيارى ص ٥٤١ .

بعدكم ، فإن الأمر سيلتبس عليهم فيظنون أني قتلت وصلبت ، ويغالـون فيّ . وسيشهد الحواريون يوم القيامة أيضاً أن المسيح ـ عليه السلام ـ ما أخبر عن نفسه إلا أنه بَشَرٌ رسول ، وقد بشّر بنبي يأتي من بعده اسمه أحمد .

وقد دلت هذه الفقرة والتي سبقتها عـلى أن ثمة شهـادتين منفصلتـين عن بعضهما تماماً :

الأولى : شهادة الفارقليط الواردة في الفقرة ١٥/٢٦ .

الثانية : شهادة الحواريين الواردة في هذه الفقرة .

وذلك لقوله : (أيضاً) . ولأن العطف يقتضي المغايـرة . ولو كـان المراد بالفارقليط : الروح النازل على التلاميذ يوم الدار ، لما كان ثمة شهادتان ، بـل شهادة واحدة . لأن الروح المذكور لم يشهد شهادة مستقلة عن شهادة الحواريين . بل إن شهادتهم هي شهادته بعينها . لأنه سيشهد من خلالهم[1] .

٨ ـ جاء في الفقرة ١٦/٧ : « إنه خير لكم أن أنطلق . لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم الفارقليط . ولكن إن ذهبت أرسله إليكم » .

فقد علق مجيء الفارقليط بذهابه وانتهاء مهمته في الأرض . وهذا يدل على أن المسيح والفارقليط لا يكـونان معـاً في وقت واحد . والـروح القدس في زعم النصارى كان مع المسيح قبل الإرسال وبعده . لأنه الأقنوم الثالث من الثالـوث الأقـدس كما يقـولون . فـالاجتماع بـه حاصـل ، وإلا لبطلت الـوحدانيـة التي يدعونها . فكيف يتوقف مجيئه على ذهاب المسيح وانتهاء عمله ؟!

أضف إلى ذلك أن الروح القدس كان ماكثاً مع التلاميذ مذ آمنـوا كما في ١٤/١٧ ، وقد حل فيهم بحضور المسيح عندما أرسلهم إلى البلاد الإسرائيلية ، كـما في متى ١٠/٢٠ : « فما أنتم المتكلمـون . بل روح أبيكم السمـاوي يتكلم فيكم » . فهذا خلاف ما دل عليه النص من أن مجيء الفارقليط مشروط بذهاب المسيح من الأرض .

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٨٤ .

وبناء على ذلك ، فلا يكون المراد بالفارقليط ـ سواء كان حماداً أو معزياً أو كليهما معاً ـ هذا الروح الذي عنه يتكلمون . بل إنما المراد به شخص آخر لم يره أحد من الحواريين . ومجيئه يكون بعد رفع المسيح إلى السماء . وهذا ما لا يتحقق إلا في محمد ﷺ فإن مجيئه كان موقوفاً على ذهاب عيسى ـ عليه السلام ـ لأن وجود رسولين كل منهما يتبع شريعة مستقلة في زمن واحد وَجِهة واحدة غير ممكن . بخلاف ما إذا كان الآخر متبعاً لشريعة الأول ، أو كان كلاهما متبعاً لشريعة واحدة نزلتا على من سبقهما ، أو كان كل منهما في جهة معينة ، فآنئذ يمكن وجود اثنين أو أكثر في وقت واحد ومكان واحد . كما كانت الحال قبل بعثة محمد ﷺ فأنبياء بني إسرائيل وجد كثير منهم في زمن واحد وجهة واحدة مثل موسى وهارون ويوشع ، ومثل يحيى وعيسى ـ عليهم السلام ـ وكان بعضهم يكمل مهمة بعض . أما محمد ﷺ فهو خاتم الأنبياء وكتابه مهيمن على ما سبقه من الكتب ، وشريعته ناسخة لما سبقها من الشرائع . فلو جاء وعيسى أو موسى ـ عليهما السلام ـ في الأرض لما وسعهما إلا اتباعه . ولذلك علق المسيح مجيء محمد ﷺ بذهابه من الأرض . فإنه لم يُقدّر له بعد أن يتبع شريعته في ذلك الوقت(١) .

وقوله : « إنه خير لكم أن أنطلق » يدل على أن الآتي أفضل(٢) . ويطابق هذا قوله تعالى . ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ .

٨ ـ جاء في الفقرة ١٦/٨ : « ومتى جاء ذاك يبكّت ـ وفي بعض الترجمات : يوبخ ـ العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة » .

٩ ـ ١٠ : « أما على خطية ، فلأنهم لا يؤمنون بي ، وأما على بر ، فلأنني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً » .

١١ ـ « وأما على دينونة ، فلأن رئيس هذا العالم قد دين » .

وهذا الكلام بمنزلة النص الصريح في محمد ﷺ فإنه قد جعل لهذا الفارقليط ثلاث صفات :

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، مباحث بريئة ص ١٨٤ ـ ١٧٥ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١٦٨ .

أ ـ يوبخ العالم الذين لم يؤمنوا بالمسيح والذين غالوا فيه وخرجوا عن تعاليمه على هذه الخطيئة ، ويُجهّلهم ، ويرميهم بالكفر .

ب ـ يثني على المسيح ـ عليه السلام ـ ويبين علو قدره ومنزلته ، وأنه قد رفع إلى السماء .

ج ـ يخطيء الذين افتروا عليه وعلى أمة وأرادوا محاكمته وقتله وصلبه ، مع أنه سيد العالم في ذلك الوقت وما أرسل إلا لخيرهم ونفعهم وإسعادهم في الدنيا والآخرة .

فمن هو الفارقليط ـ سواء كان حامداً أو معزياً ـ الذي تنطبق عليه هذه الصفات ؟

أهو الروح القدس الذي حل في قلب الحواريين كما يقولون؟ كلا . فالروح شيء معنوي غير مجسم . وليس له إلا قوة خفية في داخل الإنسان . فلا بد أن يكون المبشر به شخصاً يُرى ويتكلم ويُسمع ليقوم بهذه المهمة . ويستحيل غير ذلك .

. ومحمد ﷺ المعروف نسبه وصدقه وأمانته وسائر ما فيه من الخلق العظيم ، والذي جاء بعد المسيح ـ عليه السلام ـ تنطبق عليه هذه الصفات تماماً .

فهو الذي وبخ العالم أجمع على خطيئته ، ولا سيما اليهود والنصارى . بل لم يوجد أحد وبخ جميع العالم سواه ؛ فقد كان العالم عند مقدمه مليئاً بالكفر والضلال .

أما اليهود فلتشبيههم الخالق بالمخلوق ، ولافترائهم على أنبياء الله ، ولتحريفهم التوراة . فبكتهم على ذلك . وبخاصة عدم إيمانهم بأخيه عيسى ـ عليه السلام ـ وما افتروه عليه ، ومحاولتهم قتله .

وأما النصارى ، فلقولهم : الله ثالث ثلاثة ، ومغالاتهم في المسيح ، وقولهم : إنه ابن الله ، ولتحريفهم الإنجيل وكتمانهم الحق وغير ذلك . فأنبهم على ذلك ، ولا سيما التثليث .

وأمـا المجوس ، فـلإثباتهم إلهـين تقع المحـاربة بينهـما ، ولتحليـل نكـاح الأخوات والبنات .

وأمـا العرب فلعبـادتهم الأصنام ووأدهم البنـات، واستحلالهم الغـارة والنهب وغير ذلك. فسفه أحلامهم، وعاب أفعالهم.

وأما الهند والصـين والترك والسـودان والبربـر وسائـر الكفرة ، فلكفـرهم ولضلالاتهم الكثيرة المتشعبة . ولذلك حذرهم وأنذرهم .

فمحمد ﷺ هو الذي بكّت العالم ووبخ اليهود والنصارى وسائر الكفرة ، وجاهدهم وأقامهم على البر . بخلاف الروح النازل على الحواريين يوم الـدار ، فإن توبيخه لا يصح بوجه من الوجوه . ولم يكن التوبيخ هدف التلاميذ بعد نزوله عليهم ـ كـما يقولـون ـ لأنهم يدعـون إلى دين المسيح ـ عليـه السلام ـ بـالحكمة والموعظة الحسنة فقط[1] .

وقوله : « يبكت العالم . . فلأنهم لم يؤمنوا بي » يدل على أن المبشر به يكون ظاهراً على من لم يؤمن بالمسيح حق الإيمان من يهود ونصارى . والروح النازل على الحواريين يوم الدار ما كان ظاهراً على أحد من الناس أو موبخاً لأحد . والذين حل فيهم كانوا خائفين مضطهدين لمدة ثلاثة قرون . أما محمد ﷺ فإنه وبخ وهدد وأنذر جميع الناس ، ولم يقتصر على مجرد الأمر والنهي والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة . فمن الناس من يصدّ عن دين الله ، ويأبىٰ معاهدة الجـزية والعيش في ذمة المسلمين بسلام وأمان ، فلا مناص من جهاده .

وهو الذي برأ المسيح من الصلب ونجاه من الذل وأخبر برفعه إلى السماء ، وبرأ أمه من تهمة الزنى وأضفى عليه وعلى والدته ألقـاب التكريم والتفضيـل ، وحذر الذين افتروا عليه . والقرآن الكريم يبين ذلك بصراحة ووضوح[2] .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/١٣ ، هداية الحيارى ص ٥٣٤ ، الأجوبة الفاخرة ص ١٦٨ ، إظهار الحق ٢/٢٨٥ ، مباحث برية ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٢) إظهار الحق ٢/٢٨٦ ، مباحث برية ص ١٧٥ .

بل حيث بُعث محمد ﷺ انقلبت الدنيا من الباطل إلى الحق ومن الكفر إلى الإيمان ، فزالت الجهالات وبطلت الكفريات من أكثر البلاد في وسط المعمورة . وانطلقت الألسنة بالتوحيد الخالص بعد أن استنارت العقول واطمأنت القلوب .

٩ ـ جاء في الفقرة ١٦/١٢ : « إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن » .

١٣ ـ وأما متى جاء ذلك روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق . لأنه لا يتكلم من نفسه . بل كل ما يسمع يتكلم به . ويخبركم بأمور آتية .

وفي الترجمة المسكونية : سيعرفكم بكل ما سيأتي .

ونقل القرافي[1] عن الترجمات القديمة في زمنه كما يلي : « ويخبركم بعلم ما يأتي ، ويعرفكم جميع الأدب» ونقل ابن تيمية وابن القيم عن بعض الترجمات كما يلي : « ولا يقوّل من تلقاء نفسه ، ولكن مما يسمع به . ويكلمكم ويسوسكم بالحق ، ويخبركم بالحوادث والغيوب .

ونقل ابن القيم عن ترجمات أخرى هكذا : « وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به » .

أخبر المسيح ـ عليه السلام ـ أصحابه أن ثمة أخباراً وأحكاماً كثيرة يعرفها ، لكنه امتنع عن ذكرها لهم إشفاقاً عليهم . لأنهم لا يستطيعون تلقيها وحملها . لكن متى جاء الفارقليط المبشر به ، فإنه سيرشد الناس إلى جميع الحق ، ويعرفهم كل ما للرب .

وهذا ينافي أن يكون المراد بالفارقليط الآخر : الروحَ النازل على الحواريين يوم الدار . لأنه ما زاد حكماً من الأحكام على ما جاء به المسيح ـ عليه السلام ـ ففي زعم النصارى أن المسيح هو الذي أمر الحواريين بعقيدة التثليث وبدعوة العالم أجمع . فأي أمر حصل لهم زيادة عما قاله المسيح بعد نزول الروح عليهم

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٦٧ .

(٢) الجواب الصحيح ٤/٧ ، هداية الحيارى ص ٥٣٠ وانظر تحفة الأريب ص ١٣٦ .

غير إسقاط جميع أحكام التوراة وتحليل جميع المحرمات إلا قليلاً ؟

وهذا الأمر لا يصح أن يقال عنه : « إنهم ما كانوا يستطيعون حمله » . لأنهم استطاعوا تحمل سقوط تعظيم السبت الذي هو أعظم أحكام التوراة في زمن المسيح ـ عليه السلام ـ فقبول سقوط سائر الأحكام أهون عندهم .

إذاً . فلا بد أن يكون المراد بالأشياء الكثيرة التي لا يستطيعون حملها : زيادة الأحكام والتكاليف والمعلومات . ولا بد أن يكون المراد بالفارقليط الآخر نبياً يأتي بشريعة جديدة ، فيها أحكام وأمور يصعب على المكلفين في ذلك الوقت تحملها . ولذلك لم يذكرها المسيح ـ عليه السلام ـ وإنما نبههم إليها وترك ذكرها لمن سيأتي بعده . وهذا من باب الحكمة وتكليم الناس على قدر عقولهم[1] .

إن الإخبار عن الله بما هو متصف به من صفات الكمال ، وما هو منزه عن صفات النقص ، وعن ملائكته وعن ملكوته ، وعما أعده في الجنة لأوليائه ، وفي النار لأعدائه ، أمر لا تحتمل عقول كثير من الناس معرفته على التفصيل . وبنو إسرائيل في ذلك الزمن ما كانوا يحتملون تلقي الشريعة الأبدية من المسيح ـ عليه السلام ـ بل كانوا يحتاجون إلى إعداد وتمهيد يمتد زمناً طويلاً ليصبحوا مهيئين لتلقي آخر الشرائع . ولهذا ليس في التوراة والإنجيل من صفات الله وملكوته واليوم الآخر إلا أمور مجملة ، مع أن موسى ومن بعده ـ عليهم السلام ـ كانوا قد مهدوا الأمر للمسيح ـ عليه السلام ـ لكن ذلك التمهيد لم يكن كافياً . ولذلك أرسل الله إليهم المسيح ـ عليه السلام ـ خاتم أنبياء بني إسرائيل معلماً لهم وممهداً لنفوسهم ومبشراً بخاتم الرسل أحمد ﷺ[2] .

ولما وصلت البشرية إلى المرحلة المناسبة للتلقي ، أرسل الله سبحانه إليها خاتم الأنبياء بخاتمة الشرائع . فأرشد الناس إلى جميع الحق ، وألقى إليهم ما لم يكن غيره من الأنبياء يلقيه أو يخبر به ، مخافة ألا يصدقه قومه فيقتلوه . ولهذا

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

(٢) الجواب الصحيح ٤/١١ ـ ١٢ ، هداية الحيارى ص ٥٣٣ .

ضمن الله سبحانه لنبيه محمد ﷺ العصمة من الناس في تبليغ رسالة ربه ، حتى إنـه لم يكن يتهيب من شيء يقـولـه ، وكـان حكيمـاً في عَـرْضـه ، يـدعـو بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادل بالتي هي أحسن ، ويجاهد الكفار والمنافقين ، حتى أكمل الله به الدين ، وأتم النعمة ، وختم به الأنبياء .

فهل علَّم الروح القدس الحواريين وسائر الناس جميع ما يحتاجونه من أمور الدنيا والآخرة ؟ وهل أفتاهم فيما شجر بينهم من خلاف في أمور الأسفار المقدسة والعقيدة والشريعة ، حتى كفر بعضهم بعضاً ، ولعن بعضهم بعضاً ، مع أنهم يزعمون أنه مقيم معهم إلى الأبد ! فإذا هجرهم في أشد المحن وأقسى الظروف . فكيف يعطيهم أحكاماً جديدة ثقيلة ؟!

وقد دل النص أيضاً على أن هذا النبي المبشر بـه عظيم القـدر ، بل هـو أعظم قدراً من المسيح نفسه . لأنه يقدر على ما لا يقدر عليه المسيح ، ويعلم ما لا يعلمه المسيح من أمور عظيمة، لا تحتملها عقول الناس آنئذٍ[1] .

وقوله : « فهو يرشدكم إلى جميع الحق » يدل على أن هـذا النبي المبشر به يعلم الناس جميع ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والآخرة ، كما يعرفهم بجميع ما للرب . وهذا يتناول ما لله سبحانه من الأسماء والصفات ، وما له من الحقوق ، وما يجب من الإيمان به وملائكتـه وكتبه ورسله . بحيث يكـون جامعـاً لكل مـا يستحقه الرب .

وقد عَلِم المسيح ـ عليه السلام ـ بالوحي أن بني إسرائيل سيكذبون هـذا النبي ، فاحتاج إلى تقرير صدقه ، فقال : « لأنه لا يتكلم من نفسه . بل كل ما يسمع يتكلم به » .

وهـذا إخبار بـأن كل مـا يتكلم به هـذا النبي إنما هـو وحي يـوحى إليـه ويسمعه ، وليس شيئاً تعلمه من الناس ، أو عرفه باستنباطه وخبرته وذكائه .

ولا مجال لمظنة التكذيب في حق الروح النازل على الحواريين يوم الـدار .

---

(١) الجواب الصحيح ٤/١١ ـ ١٢ ، هداية الحيارى ص ٥٣٣ وص ٥٣٥ .

على أن هذا الروح عندهم عين الله ، فلا معنى لقوله : « لا يتكلم من نفسه . بل كل ما يسمع يتكلم به » بل لكان قال : يتكلم من تلقاء ذاته .

فمصداق هذا الكلام إنما هو محمد ﷺ لأن مَظِنة تكذيب اليهود قائمة في حقه ، وليس هو عين الله ، بل هو عبد الله ورسوله . ولم يكن يتكلم من تلقاء نفسه . بل يجعل الله كلامه في فمه ، فيتكلم بما يوحيه الله إليه من أمر ونهي وغير ذلك . قال سبحانه : ﴿ **قل : ما كنت بدعاً من الرسل * وما أدري ما يفعل بي ولا بكم * إن اتبع إلا ما يوحىٰ إلي * وما أنا إلا نذير مبين** ﴾ ـ الأحقاف / ٩ ـ وقال سبحانه : ﴿**وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحىٰ**﴾ ـ النجم / ٤ ـ.

ولم يكن يعلم قبل الوحي شيئاً ، فإذا جاءه الوحي بَلَّغ الناس ما أنزل الله عليه ، كما قال تعالى : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا * ما كنت تدري ما الكتاب** ﴾ ـ الشورى/٥٢ .

وقوله : « ويخبركم بأمو آتية » أو « سيعرفكم بكل ما سيأتي » يدل على أن هذا النبي سيخبر أمته بكل ما يأتي من أشراط الساعة والقيامة والحساب ، والجنة ونعيمها ، والنار وأنواع عذابها ، وغير ذلك من حوادث المستقبل والغيوب .

ومحمد ﷺ قد أخبر بذلك عن طريق القرآن والسنة كما سلف في القسم الثاني في بحث دلائل النبوة . ففي القرآن من تفصيل أمر الآخرة ، وذكر ما يأتي من أشراط الساعة وغير ذلك ما لم يكن في التوراة والإنجيل . وقد وضح النبي ﷺ ذلك بسنته وبينه أحسن تبيين . بل ما أكثر ما أخبر النبي ﷺ من أمور تقع في المستقبل . فمنها ما وقع ، فأتى كما قال . ومنها ما لم يقع حتى اليوم ، والمسلمون ينتظرون أن يقع [1] كما سلف .

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال : قام فينا رسول الله ﷺ

---

(١) الجواب الصحيح ٤/١٤ ، هداية الحيارى ص ٥٣٣ ـ ٥٣٥ ، تحفة الأريب ص ١٣٧ ، إظهار الحق ٢/٢٨٧ ، مواجهة صريحة ص ٢١٣ . وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء شواهد كثيرة على الإخبار بالمغيبات .

مقاماً ـ فأخبر عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم . حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه ـ أخرجه البخاري ـ .

وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ، فما ترك شيئاً يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه . حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه . قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء ، قد نسيته ، فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه ـ أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود ـ .

وعن عمرو بن أخطب ـ رضي الله عنه ـ قال : صلى رسول الله ﷺ يوماً الفجر وصعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس . فأخبرنا بما كان ، وبما هو كائن إلى يوم القيامة . قال : فأعلمنا أحفظنا ـ أخرجه مسلم ـ .

أما الروح النازل على الحواريين يوم الدار كما يقولون ، فلم يخبر بشيء من الأمور الغيبية ، كما هو ظاهر في كتبهم . وإلا فما الذي أخبر به الروح ، ثم جاء كما قال ؟

ومن الجدير بالذكر أن المسيح ـ عليه السلام ـ قد وصف الفارقليط بما وصف به موسى ـ عليه السلام ـ النبي الذي بشر به بني إسرائيل في التوراة . فهو موصوف عند كليهما بأنه لا يتكلم من تلقاء نفسه . بل بما يسمعه من الله ، ويجعله في فمه ، وبأنه يخبر بأمور آتية أي المغيبات[1] .

١٠ ـ جاء في الفقرة ١٤/١٦ : « ذاك يمجدني . لأنه يأخذ مما لي ويخبركم » .

ومحمد ﷺ أشاد بذكر المسيح ، وأثنى عليه الثناء الجميل ، وأضفى عليه ألقاب التكريم والتفضيل . بل إن القرآن الكريم مجد المسيح ـ عليه السلام ـ

---

(١) مباحث بريئة ص ١٧٥ .

تمجيداً لم تتضمنه الأناجيل التي في حوزتهم . قال سبحانه : ﴿ **إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين** ﴾ ـ آل عمران/٤٥ ـ.

وقوله : « يأخذ مما لي ويخبركم » معناه : يأخذ مما لي الآن من الوحي ويخبركم كما أخبركم أنا الآن . فكلاً من المسيح ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ رسول يوحىٰ إليه . ويدل على ذلك ما جاء في الفقرة : ١٤/٢٥ : « والكلام الذي تسمعونه ليس لي . بل للآب الذي أرسلني » وثمة نصوص كثيرة تذكر أن المسيح ـ عليه السلام ـ إنما كلمهم بالحق الذي سمعه من الله وحياً .

وليس معناه أن المسيح هو صاحب الوحي حتى يكون هو الله ، ويكون الفارقليط رسول المسيح كما زعم بعضهم . لأن المسيح نبي مخلوق مرسل كما في ١٤/٢٥ ، ولو كان إلهاً تاماً من إله تام لقال : قررت أن أرسل نفسي ، أو قررنا نحن الثلاثة أن أرسل نفسي . فهو مخلوق لا يرسِل . بل إنما يطلب من الله أن يرسل كما في ١٤/١٦[1] .

وهذه الفقرة لا تصدق على الروح النازل على الحواريين يوم الدار كما يقولون . لأنه عند أهل التثليث قديم غير مخلوق ، وقادر مطلق ليس بحاجة إلى أن يأخذ من غيره . لأنه متصف بكل كمال . فلا بد أن يكون الموعود به من جنس البشر . لأنه يأخذ من الوحي ويتعلم منه ، فليس له كمال مطلق[2] .

وصفوة القول : إن من تأمل البشارة وتدبرها مع غيرها تَيَقَّن أن الفارقليط هو محمد بن عبد الله ﷺ بالاعتبارات كلها . وإلا فمن هو روح الحق الذي لا يتكلم إلا بما يوحىٰ إليه ؟ ومن هو العاقب للمسيح والشاهد لما جاء به ؟ ومن الذي وبخ العالم على خطاياه وكان سيد العالم ؟ ومن الذي أخبر بما سيأتي في المستقبل سواه ؟

---

(١) مواجهة صريحة ص ٢١٨ .

(٢) إظهار الحق ٢/٢٨٧ ، وانظر هذه البشارة في قصص الأنبياء للنجار ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ ، محمد رسول الله لبشرى ميخائيل ص ٨٦ ـ ١٠٦ ، محمد في الكتب المقدسة ص ١٢ ـ ١٣ .

٧ ـ منتظر الأمم

نص البشارة :

جاء في الباب السادس والتسعين من إنجيل برنابا ما يلي :

١/٩٦ : ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عال : قف يا يسوع . لأنه يجب علينا أن نعرف من أنت ؟ تسكيناً لأمتنا .

٢ ـ أجاب يسوع : أنا يسوع بن مريم من نسل داود ، بشر مائت ، ويخاف الله . وأطلب أن لا يُعطى الإكرام والمجد إلا لله .

٣ ـ أجاب الكاهن : إنه مكتوب في كتاب موسى أن إلهنا سيرسل لنا مسيّا الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله . وسيأتي للعالم برحمة الله .

٤ ـ لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق . هل أنت مسيا الذي ننتظره ؟

٥ ـ أجاب يسوع : حقاً إن الله وعد هكذا . ولكني لست هو . لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي .

٦ ـ أجاب الكاهن : إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس الله .

٧ ـ لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حباً في الله ، بأية كيفية سيأتي مسيّا ؟

٨ ـ أجاب يسوع : لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي ، إني لست مسيّا

الذي تنتظره كل قبائل الأرض ، كما وعد الله أبانا إبراهيم قائلاً : بنسلك أبارك قبائل الأرض .

٩ ـ ولكن عندما يأخذني الله من العالم ، سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة ، بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأني الله أو ابن الله .

١٠ ـ فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي ، حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمناً .

١١ ـ حينئذ يرحم الله العالم ، ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله .

١٢ ـ الذي سيأتي من الجنوب بقوة . وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام .

١٣ ـ وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر.

١٤ ـ وسيأتي برحمة لخلاص الذين يؤمنون به .

١٥ ـ وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً[1] .

توضيح البشارة :

قال سبحانه : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم . ولكن رسول الله وخاتم النبيين . وكان الله بكل شيء عليماً** ﴾ ـ الأحزاب / ٤٠ ـ .

---

(١) انظر ص ١٤٦ ـ ١٤٧ من إنجيل برنابا .

٨ ـ المسيح يبشر بمحمد

نص البشارة :

جاء في الباب السابع والتسعين من إنجيل برنابا ما يلي :

٩٧/٤ : فقال حينئذ يسوع : إن كلامكم لا يعـزيني. لأنه يـأتي ظلام حيث ترجون النور.

٥ ـ ولكن تعـزيتي في مجيء الرسـول الذي سيبيـد كـل رأي كـاذب فيّ . وسيمتد دينه ، ويعـم العالم بأسره . لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم .

٦ ـ وإن ما يعزيني هو أنه لا نهاية لدينه . لأن الله سيحفظه صحيحاً .

٧ ـ أجاب الكاهن . أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله ؟

٨ ـ فأجاب يسوع : لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله .

١٣ ـ فقال الكاهن : ماذا يسمى مسيّا ؟ وما هي العلامة التي تعلن مجيئه ؟

١٤ ـ أجاب يسوع : إن اسم مسيّا عجيب . لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ، ووضعها في بهاء سماوي .

١٥ ـ قـال الله : « اصبر يـا محمد * لأني لأجلك أريـد أن أخلق الجنـة والعالم وجماً غفيـراً من الخلائق التي أهبهـا لك ، حتى إن من يبـاركك يكـون مباركاً ، ومن يلعنك يكون ملعوناً . ومتى أرسلتـك إلى العالم أجعلك رسـولي للخلاص * وتكون كلمتـك صادقـة * حتى إن السماء والأرض تهِنـان ولكن إيمانك لا يهن أبداً » .

١٧ ـ إن اسمه المبارك محمد .

١٨ ـ حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا ألله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم(١) .

توضيح البشارة :

قال الله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للنـاس ولا تكتمـونه * فنبذوه وراء ظهـورهم * واشتروا بـه ثمنـاً قليـلاً * فبئس مـا يشترون** ﴾ ـ آل عمران / ١٨٧ ـ .

---

(١) انظر ص ١٤٨ ـ ١٤٩ من إنجيل برنابا .

٩ ـ المسيح يبشر بمن سيبرئه

نص البشارة :

جاء في الباب الثاني عشر بعد المائة من إنجيل برنابا ما يلي :

١١/١١٢ : بل أقول لك : إنني لو لم أدع إلهاً لكنت حُملت إلى الجنة عندما أنصرف من العالم . أما الآن ، فلا أذهب إلى هناك حتى الدينونة .

١٤ ـ وعليه ، فإني على يقين من أن من يبيعني يقتل باسمي .

١٥ ـ لأن الله سيصعدني من الأرض ، وسيغير منظر الخائن حتى يظنه كل أحد إياي .

١٦ ـ ومع ذلك ، فإنه لما يموت شر ميتة ، أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم .

١٧ ـ ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة[١] .

توضيح البشارة :

قال تعالى في حق اليهود : ﴿ **وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً * وقولهم : إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله * وما قتلوه وما صلبوه * ولكن شبه لهم * وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه * وما لهم به من علم إلا اتباع الظن * وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه * وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ ـ النساء / ١٥٧ ـ ١٥٨ .

هذا وقد جاء في إنجيل برنابا بالإضافة إلى ما ذكرته بشارات كثيرة تذكر

(١) انظر ص ١٧٠ من انجيل برنابا.

اسم محمد ﷺ صراحة ، وتصفه ببعض الصفات التي اشتهر بها كالمظلل بالغمام ومحطم الأصنام وأنه يسجد في كل مكان وغير ذلك . وقد أحصيتها ، وها أنا أشير إلى أماكنها :

١ ـ الباب ٣٩ ص ٥٨ ـ ٥٩

٢ ـ الباب ٤٢ ص ٦٤ ـ ٦٥

٣ ـ الباب ٤٣ ص ٦٦ ـ ٦٧

٤ ـ الباب ٥٨ ص ٩١

الباب ٧٢ ص ١١٠ ـ ١١١

٦ ـ الباب ٨٢ ص ١٢٥ ـ ١٢٦

٧ ـ الباب ٨٣ ص ١٢٨

٨ ـ الباب ١٢٤ ص ١٨٨

٩ ـ الباب ١٣٦ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠

١٠ ـ الباب ١٣٧ ص ٢١١

١١ الباب ١٤٢ ص ٢١٨

١٢ ـ الباب ١٦٣ ص ٢٥٢

١٣ ـ الباب ١٩١ ص ٢٨٢

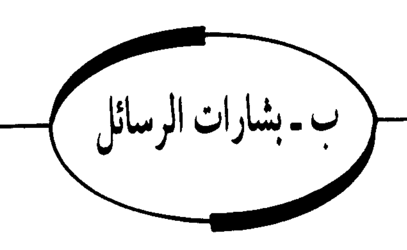
١٤ ـ الباب ٢٠٦ ص ٢٩٨

١٥ ـ الباب ٢٠٨ ص ٣٠٠ ـ ٣٠١

١٦ ـ الباب ٢١٠ ص ٣٠٢

١٧ ـ الباب ٢١٢ ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦

١٨ ـ الباب ٢٢٠ ص ٣١٨ .



١ ـ المسيح يبشر بمن سيصدقه

نص البشارة :

جاء في الباب الرابع من رسالة يوحنا الأولى ما يلي :

٤/١ : أيها الأحباء ، لا تصدقوا كل روح . بل امتحنـوا ، هل هي من الله . لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم .

٢ ـ بهذا تعرفون روح الله : كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله .

٣ ـ وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنـه قد جـاء في الجسد فليس من الله . وهذا هو روح ضد المسيح الذي سمعتم أنه يأتي . والآن هو في العالم .

وفي طبعة ١٩٨٠ م ، لا يكون من الله . بل يكون المسيح الدجال الذي سمعتم أنه سيجيء ، وهو الآن في العالم .

ونقل القرافي[١] النص عن الترجمات القـديمة في زمنـه كما يـلي: إياكم أن تؤمنوا بكل روح . لكن ميزوا الأرواح التي من عند الله عن غيرها . واعلموا أن كل روح تؤمن بأن يسوع المسيح قـد جاء ، وكـان جسداً نبيـاً فهو من عنـد الله تعالى ، وكل روح لا تؤمن بأن يسوع المسيح جاء ، وكان جسداً نبيـاً ، فليست من عند الله . بل المسيح الكذاب الذي سمعتم به ، وهو الآن في العالم .

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٨٢ .

توضيح البشارة وتحليلها :

لا شك أن اليهود كانوا وما زالوا ينكرون نبوة عيسى ـ عليه السلام ـ ويقولون إنه جاء من زنى أمه ، وهو مرتد ، به شيطان . وهم ينتظرون حتى اليوم مسيحاً يعبيء طاقاتهم للبطش بأعدائهم ، ويجعل بالقوة أورشليم محور العالم ، ويقيم الموتى ، ويرعى الشعوب بقضيب موسىٰ ـ عليه السلام ـ ومخافة من أن يدعي أحد اليهود أنه المسيح المنتظر أو النبي المنتظر ، وتحذيراً من المسيح الدجال . وضع يوحنا في رسالته هذه قاعدة يعرف بها النبي الصادق من المتنبيء الكاذب : فمن ادعى النبوة وآمن بالمسيح بن مريم وشهد له ، فهو نبي صادق ، ومن لم يؤمن به ويشهد له ، فهو متنبيء كاذب . ويفهم من هذا أنه لا بد من أن يأتي نبي صادق بعد المسيح ـ عليه السلام ـ يشهد له ويصدقه . وهذا ما حدث . فقد بعث الله محمداً بن عبد الله من نسل إسماعيل ـ عليه السلام ـ وأرسله للناس كافة . وقد صَدَّق المسيح وآمن به إيماناً حقيقياً لا غلو فيه ، وشهد له ومجده ، وأخبر أنه أولى الناس به في الدنيا والآخرة كما سلف . فهو النبي الصادق الذي أشارت إليه البشارة هذه وغيرها .

أما قوله : « يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد » فلا يدل على ألوهية المسيح ـ عليه السلام ـ وإنما يُراد به أن المسيح ـ عليه السلام ـ جاء حقيقة ، وخلق بقدرة الله من غير أب (بيولوجي) فليس ابنَ زنى كما قالت اليهود ، وليس ابنَ الله كما قالت النصارىٰ . بل عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء وروح منه . فحملت مريم بالمسيح جنيناً ، ثم ولدته طفلاً ، ثم ربته إلى أن كبر جسده ، فأرسله الله إلى بني إسرائيل نبياً .

وهذا كله إن سلمنا بصحة عبارة (قد جاء في الجسد) ففي النفس منها أشياء . وإنك لتلحظ الفرق بين الترجمة القديمة والترجمة الحديثة ، وليس لدى النصارى سند .

٢ ـ صاحب الهِراوة

نص البشارة :

جاء في الباب الثاني من كتاب المشاهدات ما يلي :

٢ / ٢٦ : ومن يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية ، فسأعطيه سلطاناً على الأمم .

٢٧ ـ فيرعاهم بقضيب من حديد ، كما تُكسَر آنية من خزف ، كما أخذت أنا أيضاً من عند أبي .

٢٨ . وأعطيه كوكب الصبح .

٢٩ ـ من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس .

توضيح البشارة :

علم المسيح ـ عليه السلام ـ بنور النبوة أن النصارىٰ سيغالون فيه ويضلون . ولذلك نبههم هنا إلى ضرورة حفظ أعماله وما صدر عنه على حقيقتها . وحثهم على التمسك بتعاليمه الصحيحة والمصابرة عليها حتى النهاية . وقد أشار إلى أنهم سيُغلبون . لكن سيأتي غالب من بعده يُعطى سلطاناً على الأمم ، ويرعاهم بقضيب من حديد . وهذا إشارة إلى أن هذا الغالب سيكون صاحب شريعة تتضمن الجهاد والقصاص والحدود والتعزيزات . ولم يأت بعد المسيح ـ عليه السلام ـ صاحب شريعة متضمنة للجهاد والقصاص والحدود ، وقد حفظ أعمال المسيح وأقواله ، ورواها على حقيقتها ، وكان له سلطان على

الأمم سوى محمد ﷺ الذي خاطبه الله سبحانه بقوله : ﴿ **وينصرك الله نصراً عزيزاً** ﴾ ـ الفتح / ٣ ـ فهو نبي الرحمة ونبي الملحمة .

وقد كسر الأمم العاتية كما تكسر آنية الخزف ، فتهاوت الممالك أمامه وأمام أمته من بعده كما يتهاوىٰ رضاض آنية الخزف . ولا سيما مملكتا فارس والروم .

وقوله : « كما أخذت أنا أيضاً من عند أبي » . إشارة إلى أن كليهما مرسل من قبل الله مؤيد بوحيه . فهما متشابهان من هذه الناحية .

أما «كوكب الصبح»، فهو القرآن الكريم الذي أنزل له الله عليه. قال سبحانه: ﴿**وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً**﴾ ـ النساء/١٧٤ ـ.

وقال تعالى : ﴿**فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا**﴾ ـ التغابن/٨ ـ.

وزعم بعض النصارى أن المسيح ـ عليه السلام ـ إنما أراد بهذا ظهور ذلك في كنيسة (ثياتيرا) وكانت في أرض الروم قريبة من استانبول . فلا بد أن يكون هذا قد ظهر هناك . وإذا سلمنا بذلك . فإن أصحاب محمد ﷺ وصلوا إلى ذلك المكان في خلافة الفاروق عمر ـ رضي الله عنه ـ وفتحوا تلك البلاد . ولا زال المسلمون في تلك المناطق إلى اليوم. فكيف يصدق عليه أنه حفظ أعمال المسيح إلى النهاية ؟ وأين السلطان على الأمم ؟ أم تراهم يخدعون أنفسهم فيقولون : سلطان روحي ؟ فأين هو أيضاً في تلك المنطقة ؟[1] .

---

(١) إظهار الحق ٢ /٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

٣ ـ راكب الفرس الأبيض

نص البشارة :

جاء في الباب التاسع عشر من كتاب المشاهدات ما يلي :

١١/١٩ : ثم رأيت السماء مفتوحة ، وإذا فرس أبيض ، والجالس عليه يدعىٰ أميناً وصادقاً ، وبالعدل يحكم ويحارب .

١٢ ـ وعيناه كلهيب نار ، وعلى رأسه تيجان كثيرة . وله اسم مكتوب ، ليس أحد يعرفه إلا هو .

١٣ ـ وهو متسربل بثوب مغموس بدم ، ويدعىٰ اسمه كلمة الله .

١٤ ـ والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض نقياً .

١٥ ـ ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم ، وهو سيرعاهم بعصاً من حديد ، وهو يدوس معصرة خمرِ سَخَطِ وغضب الله القادر على كل شيء .

وفي طبعة ١٩٨٠ م ، ويدوس في معصرة خمر نقمة غضب الله القدير .

توضيح البشارة وتحليلها :

لا شك في أن ركوب الخيل هنا كناية عن الجهاد . ويؤيد ذلك الكلام اللاحق . فراكب الفرس الأبيض نبي يأتي من بعد عيسى ـ عليه السلام ـ يدعى بالأمين الصادق ، فيحكم في أصحابه وأمته ، ويحارب أعداءه بالعدل والرحمة .

ولم يـأت من بعد عيسى ـ عليـه السلام ـ من تنـطبق عليه هـذه الصفات سـوى محمد ﷺ فقد سماه قومه بالصادق الأمين منذ أن شب بينهم كما سلف في القسـم الثاني في بحث الأمور التي تتعلق بصفاته . وكان حاكماً مطاعاً في أصحابه . وقد حـارب أعداءه حـرباً عـادلة ، حتى إن اليهـود كانـوا يقولـون : ما وجـدنـا من محمد ﷺ إلا صدقاً ووفاءً . وعندما سأل هرقـل أبا سفيـان عنه : هـل يغدر في حربه ؟ قال : لا . قال هرقل : كذلك الأنبيـاء لا تغدر . بـل كيف يغدر وقـد أنزل الله عليه : **﴿ ولا يجر منكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا * اعدلوا هو أقرب للتقـوى ﴾** . أي لا يحملنكم بغضكم لقوم وعـداواتكم لهم عـلى عـدم العـدل معهم . اعدلوا معهم ، فإن ذلك يقربكم من الله . وأنزل عليـه أيضاً : **﴿ فـما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ﴾** . لذا كانت حروب رسول الله ﷺ في غاية العدل والرحمة . وكان يوصي أصحابه بأن لا يقتلوا امرأة ولا شيخاً ولا طفلاً ولا راهباً متفرغاً للعبادة في صومعته ، ولا يقطعوا شجرة مثمرة إلا للأكل ، وغير ذلـك . ومن كان عادلاً في حربه مع أعدائه ، فهو في حكمه في أصحابه وأمته ومعاهديه أعدل . فمحمد ﷺ نبي الرحمة ونبي الملحمة .

وقوله : « وعلى رأسه تيجان كثيرة » إشارة إلى امتداد دينـه واستيلاء أمتـه على أمم كثيرة ، فكأن تيجان ملوكها حيزت له . وقد حدث هذا . فكنوز كسرىٰ وضعت في مسجد النبي ﷺ مع تاجه العظيم الثمين أمام عمر ـ رضي الله عنه ـ فجعل يقلب التاج ويقول : إن قوماً أدَّوا هذا لأمناء . فأجـابه عـلي ـ رضي الله عنه ـ عففت فعفت رعيتك ، ولو رتعت لرتعت .

وقوله : « وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو » إشارة إلى أن اسم هذا النبي سيكون غريباً عجيباً . لأنه غير معتاد في قومه . فقد سماه جده محمداً . ولم يكن هذا الاسم معتاداً بين العرب .

وقوله « وهو متسربل بثوب مغموس بدم » إشارة إلى الجهاد الذي بعث به والحروب العادلة التي خاضها وستخوضها أمته من بعده .

أما قوله : « ويدعى اسمه كلمة الله » فيظهر ـ والله أعلم ـ أنها مدسوسة .

لأنها تناقض العبارة السابقة وتخالفها . فكيف يكون اسمه مكتوباً لا يعرفه أحد سواه . ثم يقول : « ويدعى اسمه كلمة الله » ؟ وعلى فرض ثبوتها ، فإنها تكون إشارة إلى الجهاد الذي يكون لإعلاء كلمة الله وبأمره ، وليس من أجل حظ دنيوي .

وقوله : « والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض نقياً » ، إشارة إلى الملائكة التي يؤيده الله بها في حروبه كما حدث هذا في بدر والأحزاب وحنين وغير ذلك . وقد قص القرآن علينا ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين** ﴾ ـ الأنفال / ٩ ـ .

وقوله : « ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم » إشارة إلى شدة تأثير كلامه الموحىٰ به إليه على المشركين . ولذلك ضجوا وأتوا إلى عمه أبي طالب يطلبون منه أن يمنع ابن أخيه عن شتم آلهتهم وتسفيه عقولهم ، وهم يعطونه ما شاء من مال وجاه وغير ذلك . كما يشير أيضاً إلى أثر كلماته ووقع معاهداته في الأمم .

أما قوله : « فيرعاهم بعصاً من حديد » فقد مضى شرحه في البشارة السابقة صاحب الهراواة . وقوله : « وهو يدوس معصرة خمرِ سخط وغضب الله القادر على كل شيء » إشارة إلى إزالته للمنكرات وانتقام الله به ممن غضب عليهم ولعنهم . وقد حصل هذا .

ج ـ نصارى يعتنقون الإسلام عن علم ومعرفة

كثير من النصارى دخلوا في دين الإسلام رغبة في اتباع الحق ، بعد دراسة عميقة لهذا الدين انقشعت فيها الشبهات والتشويهات ، وتجلت الحقائق الثابتات ، فكان إيمانهم عن رغبة وعلم ومعرفة ومنهم :

القس الأسباني إنسلِم تورميدا :

فقد دخل في الإسلام ، وسمىٰ نفسه عبد الله ، وأُضيف إليه لقب الترجمان . لأنه اشتغل بالترجمة لسلطان تونس بعد إسلامه .

أصله من مدينة ميورقة ، وهي مدينة كبيرة مطلة على البحر بين جبلين . والمدينة تسمى باسم الجزيرة التي تقع فيها ، وهي إحدى جزر البليار التي تقع شرقي الأندلس .

تلقى دراسته في الكتاب المقدس منذ نعومة أظفاره ، وانقطع لطلب العلم فترة طويلة استطاع أن يصحب فيها أساطين العلم بالديانة النصرانية أمثال (نقلاد مارتيل) الذي كانت له منزلة رفيعة جداً في العلم والدين عن النصارىٰ .

كان قساً وراهباً محباً للمطالعة ، وَجَد الحقَّ واضحاً فأسلم عن يقين . قدم تونس في زمن أبي العباس أحمد بن المستنصر الحفصي (٧٧٢ ـ ٧٩٦ هـ) وأعلن إسلامه . وبعد إتقانه للغة العربية صار يترجم من الإيطالية والفرنسية إلى العربية .

ألف كتابه (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) باللغة العربية عام

٨٢٣ هـ ، ثم ترجم إلى اللغة الفرنسية ، ونشر في مجلة تاريخ الأديان بباريس عام ١٨٨٥ م . ثم طبعته ثانية عام ١٩٨٤ م دار المعارف بالقاهرة بعد أن حققه وعلق عليه الدكتور محمود علي حماية . ولنستمع إليه رحمه الله يحدثنا عن قصة حياته وإسلامه فيقول :

لما بلغت ست سنين من عمري ، أرسلني أبي إلى معلم من القسيسين ، فقرأت عليه الإنجيل حتى حفظت أكثر من شطره في سنتين . ثم أخذت في تعلم لغة الإنجيل وعلم المنطق مدة ست سنين ، ثم ارتحلت من بلدي ميورقة إلى مدينة لاردة من أرض القطلان ـ وهي مدينة تقع غربي برشلونة ـ وهي مدينة العلم عند النصارى في ذلك القطر ، ولا يحكم فيها إلا القسيس الذي يقرؤون عليه . فقرأت فيها الطبيات والنجامة مدة ست سنين . ثم تصدرت فيها أقرأ الإنجيل ولغته ملازماً ذلك مدة أربع سنين . ثم ارتحلت إلى مدينة بانولية ، وهي مدينة علم عند جميع أهل ذلك القطر ، يجتمع بها كل عام من الآفاق أزيد من ألفي رجل يطلبون العلم . ولا يحكم فيها إلا القسيس الذي يقرؤون عليه . فيها كنيسة لقسيس كبير السن كبير القدر ، اسمه نقلاد مارتيل . انفرد في منزلة رفيعة جداً بالعلم والدين والزهد عن جميع أهل الدين. فكانت الأسئلة، ولا سيما الدينية، ترد عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم. فقرأت عليه علم أصول دين النصرانية وأحكامه . ولم أزل أتقرب إليه بخدمتي له والقيام بكثير من وظائفه حتى صيرني أخص خواصه . فلازمته على ذلك عشر سنين . ومرض ذات يوم فتخلف عن مجلس قراءته[1] . وانتظره أهل المجلس ، وهم يتذاكرون مسائل من العلم ، إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله على لسان نبيه عيسى ـ عليه السلام ـ أنه يأتي من بعدي نبي اسمه البارقليط . فبحثوا في تعيين هذا النبي .

وقال كل منهم بحسب علمه وفهمه . فأتيت مسكن صاحب الدرس ، فأخبرته باختلاف القوم في اسم البارقليط ، وسردت له أجوبتهم . فقال : إن تفسير هذا الاسم الشريف لا يعلمه إلا الراسخون في العلم ، وأنتم لم يحصل

(١) تحفة الأريب ص ٣٤ ـ ٣٧ .

لكم من العلم إلا القليل . فبادرت إلى قدميه أقبلهما ، وقلت له : يا سيدي قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيد ، ولي في خدمتك عشر سنين ، حصّلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها فلعل من جميل إحسانكم أن تكمل علي بمعرفة هذا الاسم الشريف . فبكى وقال : يا ولدي والله إنك لتعز علي كثيراً من أجل خدمتك لي ، وإن في معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة ، لكن أخاف أن يظهر ذلك عليك ، فتقتلك عامة النصارى في الحين . فقلت له : يا سيدي ، والله العظيم ، وحق الإنجيل ومن جاء به ، لا أتكلم بشيء مما تُسِرُّه إلي إلا عن أمرك . فقال لي : يا ولدي إني سألتك في أول قدومك إليّ عن بلدك ؟ وهل هو قريب من المسلمين ؟ وهل يغزونكم أو تغزونهم ؟ لأستخبر به ما عندك من المنافرة للإسلام ؟ فاعلم يا ولدي أن البارقليط من أسماء نبيهم محمد ﷺ وعليه أنزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال ، وإن دينه دين الحق ، وملته هي الملة البيضاء المذكورة في الإنجيل . قلت له : يا سيدي وما تقول في دين النصارى ؟ فقال : يا ولدي لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله ، لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله تعالى . فقلت له : وكيف الخلاص من هذا الأمر ؟ فقال : يا ولدي بالدخول في دين الإسلام . فقلت : وهل ينجو الداخل فيه ؟ فقال : نعم ، ينجو في الدنيا والآخرة . فقلت له : يا سيدي إن العاقل لا يختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم ، فإذا علمت فضل دين الإسلام فما يمنعك عنه ؟ قال : يا ولدي إن الله لم يطلعني على حقيقة ما أخبرتك به من فضل دين الإسلام وشرف نبي الإسلام إلا بعد أن كبرت سني ، ووهن جسمي ، ولا عذر لنا فيه . بل حجة الله علينا قائمة . ولو هداني الله لذلك وأنا في سنك لتركت كل شيء ، ودخلت في دين الحق . وحب الدنيا رأس كل خطيئة ، فأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من رفعة الجاه والعز والشرف وكثرة عرض الدنيا ، ولو أني ظهر علي شيء من الميل لدين الإسلام لقتلتني العامة . وهبني نجوت منهم وخلصت إلى المسلمين ، فيقولون لي قد نفعت نفسك بالدخول في دين الحق ، فلا تمنن علينا بدخولك في دين خلصت به نفسك من عذاب الله[1] . فأبقى بينهم

(١) تحفة الأريب ص ٣٨ ـ ٤٠ .

شيخاً كبيراً فقيراً ابن تسعين سنة لا أفقه لسانهم ، ولا يعرفون حقي ، فأموت بينهم بالجوع . وأنا والحمد لله على دين عيسى وعلى ما جاء بـه ، يعلم الله ذلك عني . فقلت له : يا سيدي أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين وأدخل في دينهم ؟ فقال : إن كنت عاقلاً طالباً للنجاة . فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة ، ولكن يا ولدي هذا أمر لم يحضره أحد معنا الآن ، فاكتمه بغاية جهدك ، وإن ظهر عليك شيء منه تقتلك العامة لحينك ، ولا أقدر على نفعك ، ولا ينفعك أن تنقل ذلك عني ، فإني أجحده ، وقولي مصدق عليك ، وقولك غـير مصدق عـلي . . فعاهدته بما أرضاه . ثم أخذت في أسباب الرحلة ، وودعته فدعا لي بخير وزودني بخمسين ديناراً ذهباً . وركبت البحر منصرفاً إلى بلادي في مدينة ميورقة . فأقمت بها ستة أشهر ، وأنا أنتظر مركباً يتوجه إلى أرض المسلمين . فحضر مركب يسافر إلى مدينة تونس ، فسافرت فيه . فلما نزلت بديوان تونس ، وسمع بي الذين بها من أحبار النصارى ، أتوا بمركب وحملوني معهم إلى ديارهم ، فأقمت في ضيافتهم على أرغد عيش أربعة أشهر. وبعد ذلك سألت : هل بدار السلطنة أحـد يحفظ لسان النصارى ؟ فذكروا لي أن بها رجلاً فاضلاً ، اسمه يوسف الـطبيب ، وهو طبيب السلطان ومن خـواصه . ففـرحت بذلـك فرحـاً شديـداً . وسـألت عن مسكنه ، فدُللت عليه ، واجتمعت به ، وذكرت له حالي وسبب قدومي . فسر بـذلك. ثم ركبت فـرسه واحتملني معـه لدار السلطان. ودخـل عليه فـأخبـره بحديثي ، واستأذنه فأذن لي . فمثلت بين يديه . فأول ما سألني عن عمـري ؟ فقلت له : خمسة وثلاثون عاماً . ثم سألني كذلك عما قرأته من العلوم فأخبرته ، فقال لي : قدمت خير قدوم ، فأسلم على بركة الله تعالى . فقلت للترجمان : قل لمولانا السلطان : إنه لا يخرج أحـد من دين إلا ويكثر أهله القـول فيه والـطعن عليه ، فأرغب أن تبعثـوا إلى الذين بحضـرتكم من تجار النصـارى وأحبارهم ، وتسألوهم عني ، وتسمعـوا ما يقـولون في غيـابي . وحينئذ أسلم إن شـاء الله . فقال : أنت طلبت كما طلب عبـد الله بن سلام من النبي ﷺ حـين أسلم . ثم أرسل إلى أحبار النصارى وبعض تجارهم ، وأدخلني في بيت قريب من مجلسه ، فلما دخل عليه النصارى قال لهم : ما تقولون في هذا القسيس الجديد الذي قدم

في هذا المركب ؟ قالوا : يا مولانا هذا عالم كبير في ديننا ، وقال مشايخنا : ما رأينا أعلى منه درجة في العلم والدين . فقال لهم : وما تقولون فيه إذا أسلم ؟ قالوا : نعوذ بالله من ذلك ، هو ما يفعل ذلك أبداً . . فلما سمع ما عند النصارىٰ ، بعث إلي فحضرت بين يديه ، وتشهدت بشهادة الحق بمحضر النصارى . فبكوا على وجوههم . وقالوا : ما حمله على هذا إلا حب التزويج ، فإن القسيس عندنا لا يتزوج . ثم خرجوا مكروبين محزونين . .[1] . .

واتفق لي في أيام ولد السلطان أبي فارس الذي تولى الخلافة بعده أن قدم مركب موسوق بسلاع المسلمين . . وكان قد ورد مع المركب قسيس كبير القدر في صقلية ، وكانت بيني وبينه صداقة كبيرة ، كأننا إخوة ، إذ كنا نطلب العلم جميعاً . وسمع بإسلامي ، فصعب عليه ذلك ، فقدم في هذا المركب ليستدعيني للرجوع إلى دين النصارى ، ويأخذني بالصداقة التي كانت بيننا . فلما اجتمع بالترجمان الذي صعد إلى المركب قال له : خذ هذا الكتاب وبلغه لعبد الله قائد البحر عندكم بالديوان وهذا دينار ، وإذا رددت لي جوابه أعطيتك ديناراً آخر فقبض منه الكتاب والدينار ، وجاء فأخبر صاحب الديوان بمقال القسيس وبالكتاب وبالدينار . فأخذ صاحب الديوان الكتاب ، وترجمه له بعض التجار الجنوبيين ، فبعث بالأصل والنسخة لمولانا أبي فارس ، فقرأه ثم بعث إلي فحضرت بين يديه . فقال لي : يا عبد الله هذا الكتاب وصل من البحر فاقرأه وأخبرنا بما فيه . فقرأته وضحكت . فقال لي : ما أضحكك ؟ فقلت : نصركم الله ؟ هذا كتاب مبعوث إلي من قسيس كان من أصدقائي ، وأنا أترجمه لكم الآن . فجلست في ناحية وترجمته بالعربية . وكان نص كتابه إلي : « أما بعد السلام من أخيك فرنسيس القسيس ، نعرفك أني وصلت إلى هذا البلد برسمك لأحملك معي إلى صقلية . وأنا اليوم عند صاحب صقلية بمنزلة أن أعزِلَ وأوَلّي ، وأعطي وأمنع . وأمر جميع مملكته بيدي ، فاسمع مني ، وأقبل على بركة الله تعالىٰ ، ولا تخف ضياع مال ولا جاه ولا غير ذلك ، فإن عندي من المال والجاه ما

(١) تحفة الأريب ص ٤١ ـ ٤٤ .

يغمر الجميع ، وأعمل لك كل ما تريد ، ولا تتحيل بشيء من أمور الدنيا ، فإنها فانية والعمر قصير ، والقبر بالمرصاد ، فخف الله تعالى ، واخرج من ظلمة الإسلام إلى نور النصرانية ، واعلم أن الله ثالث ثلاثة في ملكه ، ولا سبيل إلى أن تفرد ما جمعه الله لنفسه ، وأنا أعلم أنك تعلم من هذا كله ما لا أعلم ، ولكن ذكرتك لأن الذكرى تنفع المؤمنين ، وانتبه من نوم الغفلة ، واجعل جوابي ورودك علي . ومثلك لا يحتاج إلى معلم ، والسلام » ، ثم ناولته الترجمة فقرأها . ثم قال لأخيه إسماعيل : والله ما ترك منها حرفاً . فقلت : يا مولاي وبأي شيء عرفت ؟ قال : بنسخة أخرى ترجمها الجنوبيون قبلك.. ثم قال لي : يا عبد الله وماذا عندك أنت في جواب هذا القسيس ؟ فقلت : يا مولاي الذي عندي ما علمته من كوني أسلمت باختياري رغبة في دين الحق ، ولست أجيبه إلى شيء مما أشار إلي قطعاً فقال: قد علمنا صحة إسلامك اهـ[1] .

موريس بوكاي :

وفي عصرنا الحاضر اعتنق الإسلام الطبيب والعالم الفرنسي موريس بوكاي الذي درس الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، واستطاع أن يثبت بالأدلة العلمية أن القرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد الذي خلا من التحريف والتبديل ، ولا يتناقض مع الحقائق العلمية . وقد صنف في ذلك كتاباً قيماً اسمه (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم) صدر باللغة الفرنسية ثم ترجم بعد ذلك إلى اللغة العربية وغيرها .

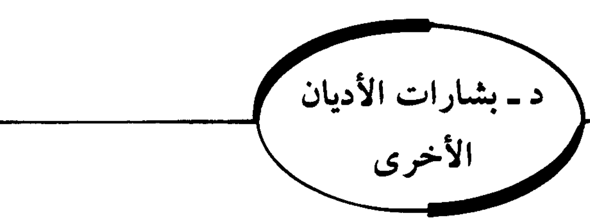
روجيه جارودي :

وهو عالم ومفكر وفيلسوف فرنسي معروف بكثرة مقالاته ودفاعه عن الإسلام . بل إن له نظرات ثاقبة في فهم بعض الآيات والأحاديث . مما يدل على الإيمان العميق والعلم والمعرفة .

والشاهد في ذلك أن هؤلاء وأمثالهم من مفكري الغرب وعلمائه إنما يدخلون في الإسلام رغبة في اتباع دين الحق ، وهم من هم في بلادهم من العلم والفكر والثقة .

---

(١) تحفة الأريب ص ٤٦ ـ ٤٩ .



د ـ بشارات الأديان الأخرى

ذهب بعض الباحثين إلى أن محمداً ﷺ لم يكن ذكره مقصوراً على كتب بني إسرائيل المقدسة . بل ورد ذكره وصفته في الأسفار الدينية العالمية الأخرى ، ككتب البراهمة والزرادشتية وغيرهما . وقد تتملك الإنسان الدهشة من وجود بشارات بالنبي محمد ﷺ في كتب هذه الديانات الوثنية ، تصرح باسمه تارة ، وببلده تارة أخرى فضلاً عن صفاته .

والاحتمال القوي هو أن ديانة الهندوك وديانة زرادشت الحاليتين أثران من آثار كتابين سماويين قديمين لا نعلمهما . قام بالدعوة إليهما بعض رسل الله ممن لم يقصصهم علينا . فقد ورد في القرآن الكريم أن الله تعالى أرسل إلى كل أمة رسولاً ليهديها إلى طريق الحق ، ويبعدها عن طريق الضلال . قال سبحانه : ﴿ **ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل * ورسلاً لم نقصصهم عليك * وكلم الله موسى تكليماً * رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل * وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ ـ النساء / ١٦٤ ـ ١٦٥ .

وقال تعالى : ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾ ـ فاطر / ٢٤ ـ .

وقد أخذ الله العهد والميثاق على الأنبياء جميعاً أن يؤمنوا بمحمد ﷺ خاتم النبيين المرسل رحمة للعالمين ، وأن يبشروا قومهم به ، وينعتوه لهم ببعض صفاته ، وأن يأخذوا عليهم العهد لئن بعث وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه ـ كما سلف ـ وذلك لبيان عظيم قدره وفضله ، وحتى إذا بعث في الزمان الذي قدره الله سبحانه ، بادرت تلك الأمم إلى تصديقه ونصرته . ويبدو ـ والله أعلم ـ أن هاتين

الديانتين ضاع من أصولهما الشيء الكثير مع مرور الأزمنة والحقب، وأضافت إليها الكهنة الكثير من البدع مما جعلهما بعيدتين عن أصولهما المبنية على الحق والتوحيد .

وثمة كتاب اسمه (محمد في الأسفار العالمية) ألفه باللغة الإنكليزية (مولانا عبد الحق قدرياتي) .

وقد استفاد في ذلك من معرفته للغة الفارسية والهندية والعبرية والعربية وبعض اللغات الأوروبية . وقد عمم البحث في فارس والهند وبابل القديمة .

ومن الجدير بالذكر أن أحد الطلبة الهنود عرض بحثاً عن الهندوكية على أحد أساتذته من المسلمين ، وقد تضمن بشارات عن النبي محمد ﷺ في أسفار الهندوس . جمعت بين اسمه ونعته[1] .

---

(١) مجلة الوعي الإسلامي العدد ٢٥٦ ، ربيع الثاني ١٤٠٦ هـ مقال للأستاذ عزت الطهطاوي .

١ ـ محمد في أسفار الهندوس

أسفار الهندوس :

يرجع تاريخ الديانة البرهمية إلى عصر سحيق ، يصعد به بعضهم نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد . ويطلق على الأسفار المقدسة لهذه الديانة اسم (الفيدا ـ VEDAS) وهي كلمة سنسيكريتية قديمة ، معناها : العلم أو المعرفة .

وهم يعتقدون أن هذه الأسفار موحىً بها من الإله (براهما) نفسه . وقد جمعها أحد حكمائهم فاشتهر باسم (فيدا فياسا) أي جامع الفيدا . وتتكون من أربع مجموعات أهمها ما يلي :

١ ـ الساما فيدا SAMA VIDA أو السامان فيداSAMAN-VIDA ومعناها : الفيدا الشمسية ـ أي المنسوبة إلى الشمس ـ وهي قسمان :

أحدهما يتكون من شبه مزامير دينينة ، يُتغنى بها في بعض المناسبات .

والآخر يشتمل على تعاليم تتعلق بالعبادات الدينية[١] .

٢ ـ آثارفا فيدا ATHARVA VIDA أو آثارفانا فيدا . ولعلها سميت بذلك نسبة إلى حكيم من حكماء الهند يدعى (آثارفانا) وهي قسمان أيضاً :

أحدهما يتكون من أوراد وأدعية للاستغفار ورقىً ضد السحر والأرواح الشريرة .

والآخر يشتمل على طائفة من شرائع الديانة البرهمية . وبخاصة ما يتعلق

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد ص ١٥١ ـ ١٥٣ .

منها بالتفرقة العنصرية بين الطبقات ، فيحدد مركز كل طبقة عند البراهمة .

وكـانت عقائـدهم تحرم عليهم نشر هـذه الأسفار بـين غيـرهم أو البـوح بحقائقها . لذلك ظلت هذه الكتب مجهولة حتى القرن العاشر الميلادي [١] .

بشارات هذه الأسفار :

١ ـ جاء في كتاب الساما فيدا ٢ /٦ ـ ٨ أن أحمد تلقى الشريعة من ربه ، وهي مملوءة بالحكمة . وقد قبست منه النور ، كما يقبس من الشمس .

فقد صرح الكتاب باسم أحمد وبلفظه العربي . ولم يأت في العالم نبي تلقى الشريعة من ربه بهذا الاسم سوى محمد بن عبد الله ﷺ .

٢ ـ وجـاء في كتاب آثـار فـافيـدا أن (سشـرافـا ـ SUSHRAVA) أي صاحب الحمد الكثير والسمعة البعيدة يثار إلى حرب أهل مكة وهزيمـة عشرات الألوف .

ويذكر العـلامة الهنـدي عبد الحق أن النبي ﷺ مـذكور بهـذا الوصف في مواضع كثيرة من كتب البراهمة ويرى أن هذا الكتاب ربما يكون أشار إلى وصف الكعبة المشرفة . حيث يسميها بيت الملائكة ، ويذكر من أوصاف هذا البيت أنه ذو جوانب ثمانية ، وذو أبواب تسعة .

ويـرى العلامـة عبـد الحق أن الأبـواب التسعـة هي الأبـواب المؤديـة إلى الكعبة ، وهي باب إبـراهيم ، باب الـوداع ، باب الصفـا ، باب عـلي ، باب العباس ، باب النبي ، باب السلام ، بـاب الزيـارة ، باب الحـرم اهـ علماً بأن الأبواب زيدت مع اتساع البناء .

أمـا أسـماء الجـوانب الثمـانيـة حيث ملتقى الجبـال ، فيقـول العـلامـة عبد الحق : إنها جبل خليج وجبل قيقعان وجبل هنـدي وجبل لعلع وجبـل كندا وجبل أبي حديدة وجبل أبي قبيس وجبل عمر [٢] .

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٢) مطلع النور للأستاذ عباس محمود العقاد ص ١٤ ـ ١٧ وهو ينقل عن كتاب (محمد في الأسفار =

٣ ـ وجاء في كتاب (يهوشيابران) أن رجلاً جاء في المنام إلى الملك يهوج ملك السند وقال له « عليك أن تلحق بدين رجل ظهر في الصحراء ، وهو مختون ، له كلام يسمع ، اصطفاه براهما ـ أي الإله ـ يأكل الطيبات من اللحوم ، تظهر على يديه معجزات كثيرة ، وهو محفوظ من أعدائه ، اسمه محامد »

ومحامد إما جمع حمد ، أو محمد لكن أُشبعت فتحة الحاء فصارت ألفاً . وقد تكرر لفظ أحمد وأحامد في كتاب آثار ويد (منترا ٨ سوكت ٦ ومنترا ٣٠) وكذلك تكررت كلمة حامد في كتاب سام ويد (منترا ١٥٢ ومنترا ١٥)[١] .

= العالمية) للعلامة الهندي عبد الحق ، مجلة الوعي الإسلامي الكويتية العدد ٢٥٦ ، ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ مقال للأستاذ محمد عزت الطهطاوي بعنوان هل بشرت بنبي الإسلام أسفار الهندوس والمجوس ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(١) مجلة الوعي الإسلامي وهي تنقل عن مجلة كانتي الهندية الصادرة في دلهي عام ١٩٦٩ العدد (٨) مقال بقلم ويدبر كاش .

٢ ـ محمد في أسفار المجوس

أسفار المجوس :

يطلق على الأسفار المقدسة للديانة الزرادشتية اسم (الأبستاق) وهو تعريب لكلمة (الأفستا) ومعناها الأساس أو الأصل أو المتن أو السند .

والمقرر عندهم أن الأبستاق موحىً به من الإله المسمىٰ عندهم (أهورا مزدا) وليس من وضع زرادشت . وكان الأبستاق يشتمل على واحد وعشرين سفراً . ويحوي تفصيلاً لعقائد الديانة الزرداشتية وعبادتها وشرائعها وتاريخها وما اجتازته من مراحل . وكذلك تاريخ نبيها زرادشت قبل رسالته وبعدها .

والزندافستا (ZEND AVISTA) هو الشرح المباشر للأبستاق ، وقد دون باللغة الفهلوية[١] . والراجح أنه بديء بتدوينه في عصر فلوجيس الأول ـ بلاش الأول ٥١ ـ ٨٧ م ـ حين بديء في جمع الأبستاق وتدوينه للمرة الثانية . والراجح أنه لم يتم تدوينه إلا في أواخر عهد بني ساسان ، أي حوالي منتصف القرن السادس الميلادي[٢] .

---

(١) وهي اللغة الفارسية في مراحلها المتوسطة .

(٢) الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد ص ١٣٥ .

بشارات هذه الأسفار :

جاء في كتاب زندافستا وصف للرسول بأنه رحمة للعالمين (شوشيانت SOESHYANT) ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة ANGRA) MAINYU (أي أبو لهب . وهذا النبي يدعو إلى إله واحد ، لم يكن له كفواً أحد ، ليس له أول ولا آخر ، ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا صاحبة ولا ولد ، ولا مسكن ولا جسد ، ولا شكل ولا لون ولا رائحة .

ويشبه هذا إلى حد ما قوله تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ ـ الشورىٰ/١١ ـ.

كما يوجد في هذه الكتب ما يشير إلى دعوة الحق التي يجيء بها النبي الموعود ، وفيها إشارة إلى البادية العربية . ويظهر ذلك في النص التالي : « إن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون ، وينهض رجل في بلاد العرب ، يهزم أتباعُه فارس ،ويُخضع الفرس المتكبرين . وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من الأصنام . ويومئذٍ يصبحون ، وهم أتباع النبي ، رحمة للعالمين وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ . وإن نبيهم ليكونن فصيحاً يتحدث بالمعجزات » .

وهذه المدن هي الأماكن المقدسة للزرادشتيين ومن جاورهم[1] . وقد ورد في صحيح البخاري أن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ قال لعامل كسرى : وأخبرنا نبينا ﷺ « عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة ، في نعيم لم ير مثله قط ، ومن بقي منا ملك رقابكم . . » .

---

(١) مطلع النور لعباس محمود العقاد ص ١٤ ـ ١٧ وهو ينقل عن كتاب (محمد في الأسفار العالمية) لعبد الحق ، مجلة الوعي الإسلامي العدد ٢٥٦ ص ٢٩ ـ ٣٠ .

ـ القسم الخامس

بقايا من أهل الكتاب ينتظرون النبي ﷺ

عن عياض المجاشعي ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله نظر إلى أهل الأرض ، فمقتهم عربهم ، وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ـ أخرجه مسلم ـ .

ويتضمن ما يلي :

١ ـ الراهب بحيرا

٢ ـ بدء الوحي وورقة بن نوفل

٣ ـ عداس النصراني

٤ ـ النجاشي ملك الحبشة

٥ ـ سلمان الفارسي

٦ ـ أبو سفيان وهرقل

٧ ـ عبد الله بن سلام



١ ـ الراهب بَحِيرا

عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن أباه حدثه ، قال : خرجنا إلى الشام في أشياخ من قريش ، وكان معي محمد ﷺ فأشرفنا على راهب في الطريق ، فنزلنا وحللنا رواحلنا . فخرج إلينا الراهب . وكان قبل ذلك لا يخرج إلينا . فجعل يتخللنا ، حتى جاء فأخذ بيد محمد ﷺ وقال : هذا سيد العالمين . قال : فقال له أشياخ من قريش : وما علمك بما تقول ؟ قال : أجد صفته ونعته في الكتاب المنزل ، وإنكم حين أشرفتم لم يبق شجر ولا حجر إلا خر له ساجداً . ولا تسجد الجمادات إلا لنبي ، وأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة . ثم رجع فصنع طعاماً فأتانا به . وكان محمد ﷺ في رعية الإبل ، فجاء وعليه غمامة تظله ، فلما دنا وجد القوم قد سبقوه إلى شجرة ، فجلس في الشمس ، فمال فيء الشجرة عليه ، وضحوا في الشمس . . . وجعل يناشدهم الله أن لا يذهبوا به إلى الروم ويقول : إن رأوه عرفوه بالصفة وآذوه . ثم قال : أنشدكم أيكم وليه ؟ قالوا : هذا ـ يعنوني ـ فما زال يناشدني حتى رددته مع رجال . وزوده الراهب كعكاً وزيتاً ـ أخرجه رزين[١] ـ .

وعند ابن أبي شيبة : ولما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة ، خرج مع عمه أبي طالب حتى بلغ بُصرى . فرآه بحيرا الراهب ـ واسمه جرجس ـ فعرفه

---

(١) وأخرجه الترمذي عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ وقال : هذا حديث حسن غريب . وليس بين الألفاظ كبير اختلاف . ورواه البيهقي في كتاب دلائل النبوة من حديث العباس بن محمد عن قراد بن نوح .

بصفته فقال وهو آخذ بيده . هذا سيد العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعـالمين . فقال : وما علمك بذلك ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخر ساجداً ، ولا تسجد إلا لنبي . وأقبل وعليه غمامـة تظله . وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة ، وإنا نجده في كتبنا . وسأل أبا طالب أن يرده خوفاً عليه من اليهود ـ ورواه ابن إسحاق ـ .

وقال ابن الجوزي : خرج أبو طالب إلى الشام ، ومعه رسول الله ﷺ وهو ابن اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام . فنزل الركب ببصرى . وبهـا راهب يقال له بحيرا في صومعة له . وكان ذا علم بالنصرانية . ولم يزل في تلك الصومعة راهب ينتهي إليه علم النصرانية صاغراً عن كابر ، وفيها كتب يدرسونها . وكان كثيراً ما يمر به الركب فلا يكلمه . حتى إذا كان في ذلك العام نزلوا منزلاً قريباً من الصومعة ، فصنع لهم الراهب طعاماً ودعاهم . وإنما حمله على ذلك شيء رآه . فلما حضروا عنده ، جعل يلاحظ النبي ﷺ لحظاً شديداً ، وينظر إلى جسـده ، وجعل أبو طالب يخاف عليه من الراهب ثم قال الراهب لأبي طالب : ارجع بابن أخيك، فإنه كائن له شأن عظيم، فإنا نجد صفته في كتبنا، ونرويه عن آبائنا.

٢ - بدء الوحي وورقة بن نوفل

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه ـ وهو التعبد[1] ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ـ رضي الله عنها ـ فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق ـ وفي رواية : حتى فجأه الحق ـ وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ. قال: قلت: ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجَهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . قال : فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ فقال : زملوني زملوني . فزملوه حتى ذهب عنه الروع . فقال :

---

(١) التحنث : التعبد . وهو أن يفعل فعلاً يخرج به من الحنث ، وهو الإثم ، غطه : إذا حطه بشدة ، كما يغطه في الماء ، إذا بالغ في حطه فيه . الجهد ـ بفتح الجيم : المشقة ، وبضمها الطاقة . وقيل : هما لغتان . الكل: الأثقال والحوائج المهمة . الناموس : المراد به الوحي ، وهو جبريل ـ عليه السلام ـ وأصل معنى اللفظ : صاحب سر الملك الذي لا يحضر إلا بخير . بعكس الجاسوس . الجذع : الشاب .

قفا (

لخديجة ـ رضي الله عنها ـ وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي . فقالت خديجة : كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتصل الرحم ، وتُصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » . فانطلقت به خديجة ـ رضي الله عنها ـ حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزىٰ بن قُصي ـ وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ـ وكان امرءاً تنصّر في الجاهلية . وكان يكتب الكتاب العِبراني ، فكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب . وكان شيخاً كبيراً قد عمي . فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأىٰ . فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى . يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : « أو مخرجيّ هم » قال : نعم ، لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشَب ورقة أن توفي . وفتر الوحي ـ أخرجه البخاري ومسلم ـ .

وروى الطبراني بسنده عن سعيد بن زيد أن زيد بن عمرو وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصل . فقال لزيد : من أين أقبلت ؟ قال : من بيت إبراهيم . قال : وما تلتمس ؟ قال : التمس الدين . قال : ارجع ، فإنه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك . فرجع وهو يقول : لبيك حقاً حقاً ، تعبداً ورقاً .

٣ - عداس النصراني

ولما اشتد البلاء من قريش على رسول الله ﷺ بعد موت عمه أبي طالب ، وتجرؤوا عليه ، خرج إلى الطائف يدعوهم إلى الله ، ويرجو أن يؤووه وينصروه . وكان معه زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ فأقام بينهم عشرة أيام ، لا يَدَعُ أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه . فقالوا : اخرج من بلادنا . وأغروا به سفهاءهم ، فرجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء ، ونالوا منه ما لم ينل قومه . فكانوا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط ـ أي بستان ـ لعتبة وشيبة ابني ربيعة ، وهما فيه . ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه . فلما رآه ابنا ربيعة ، ورأيا ما لقي من ثقيف ، تحركت له رحمهما ، فبعثا إليه مع غلامهما عداس النصراني قطف عنب . فلما وضع ﷺ يده في القطف قال : « بسم الله » . ثم أكل . فنظر عداس إلى وجهه وقال : إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة . فقال ﷺ : « من أي البلاد أنت ؟ وما دينك ؟ » قال : نصراني من أهل نينوىٰ ، قال : « من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟ » قال عداس : وما يدريك ؟ قال : « ذاك أخي ، وهو نبي مثلي » . فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها . فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاء عداس قالا له : ويلك يا عداس . ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدي ، ما في الأرض خير من هذا . فقد أخبرني ما لا يعلمه إلا نبي . قالا : ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك . فإن دينك خير من دينه ـ رواه ابن إسحاق [1] ـ .

---

(١) وقد تصرفت في الرواية بحذف بعضها .

٤ ـ النجاشي ملك الحبشة

عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار النجاشي[١] . أَمِنّا على ديننا ، وعبدنا الله ، لا نؤذىٰ ، ولا نسمع شيئاً نكرهه . فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا أن يبعثوا إلى النُجاشي فينا رجلين جلدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة . وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم[٢] . فجمعوا له أدماً كثيراً . ولم يتركوا من بطارقته[٣] بطريقاً إلا أهدوا له هدية ـ وعند ابن إسحاق : فجمعوا له هدايا ولبطارقته ، فلم يَدعوا منهم رجلاً إلا هيؤوا له هدية على حدة ـ ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وائل السهمي ، وأمروهما أمرهم ، وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ، ثم قَدِّموا إلى النجاشي هداياه ، ثم اسألوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم .

قالت : فخرجا فقدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار عند خير جار . فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هدية قبل أن يكلما النجاشي . ثم قالا لكل بطريق منهم : إنه قد صبأ إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين

---

(١) النجاشي : اسم لكل ملك في يلي الحبشة . واسم هذا النجاشي أصحمة بن الحر . وتفسيره : عطية .

(٢) الأدم : جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ . أما قبل الدبغ فاسمه إهاب . والبشَرة : للإنسان خاصة

(٣) البطارقة : جمع بطريق ، وهو الحاذق بالحرب وأمورها . وهي كلمة رومية .

قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعَثَنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم ليردهم إليهم ، فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلىٰ بهم عيناً[1] ، وأعلم بما عابوا عليهم . فقالوا لهما :نعم. ثم إنهما قربا هداياهما إلى النجاشي . فقبلها منهما . ثم كلماه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوىٰ إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم ، فهم أعلىٰ بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه . فقالت بطارقته : صدقوا أيها الملك ، قومهم أعلىٰ بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما ، فليرداهم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لا وايم الله إذاً. لا أسلمهم إليهما ولا أكاد . قوماً جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم . . .

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم . فلما جاءهم رسوله اجتمعوا فقال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما جاؤوه ـ زاد أبو نعيم : وقد دعا النجاشي أساقفته[2] ، فنشروا مصاحفهم حوله ـ سألهم فقال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم ؟ ـ وعند ابن إسحاق : فلما دخلوا عليه سلموا ولم يسجدوا له . فقال : أيها الرهْط ؟ ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتانا من قومكم ؟ ـ قالت : فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال : أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا

---

(١) أي أبصر بهم .

(٢) الأساقفة : جمع أسقف : وهو عالم رئيس من علماء النصارى ورؤسائهم له حق الاجتهاد .

رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وشهادة الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله ، لا نشرك به شيئاً ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . قالت : فعدد عليه أمور الإسلام . فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به ، فعبدنا الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرمه الله ، وأحللنا ما أحل الله لنا . فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وشقُّوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلدك ، واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك - وعند ابن إسحاق : قال : فما دينكم ؟ قالوا : الإسلام . قال : وما الإسلام ؟ قالوا : نعبد الله لا نشرك به شيئاً . قال : ومن جاءكم بهذا ؟ قالوا : جاءنا به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا ، فأمرنا بالبر . . . فصدقناه ، وعرفنا كلام الله ، وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله . . . وأما التحية ، فإن رسول الله ﷺ أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام ، وأمرنا بذلك ، فحييناك بالذي يحيي بعضنا بعضاً - قالت : فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ فقال له جعفر : نعم . فقال النجاشي : فاقرأه علي ؛ فقرأ عليه صدراً من سورة مريم « **كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا** . .

قالت : فبكى النجاشي حتى أَخْضَل لحيته[1] ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تُلي عليهم . ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة[2] . ثم قال لعبد الله بن أبي ربيعة

(١) اخضل لحيته : بلها بالدموع .

(٢) في سيرة ابن هشام : عيسىٰ . وتُحمل العبارة هنا على الشريعة التي أُنزلت على موسى - عليه السلام - والتي أُمر عيسىٰ - عليه السلام - باتباعها . إذ ليس في الإنجيل شريعة . والمشكاة : الكوة غير النافذة . والمراد : الأصل والمنبع .

وعمرو بن العاص : انطلقا ، فوالله لا أسلمهم إليكما أبداً ، ولا أكاد .

قالت أم سلمة : فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينهم غداً أعيبهم عنده بما استأصل به خضراءهم فقال لـه عبد الله بن ربيعـة ، وكان أتقى الرجلين فينا : لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا . قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد . قالت : ثم غدا عليه فقال : يا أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه .

قالت : فأرسل إليهم يسألهم عنـه . ولم ينزل بنـا مثلها . واجتمـع القوم فقال بعضهم لبعض : ما تقولون في عيسى بن مريم [إذا سألكم عنه ؟ قالـوا : نقول ، والله : ما قال الله وما جاءنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن . فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟][1] فقال له جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمتـه ألقاها إلى مريم العذراء البتول[2] . قالت : فضرب النجاشي يده إلى الأرض ، فأخذ منهـا عوداً ثم قـال : والله ما عـدا عيسى بن مريم مـا قلت هذا العـود . فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال ، فقال : وإن نخرتم والله . اذهبوا فأنتم سيـوم بأرضي ، والسيـوم : الآمنون ، من سبكم غـرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غـرم ، ما أحب أن لي دَبْـراً ذهباً وأني آذيت رجـلاً منكم ، والدبر بلسان الحبشة : الجبل . ردوا عليهما هـداياهمـا ، فلا حـاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ فيـه الرشـوة ، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه .

قالت : فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به . وأقمنا عنده في خير دار مع خير جار ـ أخرجه أحمد في المسند ـ .

---

(١) هذه الزيادة من سيرة ابن هشام .

(٢) البتول : المنقطعة عن الرجال إلى العبادة .

وعند ابن إسحاق : والله إن هذا لمن المشكاة التي خرج منها أمر موسى - عليه السلام - . . . .

فأخذ عوداً وقال : ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود . فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعت الحبشة لتخلعنك . فقال : والله لا أقول في عيسى - عليه السلام - غير هذا أبداً ، وما أطاع الله الناس فيّ حين رد على ملكي ، فأطيع الناس في دين الله . معاذ الله من ذلك .

وأخرج أحمد عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ، ونحن نحوٌ من ثمانين رجلاً . فأتوا النجاشي . وبعثت قريش عمرو بن العاص وعُمارة بن الوليد بهدية . فلما دخلا على النجاشي سجدا له ، ثم ابتدراه عن يمينه وشماله . ثم قالا له : إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ، ورغبوا عنا وعن ملتنا ، فبعث إليهم . فقال جعفر : أنا خطيبكم اليوم . فاتّبعوه ، فسلم ولم يسجد . فقالوا له : مالك لا تسجد للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل . قال : وما ذاك ؟ قال : إن الله بعث إلينا رسولاً ، ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة . قال عمرو : فإنهم يخالفونك في عيسى بن مريم . قال : فما تقولون في عيسى بن مريم وأمه ؟ قال : نقول كما قال الله : (**هو كلمته وروحه ، ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ، ولم يفرضها ولد**) . قال : فرفع عوداً من الأرض ثم قال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ، والله ما يُزيدون على الذي نقول فيه ما سوى هذا . مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده . أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي نجد في الإنجيل ، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه . وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما[1] .

---

(١) قال ابن كثير في البداية ٣/ ٦٩ : وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن . وحسن إسناده الحافظ في الفتح ٧/ ١٣٠ وقال الهيثمي بعدما ذكر الحديث : رواه الطبراني وفيه خديج بن معاوية ، وثقه أبو حاتم وقال : في بعض أحاديثه ضعف ، وضعفه ابن معين وغيره . وبقية رجاله =

وأخرجه الطبراني أيضاً عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ وفيه: ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه . امكثوا في أرضي ما شئتم . وأمر لنا بطعام وكسوة(١) .

وأخرج ابن عساكر عن جعفر ـ رضي الله عنه ـ قال : بعثت قريش عمرو بن العاص ـ فقال عمرو بن العاص : إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقول . فأرسل إلينا فقال : ما يقول صاحبكم في عيسى ؟ قلنا : يقول : هو روح الله وكلمته ألقاها إلى عذراء بتول . فقال ـ أي للقسس والرهبان ـ : ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ قالوا : أنت أعلمنا . فما تقول ؟ قال النجاشي وأخذ شيئاً من الأرض : ما عدا عيسى ما قال هؤلاء مثل هذا . . فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وظهر بها ، قلنا له : إن رسول الله ﷺ قد ظهر وهاجر إلى المدينة ، وقتل الذين كنا حدثناك عنهم ، وقد أردنا الرحيل إليه ، فردّنا . قال : نعم ، فحمّلنا وزودنا . ثم قال : أخبر صاحبك بما صنعت إليكم ، وهذا صاحبي معكم ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنه رسول الله ، وقل له : يستغفر لي . قال جعفر : فخرجنا حتى أتينا المدينة ، فتلقاني رسول الله ﷺ واعتنقني ، ثم قال : ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أم بقدوم جعفر ؟ ووافق ذلك فتح خيبر . ثم جلس ، فقال رسول النجاشي : هذا جعفر ، فسله ما صنع به صاحبنا . فقال : نعم ، فعل بنا كذا وكذا ، وحملنا وزودنا ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وقال لي : قل له : يستغفر لي : فقام رسول الله ﷺ فتوضأ ، ثم دعا ثلاث مرات : اللهم اغفر للنجاشي . فقال المسلمون : آمين . ثم قال جعفر : فقلت للرسول : انطلق فأخبر صاحبك بما رأيت من رسول الله ﷺ (٢) .

= ثقات اهـ انظر حياة الصحابة ١/٣٥٤ .

(١) قال الهيثمي ٦/٣١ : رجاله رجال الصحيح اهـ وأخرج حديث أبي موسى أيضاً أبو نُعيم في الحلية ١/١١٤ والبيهقي وقال : هذا إسناد صحيح ، انظر حياة الصحابة ١/٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٢) قال ابن عساكر : حسن غريب كذا في البداية ٣/٧١ ، وأخرجه الطبراني من طريق =

وقد روى جمل هذه القصة أبو داود في سننه من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أيضاً : قال : أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يأتوا النجاشي . وذكر حديثه وموته وصلاة رسول الله ﷺ عليه . قال أبو موسى : فوجدناهم فأقمنا معهم . قال : وسمعت النجاشي يقول : أشهد أن محمداً رسول الله ، وأنه الذي بشر به عيسىٰ ، ولولا ما أنا فيه من الملك ، وما تحملت من أمر الناس لأتيته حتى أحمل نعليه[1] .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ نعى لهم النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذي مات فيه. وقال: استغفروا لأخيكم ـ أخرجه الشيخان.

وزادا في رواية : ثم خرج بالناس إلى المصلىٰ ، فصفوا وراءه ، وصلى عليه ، وكبر أربع تكبيرات .

= أسد بن عمرو عن مجالد ؛ وكلاهما ضعيف ، وقد وُثقا . قاله الهيثمي ٦/ ٢٩ . انظر حياة الصحابة ١/ ٣٥٦ .

(١) رواه أبو داود في الجنائز ، وحسن إسناده عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول ١١/ ٢٦٤ قال ابن تيمية في الجواب الصحيح ١/ ٧٩ : « وقد ذكر قصة المهاجرين إلى الحبشة وما جرى لهم مع النجاشي جماعة من العلماء والحفاظ كابن سعد في الطبقات وأبي نعيم في الحلية وغيرهما ، وذكرها أهل التفسير والحديث والفقه ، وهي متواترة عند العلماء اهـ .

٥ ـ سلمان الفارسي

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن محمد بن لبيد عن عبد الله بن العباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: حدثني سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ من فيه قال: كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها (جي). وكان أبي دهقان أهل قريته، وكنت أحب خلق الله إليه.

واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها، لا يتركها تخبو ساعة ، وكان لأبي ضيعة عظيمة ، فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارىٰ ، فسمعت أصواتهم وهم يصلون . فدخلت عليهم أنظر ما يصنعون ؟ فلما رأيتهم أعجبتني صفتهم ، ورغبت في أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه . ثم قلت لهم : من أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعت إلى أبي ، وقد بعث في طلبي ، وشغلته عن عمله كله . فلما جئته قال: أين كنت؟ قال: قلت له: يا أبت مررت بنصارىٰ يصلون بكنيسة، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بني؟ ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه.

قال: قلت له: كلا والله إنه لخير من ديننا. فخافني فجعل في رجلي قيداً، ثم احتبسني في بيته، قال: وبعثت إلى النصارىٰ وقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم.

قال : فقدم ركب من الشام تجار من النصارىٰ ، فأخبروني بهم . فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا : الأسقف في الكنيسة . قال : فجئت فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين ، وأحببت أن أكون معك ، وأخدمك في كنيستك ، وأتعلم منك ، وأصلي معك . قال : ادخل . فدخلت معه . وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ، ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع . ثم مات . واجتمعت النصارى ليدفنوه . فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ، ولم يعط المساكين منها شيئاً . فقالوا لي : وما علمك بذلك ؟ قلت أنا أدلكم على كنزه . فأريتهم موضعه، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً. فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً. فصلبوه ورموه بالحجارة. وجاؤوا برجل فجعلوه مكانه. فما رأيت رجلاً أفضل ولا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه . قال : فأحببته حباً شديداً ، فأقمت معه زماناً . ثم حضرته الوفاة . فقلت له : إني قد كنت معك فأحببتك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله ، فإلى من توصي بي وتأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس ، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالموصل ، وهو فلان ، وهو على ما كنت عليه ، فالحق به . فلما مات وغُيب لحقت بصاحب الموصل ، فأقمت عنده ، فرأيته خير رجل على أمر صاحبه . فلم يلبث أن حضرته الوفاة . فسألته إلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين ، وهو فلان . فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبري . فقال : أقم عندي . فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حُضِر قلت له : إلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجل بعمورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن عليه . فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبري : فقال : أقم عندي . فأقمت عند خير رجل

على هَدْي أصحابه وأمرهم . قال : فاكتسبتُ حتى صار لي بقرات وغنيمة . قال : ثم نزل به أمر الله . فلما حُضِر قلت له : يا فلان إلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلم أصبح اليوم أحد من الناس على مثل ما كان عليه هؤلاء آمرك أن تأتيه . ولكنه قد أظل زمان نبي ، هو مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب ، مهاجره إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفىٰ ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة . فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل . ثم مات وغُيب . قال : ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث . ثم مرّ بي نفر من (كلب) تجار ، فقلت لهم احملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه . قالوا : نعم حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني ، فباعوني على رجل يهودي عبداً . فكنت عنده ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي . فبينما أنا عنده ، إذ قدم عليه ابن عم له من قريظة فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها . وبعث رسول الله ﷺ وأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مما أنا فيه من شغل الرق . ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل له بعض العمل ، وسيدي جالس ، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال : يا فلان ، قاتل الله بني قيلة ـ أي الأوس والخزرج ، وهم أهل المدينة ـ والله إنهم لمجتمعون بقُباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعم أنه نبي . فلما سمعتها أخذتني العُرَواء ـ أي الحمىٰ ـ فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه : ماذا تقول ؟ فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك . وقد كان عندي شيء قد جمعته . فلما أمسيتُ أخذته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء . فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا كان عندي للصدقة، فقربته إليه . فقال : كلوا . وأمسك يده فلم يأكل . فقلت في نفسي : هذه واحدة . ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً . وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة . فجئته فقلت : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها . فأكل وأمر أصحابه فأكلوا معه منها . فقلت في نفسي : هاتان ثنتان . ثم جئت رسول الله ﷺ

وهو ببقيع الغرقد ، قد تبع جنازة أحد أصحابه ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رآني استدبرته عرف أني أَسْتَثْبِت في شيء وصف لي ، فألقي رداءه عن ظهره . فنظرت إلى الخاتم فعرفته . فأكببت عليه أقبل . فبكى وأبكى . فقال لي ﷺ : تحول . فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثي[1] .

(1) هداية الحيارى ص ٥٠٤ ـ ٥٠٧ .

٦ - أبو سفيان وهرقل

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: حدثني أبو سفيان بن حرب من فيه إلى فيّ . قال : انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ قال : فبينا أنا بالشام ، إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل . قال : وكان دِحية الكلبي جاء به ، فدفعه إلى عظيم بُصرىٰ ، فدفعه عظيم بصرىٰ إلى هرقل . فقال هرقل : هل ها هنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان : فقلت : أنا . فأجلسوني بين يديه ، وأجلسوا أصحابي خلفي . ثم دعا بترجمانه وقال : قل لهؤلاء : إني سائل عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، فإن كذبني فكذبوه . قال أبو سفيان : وايم الله لولا أن يؤثر علي الكذب لكذبته . ثم قال لترجمانه : سله : كيف حسبه فيكم ؟ قال : قلت : هو فينا ذو حسب . قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا . قال : فهل يتّبعه أشراف الناس أو ضعفاؤهم ؟ قال : قلت : لا ، بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : لا ، بل يزيدون . قال : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سَخطةً له ؟ قال : قلت : لا . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قال : قلت : يكون الحرب بيننا وبينه سجالاً ، يصيب منا ونصيب منه . قال : فهل يغـدِر ؟ قال : قلت : لا ، ونحن منه في هذه المدة ، لا ندري ما هو صانع فيها . قال : والله ما مكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه . قال : فهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قلت : لا . ثم قال لترجمانه : قل له : إني سألتك عن حسبه فيكم ، فزعمت أنه

فيكم ذو حسب . وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها . وسألتك : هل كان من آبائه ملك ؟ فزعمت أن لا . فقلت : لو كان من آبائه ملك ، قلت : رجل يطلب ملك آبائه . وسألتك عن أتباعه : أضعفاؤهم أم أشرافهم ؟ فقلت : بل ضعفاؤهم . وهم أتباع الرسل . وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فزعمت أن لا . فعرفت أنه لم يكن لِيَدَعَ الكذب على الناس ، ثم يذهب فيكذب على الله . وسألتك : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سَخْطة له ؟ فزعمت أن لا . وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب . وسألتك : هل يزيدون أو ينقصون ؟ فزعمت أنهم يزيدون . وكذلك الإيمان حتى يتم . وسألتك : هل قاتلتموه ؟ فزعمت أنكم قاتلتموه ، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ؛ ينال منكم وتنالون منه . وكذلك الرسل ، تُبتلىٰ ثم تكون العاقبة لها . وسألتك : هل يغدِر ؟ فزعمت أنه لا يغدر . وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك : هل قال هذا القول أحد قبله ؟ فزعمت أن لا . فقلت : لو كان قال هذا القول أحد قبله ، قلت رجل ائتم بقول قيل قبله . قال : ثم قال : بِمَ يأمركم ؟ قلنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف . قال : إن يك ما تقوله حقاً فإنه نبي ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم أكُ أظنه منكم ، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدميّ . ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين . و « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله . فإن تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون » . فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده ، وكثر اللغط ، وأمر بنا فأخرجنا . قال : فقلت لأصحابي : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة ، إنه ليخافه ملك بني الأصفر . فما زلت موقناً بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام ـ رواه البخاري ومسلم ـ .

وزاد مسلم في رواية : وكان قيصر لما كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيليا ، شكراً لما أبلاه الله . . . فأدخلنا عليه . فإذا هو جالس في مجلس ملكه عليه التاج . وإذا حوله عظماء الروم .

وفي رواية للبخاري : ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية . وكان نظيره في العلم . وسار هرقل إلى حمص ، فلم يَرِم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ، وأنه نبي . فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له - أي قصر - بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم قال : يا معشر الروم هل لكم في الصلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي ؟ . فحاصوا حَيصة حمر الوحش إلى الأبواب . فوجدوها قد غلقت . فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي. وقال: إني قلت مقالتي آنفاً اختبر بها شدتكم على دينكم. فقد رأيت منكم الذي أحببت. فسجدوا له، ورضوا عنه.

٧ ـ عبد الله بن سلام

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فأتاه وقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله ﷺ : أخبرني بهن آنفاً جبريل : أما أول أشراط الساعة ، فنار تحشُر الناس من المشرق إلى المغرب . وأما أول طعام يأكله أهل الجنة ، فزيادة كبد حوت . وأما الشبه في الولد ، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له ، وإذا سبقت كان الشبه لها . قال : أشهد أنك رسول الله . ثم قال : يا رسول الله إن اليهود قومٌ بُهْتٍ ، فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك . فجاءت اليهود ، ودخل عبد الله البيت . فقال رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : أعلمنا وابن أعلمنا ، وأخيرنا وابن أخيرنا . فقال رسول الله : أفرأيتم إن أسلم عبد الله ؟ » قالوا : أعاذه الله من ذلك ـ زاد في رواية : فأعاد عليهم ، فقالوا مثل ذلك ـ قال : فخرج عبد الله إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله . قالوا : شرنا وابن شرنا ، ووقعوا فيه ـ زاد في رواية : قال ابن سلام : هذا الذي كنت أخافه يا رسول الله ـ أخرجه البخاري ـ .

وعبد الله بن سلام أحد أحبار اليهود ، وهو من ولد يوسف بن يعقوب ، فكان يكنى أبا يوسف . واسمه في الجاهلية الحصن ، فلما أسلم سماه النبي ﷺ عبدالله . وإنما أسلم في وقت شدة من الأمر وقلة من المسلمين وضعف وحاجة ،

وأهل الأرض مطبقون على عدواتهم ، واليهود والمشركون هم أهل الشوكة والعدة والسلاح . وذلك لما رأى من أعلام النبوة التي كان اليهود يعرفونها . مع أنه بشهادة اليهود كان سيدهم وعالمهم وخيرهم . وعلم أنهم إن علموا بإسلامه أخرجوه من تلك الرياسة والسيادة ، فأحب أن يعلم رسول الله ﷺ بذلك . فلو كان ممن يؤثر الدنيا والرياسة لفعل كما فعل غيره ممن صرح بغرضه . مات سنة ٤٣ هـ في خلافة معاوية ـ رضي الله عنه ـ وكان الصحابة ـ رضي الله عنه ـ يرون أن فيه نزلت هذه الآية : ﴿**وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله، فآمن واستكبرتم**﴾[1] ـ الأحقاف/ ١٠ ـ.

---

(١) انظر الاستيعاب ٩٢١/٣ وهداية الحيارى ص ٥٩٣ ـ ٥٩٤ .

الفِهْـــرِس

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحه

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة